



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

قسم التفسير

تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر

تأليف

أبي العباس أحمد بن يوسف الكواشي

المتوفى سنة ٦٨٠هـ

دراسة وتحقيق

من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

حمزة موسى عبد الله آدم

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن صالح العبيد

الأستاذ المشارك بقسم التفسير بكلية القرآن الكريم

العام الجامعي

١٤٢٧ - ١٤٢٨ هـ




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١][1]

أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى امتن على هذه الأمة بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس، وجعل رسولها خاتمَ الأنبياء والمرسلين، وأنزل عليه كتاباً ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وتكفل جل وعلا بحفظه فقال عز قائلاً علياً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

وإن من نعم الله تعالى على عبده وتوفيقه وإحسانه إليه، أن يسلك به طريق العلم الشرعي، وأن يوفقه لمداومة النظر في كتاب الله العزيز تدبراً وفهماً وعلما وعملاً.

وإن من خير ما صرفت له الهمم، وبذل في تحصيله الأوقات، تعلم كتاب الله العزيز ومعرفة معانيه.

ولقد قيض الله جل وعلا لكتابه رجالا أفذاذاً، فسروا معانيه وبينوا أحكامه وما يُحتاج إليه، بدءاً من المفسر الأول نبينا محمدٍ ﷺ، ثم من بعده الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وألفوا في تفسيره كتبا نافعة.

---

(١) هذه خطبة الحاجة، وهي في سنن ابن ماجه {١٨٩٢} وانظر: صحيح سنن ابن ماجه {١٥٣٥}.

ومن العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في خدمة كتاب الله العزيز، وألفو فيه تآليف نافعة، العالم الفذ: **موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن حسن الموصلي الشافعي، المعروف بالكواشي المتوفى سنة ثمانين وستمائة من الهجرة. رحمه الله.**

من خلال مصنف له في التفسير عنوانه:

تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر.

ولمّا منّ الله الكريمُ عليّ بإتمام الدراسة الجامعية بحمد الله، ومواصلة الدراسات العليا بقسم التفسير بكلية القرآن الكريم في رحاب هذه الجامعة المباركة، وبعد الاستشارة والاستخارة، أحببت أن يكون موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير في دراسة وتحقيق هذا التفسير، إكمالاً لما بدأه الشيخ الدكتور: عبدالله بن نافع العمري. حفظه الله.

وقد كان تحقيقي بتوفيق الله سبحانه: **من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام ، في مائة وست وثمانين لوحة.**

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا صالحا، ولوجهه خالصا، إنه سميع مجيب.

أسباب اختيار الموضوع:

١) طلب الأجر من البارئ جل وعز، في خدمة كتابه المجيد.

٢) إتحاف المكتبة القرآنية بهذا التفسير حتى يستفيد منه العلماء وطلبة العلم.

٣) قدم عصر المؤلف وشخصيته الفذة وجهوده في خدمة كتاب الله العزيز.

٤) ثناء العلماء عليه.[١]

٥) قيمة الكتاب العلمية.[٢]

٦) التعرف على المصادر، والتمرن على الرجوع إليها في علم التفسير.

---

(١) سيأتي الحديث عنه في مبحث خاص ص {١٨}.

(٢) سيأتي الحديث عن قيمة الكتاب العلمية في مبحث خاص. ص {٤١}.

خِطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة وقسمين وفهارس.

- **المقدمة** : وتشتمل على مايلي:

– أسباب اختيار الموضوع.

– خطة البحث.

– منهج كتابة البحث .

- **القسم الأول**: الدراسة : وفيها فصلان :

الفصل الأول : دراسة موجزة عن المؤلف ، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته .

المبحث الثاني : مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثالث :حياته العلمية وفيها خمسة مطالب :

المطلب الأول : رحلاته العلمية .

المطلب الثاني : شيوخه .

المطلب الثالث : تلاميذه .

المطلب الرابع : مؤلفاته .

المطلب الخامس : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي .

الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب، ويتضمن:

١/ اسم الكتاب.

٢/ توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.

٣/ موضوعه وأهم ماتميز به.

٤/ سبب تأليفه.

٥/ مصطلحات المؤلف في كتابه.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في تفسيره.

المبحث الثالث: مصادر المؤلف في كتابه.

المبحث الرابع: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الخامس: النسخ الخطية للكتاب.

- **القسم الثاني:** نص الكتاب المحقق، من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام.
- الفهارس اللازمة:

- فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار والأقوال.
- فهرس الشواهد الشعرية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الأماكن.
- فهرس المحتويات .

منهج كتابة البحث

١- قارنت بين النسختين الصالحتين للتحقيق، نسخة إيرلندا وهي الأصل، واعتمدت عليها في إثبات النص، ونسخة دار الكتب المصرية كنسخة مساعدة، ورمزت لها بالحرف {ب} وما تبين لي خطؤه صوبته منها، أو من المصادر الأصلية إن كان النص منقولا، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

٢- كتبت النص حسب القواعد الإملائية المعاصرة، ملتزما في ضبطه بعلامات الترقيم؛ ليسهل على القارئ فهم مقصود المصنف رحمه الله.

٣- التزمت في كتابة الآيات القرآنية بخط رسم المصحف الشريف، مع كتابة رقم الآية.

٤- أثبتُّ الفروق بين النسختين معتمداً نص النسخة الأصلية عند الاختلاف، مالم يكن الصواب بخلافه فيشار لنص الأخرى في الهامش.

٥- عزوت الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، مع بيان رقم الآية في نص الكتاب وجعلتها بين المعكوفين [ ] كي لا تكثر الحواشي.

٦- خرجت الأحاديث من مظانها الأصيلة، وميزتها في نص البحث بخط عريض، وجعلتها بين أربعة أقواس هكذا (( )) فما كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إلى مصدره منهما، وإن كان في غيرهما من كتب السنة والصحاح والمسانيد والمصنفات وغيرها عزوته لمصدره مع بيان أقوال أهل العلم المعتبرين المحققين في صحته حسب الاستطاعة.

٧- عزوت القراءات المتواترة والشاذة إلى مصادرها.

٨- عزوت الأبيات الشعرية ونَسَبْتُها إلى قائليها -وهي قليلة جدا- من دواوين الشعر الأصيل وكتب اللغة.

٩- ترجمت باختصار للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في المخطوط، مع الإحالة إلى مصدر أو مصدرين باختصار.

١٠- عرفت بالأماكن والطوائف الواردة في المخطوط بقدر ما يحتاج إليه.

١١- نسبت الأقوال التي حكاها المؤلف إلى قائليها، حسب الاستطاعة.

١٢- ناقشت بعض القضايا التي لا تسلم من النقد، مع الاعتماد على أقوال أهل العلم المعتبرين.

١٣- شرحت المفردات والكلمات الغريبة بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم.

القسم الأول: الدراسة: وفيها فصلان:

الفصل الأول: دراسة موجزة عن المؤلف، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثالث: حياته العلمية وفيها خمسة مطالب:

المطلب الأول: رحلاته العلمية.

المطلب الثاني: شيوخه.

المطلب الثالث: تلاميذه.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع بن حسين بن سوداني الشيباني الموصلي،[١] موفق الدين، أبو العباس، المعروف بالكَوَاشِي - بفتح وتخفيف ومعجمة - نسبة إلى كَوَاشة قلعة بالموصل.[٢]

المبحث الثاني: مولده ونشأته ووفاته:

اختلفت المصادر التي ترجمت للمصنف رحمه الله في سنة ولادته على قولين:

الأول: أنه ولد سنة تسعين وخمسمائة للهجرة.[٣]

الثاني: أنه ولد سنة إحدى وتسعين وخمسمائة للهجرة.

وقد حكى القولين كثير ممن ترجم للإمام الكواشي رحمه الله.[٤]

ومثل هذا الاختلاف اليسير لايؤثر في تاريخ ولادة المصنف، والله أعلم.

هذا وقد نشأ المصنف رحمه الله، في كنف العلم والعلماء، فقرأ القرآن على والده، حيث توفي والده وهو في مقتبل عمره، ثم رباه خاله وأشغله بطلب العلم،[٥] اشتغل وبرع في القراءآت والتفسير والعربية.

---

(١) ينظر في ترجمته المصادر التالية: ذيل مرآة الزمان {٤/ ١٠٤} معرفة القراء الكبار {٣٦٨} تذكرة الحفاظ {٤/ ١٤٦٥} تاريخ الإسلام {١٥/ ٣٨٥} الوافي بالوفيات {٨/ ٢٩١} نكت الهميان في نكت العميان {١١٦} طبقات الشافعية الكبرى {٨/ ٤٢} طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة {٢/ ١٦٥} غاية النهاية {١/ ١٥١} النجوم الزاهرة {٧/ ٣٤٨} طبقات المفسرين للداوودي {١/ ١٠٠} كشف الظنون {١/ ٢٢٢، ٢٤٩٨} هدية العارفين {١/ ٩٨} الأعلام {١/ ٢٧٤} معجم المؤلفين {٢/ ٢٠٩}.

(٢) كواشة: في العراق وهي الآن قرية وتجمع صناعي، تقع في سفح الجبل الأبيض، في سهل السليفانيفي قضاء شميل، شمال غرب مدينة دهوك.

(٣) ذكره الذهبي في معرفة القراء الكبار {٣٦٨} وابن الجزري في غاية النهاية {١/ ١٥١}.

(٤) منهم: الذهبي في تاريخ الإسلام {١٥/ ٣٨٥} والصفدي في الوافي {٨/ ٢٩١} وفي نكت الهميان {١١٦} وانظر: طبقات الشافعية {٨/ ٤٢}.

(٥) غاية النهاية {١/ ١٥١}.

وحج من دمشق وزار بيت المقدس ورجع إلى بلده وتعبد وكان منقطع القرين، عديم النظير زهدا وصلاحا وتبتلا وصدقا واجتهادا.

ولما حج من دمشق اشترى ثلاثة أمداد قمح من قرية الجابية،(١) لكونها من فتح عمر ﷺ، وحملها على عاتقه إلى بلده وزرعها، إلى أن حصد ذلك الزرع، وأخذ منه ما يقوته للزرع، فجعل كل سنة يفعل ذلك، حتى فتح الله عليه ونما الزرع، فصار يجنيه في كل سنة ما يكفيه ويكفي الفقراء الذين عنده. (٢)

وكان كثير الإنكار على أمير الموصل، وإذا سير إليه يشفع عنده في أحد لا يرده. وكان خواص أمير الموصل المتدينون يحبونه ويعظمونه. (٣)

حدث عنه تلميذه الشيخ تقي الدين المقصاتي قال: (قرأت على الشيخ موفق الدين تفسيره، فلما بلغنا إلى (والفجر) منعني من إتمام الكتاب، وقال: أنا أجيزه لك، ولا تقل قرأته كله على المصنف، يعني: أن للنفس في ذلك حظا، قال: وغبت عنه سنة ونصفا، فجئت ودققت الباب، وكان قد أضر، فجاء ليفتح، وقال: من ذا أبو بكر؟ فاعتددتها له كرامة)(٤)

كف بصره قبل وفاته بأكثر من عشر سنين، وهو يتلقى ذلك بالرضى والتسليم.(٥)

توفي في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثمانين وستمائة من الهجرة، رحمه الله.

****

****

******

(١) الجابية قرية من أعمال دمشق، افتتحت في عهد عمر ﷺ صلحا. معجم البلدان {٢/٩١}

(٢) معرفة القراء الكبار {٣٦٨}

(٣) تاريخ الإسلام {١٥/ ٣٨٥}.

(٤) معرفة القراء الكبار {٣٦٨}.

(٥) ذيل مرآة الزمان {٤/ ١٠٥}.

المبحث الثالث:حياته العلمية وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: رحلاته العلمية:

لم تشر المصادر المترجمة للكواشي، إلى رحلاته العلمية بالتفصيل، لكنها أشارت إلى أنه قدم دمشق، وأخذ عن السخاوي وغيره، وحج بيت الله الحرام، وزار بيت المقدس، ثم رجع إلى بلده ولازم الإقراء والعبادة والتصنيف.[١]

المطلب الثاني: شيوخه:

المصادر التي ترجمت للكواشي رحمه الله، لم تذكر إلا عددا قليلا من مشايخه، وهم:

١- والده: الشيخ يوسف بن حسن الكواشي.

وقد قرأ عليه المصنف القرآن الكريم، روى الحروف والقراءات عن عبد المحسن بن خطيب الموصل، بسماعه من يحيى بن سعدون القرطبي.[٢]

وذكر الذهبي عن ابن الجزري بسنده عن المصنف أنه كان صغيرا حين وفاة والده، فرباه خاله، وأشغله بطلب العلم عنده إلى أن بلغ عشرين سنة. والله أعلم.[٣]

٢- أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة بن عبد الله البغدادي القلانسي العطار الصوفي.[٤]

الشيخ المسند المعمر، ولد سنة نيف وأربعين وخمسمائة، كان حسن الهيئة، مليح الشيبة، حلو الكلام، قوي الهمة، روى الصحيح وحدث به مرات بحلب وبغداد وحران ورأس عين، وازدحم الناس عليه، وكان قد أضر في آخر عمره، حدث عنه خلق كثير. توفي فجأة، في ليلة الخامس من ربيع الآخر سنة ثلاث وستمائة، وقد جاوز التسعين.

---

(١) انظر المصادر المذكورة في أول الترجمة.

(٢) غاية النهاية {١/ ١٥١} ويحيى هو ابن سعدون بن تمام القرطبي، إمام علامة، قرأ القرءات، وأخذ العربية والأدب، ثقة محقق واسع العلم، ذو دين ونسك وورع ووقار، ت٥٦٧هـ بالموصل. سير أعلام النبلاء {٢٠/٥٤٦}

(٣) تاريخ الإسلام {١٥/ ٣٨٥}.

(٤) ينظر في ترجمته: نكت الهميان {٢٠٣} سير أعلام النبلاء {٢٢/ ٣٨٧}.

٣-علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس، علم الدين أبو الحسن الهمداني السخاوي الشافعي.[١]

المقرئ المفسر النحوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة، الإمام العلامة المقرئ المحقق النحوي، صهر أبي القاسم الشاطبي، أخذ القراءات عنه وعن أبي الجود اللخمي،[٢] وأبي الفضل الغزنوي،[٣] وأبي اليمن الكندي،[٤] واقتصر على الشاطبي وأبي الجود في إسناد الروايات عنهما، شيخ الإقراء بالتربة الصالحية، أقرأ الناس أكثر من أربعين سنة، وهو أول من أقرأ بها، قرأ عليه خلق كثير لايحصون بالروايات، كأبي شامة المقدسي الذي صحبه قرابة ثلاثين عاما، وشمس الدين أبي الفتح، الذي تصدر للإقراء بعده.

صنف المصنفات الكثيرة المفيدة، منها: فتح الوصيد في شرح القصيد، وهو أول شرح على منظومة الشاطبية في علم القراءات، وشرح الرائية، في علم رسم القرآن، وله جمال القراء وكمال الإقراء، في علوم القرآن، وغيرها من المصنفات.

وكان مع سعة علمه وفضائله ديِّناً، حسن الأخلاق، محببا إلى الناس، وافر الحرمة، مطرحا للتكلف، ليس له شغل إلا العلم ونشره. عارفا بالأصول، متقنا للغة، بارعا في التفسير وأحكامه، جامعا لضروب الأدب والشعر.

توفي في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

---

(١) ينظر في ترجمته: معرفة القراء الكبار {٣٤٠} سير أعلام النبلاء {٢٣/ ١٢٢} غاية النهاية {١/ ٥٦٨} طبقات المفسرين للداوودي {١/ ٤٣٠}.

(٢) غياث بن فارس بن مكي أبو الجود اللخمي المصري، كان مقرئاً نحوياً فرضياً أديباً ديناً حسن الأخلاق، حسن الأداء بالقرآن، ت٦٠٥هـ .غاية النهاية {٢/ ٤}

(٣) محمد بن يوسف بن علي أبو الفضل الغزنوي، فقيه مفسر، ت ٥٩٩هـ. المرجع السابق {٢/ ٢٨٦}

(٤) زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي، تلقن القرآن وله سبع سنين، وقرأ القرءات وهو ابن عشر، فعاش بعد أن قرأ القرءات ثلاثاً وثمانين سنة، فكان علي الإسناد. ت٦١٣هـ. المرجع السابق {٢/ ٢٩٧}.

المطلب الثالث: تلاميذه:[1]

يعتبر المصنف -عليه رحمة الله- من العلماء المبرَّزين، والذين كان لهم أثر كبير في من بعدهم من المصنفين.

وسأذكر التلاميذ الذين عثرت على تراجمهم، الآخذين عن الكواشي -رحمه الله- أو الذين أجاز لهم أو قرؤوا عليه، مرتبة حسب تاريخ وفياتهم.

١- الشيخ عبد الرحمن.[2]

وهو رسول الملك أحمد، ملك التتار، ويُذكر أن الكواشي -رحمه الله- أعطاه كتابا في علم السيمياء،[3] وقال له: اخرج اغسل هذا في البحر، فخرج فأودعه عند من يثق به، وادعى غسله، وبعد ذلك اشتغل به وتمهر فيه، ودخل على الخواتين بهذا العلم، وحظى عند المغول، وعند الملك أحمد، توفي سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة.

٢- محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء بن علي بن أبي العلاء.[4]

شمس الدين، أبو العلاء الكلاباذي، البخاري، الإمام، المحدث، الفرضي، الحنفي، الصوفي، ولد بمحلة كلاباذ[5] سنة أربع وأربعين وستمائة، تفقه ببخارى، ثم قدم العراق وسمع بها من جماعة من العلماء، ومنهم الكواشي -رحمه الله- سافر في سبيل العلم إلى دمشق، ومصر. وسمع بها من طائفة من العلماء، صاحب خط جميل، صنف في علم الفرائض كثيرا.

---

(١) لم يذكر الدكتور عبد الله العمري حفظه الله، في رسالته من تلاميذه إلا المقصاتي وابن خروف الموصلي.

(٢) ينظر في ترجمته: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان {٨١}.

(٣) نوع من أنواع السحر، وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية، كدهن خاص، أو كلمات خاصة، توجب إدارك الحواس الخمسة أو بعضها، بما له وجود حقيقي، أو بما هو تخييل صرف. حاشية رد المحتار {١/ ٤٨}.

(٤) ينظر في ترجمته: تاريخ الإسلام {١٥/ ٩٦١} أعيان العصر وأعوان النصر {٥/ ٣٦٥}.

(٥) كلاباذ بالفتح وباء موحدة وآخره ذال معجمة، محلة ببخارى، وأيضا محلة بنيسابور. معجم البلدان {٤/ ٤٧٢} والمترجم له من بخارى.

من شيوخ الإمام الذهبي رحمه الله، حيث قال عنه: وكان دينًا، نزيهًا، ورعًا، متحريًا، متقنًا، كثير المعارف، حسن العشرة، كثير الإفادة، محبًا للطلبة، سمع من سبعمائة وخمسين شيخًا، وسود معجمًا لنفسه، استفدنا منه، وكان لا يمس الأجزاء إلا على وضوء وطهور.اهـ[1]

توفي -رحمه الله- في شهر ربيع الأول سنة سبعمائة للهجرة.

٣- أبو بكر بن عمر بن مشيع تقي الدين الجزري المقصاتي.[2]

الإمام المجود المقرئ الصالح، نشأ بالموصل وبغداد، ثم سكن دمشق، كان بصيراً بالقراءات، زاهداً متعبداً ورعاً، حدث عن كثير من العلماء، منهم الكواشي رحمه الله، حيث سمع منه تفسيره.

ذكر الذهبي: أنه أدرك الكبار من القراء، لكنه تهاون بنفسه؛ لأنه لما قدم دمشق قرأ بها على الشيخ علم الدين الأندلسي عشرين جزءا من القرآن ولم يكمل، بل أكمل القراءات على الشيخ عبد الصمد مقرئ بغداد، ولو قرأ على الداعي الرشيدي، أو على الكمال الضرير، لكان شيخ القراء في عصره، فإنه أقرأ بالتجويد في أيامهما.[3]

خطب في الجامع الأموي أكثر من عشرين سنة، وجلس للإقراء أكثر من خمسين سنة.

توفي جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة للهجرة. وقد جاوز الثمانين.

٤- صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح الأسدي، محيي الدين ابن الصباغ.[4]

الكوفي، ولد سنة تسع وثلاثين وستمائة من الهجرة، صاحب أدب وفضل وعبادة وزهادة، نظم الفرائض، وعرض عليه القضاء بالمستنصرية فامتنع.

---

(١) تاريخ الإسلام {١٥/ ٩٦١}.

(٢) ينظر في ترجمته: غاية النهاية {١/ ١٨٣} معرفة القراء الكبار {٣٨٨} الدرر الكامنة {١/ ٤٨٤}.

(٣) معرفة القراء الكبار {٣٨٨}.

(٤) ينظر في ترجمته: الدرر الكامنة {٢/ ٢٢٩} أعيان العصر {٢/ ٥٤٦}.

كان فريداً في علوم التفسير والفقه والفرائض والأدب، نادرة العراق في ذلك، مع الزهد والفضل والورع، ألقى الكشاف دروساً من صدره ثماني مرات، مع بحث وتدقيق وإيراد وتشكيك، انتهت إليه رئاسة السادة الحنفية بالكوفة.

توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة للهجرة، عن ثمانية وثمانين عاما.

٥- محمد بن علي بن علي بن أبي القاسم بن أبي العز بن خروف الموصلي الحنبلي.(١)

المقرئ المعروف بابن الوراق، ولد عام أربعين وستمائة للهجرة، اشتغل بالموصل، وقرأ على جماعة من المشايخ، وعلى المصنف تفسيره، رحل في طلب العلم سنة اثنتين وستين وستمائة، فقرأ ببغداد القراءات بعدة كتب مؤلفة في السبع وفي العشر على الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش، ولزمه مدة طويلة.

سافر إلى دمشق سنة ثماني عشرة وسبعمائة، وحدث بها، ثم سار إلى مصر، جلس للإقراء بالتربة الأشرفية بدمشق، ثم عاد إلى وطنه.

حفظ مختصر الخرقي، ونظم العربية، له نظم حسن ورَواء، ومنظر وشيبة بهية.

مات في جمادى الأولى عام سبعة وعشرين وسبعمائة للهجرة، وقد قارب التسعين عاما.

٦- ضياء الدين موسى بن علي بن موسى بن يوسف بن محمد الزرزاري.(٢)

ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة، كان أبوه قاضياً، سمع ببغداد والقاهرة من جماعة، وقرأ على الكواشي رحمه الله، التفسير الصغير، وسمع منه التفسير الكبير، تصدر للإقراء بجامع الظاهر بالحسينية، وخطب بجامع كزاي، كان ساكن النفس، حسن الصورة، كثير الفضائل، وهو القائل:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

---

(١) ينظر في ترجمته: غاية النهاية {٢/ ٢٠٦} معرفة القراء الكبار {٣٨٨} الدرر الكامنة {٤/ ١٩٥}.

(٢) ينظر في ترجمته: المرجع السابق {٥/ ١٤٩}.

مات وهو ساجد، في الحادي عشر شهر رجب، سنة ثلاثين وسبعمائة للهجرة.

٧- **نجيب الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حسين الرفاء.**(١)

سبط الشيخ عفيف الدين عبد الرحيم بن الزجاج، ولد سنة ثلاث وستين وستمائة. أجاز له جلة من العلماء ومنهم الكواشي رحمه الله، وكان رجلاً صالحاً عابداً مقرئاً.

توفي سنة أربعين وسبعمائة للهجرة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد رحمهما الله.

٨- **محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الكوفي ثم البغدادي الأتراري الهاشمي.**(٢)

جلال الدين أبو هاشم، من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

ولد في رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة، كان أبوه واعظا ببغداد في زمانه، ونشأ ولده على طريقته، وكان أكبر أمناء بغداد، أجاز له الكواشي رحمه الله وآخرون.

توفي في شهر رجب سنة ست وأربعين وسبعمائة للهجرة، ببغداد.

٩- **أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن محمود بن أبي العز الفارسي الكازروني،** حدث وأجاز له الكواشي رحمه الله، توفي يوم الثلاثاء في رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق.(٣)

****

****

******

(١) ينظر في ترجمته: الوفيات، لابن رافع السلامي {١/ ٣٢٨}.

(٢) ينظر في ترجمته: الدرر الكامنة {٤/ ٢٨٠}.

(٣) ينظر في ترجمته: الوفيات لابن رافع السلامي {٢/ ٩٩}.

المطلب الرابع: مؤلفاته:

بذل المصنف رحمه الله تعالى، وقته وجهده، في خدمة العلم وتعليمه والتأليف فيه، فقد ألف عدة كتب منها:

١- تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر.

ويسميه بعضهم: التفسير الكبير،[١] وهو هذا العمل الذي أشرُف بتحقيق جزء منه، ويشاركني في تحقيق الكتاب مجموعة من الإخوة الفضلاء.[٢]

٢- تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر.

وقد لخص فيه المصنف رحمه الله تعالى، الكتاب السابق، ويسميه بعض المترجمين بالتفسير الصغير.[٣]

٣- كشف الحقائق في التفسير. ويوجد منه الجزء الثالث الذي يبتدئ بسورة الأنعام، وينتهي بآخر سورة يونس، وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية، برقم {(٦٦٢) ١٤٣٠٧} تفسير، ويقع في {٢٨١} ورقة، وله صورة ميكروفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، برقم

---

(١) ذيل مرآة الزمان {٤/ ١٠٤} معرفة القراء الكبار {٣٦٨} الوافي بالوفيات {٨/ ٢٩٢} طبقات الشافعية الكبرى {٨/ ٤٢} كشف الظنون {١/ ٣٣٩} معجم المؤلفين {٢/ ٢٠٩}.

(٢) وقد بدأ في دراسة وتحقيق سورة الفاتحة وسورة البقرة منه، الدكتور: عبد الله بن نافع العمري، في رسالة الماجستير. ويشارك في التحقيق كل من:

١- عبده ديق حسن، من أول سورة الأعراف إلى نهاية سورة إبراهيم عليه السلام.

٢- الأخ: وائل عبد القادر حجلاوي، من أول سورة الحجر إلى نهاية سورة الحج.

٣- الأخ: ضياء الدين العطيات. من أول سورة الأحزاب إلى نهاية سورة غافر.

٤- الأخ: حمد العنزي. من أول سورة فصلت إلى نهاية سورة الممتحنة.

(٣) ذيل مرآة الزمان {٤/ ١٠٤} معرفة القراء الكبار {٣٦٨} الوافي بالوفيات {٨/ ٢٩٢} طبقات الشافعية الكبرى {٨/ ٤٢} كشف الظنون {١/ ٣٣٩} معجم المؤلفين {٢/ ٢٠٩}.

{٤٤٧/ ف} وهو مختلف عن كتاب تبصرة المتذكر المتقدم، كما أثبت ذلك الدكتور عبد الله العمري في رسالته.[١]

٤- المواقف في القراءة.[٢]

٥- كتاب الوقوف.[٣]

٦- روضة الناظر وجنة المناظر.[٤]

٧- المطالع في المبادئ والمقاطع في مختصر كتاب الوقوف.[٥]

٨- التبصرة في النحو.[٦]

المطلب الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

نال المصنف رحمه الله تعالى، ثقة العلماء، فقد قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: (الإمام ، العلامة، الزاهد، الكبير... كان إماما، عالما، زاهدا، قدوة ، ورعا ، علامة)[٧]

وقال أيضا: (أبو العباس الكواشي الشافعي المقرئ المفسر الزاهد، بقية الأعلام ... تقدم في معرفة القراءات والعربية، كان منقطع القرين، عديم النظير، زهدا وصلاحا وصدقا وتبتلا وورعا واجتهادا، صاحب أحوال وكرامات)[٨]

وقال اليونيني: (الشيخ العالم، صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير، وقد أجاد فيهما، وأحسن ما شاء وغير ذلك، كانت له اليد الطولى في التفسير والقراءات، ومشاركة في غير ذلك

(١) وانظر رسالة الباحث العمري {٢٦-٢٧}

(٢) كشف الظنون {٢/ ١٨٩٤}.

(٣) هدية العارفين {١/ ٩٨}.

(٤) المرجع السابق.

(٥) إيضاح المكنون {٢/ ٤٩٨} هدية العارفين {١/ ٩٨} ومعجم المؤلفين {٢/ ٢٠٩}.

(٦) المصدر السابق.

(٧) تاريخ الإسلام {١٥/ ٣٨٥}.

(٨) معرفة القراء الكبار {٣٦٨}.

من العلوم... كان مقيماً بالجامع العتيق بالموصل منقطعاً عن الناس، مجتهداً في العبادة، قائماً بوظائفها، لا يقبل لأحد شيئاً... وله مجاهدات، وكرامات)[١]

وقال ابن الجزري: (الإمام أبو العباس الكواشي الموصلي المفسر عالم زاهد كبير القدر)[٢]

وقال ابن قاضي شهبة: (الإمام العلامة الزاهد الكبير... اشتغل وبرع في القراءات والتفسير والعربية و الفضائل)[٣]

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه الفقهي:

لم أجد من خلال التحقيق ما يدل على أن المصنف رحمه الله، كان على خلاف منهج أهل السنة والجماعة في جملة مسائل العقيدة، بل كان موافقا للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، ومن تفسيره في ذلك مايلي:

قال عند قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] قال: أي: أفلا يتفكرون فيعلمون بعدم التناقض، أنه كلام الله تعالى؛ لأن مالا يكون من عند الله لا يخلو من تناقض واختلاف.

وقال في قوله جل وعلا: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ الآية، [النساء: ٩٣] قال: ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً.

لكنه -عفا الله عنا وعنه- كان مضطربا في تفسير آيات الصفات، فأحيانا يورد قول السلف وكثيرا ما يورد قول الأشاعرة ضمن مايسوقه من أقوال، وإليك نماذج من تفسيره:

قال عند قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١] قال: والرحمة إرادة الخير لأهله.[٤]

---

(١) ذيل مرآة الزمان {٤/ ١٠٤}.

(٢) غاية النهاية {١/ ١٥١}.

(٣) طبقات الشافعية {١/ ١٠٠}.

(٤) انظر رسالة الباحث الدكتور: عبد الله العمري {١٥٢}.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: والاستواء: وصف من صفاته تعالى، فتارة أضافه إلى السماء، وتارة أضافه إلى العرش، واستوى استواء قدرة لائقا بجلاله، لا الذي هو ضد الاعوجاج، من اضطجاع أو قعود، تعالى علاؤه وشأنه.(١)

وقال عند قوله جل وعلا: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] قال: وهي صفة من صفاته تعالى، أو غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود؛ إذ حقيقة الجارحة المتعلقة المتركبة ممتنعة في حقه تعالى علاؤه وشأنه، بل لابد من إخراج هذا وما جرى مجراه على ما هو اللائق بعظمته وجلاله، وكل ما خطر بالبال أو توهم بالخيال، فالرب ﷻ على خلافه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١] ولو ثبتت معرفة هذا وما شاكله بالقلب لكَلَّ اللسان عن العبارة عنها، وكان جماعة من أئمة السلف يُمِرُّون آيات الصفات كما جاءت بلا كيف، قلت: -أي الكواشي- هذا ما لم يتعلق بالذهن ما يفضي إلى التشبيه أو التعطيل، ومتى حصل في الذهن شيء لا يليق بجلاله فلا بد من كشفه وزواله، وليلجأ الإنسان إلى الله تعالى في كشف ما عرض له؛ إذ لا هادي إلا هو تقدست أسماؤه وجل جلاله وبهاؤه.

قال ﷺ **((كلتا يديه يمين))** وفي هذا إشارة إلى أن ليس المراد حقيقة الجارحة.(٢)

وقال في قوله جل وعلا: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال: بلا كيف، أو أمره وقضاؤه.(٣)

أما مذهبه الفقهي فلم أعثر على تصريح للمصنف رحمه الله تعالى، يبين فيه مذهبه الفقهي، لكن الذين ترجموا له ذكروا أنه شافعي المذهب، كالذهبي، والسيوطي، وحاجي خليفة، كما أن علم الدين السخاوي، من مشائخه، وهو شافعي المذهب، كما تقدم في ترجمته. والله أعلم.

---

(١) انظر رسالة الباحث الدكتور/ عبد الله العمري {٢٣٤}.

(٢) انظر ص {٣٨٨}

(٣) انظر ص {٤٩٠}

الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب ويتضمن :

١ / اسم الكتاب .

٢ / توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف .

٣ / موضوعه وأهم ماتميز به .

٤ / سبب التأليف .

٥ / مصطلحات المؤلف في كتابه .

المبحث الثاني: منهج المؤلف في تفسيره .

المبحث الثالث : مصادر المؤلف في كتابه .

المبحث الرابع : قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الخامس : النسخ الخطية للكتاب .

المبحث الأول: التعريف بالكتاب ويتضمن :

١/ اسم الكتاب:

اتفقت جميع النسخ الخطية والمصادر على تسمية الكتاب بـ {تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر} وقد نص المؤلف رحمه الله تعالى، على هذه التسمية في مقدمة الكتاب، حيث قال: (أحببت أن آخذ شيئا من كلام من تقدمني من أهل التفسير فأجمعه، وأذكر مع ذلك إن شاء الله تعالى الكتاب العزيز كله، أجمعه أستعين به إن شاء الله تعالى، أنا ومن عساه أن يراه مغنيا، إذ العمر قصير، والعلم كثير، ودرك المطلوب عسير، ووسمته بـ **تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر**...)[١]

وقد صرح النساخ باسم الكتاب، ففي النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية، والموجودة على أفلام ميكروفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم {٢٦٦٠} قال الناسخ بعد نهاية سورة النساء: (نجز المجلد الأول من تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر بحمد الله تعالى ومنه... ويتلوه في الجزء الثاني سورة المائدة)[٢]

وكذا قال بعد نهاية الجزء الثالث عند نهاية الآية {٦٧} من سورة المؤمنون.[٣]

وفي نسخة إيرلندا –شستربيتي– المصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم {٧٣} والتي اعتمدتها أصلا، قال الناسخ بعد نهاية سورة الأنعام: (نجز السفر الأول من تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر، ويتلوه إن شاء الله تعالى سورة الأعراف)[٤]

وجاء في هامش الورقة الرابعة من النسخة الأزهرية المحفوظة برقم (٢١٨) ٣٣٥٧ مانصه: (هذا كتاب تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر...)

---

(١) انظر رسالة الباحث الدكتور: عبد الله العمري {٣٣، ١٢٧-١٢٨}.

(٢) انظر اللوحة: {٢٤٣} المجلد الأول.

(٣) انظر اللوحة: {٢٤١} المجلد الثاني.

(٤) انظر اللوحة: {٣٤٦} المجلد الأول.

وفي النسخة المصورة بالجامعة الإسلامية برقم (٤٣٤٢) والمحفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس ما نصه: (نجز المجلد الثاني من تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن...)[١]

وقد صرحت بعض المصادر المترجمة للمصنف والتي أفادت منه بهذه التسمية. [٢]

٢/ توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.

أما نسبة الكتاب إلى المؤلف فلا شك فيها فقد ذكر اسم الكتاب منسوبا إلى المصنف الكواشي رحمه الله تعالى جل من ترجم له أو نقل عنه. [٣]

٣/ موضوعه وأهم ماتميز به.

إن الناظر إلى الكتاب يرى أنه في تفسير كلام الله عز وجل، وصرح المؤلف بذلك، حيث قال: ((أحببت أن آخذ شيئا من كلام من تقدمني من أهل التفسير فأجمعه...)).[٤]

وقد تميز هذا الكتاب بميزة فريدة: ألا وهي ذكره لعلامات الوقف والابتداء، ضمن آيات القرآن الكريم، رامزا لها برموز سأتحدث عنها بعد قليل إن شاء الله.

كما أن من مميزاته: اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية، كما أكثر في كتابه من النقولات عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح، وأشبع كتابه بذكر القراءات المتواترة.

٤/ سبب التأليف.

لاريب أن كل مصنِّف له مآربه ودوافعه التي تدفعه إلى التأليف والتصنيف، وكما يذكر فإن شرف العلوم متعلق بشرف المعلوم، وإن التصنيف والتأليف فيما يتعلق بكتاب الله تعالى من الأهمية بمكان.

---

(١) انظر: اللوحة {١٤٠}.

(٢) انظر المصادر المذكورة في أول الترجمة، ومعجم المؤلفين {٢/ ٢٠٩} والأعلام {١/ ٢٧٤} .

(٣) انظر المصادر المذكورة في أول الترجمة، وانظر: البرهان في علوم القرآن {١/ ٢٧٢، ٤٧٩، ٤٩٠}.

(٤) انظر رسالة الباحث د/ عبد الله العمري ص{١٢٥}.

وقد بين المصنف الكواشي رحمه الله تعالى، الدافع الذي دفعه لتصنيف هذ التفسير، حيث قال في ديباجة كتابه: (فالعلماء يشرفون بشرف علومهم، والعلوم تشرف بشرف معلوماتها، ولا علم أشرف من المتعالي علاؤه وشأنه، والمتوالي عطاؤه وامتنانه، فإذن أشرف العلوم ما كان منسوبا إليه، أو دالا عليه، والكتاب العزيز في ذلك بالمنزلة التي لا تخفى.... ثم قال: ولما رأيت حقائق معانيه، وبحور غوامضه لاتسلك ودقائق مبانيه، ونحور فوارضه لاتدرك إلا بالنظر الصحيح والخبر الصريح، بعد التوفيق الإلهي، والتوقيف النبوي، أحببت أن آخذ شيئا من كلام من تقدمني من أهل التفسير فأجمعه، وأذكر مع ذلك إن شاء الله تعالى الكتاب العزيز كله...)[1]

٥/ مصطلحات المؤلف في كتابه.

لقد تميز المصنف في تفسيره بذكره أنواعا من علوم القرآن المتنوعة، ونقولاته الكثيرة لأقوال السلف وآثارهم، بيد أنه ذكر في مقدمة تفسيره مصطلحات تسهل على القارئ الكريم فهم مراد المصنف رحمه الله تعالى، وإليك بيانها:

أولا: الوقف والابتداء: قسم المصنف رحمه الله، الوقف في مقدمة كتابه إلى قسمين، وتحت كل قسم ثلاثة أنواع، فصارت بذلك ستة أنواع، قال رحمه الله: (وقد وضعت لكل واحد منها علامة يعرف بها...)[2] ووضع لها العلامات التالية:

التام: تا	الصالح: صا
الحسن: حس	المفهوم: مف
الكافي: كا	الجائز: جا

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق {١٢٨}.

هذه علامات الوقف التي ذكرها المؤلف رحمه الله في ثنايا كتابه، وبعد المناقشة مع المشرف الكريم لهذا البحث، وسؤال أهل الشأن توصلت إلى عدم كتابتها لأسباب؛ منها:

١- مخالفتها لرسم المصحف العثماني؛ لأنني اعتمدت عليه في كتابة الآيات القرآنية في هذا البحث، كما ذكرت ذلك في منهج كتابة البحث.

٢- ولأنها توجد لبسا في كتاب الله تعالى، فقد يظن القارئ للقرآن أنها من نص القرآن الكريم، وأمثلتها كثيرة جدا، وهذه بعض الأمثلة لذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ [كا] وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ [تا] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ [تا] هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ [تا] لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [تا] هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ [جا] مُّحْكَمَٰتٌ [حس]﴾ [آل عمران:٤-٧]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ [جا] خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن [جا] فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ [كا] وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا [حس] وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ [تا]﴾ [النساء:١٧، ١٨]

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ [صا] وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ [صا] وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا [حس]﴾ [النساء: ٦٠]

وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [تا] مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ [كا]﴾ [المائدة: ٩٨، ٩٩]

ثانيا: القراءات والقراء:

درج المصنف رحمه الله في عزوه للقراءات في الغالب أن يعزوها للقراء السبعة، فإذا سمى القارئ وقال: قرأ أبو عمرو بكذا، ومن بقي بكذا، فالقراءة للسبعة، وقد يسمي معهم أبا

جعفر ويعقوب في مواضع قليلة،[١] وإذا لم يسم أحدا من القراء وقال: والقراءة كذا، فهي إجماع من السبعة، وإذا قال: وقرئ بكذا، فالقراءة شاذة.

وإذا قال: قرأ الحرميان، فالمراد بهما: نافع المدني، وابن كثير المكي،[٢] وإذا قال: قرأ أهل الكوفة، فالمراد بهم: عاصم وحمزة والكسائي.[٣]

ثالثا: حكاية الأقوال:

اصطلح المؤلف رحمه الله، على استعمال (أو) بمعنى: وقيل، عند تعدد الأقوال، فقد يذكر أحيانا أكثر من خمسة أقوال فاصلا بينها بحرف (أو) كما ذكر عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] حيث قال: المعنيُّ بهذه الآية وفد نجران... **أو** اليهود ... **أو** هم المنافقون، **أو** هم الخوارج،... **أو** هم جميع المبتدعة...اهـ[٤]

قال المصنف رحمه الله تعالى: وكثيرا أستعمل (أو) بمعنى: وقيل، فإذا رأيت الكلام يقتضيه فاحكم بأنه هو.اهـ[٥]

<u>المبحث الثاني: منهج المؤلف في تفسيره.</u>

شرع المؤلف رحمه الله تعالى، في تفسير كتاب الله تعالى مبتدئا بالفاتحة ثم البقرة، وهكذا حسب ترتيب المصحف الشريف، فيذكر اسم السورة ثم يبين إن كانت السورة مكية كلها أو بعضها مدني، كما يذكر عدد آيات السورة، مشيرا إلى الخلاف في ذلك إن وجد، ثم بعد ذلك يشرع في تفسيرها، فيذكر أولا ما يظهر له من اللفظ القرآني أو الآية، ثم يؤيده بآية أو حديث أو

---

(١) وانظر مثلا آية {١١و٩٧} من سورة آل عمران.

(٢) نسبة إلى الحرمين الشريفين، وهذا المصطلح والذي بعده مشهور عند القراء، وانظر متن الشاطبية حرز الأماني، للشاطبي، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي.

(٣) سيأتي مزيد بيان وإيضاح في المبحث التالي.

(٤) انظر ص {٦٧}.

(٥) انظر مقدمة رسالة الباحث الدكتور عبد الله العمري. {١٣٠}.

بأقوال السلف من المفسرين وغيرهم، ويلاحظ عليه أنه يورد الأقوال مجردة عن الإسناد بدون ذكر قائليها في الغالب.

وقد ضمن تفسيره أنواعا شتى من علوم القرآن، كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات وتوجيهها، وأنواع الوقوف، ومدلولات الخطاب من عموم وخصوص، بالإضافة إلى علم الغريب، وذكر النواحي البلاغية، والتوجيهات الإعرابية، كما لم يغفل في تفسيره ذكر القصص والمغازي والسير. وفيما يلي نماذج وأمثلة من منهج المؤلف في تفسيره:

استشهاده بالآيات القرآنية:

اعتمد المؤلف رحمه الله تعالى كثيرا على تفسير القرآن بالقرآن، ولا غرو، فهو المصدر الأول لمعرفة معنى كلام الله تعالى، وهو من أشرف أنواع التفسير وأرفعها؛ إذ لا أحد أعلم بمراد كلام الله من الله جل وعز.

فقد يستشهد الكواشي رحمه الله، بالآية لأغراض عديدة، إما لبيان معنى لغوي يذكره، أو لبيان أصول الكلمات، أو لتأييد تعليل يذكره، أو لترجيح قول على غيره، أو لتقوية بعض الأوجه الإعرابية، أو الإشارة إلى معنى بلاغي.

مثاله: قال رحمه الله تعالى عند قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] قال: وفرَّق هاهنا بين المحكم والمتشابه، وجعله في موضع آخر محكماً كله، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١] وجعله في موضع آخر متشابهاً كله فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر:٢٣] فحيث جعل الكل محكماً؛ أراد أنه حق ليس فيه عيب، وحيث جعل كله متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن، وهاهنا جعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً.

ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات الآيات في سورة الأنعام ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام:١٥١] ونظيرها في بني إسرائيل، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] اهـ[١]

وقال رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] أي: مع المرافق، وأكثرهم على وجوب غسل المرفقين، وفي الرجل غسل الكعبين.

والشعبي ومحمد بن جرير: لا يوجبان غسل المرفقين والكعبين في غسل اليدين والرجل؛ لأن حرف(إلى) للغاية والحد، ولا يدخل في المحدود، قالوا: (إلى) هنا بمعنى (مع) كقوله: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] أي: مع الله، أو الشيء إذا مد إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا مد إلى غير جنسه لا يدخل فيه الغاية، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧][٢]

استشهاده بالأحاديث النبوية:

لما كان النبي ﷺ هو أعلم الناس بكلام الله جل جلاله، وحديثه هو المصدر الثاني لتفسير كلام الله تعالى، ضمن الكواشي رحمه الله، تفسيره كثيرا من الأحاديث التي استشهد بها لأغراض شتى، إما لبيان معنى الآية، أو تعيين المراد منها، أو لبيان حكم تضمنته، كما يذكر بعض الأحاديث الواردة في فضائل بعض الآيات والسور، إلى غير ذلك مما ذكره الكواشي رحمه الله تعالى.

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦] ساق رحمه الله، الحديث التالي: قال رسول الله ﷺ: ((**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، أو قال: يبعث إليه الملك بأربع كلمات: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد...)) الحديث.**[٣]

---

(١) انظر ص {٦٦}.

(٢) انظر ص {٣٥١}.

(٣) انظر تخريجه ص {٦٤}

وفي قوله جل وعلا ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة: ٤] قال رحمه الله: أي: أن الجارحة إذا خرجت بإرسال صاحبها الصيد فقتلته كان حلالاً، إذا كانت معلَّمة، والتعليم يعرف بأنها إذا أُشليت استشلت، وإذا زجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل، فإذا وجد ذلك منها مراراً، وأقلها ثلاث مرات كانت معلمة.

قال ﷺ: ((**إذا أرسلت كلبك فأمسك فكل، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر عليها اسم الله تعالى فأمسكن وقتلن فلا تأكل، فإنك لا تدري أيها قتل...**)) الحديث [1]

وفي أول سورة الأنعام ذكر الأثر الوارد في فضل هذه السورة.

روي: من قرأها يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره. [2]

ولكن المؤلف رحمه الله مع اهتمامه الشديد باستشهاده بالأحاديث في تفسيره، إلا أنه يلاحظ عليه -عفا الله عنا وعنه- مايلي:

١- إيراده للحديث بلا إسناد، بل لايذكر الراوي إلا في القليل، مكتفيا بقوله:

قال رسول الله ﷺ، أوعنه ﷺ، أو قال ﷺ، ولا يذكر تخريج الحديث إلا نادرا.

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٦] قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً...**)) الحديث.[3]

وعند قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ٤]

قال: عنه ﷺ: ((**إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى عليه فكل وإن أكل منه**))[4]

---

(١) انظر تخريجه ص {٣٤٨}.

(٢) انظر تخريجه ص {٤٢٢}.

(٣) انظر تخريجه ص {٦٤}.

(٤) انظر تخريجه ص {٣٤٨}.

٢- إيراده للأحاديث الضعيفة والموضوعة، وعدم التنبيه عليها.

مثاله: عند قوله تعالى ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] **((إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أمة محمد، إن الله قد عفا عنكم جميعاً، المؤمنين والمؤمنات، تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي))**(١)

٣- إيراده أحيانا لبعض الأحاديث الصحيحة بصيغة التمريض، مما يوهم بضعفها.

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟﴾ [آل عمران: ١٧٣] قال: روي: أن إبراهيم الخليل لما ألقي قال: **((حسبنا الله ونعم الوكيل))**(٢)

وعند قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ﴾ [النساء:٢١]

قال: روي عن النبي ﷺ أنه قال: **((اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله...))** الحديث(٣)

إيراده للقراءات:

يعد الإمام الكواشي رحمه الله، من القراء، فقد ترجم له الحافظ الذهبي في معرفة القراء الكبار، وذكره ابن الجزري في غاية النهاية، ولذا فقد ملأ الكواشي رحمه الله تعالى، تفسيره بالقراءات، واتخذ لنفسه منهجا في ذكرها كما تقدم في ذكر مصطلحاته.

ومن منهجه في ذكر القراءات ما يلي:

أ- ذكره للقراء.

ركز المؤلف في ذكره للقراء على السبعة مع رواتهم، وقليلا ما يذكر أبا جعفر ويعقوب من العشرة، إلا أنه يعني بقوله: من بقي، أي من لم يسمه من القراء السبعة.

---

(١) الحديث موضوع، وانظر تخريجه ص {٢٤٦}.

(٢) الحديث صحيح، وانظر تخريجه ص {١٨٦}

(٣) انظر تخريجه ص {٢٣٢}.

مثاله: قوله في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ قال: حمزة والكسائي بالياء فيهما، أي: أنهم يغلبون ويحشرون، ومن بقي بالتاء فيهما على الخطاب.[١]

وقال في الألفاظ التالية: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ و﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ﴾ [آل عمران:١٤٥]و﴿نُؤۡتِهِۦ﴾ [الشورى:٢٠] ﴿وَنُصۡلِهِۦ﴾ و﴿نُوَلِّهِۦ﴾ [النساء:١١٥] قال: أبو عمرو وأبو بكر وحمزة ساكنة الهاء؛ لأنها في موضع الجزم، وهي كأنها لام الفعل، فأسكنت في الجزم، كلام الفعل إذا جزم الفعل، وقالون بكسر الهاء؛ لأنه أجراه على أصله قبل الجزم واكتفى بالكسر عن الياء، ومن بقي أشبع وقرأ بياء على الأصل؛ لأن الأصل في الهاء الإشباع.[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[آل عمران] قال: حفص ويعقوب بالياء ومن بقي بالتاء خطابا.[٣]

وقال في لفظ آخر: أبو جعفر وابن عامر والكسائي بضم العين والراء من ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ [آل عمران: ١١٥]وهو الخوف، ومن بقي بالإسكان لغتان.[٤]

ب- تنبيهه على القراءات في الكلمات المتماثلة في موضع واحد.

إن المؤلف رحمه الله تعالى، يورد الكلمات المتماثلة في أول موضع وردت فيه، وهذا مما يسهل على القارئ معرفة القراءات الواردة في الكلمة.

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ [آل عمران: ٢٧]

قال: نافع وحفص وحمزة والكسائي: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ و﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾[فاطر: ٩] و﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾[الأعراف: ٥٧] وشبهه إذا كان قد مات بالتشديد، ومن بقي بالتخفيف، وكلُّهم شدد مالم يمت، نحو: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وهما لغتان، أبو

---

(١) انظر ص {٧٢}

(٢) انظر ص {١٢٠}

(٣) انظر ص {١٢٧}

(٤) انظر ص {١٧١}

عمرو: المثقل ما لم يمت بعد وسيموت، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ والمخفف مافارقته الروح، هذا أشهر اللغات.(١)

ج- ذكره القراءات وتوجيهها.

أكثر الكواشي رحمه الله من توجيه القراءات المتواترة والشاذة، مثاله عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾قال: حمزة بخفض الأرحامِ عطفا، وفيها نظر، إذ العطف على المضمر المخفوض بغير إعادة حرف الخفض قليل، أو قسما؛ لأنهم كانوا يقسمون بها ويتناشدون بها فيقولون أنشدك الله والرحم.(٢)

ومن توجيهه للشاذ: عند قوله تعالى: ﴿الم ۝١﴾ مفتوح الميم موصول عند الكل، ماعدا ما قرئ مقطوعا بسكون الميم على نية الوقف، ثم بقطع الألف للابتداء، أو يجري على لغة من يقطع ألف الوصل،ومن فتح الميم فلالتقاء الساكنين.(٣)

د- يشير للقراءة المتواترة، بقوله: القراءة، وللشاذة بقوله: وقرئ.

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾[النساء:٢٣] قال: القراءة بفتح الراء من الرضاعة، وقرئ بكسر الراء.

وقال: القراءة ﴿دُمْتُمْ﴾ بضم الدال، وقرئ بكسرها، من دام يدام كخاف يخاف.(٤)

غير أنه عفا الله عنه، قد خالف هذه القاعدة في مواضع قليلة، فقد يذكر قراءة متواترة لأحد العشرة بصيغة التمريض.(٥)

---

(١) انظر ص {٨٥}

(٢) انظر ص {٢٠٣}

(٣) انظر ص {٦٣}

(٤) انظر ص {٤٠٥}

(٥) انظر ص {٨٧} و {٤٩١}

اهتمامه باللغة العربية.

لما كانت اللغة العربية من أهم المصادر التي يستعين بها القارئ لفهم كتاب الله تعالى، كان اهتمام الكواشي رحمه الله بها في تفسيره واضحا وجليا، وقد برز اهتمامه بها في النقاط التالية:

أ- بيان معاني المفردات وأصول الكلمات.

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧] قال: أصله من رسوخ الشيء في الشيء، وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسوخاً ورسخاً.(١)

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء، يقال: لطف الشيء يلطف لطفا، ولطف الله به، بضم الطاء وفتحها.(٢)

ب- بيان اشتقاق الكلمات.

مثاله عند قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:٣٩] أصله الحصر وهو الحبس، أو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو فعول بمعنى فاعل، أي: يحصر نفسه عن الشهوات، أو العنِّين، فيكون الحصور الممنوع عن النساء.

ج- بيان الكلمات المتضادة.

مثاله: قوله رحمه الله: ويكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال، وهذا الحرف من الأضداد.

وعند قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤] قال: والبين من الأضداد ويكون وصلاً ويكون هجراً.(٣)

---

(١) انظر: ص {٧٠}

(٢) انظر ص {٤٦٣}

(٣) انظر في المثالين ص {١٠١-٤٥٨}.

هـ- بيان بعض المدلولات اللغوية.

مثاله: عند الآية الأولى من سورة المائدة، حيث قال: والعقود جمع عقد، وهو العهد الموثق، وشبه بعقد الحبل، وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده وألزمهم إياها، من مواجب الشرع والتكليف، أو هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمبايعات وغير ذلك، ويتحالفون عليه، والظاهر أنها عقود الله تعالى المقدمة مجملا، ثم عقبه مفصلا.[1]

و- الإعراب.

مثاله عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧] قال: ابن عامر: (زُيِّن) لهم، بضم الزاي وكسر الياء، (قتلُ) برفع اللام، (أولادَهم) بنصب الدال، (شركائِهم) بجر الهمزة، على التقديم، والتقدير: (زُين لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادَهم).[2]

ز- كلام أهل اللغة.

مثاله عند قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ٧٨] قال: قال الفراء: كثرت ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: هذه الكلمة، في الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأنهما حرف واحد، ففصلوا اللام مما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والاتصال القراءة، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام جر.[3]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٦٩]نقل كلام سيبويه: فيه تقديم وتأخير، تقديره عنده: الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخرها.[4]

---

(١) انظر ص {٣٣٩}.

(٢) انظر ص {٤٧٨}.

(٣) انظر ص {٢٨٢}.

(٤) انظر ص {٣٩١}.

ذكره لأسباب النزول.

معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وقد اهتم المؤلف به اهتماما بالغا، والمؤلف يورد في بعض الآيات للآية الواحدة أكثر من سبب.

مثاله: قوله رحمه الله في سبب التيمم: وكان سبب التيمم حديث عائشة رضي الله عنها وتخلف الرسول ﷺ بالناس على غير ماء، بسبب العقد الذي كان لها فقدته فلم تجده فأصبحوا على غير ماء، فأنزل الله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ [النساء: ٤٣] أو أن رسول الله ﷺ أرسل ناساً من أصحابه في طلب قلادتها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فشكَوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.(١)

اهتمامه بالناسخ والمنسوخ.

ذكر الكواشي رحمه الله الناسخ والمنسوخ في تفسيره، وقد يسمي القائل بالنسخ أحيانا.

مثاله عند قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: ليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذا.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء:٨]

قال: وهذه الآية منسوخة بآية الميراث عند ابن المسيب والضحاك.

ذكره لآيات الأحكام.

أولى المؤلف اهتمامه بآيات الأحكام، ووقف عند كثير منها، ذاكرا فيها أقوال الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المذاهب الأربعة، لكن نقله عن الإمام أحمد رحمه الله، وأصحاب الظاهر كان قليلا، كما حكى أيضا عن الأئمة الذين اندرست مذاهبهم، كالثوري، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي ليلى، وابن المبارك.

---

(١) انظر ص {٢٦٢} وسيأتي تخريجه.

وتختلف طريقته في عرضه للأقوال، فأحيانا يسوق أقوالهم بأدلتها، وأحيانا يسوقها مجردة بلا دليل، وتارة يذكر أدلة بعض الأقوال دون البعض، وتارة يصرح بأصحابها وتارة لايصرح. مثاله: مسألة الرضاع، وذكره لأقوال العلماء فيها. (١)

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] نقل أقوال العلماء في معنى اللمس والملامسة، وإيجاب الوضوء به، وذكر كذلك أقوال الأئمة في حكم انتقاض الوضوء بالنوم، ومس الفرج. (٢)

ذكره للمغازي والسير.

وهذا واضح جلي في تفسير الكواشي رحمه الله، وأمثلته كثيرة، معتمدا في سرده للأحداث على كتب أهل السير والمغازي، وانظر أول سورة آل عمران في قصة وفد نصارى أهل نجران، وتأمل في سرده لأحداث غزوة أحد، وكيف أطال فيها، وانظر ماذكره عند قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

وفي سورة المائدة ذكر قصة موسى عليه السلام مع القوم الجبارين، وذكر قصة ابني آدم عليه السلام، وقصة نزول المائدة. (٣)

ذكره للإسرائيليات.

لقد ضمن المفسر الكواشي رحمه الله كتابه كثيرا من الأخبار الإسرائيلية التي كان من الأولى أن يسلم منها تفسير كتاب الله عز وجل، وذلك عند تفسيره للآيات التي تتحدث عن أخبار الأولين، وأنبياء بني إسرائيل.

وإليك أخي القارئ الكريم أمثلة لتلك الأخبار الإسرائيلية:

---

(١) انظر ص {٢٣٤}.

(٢) انظر ص {٢٦٠} وما بعدها.

(٣) انظر الصفحات التالية {٣٦٠- ٣٦٣- ٤١٨}.

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال ابن عباس: أحيا أربعة أنفس، عازر وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، أما عازر فكان صديقاً له، فأرسلت أخته إلى عيسى: أن أخاك عازر مات، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاث، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازر وودكه يقطر، فخرج من قبره ووُلد له، وأما ابن العجوز فمُرَّ به ميتاً على عيسى، على سرير يُحمل، فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلد له، وأما ابنة العاشر فكان رجلٌ يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله فأحياها وبقيت وولد لها، وأما سام بن نوح، فإن عيسى جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه؛ خوفاً من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكن دعوتك باسم الله تعالى الأعظم، ثم قال: مت، قال: بشرط أن يعيذني الله تعالى من سكرات الموت، فدعا الله تعالى ففعل.(١)

وما ذكره رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ١٢] قال: وعد موسى عليه السلام قومه أن الله تعالى يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحا من أرض الشام، وهي الأرض المقدسة، قالوا: وكانت لها ألف قرية، في كل قرية ألف بستان، وقال: يا موسى إني كتبتها لكم داراً وقراراً، فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم، وخذ اثني عشر نقيباً من قومك، من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بألف فآمَنُهم على ما أُمروا به، فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى دنوا من أريحا، فبعث النقباء يتجسسون الأخبار ويعلمون علمها، فلقيهم رجل من الجبارين، يقال: عوج بن

---

(١) انظر ص {١٠٣}.

عنق، قالوا: وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع، ويروى: أن الماء طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج، وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى ، لأنه جاء وقوَّرَ حجراً من جبل على قدْر عسكر موسى ، وكان فرسخاً في فرسخ، وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد، فقوَّر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعتْه، فقتله موسى وهو مصروع، وكانت عنق أمُّه إحدى بنات آدم، كان مجلسها جريباً من الأرض، فلما لقي عَوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب، أخذهم وجعلهم في جرته وأتى بهم زوجته، وقال: انظري هؤلاء يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، أو أنه جعلهم في كمه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه، فقال لهم الملك: أخبروا بما رأيتم، قالوا وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس في خشبة بينهم، وبقية فاكهتهم على هذه النسبة، فتعرف النقباء أحوالهم، وقالوا يا قوم: إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله تعالى ولكن اكتموا، وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما، وتعاهدوا وأخذوا المواثيق على أن لا يخبروا بذلك، ثم إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهي سبطه عن قتالهم، ويخبر بما رأى، إلا رجلان. [(١)]

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢] أي من آدم لما بعث الله تعالى جبريل إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئا، فرجع ولم يأخذ منها، وقال: يا رب إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل، فاستعاذت فرجع، فبعث ملك الموت فاستعاذت، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، فاختلفت

(١) انظر ص {٣٥٥}.

أخلاقهم لذلك، فقال الله لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها أنت، لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك.[١]

المبحث الثالث: مصادر المؤلف في كتابه.

حوى كتاب المؤلف رحمه الله علوما شتى، كما أشار إلى ذلك المؤلف رحمه الله، حيث قال: (أحببت أن آخذ شيئا من كلام من تقدمني من أهل التفسير فأجمعه)[٢] ومن الملاحظ أن المصنف رحمه الله، حكى الأقوال عن هؤلاء العلماء تارة بذكر أسمائهم، وأخرى بسرد الأقوال بدون ذكر قائليها، وينقل المصنف رحمه الله من تفسير الإمام البغوي رحمه الله كثيرا، وإليك أخي القارئ الكريم المصادر التي نقل عنها المصنف رحمه الله في تفسيره:

١- معاني القرآن للفراء.[٣]

٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة.[٤]

٣- معاني القرآن للأخفش.[٥]

٤- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة.[٦]

٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري.[٧]

٦- معاني القرآن وإعرابه. للزجاج.[٨]

٧- الصحاح، للجوهري.

---

(١) انظر ص {٤٢٣}.

(٢) انظر رسالة الباحث د/ عبد الله العمري ص {١٢٥}.

(٣) انظر ص {٢٨٢-٣٠٨-٣٣٠}.

(٤) انظر ص {٩٥-١٠٤-٤٠٦}.

(٥) انظر ص {١٧٤-٢١١}.

(٦) انظر ص {٧١-٩٤-٩٨}.

(٧) انظر ص {٣٤٣-٣٥١}.

(٨) انظر ص {٤٢٠-٤٢٥-٤٦٢}.

٨- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.

٩- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني.

١٠- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها.

١١- كتاب الإبانة عن معاني القراءات.

١٢- مشكل إعراب القرآن. كلها لمكي بن أبي طالب القيسي.

١٣- المرشد في معنى الوقف. لأبي محمد الحسن بن علي العماني، وقد صرح المؤلف باسمه،[١] وينقل عنه المصنف بواسطة تلخيصه المسمى بالمقصد، لأبي يحي زكريا بن محمد الأنصاري.

١٤- معالم التنزيل، للبغوي.[٢]

١٥- الكشاف، للزمخشري.[٣]

كما نقل المصنف رحمه الله، عن كثير من العلماء المشاهير، في شتى الفنون، المبثوثة أقوالهم في بطون الكتب الناقلة عنهم، من الصحابة، والتابعين.

كما نقل عن كبار الفقهاء، وعلماء الوقف والابتداء، وعلماء اللغة والنحو، وأهل السير، رحمهم الله جميعا.

المبحث الرابع: قيمة الكتاب العلمية.

نقل عن الإمام الكواشي رحمه الله تعالى، من كتب في الدراسات القرآنية من غير التفسير، وأشادوا برأيه، فقد نقل عنه الزركشي رحمه الله تعالى، في كتابه: البرهان في علوم القرآن، في عدد من المباحث،[١] واعتمد عليه الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى، في تعريف القراءة الصحيحة والشاذة،[٢] كما دلت عبارات العلماء على أهمية هذا التفسير.

---

(١) انظر تفسير سورة آل عمران آية {٧٦}.

(٢) وأمثلته أكثر من أن تحصى فإن المؤلف رحمه الله ينقل عنه كثيرا.

(٣) وهذه من المراجع، ستجدها مدونة في هوامش البحث إن شاء الله.

قال اليونيني رحمه الله تعالى: الشيخ العالم صاحب التفسير الكبير والصغير قد أجاد فيهما، وأحسن.اهـ[٣]

وقال ابن تغري بردي رحمه الله تعالى عن هذين التفسيرين: وهما من أحسن التفاسير.اهـ[٤]

وقال جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره واعتمدت عليه أنا في تكملته ...اهـ[٥]

وقال الداوودي رحمه الله تعالى: جود فيه الإعراب، وحرر أنواع الوقوف، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة وبيت المقدس.اهـ[٦]

ويقول الدكتور عبد الجليل حسن في كتابه مدارس بيت المقدس: ركز العلماء في بيت المقدس على دراسة عدد من كتب التفسير... ومنها تفسير الإمام أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي...اهـ[٧]

وقد أثنى الجمل في مقدمة تفسيره -الفتوحات الإلهية- على طريقة مؤلفه مما يوحي بأهمية هذا الكتاب، وذكر بأن الكواشي رحمه الله ممن يهتم بالنقول والاستنباط.[٨]

كما نقل عن الكواشيِّ الشوكانيُّ رحمهما الله تعالى في تفسيره فتح القدير.[٩]

---

(١) انظر المواضع التالية من البرهان: {١/ ٢٧٢-٤٧٩-٤٩٠، ٢/ ٩٨-٢٨٦-٣٩٣-٤٠٢، ٣/ ٤١٣}.

(٢) انظر النشر: {١/ ٤٤}.

(٣) ذيل مرآة الزمان {٤/ ١٠٤}.

(٤) النجوم الزاهرة {٧/ ١٤٨}.

(٥) بغية الوعاة {١/ ٤٠١}.

(٦) طبقات المفسرين {١/ ١٠١}.

(٧) {١/ ٣٩}.

(٨) الفتوحات الإلهية {١/ ٦} باختصار.

(٩) انظر: {٢/ ٢٦}.

المبحث الخامس: النسخ الخطية للكتاب.

توجد نسخ متفرقة للكتاب في مكتبات العالم منها ما يكون جزءا أو قطعة كما في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط قسم مخطوطات التفسير (٣/ ٧٨٥- ٧٩١) ووصف الباحث الشيخ الدكتور: عبد الله بن نافع العمري، في دراسته للمخطوط أربع نسخ خطية للكتاب،[١] وعثرت على نسخة خامسة، مصورة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، وفيما يلي وصف لهذه النسخ الخمس:

النسخة الأولى : أصلها بشستربيتي بإيرلندا برقم ٣٢٥٦ ، ولها صورة ميكروفيلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم المخطوطات بنفس الرقم السابق ولها صورة ميكروفيلمية أخرى بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٧٣ .

وهي من أول الكتاب إلى نهاية سورة الأنعام ، في (٣٤٦) ورقة مسطرتها تسعة عشر سطرا في الصفحة الواحدة ، مكتوبة بخط نسخ مشكول والآيات بخط كبير وبارز، كتبت في عام ٧٢٧ هـ من شهر رجب، وهي مقابلة ومصححة،وهذه النسخة التي اتخذتها أصلا.

النسخة الثانية : محفوظة بدار الكتب المصرية في القاهرة، وتوجد لها صورة على أفلام ميكروفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم٢٢٦٠/ ١إلى٢٢٦٠/ ٣ وهي من أول الكتاب إلى نهاية الآية (٦٧) من سورة المؤمنون، في ثلاثة مجلدات، مسطرتها تسعة عشر سطرا في الصفحة الواحدة، ويوجد عليها تمليك هام للملك محمد حسن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام توفي ٧٦٢ هـ. وهذه النسخة التي جعلتها نسخة مساعدة ورمزت لها في البحث بالحرف (ب).

ووصفها كما يلي:

المجلد الأول: من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء في (٢٤٤) ورقة.

---

(١) انظر مقدمة رسالة الدكتور العمري، ص {٣٦} وما بعدها.

المجلد الثاني :من أول الآية (٥٣) من سورة المائدة إلى نهاية سورة يوسف، في(١٥٠) ورقة.وفيه سقط في المواضع التالية :

أ) من أول سورة المائدة إلى نهاية الآية (٥٢) من السورة نفسها، قوله سبحانه: ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾

ب) من قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ آية (٥٣) من سورة الأعراف، إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ آية (٥٧) من السورة نفسها .

ج) من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ آية (٦٣) من سورة الأنفال، إلى نهاية قوله سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية (١١٧) من سورة التوبة.

د) من أول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ آية (١٢٠) من سورة التوبة، إلى نهاية قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ الآية (٤٧) من سورة يونس عليه السلام.

المجلد الثالث: من أول سورة الرعد إلى نهاية الآية (٦٧) من سورة المؤمنون، في (٢٤١) ورقة.

النسخة الثالثة : وهي محفوظة بالأزهرية بالجامع الأزهر برقم (٢١٨) ٣٣٥٧.

ولها صورة ميكروفيلمية أخرى بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٧١.

ولها صورة ميكروفيلمية أخرى برقم ١٣٢٣ وصورة مكبرة برقم ٣٦٢١-٣٦٢٢ بالجامعة الإسلامية في قسم المخطوطات.

تاريخها متأخر فقد كتبت في عام ١٣٢٢هـ وتقع في (٤٤٣) ورقة، ومسطرتها ٣٣ سطرا في الصفحة الواحدة ، وهذه النسخة كاملة من أول الكتاب إلى آخره، إلا خروم بسيطة.

الخروم التي في هذه النسخة كما يلي:

أ) من وسط الآية (٦٧) من سورة الأنفال قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ الآية (٢٩) من سورة التوبة.

ب) من أول الآية (٤٢) من سورة يونس قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية (٦٢) من السورة نفسها.

ج) من قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ آية (٨٢) من سورة القصص، إلى أول لفظ في الآية (٨) من سورة العنكبوت، قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾.

د) من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ آية (١٣) من سورة الحجرات إلى قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ آية (٣٠) من سورة ق.

النسخة الرابعة: أصلها بدار الكتب المصرية في القاهرة، وتوجد لها نسخة على أفلام ميكروفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم: {٢٢٦٠/ ٤-٢٢٦٠} وهي آخر الكتاب، من أول سورة الأحزاب إلى نهاية سورة الناس في جزأين هما الرابع والخامس.

الجزء الرابع : من أول سورة الأحزاب إلى نهاية سورة الطور في (٢٥٦) ورقة .

الجزء الخامس : من أول سورة النجم إلى نهاية الكتاب إلا أنه سقطت منه الورقة (٤٦) وفيها من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ آية (٢٧) من سورة الحديد إلى آخر السورة، ويقع في (٢٥٦) ورقة، مكتوب بخط جميل، والآيات بلون مخالف، ومسطرتها ٢١ سطرا في الصفحة الواحدة، وقد كتبت في شهر صفر سنة ٧٠٥هـ، ومثبت عليها وقفية بتاريخ الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٩٧هـ.

النسخة الخامسة: وهي محفوظة بدار الكتب الوطنية التونسية بتونس، كما هو مدون بفهارس مخطوطات الجامعة الإسلامية، ولها صورة ميكروفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة برقم ٤٣٤٢ وهي المجلد الثاني من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة الحج، وتقع في ١٤٠ ورقة ومسطرتها ٢١ سطراً في الصفحة، ولم يذكر عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وهي مكتوبة بخط مشرقي وكلماتها مشكولة، وفي هامش الورقة الأخيرة عبارة : (مقابلة بنسخة الأصل).

وآخرها: (نجز المجلد الثاني من تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن بحمد الله تعالى ومنّه، وصلى الله على سيدنا محمد النبي، وعلى آله وصحبه أجمعين ، يتلوه في المجلد الثالث إن شاء الله تعالى سورة المؤمنون)، وستكون هذه النسخة مكملة للسقط الموجود في سورة الأنفال والتوبة ويونس. والحمد لله.

شكر وتقدير

وفي الختام: أشكر الله تعالى العلي القدير الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وجعلني من أهل القرآن، فالحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، ثم أثني بالشكر لمن كان سببا في وجودي، والديَّ الكريمين، أسأل الله تعالى أن يغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيرا.

كما أتوجه بالشكر والثناء العاطر لشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور: عبد العزيز بن صالح العبيد، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة، والذي أفادني من علمه وتواضعه الجم، فالفضل لله أولا ثم لتوجيهاته القيمة السديدة، ومتابعته المستمرة، متعه الله بالصحة والعافية، وبارك له في عمره وولده.

كما لايفوتني أن أسدي الشكر الجزيل للجامعة الإسلامية التي أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي، وأخص بالشكر كلية القرآن الكريم ممثلة في أساتذتها الكرام، وأشكر كل من أسدى إلي معروفا وأرشدني إلى الصواب، جزى الله الجميع خير الجزاء.

وبعد ...

فما كان في هذه الرسالة من صواب فبفضلٍ من الله وحده، وما كان فيها من خطإ أوزلل أو نسيان فمن نفسي والشيطان. ورحم الله الشاطبي حيث قال في منظومته الرائية:

من عاب عيباً له عذرٌ فلا وزرا ينجيه من عَزَمات اللوم مُتَّئرا

وإنما هي أعمالٌ بنيتها خذ ما صفا واحتمل بالعفو ما كدرا

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

****

****

****

نماذج مصورة من مخطوطات الكتاب

القسم الثاني: نصُّ الكتاب المحقق، من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام.

سورة آل عمران مدنية[١] وهي مئتا آية أو إلا آية.[٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جاء وفد نجران إلى رسول الله ﷺ وكانوا ستين، وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، العاقب[٣] أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح والسيد ثِمالُهم[٤] وصاحب رحلهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة[٥] أسقفهم وحبرهم، دخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين صلى العصر، عليهم ثياب حبراتٍ[٦] جُبَب[٧] وأردية، في جمال رجال بالحارث بن كعب يقول من رآهم: ما رأينا وفدا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: **((دعوهم))** فصلوا إلى المشرق، فكلم السيدَ والعاقبَ فقال لهما [١٦١/ب] رسول الله ﷺ: **((أسلما))** فقالا قد أسلمنا قبلك، فقال: **((كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير))** قالا إن لم يكن ولدا فمن أبوه؟ وخاصموه جميعا في عيسى، فقال ﷺ:**((ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه))**؟ قالوا: بلى، قال: **((ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء))**؟ قالوا: بلى، قال: **((ألستم تعلمون أن ربنا قيِّم على كل شيء يحفظه ويرزقه))**؟ قالوا: بلى، قال: **((فهل يملك عيسى من**

---

(١) انظر تفسير الدر المنثور {٣/ ٤٣٨} وحكى القرطبي الإجماع على ذلك في أحكام القرآن {٤/ ٣} وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في المدينة. روح المعاني {٢/ ٧١}.

(٢) عند جمهور أهل العدد مئتا آية، وعند أهل الشام مئة وتسعة وتسعون آية، بترك عد قوله (الإنجيل) الموضع الأول، انظر: مرشد الخلان {٦٢}.

(٣) العاقب السيد النجراني واسمه عبد المسيح، أمير وفد نجران، بعد امتناعه من المباهلة ورجوعه إلى نجران، عاد هو والسيد الأيهم إلى النبي ﷺ فأسلما فأنزلهما النبي ﷺ دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. انظر: الإصابة {٣/ ٢٣٦}.

(٤) الثمال: الغياث، وفلان ثِمالُ قومه، أي: عمادهم يقوم بأمرهم وشؤونهم. الصحاح، مادة: ثمل.

(٥) أبو حارثة بن علقمة أسقف نجران، كان رجلا من العرب من بكر بن وائل، دخل في دين النصرانية فعظمته الروم وشرفوه وبنوا له الكنائس ومولوه وخدموه؛ لما يعرفون من صلابته في دينهم، ومع ذلك يعرف أمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه من اتباع الإسلام. البداية والنهاية {ج٥/ ٦٧}.

(٦) الحبرات جمع حِبْرَة: ضرب من برود اليمن، وهي ثياب من كتان أو قطن مزينة. لسان العرب والقاموس، مادة: حبر.

(٧) جُبب: الجُبَّةُ نوع من مُقَطَّعات الثياب تُلبس، جمعها جُبَبٌ وجِباب. لسان العرب والقاموس، مادة: جبب.

ذلك شيئا))؟ قالوا: لا، قال: **((ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء))**؟ قالوا: بلى، قال: **((فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما عُلِّم))**؟ قالوا: لا، قال: **((فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب))**؟ قالوا: بلى، قال: **((ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذِّي كما يغذَّى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث))**؟ قالوا: بلى، قال: **((فكيف يكون هذا كما زعمتم))**؟ فسكتوا، فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.[1]

فقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ مفتوح الميم موصول عند الكل،[2] ماعدا ما قرئ مقطوعا بسكون الميم على نية الوقف، ثم بقطع الألف للابتداء، أو يجري على لغة من يقطع ألف الوصل،[3] ومن فتح الميم فلالتقاء الساكنين.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ابتداء وما بعده خبر، ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ ﴾ نعت له ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: القرآن بالصدق ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[4] أي: لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ ﴾ وقال ﴿ وَأَنزَلَ ﴾ فيهما؛ لأنهما نزلا مرة واحدة، وقال في القرآن ﴿ نَزَّلَ ﴾ مضعفاً؛ لأنه نزل مفصلا، والتنزيل للتكثير، وأصل التوراة: وَوْرية فَوْعلة من ورى الزند إذا حرجت ناره، وأوريته أنا، فحولت الواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفا فصارت توراة، وكتبت بالياء على أصل الكلمة،[5] والكوفي يجعلها تفعِلة كتوصية، فقلبت الياء

---

(١) أخرجه الطبري من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير بأتم منه {١٥١/٦} والواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {٩٧} وابن هشام في السيرة {٥٧٤/١} والبغوي في التفسيرمن طريق الكلبي والربيع بن أنس {٤٠٦/١} وقصة وفد نجران ثابتة في الصحيح، ولكن ليس بهذا الطول {٤٣٨٠} والمفسرون مجمعون على أن صدر هذه السورة نزل في وفد نجران.

(٢) وهي قراءة القراء العشرة. انظر النشر في القراءات العشر {٣٥٩/١} وإتحاف فضلاء البشر {٤٦٨/١}.

(٣) وهي شاذة، قرأ بها أبو يوسف ويعقوب بن خليفة والأعمش عن أبي بكر عن عاصم في بعض طرقه، والحسن وعمرو بن عبيد وأبو جعفر الرؤاسي والبرجمي وابن القعقاع، انظر: البحر المحيط {٣٨٩/٢} وإعراب القرآن للنحاس {٣٥٣/١} ومعاني القرآن للفراء {٩/١}

(٤) نهاية اللوحة [١٦٢/ أ] عند قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا﴾

(٥) وهذا قول الخليل وسيبويه والبصريين، انظر: تفسير البغوي {٤٠٧/١} والدر المصون {١٨/٣}.

ألفاً على لغة طيء، فإنهم يقولون جاراة للجارية، وناصاة للناصية،[١] أو من التورية كتمان السر والتعريض؛ لأن أكثر التوراة معاريض من غير تصريح.[٢]

والإنجيل: إفعيل من النجل وهو الخروج، ومنه سمي الولد نجلاً بخروجه، فسمي الإنجيل به؛ لأن الله تعالى أخرج به من الحق عافياً، أو من عين نجلاء واسعة؛ لأنه أنزل وسعة لهم ونوراً، أو التوراة بالعبرانية: توروتوا، ومعناه الشريعة، والإنجيل: أنقليون ومعناه الإكليل.[٣]

﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ هادياً لمن اتبعه ولم يثنِّه؛ لأنه مصدر ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾أي: الفرق بين الحق والباطل، أوفي الآية تقديم وتأخير، أي: وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس.[٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾أي: منيع بالنقمة وهي العقاب،[١٦٢/ب]يقال: انتقم منه إذا عاقبه، والمعنى: أنه صاحب انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ أي: ذكراً أو أنثى، أو أبيض أو أسود، تاماً أو ناقصاً، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وهذا رد على وفد نجران، حيث قالوا: عيسى ابن الله،[٥] كأنه قال: كيف يكون ولداً وقد صوره الله تعالى في الرحم؟

قال رسول الله ﷺ: ((**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، أو قال: يبعث إليه الملك بأربع كلمات: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، قال:وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، أو إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**))[٦]

---

(١) وهو قول الفراء، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨} والدر المصون {٣/ ١٨}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨} والقرطبي {٤/ ٥}.

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨} والقرطبي {٤/ ٦} والدر المصون {٣/ ٢٠}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨} وقال قتادة والربيع بن أنس: الفرقان هنا: القرآن، واختار ابن جرير القول الأل: وهو الفرق بين الحق والباطل في أمر عيسى عليه السلام؛ لأن ذكر القرآن قد مضى في الآية السابقة، فلاوجه لتكريره هنا، والله أعلم. انظر: تفسير الطبري {٦/ ١٦٤}.

(٥) وهذه من المواضع التي تثبت فيها الألف من ابن؛ لأن الاسم أضيف إلى غير أبيه. درة الغواص {٧٠٠}.

(٦) أخرجه البخاري في مواضع {٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤} ومسلم برقم {٢٦٤٣}.

وقال ﷺ: **((يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول : يارب أشقي أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها و لا ينقص))** [(١)]

روي أن جماعة من المشركين منهم حيي، أتوا[١٦٣/أ] رسول الله ﷺ فقال حيي: بلغنا أنه أنزل عليك ﴿الٓمٓ﴾ ننشدك آلله أنزله عليك؟ قال: **((نعم))** قال: إن كنت صادقا فإن مدة دوام ملكك [إحدى][(٢)] وسبعون سنة. وهذه الحكاية مستوفاة في أول سورة البقرة، وفي آخر الحكاية، قال حيي: فما ندري بكثيره نأخذ أم بقليله، ونحن لا نؤمن بهذا، فنزل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [(٣)] أي: مبينات مفصلات، من الأحكام، كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله الذي يعمل عليه في الأحكام، وقال ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولم يقل أمهات؛ لأن الآيات في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، فكلامه تعالى علاؤه وشأنه واحد، أوكل آية منهن أم الكتاب، [(٤)] كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أي: كل واحد منهما، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ ولم تصرف (أُخَر) لأنها معدولة عن آخر، كعمر، أو

---

(١) أخرجه مسلم {٢٦٤٤- ٢٦٤٥}.

(٢) في النسختين: أحد.

(٣) انظر تفسير الطبري {١/ ٢٢١} والدر المنثور {٣/ ٤٥٠} وعزاه للبخاري في التاريخ، وهو جزء من حديث طويل، مروي من الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب، وسيورده المؤلف في أكثر من موضع، وانظر السيرة لابن هشام {١/ ٥٤٧}، والحديث ضعيف؛ لضعف الكلبي، كما في التقريب {٨٤٧} وضعف أبي صالح، قال ابن كثير في تفسيره: وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته. ثم ساق الحديث وقال بعده: مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به...اهـ {١/ ١٥٠} وقال سفيان: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كل ما حدثتك كذب. ميزان الاعتدال {١/ ٢٩٦}. والكلام على كل حال من قول اليهودي.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠} ورد الطبري القول الثاني، وقال: ولو كان معنى ذلك أن كل آية منهن أم الكتاب، لكان لا شك قد قيل: هن أمهات الكتاب. واستشهد بقوله: (وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً) وقال: ولم يقل: آيتين لأن معناه : وجعلنا جميعهما آية إذ كان المعنى واحدا فيما جعلا فيه للخلق عبرة، ولو كان مراد الخبر عن كل واحد منهما على انفراده بأنه جعل للخلق عبرة لقيل: وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين؛ لأنه قد كان في كل واحد منهما لهم عبرة... {٦/ ١٧١}.

خالفت بناء أخواتها؛ لأن أفعل وفُعلى لاتوصف بهما النكرة، فلا تفارقها الألف واللام، فلما خولف بأخر بنيت كما ترى، عن الخليل،[١] وهي جمع أخرى.[٢]

وفرَّق هاهنا بين المحكم والمتشابه، وجعله في موضع آخر محكماً كله، فقال: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود:١] وجعله في موضع آخر متشابهاً كله فقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر:٢٣] فحيث جعل الكل محكماً؛[١٦٣/ب] أراد أنه حق ليس فيه عيب، وحيث جعل كله متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن، وهاهنا جعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً.

ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات الآيات في سورة الأنعام ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [آية: ١٥١] ونظيرها في بني إسرائيل، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣][٣]

وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور،[٤] أو المحكم ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحق، ويصدق بعضه بعضاً، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٦] ﴿ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٠٠][٥] أو المحكم الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به،[٦] أو محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به،[٧] أو المحكمات ما أوقف الله تعالى الخلق على معناه، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه، لا سبيل لأحد إلى علمه، كالخبر عن أشراط الساعة، وخروج الدجال، ونزول عيسى، وطلوع

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، صاحب العربية وعلم العروض، كان رأسا في لسان العرب، دينا ورعا قانعا متواضعا كبير الشأن، دعا الله فرزقه علما لم يسبق إليه وهو العروض، مات بعد الستين ومئة. سير أعلام النبلاء {٧/ ٤٢٩}.

(٢) معاني القرآن للزجاج {١/ ٣٧٧}.

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠} والطبري {٦/ ١٧٤}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠} وزاد المسير {١/ ١٥٣} وقاله مقاتل بن حيان، تفسير ابن كثير {٢/ ٧}.

(٥) قاله مجاهد وعكرمة، انظر تفسير الطبري {٦/ ١٧٧} فتح الباري {٨/ ٢٦٣}.

(٦) وهو قول ابن مسعود ﷺ وقتادة والضحاك والسدي والربيع، انظر: تفسير الطبري {٦/ ١٧٥} والبغوي {١/ ٤١٠}.

(٧) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠} والدر المنثور {٣/ ٤٤٧}.

الشمس من مغربها ، وقيام الساعة، وفناء الدنيا، [١] أو المحكم مالا يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما يحتمل أوجهاً، [٢] أو المحكم ما يعرف معناه وتكون حججه واضحة لا [يشتبه] [٣] والمتشابه ما يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. [٤] أو المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. [٥] [١٦٤/أ]

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ ﴾ أي: ميل عن الحق أو شك [٦] ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ المعنيُّ بهذه الآية وفد نجران، خاصموا النبي ﷺ في عيسى، وقالوا: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال:((بلى)) قالوا: حسبنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، [٧] أو اليهود طلبوا علم أُكْلِ [٨] هذه الأمة واستخراجه بحساب الجمل، [٩] أو هم المنافقون، [١٠] أو هم الخوارج. [١١]

---

(١) عزاه الطبري لجابر بن عبد الله بن رئاب {٦/ ١٨٠} وانظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠}.

(٢) وهو قول جعفر بن محمد والشافعي. راجع البغوي {١/ ٤١٠} والطبري {٦/ ١٧٧} وتفسير الثعلبي {٣/ ١٠}.

(٣) في (ب) لا تشتبه.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠} والثعلبي عن ابن كيسان {٣/ ١١} .

(٥) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٠}.

(٦) أخرجه الطبري بسنده عن محمد بن جعفر بن الزبير وهو قول مجاهد، ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري {٦/ ١٨٤} وفتح الباري {٨/ ٢٦٣}.

(٧) أخرجه الطبري عن الربيع {٦/ ١٨٦} والعجاب {٢/ ٦٦٠} عن مقاتل بن حيان.

(٨) الأُكْل: أي الحظ. لسان العرب، مادة: أكل. أي: أنهم أرادوا معرفة مدة بقاء هذه الأمة.

(٩) قاله ابن عباس والكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١١} والطبري {٦/ ١٨٧}.

(١٠) قاله ابن جريج، راجع البغوي {١/ ٤١١} والطبري {٦/ ١٨٤}.

(١١) قاله قتادة والحسن، تفسير البغوي {١/ ٤١١} وروي هذا التفسير عن أبي أمامة مرفوعا، الدر المنثور {٣/ ٤٥٤} وهو في المسند برقم {٢٢٢٠٨} وعند الطبراني في المعجم الكبير {٨٠٤٦} والعجاب {٢/ ٦٦٢}، وهو ضعيف مرفوعا، قال ابن كثير في تفسيره: وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح. {٨/٢}. والخوارج: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان. الملل والنحل {١/ ١١٣}.

وكان [قتادة][١] إذا قرأ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ زَيۡغٌ يقول: إن لم يكونوا الحرورية[٢] والسبئية[٣] فلا أدري من هم،[٤] أو هم جميع المبتدعة.[٥]

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ فقالت: قال رسول الله ﷺ: **((فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله تعالى فاحذروهم))**[٦]

﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ أي: طلب الشك وابتغاء الشبهات، واللبس ليضلوا بها جُهَّالهم﴿ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ أي: تفسيره وعلمه، كقوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾ [الكهف: ٧٨] أو ابتغاء عاقبته، وطلب أُكْلِ هذه الأمة من حساب الجمل، أي: مدة أُكْلِ هذه الأمة بدليل قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩] أي: عاقبة ﴿ ومَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ الواو في قوله: وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴿ ﴾ واو العطف، أي: تأويل المتشابه يعلمه الله تعالى ويعلمه الراسخون في العلم، ومع علمهم ﴿يَقُولُونَ

---

(١) في النسختين [قتيبة] وهو تصحيف، والمثبت من التفاسير، وقتادة هو: ابن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي البصري، أخذ القرآن ومعانيه وروى عن أنس بن مالك وعن غيرهم، قال الذهبي: وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، ت ١١٧هـ. انظر الطبقات الكبرى {٩/ ٢٢٨} وسير أعلام النبلاء {٥/ ٢٦٩}.

(٢) الحرورية: نسبة إلى حروراء قرية بالكوفة، وهو من أسماء الخوارج، نُسبوا إليها لتجمعهم فيها في بداية أمرهم. معارج القبول {٣/ ١٧٢}.

(٣) السبئية: نسبة إلى ابن السوداء اليهودي عبد الله بن سبأ، الذي أظهر الإسلام لإحداث الفتنة بين المسلمين، وهو أول من قال بإمامة علي ﷺ، وأول من قال بالرجعة. مقالات الإسلاميين {١/ ٨٦}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١١} والقرطبي {٤/ ١٠}.

(٥) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١١} والقرطبي {٤/ ١٠} وقال: هذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة وإن كانت الإشارة بها إلى نصارى نجران ا.هـ وقال ابن جرير: هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معنيٌّ بها كلُّ مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه إليها، تأويلا منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاجَّ به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات؛ إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين؛ وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان، وأي أصناف المبتدعة كان...اهـ الطبري {٦/ ١٩٨}.

(٦) رواه البخاري {٤٥٤٧} ومسلم {٢٦٦٥}.

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ ف ﴿يَقُولُونَ﴾ يكون حالاً على هذا القول،[1] [١٦٤/ب] أي: والراسخون في العلم قائلين آمنا به،كقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ إلى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ عطف على ما سبق، ثم قال لهم: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ [الحشر:٧-٩-١٠] أي: مع استحقاقهم الفيء يقولون ربنا اغفر لنا، أي: قائلين على الحال.

وعن ابن عباس أنه كان يقول في هذه الآية: أنا من الراسخين في العلم.[2]

وعن مجاهد: أنا ممن يعلم تأويله،[3] فعلى هذا لا يوقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ حتى يوصل بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ فيكون الوقف على هذا على ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [جائزا][4] وتبتدئ ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: ويقولون، كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[القيامة:٢٢] أي: ووجوه، والاختيار أن يكون ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ في موضع نصب حال، فعلى هذا لا يجوز الوقف على ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ فتدبره وفقك الله تعالى.[5]

أو تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويبتدئ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ وقالوا: على هذا لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله،[6] أو يكون للقرآن تأويل استأثر الله تعالى بعلمه لا يُطلِع عليه أحداً من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ونحوهما، والخلق مُتعَبَّدون في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل.[7]

---

(١) وهو قول ابن عباس ومجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وابن فورك، وذكره القرطبي عن شيخه أبي العباس أحمد بن عمر، تفسير ابن كثير {٢/ ١١} والقرطبي {٤/ ١٣} والدر المصون {٣/ ٢٩}.

(٢) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٠٣} وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر وابن الأنباري {٣/ ٤٦١}.

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٢} والقرطبي {٤/ ١٣} وعزاه في الدر المنثور لابن المنذر وابن الأنباري {٣/ ٤٦١}.

(٤) في الأصل: [جائزٌ] بالرفع، ولعل الصحيح ما أثبت؛ لأنه خبر يكون، والله أعلم.

(٥) وانظر في الكلام على الوقف في الآية: القطع والإئتناف {١/ ١٢٤} المكتفى {١٩٥} البحر المحيط {٣/ ٢٧}.

(٦) وهذا القول الثاني في موضع الوقف، وهو قول ابن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب وعائشة وابن عباس في رواية طاووس عنه، وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وأبي الشعثاء وأبي نهيك، وهو مذهب الكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيد، وحكاه الطبري عن الإمام مالك، واختاره البغوي. انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٢} والطبري {٦/ ٢٠٢} والدر المنثور {٣/ ٤٥٩} والقرطبي {٤/ ١٢}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٢}والقرطبي {٤/ ١٤} وفتح القدير {١/ ٤١٠}.

وقرئ: إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به،[١] وقرئ: ويقول الراسخون في العلم آمنا به.[٢]

وقال عمر بن عبد العزيز: في هذه الآية انتفى علم الراسخين بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا.[٣]

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[٤] الداخلون فيه الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك.

أصله من رسوخ الشيء في الشيء، وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسوخاً ورسخاً،[٥] أو الراسخون في العلم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه.[٦]

وعن مالك وقد سئل عن الراسخين في العلم فقال: العالم العامل بما علم المتبع له،[٧] أو الراسخ في العلم من وُجد في علمه أربعة شرائط: التقوى بينه وبين الله تعالى، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه.[٨]

أو بقولهم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ سماهم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم أداهم إلى قولهم هذا في المتشابه[٩] ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالمتشابه والناسخ والمنسوخ، ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المتشابه والمحكم والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي: وما يتعظ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ أي: ويقول الراسخون: ربنا، أي: لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذي في قلوبهم زيغ

---

(١) قرأ بها عبد الله بن مسعود، البحر المحيط {٣/ ٢٩} وهي شاذة.

(٢) قرأ بها أبي بن كعب وابن عباس ﷺ المرجع السابق، وهي شاذة.

(٣) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٠٣} والقرطبي {٤/ ١٢}.

(٤) نهاية اللوحة [١٦٥/ أ] عند حرف الجر في الآية.

(٥) انظر: لسان العرب: رسخ.

(٦) قاله ابن عباس رضي الله عنه انظر تفسير الطبري {٦/ ٢٠٨} والبغوي {١/ ٤١٢}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٢}.

(٨) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٢}.

(٩) قاله ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والسدي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٢} والطبري {٦/ ٢٠٨}.

﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ أي: وفقتنا لدينك والإيمان بجميع كتابك ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾ أي: من عندك توفيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى، أو تجاوزاً ومغفرة [(١)] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ⁽٨⁾﴾ .

كان ﷺ يقول: **((يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة)).** [(٢)]

وقال ﷺ: [١٦٥/ب] **((مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلِّبها الرياح ظهراً لبطن)).** [(٣)]

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ﴾ أي: لقضاء يوم، أو اللام بمعنى (في) ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ⁽٩⁾﴾ مفعال من الوعد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ﴾ أي: لن تنفع ولن تدفع ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله، أو تكون بمعنى عند، [(٤)] أي: عند الله ﴿شَيۡـٔٗا﴾ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ⁽١٠⁾﴾

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: كفعل آل فرعون في الكفر والتكذيب، [(٥)] أو كسنة آل فرعون، [(٦)] أو كأمر آل فرعون وشأنهم، [(٧)] أو كعادة آل فرعون، [(٨)] أي: عادة هؤلاء الكفار من تكذيب الرسول ﷺ وجحود الحق كعادة آل فرعون، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: كفار الأمم الماضية، كعاد وثمود وغيرهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: فعاقبهم الله ﴿بِذُنُوبِهِمۡ﴾ أو نظم الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ

---

(١) قاله الضحاك، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٣}

(٢) أخرجه ابن ماجه {١٩٩} والنسائي في الكبرى {٧٧٣٨} وابن حبان {٩٤٣} والحاكم وصححه ووافقه الذهبي {١٩٢٦} وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه {١٦٥}.

(٣) أخرجه ابن ماجه {٨٨} وأحمد {١٩٦٧٧} وقال الألباني في ظلال الجنة: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم. {٢٢٧} والفلاة الأرض الواسعة المقفرة.

(٤) قاله أبو عبيدة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٤} والبحر المحيط {٣/ ٣٤}.

(٥) قول ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٤} والطبري {٦/ ٢٢٤}.

(٦) قول عطاء والكسائي وأبي عبيدة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٤} الوسيط {١/ ٤١٦}.

(٧) قاله الأخفش، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٤}.

(٨) قاله النضر بن شميل والفراء وابن قتيبة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٤} ومعاني القرآن للفراء {١/ ١٩١} وتفسير غريب القرآن {١٠١} والمعاني التي ذكرت يصح حمل الآية عليها كلها، فهي متقاربة، ومن قواعد التفسير: أن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها. قال ابن كثير في التفسير: هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة، يقال هذا دأبي ودأبك. {٢/ ١٥}

﴿أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾ عند حلول النقمة والعقوبة، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية، أخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ حمزة[١] والكسائي[٢] بالياء فيهما، أي: إنهم يغلبون ويحشرون، ومن بقي بالتاء فيهما على الخطاب،[٣] أي: إنكم ستغلبون وتحشرون يا مشركي مكة، أي: قل لكفار مكة: ستغلبون [١٦٦/أ]يوم بدر وتحشرون إلى جهنم، أي: في الآخرة، فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي ﷺ **((إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم))**[٤]

أو المراد بهذه الآية: اليهود، أو أن يهود المدينة قالوا لما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر: هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى، لاتُردُّ له راية، وأرادوا اتِّباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لاتعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أحد نُكب أصحاب رسول الله ﷺ، شكُّوا فغلب عليهم الشقاء، فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف[٥] في سبعين راكباً إلى مكة يستنفرهم، فأجمعوا على قتال رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٦] أولما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر، ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال: **((يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما**

---

(١) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي التيمي ولاء، أحد القراء العشرة، كان إماما حجة قيما بكتاب الله، حافظا للحديث، عالما بالفرائض والعربية، عابدا خاشعا قانتا لله، قال الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، ت١٥٦هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ١٤٠} وغاية النهاية {١/ ٢٥٤}.

(٢) علي بن حمزة الكسائي أبو الحسن الكوفي المقرئ النحوي، إليه انتهت الإمامة في القراءة والعربية، قال أبو بكر بن الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، وكان ذو دعابة. ت سنة١٨٩هـ انظر: معرفة القراء الكبار{١/ ١٢٠} وغاية النهاية {١/ ٥٣٥}.

(٣) السبعة لابن مجاهد {٢٠١} الحجة لابن خالويه {٥٠} والنشر {٢/ ٢٣٨}.

(٤) أخرجه البغوي عن مقاتل {١/ ٤١٥}.

(٥) كعب بن الأشرف اليهودي، كان يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم، ويتشبب في شعره بنساء المسلمين. الطبقات {٢/ ٣١}.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي {٩٨} وأورده البغوي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، {١/ ٤١٥}. والكلبي متروك متهم، وأبو صالح لم يلق ابن عباس رضي الله عنهما، ميزان الاعتدال {٣/ ٥٥٦}.

نزل بهم، فقد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم)) فقالوا: يا محمد، لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس،(١) فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾ تهزمون ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ أي: الفراش، أي: بئس ما مُهد لهم، يعنى النار.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ لم يؤنثها، لأنه ردها إلى البيان، أي: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى، أو ذكَّر لأنه لما حال الجار والمجرور بين الفعل (١٦٦/ب) والاسم المؤنث، ذكّر الفعل،(٢) وكل ما ورد من هذا النحو فهذا وجهه، أي: قد كان لكم آية، أي: عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ أي: فريقين أصلها في الحرب، إذ بعضهم يفي إلى بعض أي: يرجع ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ أي: يوم بدر، ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعة الله تعالى، وهم الرسول ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومئتان وستة وثلاثون من الأنصار، صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب ﷺ، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة ﷺ، وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسان، فرس للمقداد بن عمرو ﷺ،(٣) وفرس لمرثد بن أبي مرثد ﷺ،(٤) وأكثرهم رجالة، وكان معهم من السلاح [ست](٥) أدرع وثمانية سيوف ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ أي: فرقة كافرة، وهم مشركوا مكة، وكانوا

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن إسحاق {٩٨} وعزاه السيوطي في الدر لأبي داوود والبيهقي في الدلائل {٣/ ٤٧٣} وأخرجه ابن جرير {٦/ ٢٢٧} من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه محمد بن أبي محمد، مجهول كما في التقريب {٨٩٤} ورواه عن قتادة مرسلا، وعن عكرمة نحوه. وانظر: سيرة ابن هشام {٢/ ٤٧}.

(٢) الجمل في النحو {٢٩٣} البحر المحيط {٣/ ٤٢} الدر المصون {٣/ ٤٣}.

(٣) هو: المقداد بن عمرو الكندي البهراني، أحد السابقين الأولين، يقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه ربي في حجر الأسود الزهري فتبناه، أول من قاتل على فرس في سبيل الله، هاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وكان فارسا يوم بدر، حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره، ت٣٣هـ سير أعلام النبلاء {١/ ٣٨٥}.

(٤) مرثد بن أبي مرثد بن الحصين الغنوي، صحابي وأبوه صحابي، بدريان، ولما هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، وكان يحمل الأساري من مكة إلى المدينة لشدته وقوته، استشهد مرثد في سرية الرجيع سنة ثلاث من الهجرة. الإصابة {٦/ ٧٠}.

(٥) في ب: ستة.

تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وفيهم مائة فرس، وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ.

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ نافع[1] ويعقوب[2] بالتاء،[3] أي: ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثلي المسلمين؛ لأن جماعة من اليهود حضروا قتال بدر[4] يتنظرون لمن تكون الدائرة، فرأوا النصرة للمسلمين مع كثرة المشركين معجزة وآية، وقرأ من بقي بالياء، أي: يرونهم المسلمون مثليهم، وقال: مثليهم وكانوا ثلاثة أمثالهم؛ كقول الرجل وعنده درهم:[١٦٧/أ] أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم، أي: إلى مثليه سواه، فيكون ثلاثة دراهم، أوكان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم، قللهم الله تعالى حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين،[5] ثم قللهم في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم.

ابن مسعود ﷺ: نظرنا [إلى][6] المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرناهم، فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً، ثم قللهم الله تعالى في أعين المؤمنين حتى رأوهم عددا يسيراً أقل من أنفسهم، قال ابن مسعود ﷺ: حتى قلت لرجل [إلى جنبي]:[7] تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، أو يرى المشركون المسلمين مثليهم، قللهم الله تعالى أول النهار في أعين المشركين ليقدموا عليهم، فلما تواصلوا أكثرهم في

---

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، المدني، أحد القراء العشرة، قال مالك: نافع إمام الناس في القراءة، وكان نافع صاحب دعابة وطيب أخلاق، وثقه يحيى بن معين، ولينه أحمد بن حنبل، وقال أبو حاتم: صدوق، ت١٦٩هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ١٠٧} غاية النهاية {٢/ ٣٣٠}.

(٢) يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، أحد القراء العشرة، قال أبو حاتم السجستاني وكان من تلامذته: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه ومذاهب النحو، وكان أقرأ أهل زمانه، ت٢٠٥هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ١٥٧} وغاية النهاية {١/ ٣٨٦}.

(٣) النشر {٢/ ٢٣٨} اتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٧٠}.

(٤) هذا الكلام بنصه في تفسير البغوي {١/ ٤١٦} والخازن {١/ ٢٢٩} ولم أجد في كتب السير من ذكر حضور اليهود قتال بدر. والله أعلم.

(٥) ذكر الطبري وابن كثير أن هذه الرواية خلاف ما ورد من أن المشركين يوم بدر، كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف. تفسير الطبري {٦/ ٢٣٥} وابن كثير {٢/ ١٦}.

(٦) في (ب) محذوف.

(٧) في (ب) يجنبني.

أعينهم ليجبنوا، وقللهم في أعين المؤمنين ليجترئوا عليهم،[١] ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي: في رأي العين، ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ أي: لذوي العقول، أو لمن أبصر الجمعين.[٢]

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الشهوة: ما تدعو النفس إليه ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ بدأ بالنساء؛ لأنهن حبائل الشيطان، والقناطير جمع القنطار، وهو المال الكثير[٣] أو ألف [ومائتا][٤] أوقية،[٥] أو ألف ومائتا مثقال،[٦] أو [اثنا عشر ألف][٧] درهم، أو ألف دينار،[٨] أودية أحدكم،[٩] أو مائة ألف ومائة

---

(١) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٣٣} والبغوي {١/ ٤١٦} والقرطبي {٤/ ١٨}.

(٢) تفسير الماوردي {١/ ٣٧٥} والبغوي {١٤١٧}.

(٣) قاله الربيع بن أنس . انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٤٩} تفسير الماوردي {١/ ٣٧٦} البغوي {١/ ٤١٧}.

(٤) في النسختين [مائة] والمثبت من التفاسير.

(٥) وبه قال معاذ بن جبل وابن عمر وأبو هريرة وأبو الدرداء وعاصم بن أبي النجود والحسن في رواية، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٦} وزاد المسير {١/ ٣٥٩} وأخرجه الطبري {٦/ ٢٤٥} بسنده عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، ولا يصح مرفوعا، ففي إسناده مخلد بن عبد الواحد، قال فيه ابن حبان: منكر الحديث جدا. وقال أبو حاتم: ضعيف. وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وراجع تعليق الشيخ أحمد شاكر على هامش الطبري. وقال ابن كثير في تفسيره بعد إيراده لهذا القول: وهذا حديث منكر أيضا، والأقرب أن يكون موقوفا على أبي بن كعب كغيره من الصحابة. {٢/ ١٨}.

(٦) قاله ابن عباس والضحاك انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٤٦} البغوي {١/ ٤٧١} الدر المنثور {٣/ ٤٧٩}

(٧) في النسختين [عشرة آلاف] والمثبت من الطبري والدر المنثور.

(٨) وهذان القولان لابن عباس والضحاك أيضا في رواية عنهما، الطبري {٦/ ٢٤٦} الدر المنثور {٣/ ٤٧٩}.

(٩) قاله الحسن، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٤٧} البغوي {١/ ٤٧١}.

منٍّ ومائة مثقال، ومائة درهم ومائة رطل،[١] أو أربعة آلاف مثقال[٢] [١٦٧/ب] أو مابين السماء والأرض،[٣] أو ملء مَسك ثور ذهباً أو فضة.[٤]

وهو مأخوذ من قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة ﴿ ٱلۡمُقَنطَرَةِ ﴾ أي: المحصنة، أو المحكمة،[٥] أو الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض،[٦] أو المدفونة،[٧] أو المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير،[٨] أو القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة [٩] ﴿ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾ لا واحد للخيل من لفظه، وهو جمع، وتسويم الخيل حسنها،[١٠] أو هي الراعية،[١١] يقال: أسام الخيل وسوّمها، أو هي المرسلة وعليها ركبانها،[١٢] أو هي المعلمة،[١٣] من السيما العلامة،

---

(١) قاله سعيد بن جبير وعكرمة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧١}.

(٢) قول السدي انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧١} القرطبي {٤/ ٢١}.

(٣) قاله الحكم، انظر: القرطبي {٤/ ٢١} البغوي {١/ ٤١٧}.

(٤) قاله أبو سعيد الخدري ﷺ وأبو نضرة، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٤٨} والبغوي {١/ ٤١٧} والمَسك: بفتح الميم وسكون السين هو الجلد. النهاية: مسك. قال ابن العربي رحمه الله: هذه الأقوال كلها تحكم في الأكثر، وقد روي بعضها عن النبي ﷺ ولا يصح في هذا الباب شيء، والذي يصح في ذلك أنه المال الكثير الوزن، هذا عرف عربي. اهـ أحكام القرآن {١/ ٤٧٢}.

(٥) قاله الضحاك، والزجاج، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٧} معاني الزجاج {١/ ٣٨٣}.

(٦) قاله قتادة، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٤٩} والبغوي {١/ ٤١٧} والماوردي {١/ ٣٧٦}.

(٧) قول يمان بن رباب، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٧}.

(٨) قاله السدي، انظر الطبري {٦/ ٢٥٠} والبغوي {١/ ٤١٧}.

(٩) قاله الفراء، انظر: معاني الفراء {١/ ١٩٥}

(١٠) قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٥٣} والماوردي {١/ ٣٧٧}.

(١١) قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والربيع، وعبد الله بن أبي أبزى، والحسن، والضحاك، انظر الطبري {٦/ ٢٥٢} والبغوي {١/ ٤١٨} وزاد المسير {١/ ٣٦٠}.

(١٢) لسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة، مادة: سوم.

(١٣) قاله ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه، والحسن، وأبو عبيدة، واختاره الزجاج، انظر تفسير الطبري {٦/ ٢٥٤} وزاد المسير {١/ ٣٦٠} معاني الزجاج {١/ ٣٨٤}.

أي: الشية واللون[1] أو الكي[2] ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ جمع النعم، وهي الإبل والبقر والغنم، لا واحد لها من لفظها ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾ أي: الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: إنها تفنى كفناء الدنيا ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ أي: المرجع، يقوله تزهيداً في الدنيا وترغيباً في الآخرة.

﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أي: أخبركم ﴿بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أبو بكر[3] عن عاصم[4] بضم الراء في جميع القرآن، إلا قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾[المائدة: ١٦] كسر الراء في جميع ذلك من بقي،[5] وهما لغتان.[6]

وقال ﷺ[١٦٨/أ] **((إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى،[7] وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يارب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده))**[8]

---

(١) قاله قتادة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤١٨} والطبري {٦/ ٢٤٥} ومعنى الشِّيَة: كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره. مختار الصحاح، مادة: وشى.

(٢) روي عن المؤرج، زاد المسير {١/ ٣٦٠}.

(٣) أبو بكر شعبة بن عياش الكوفي، قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم، وكان يقول: تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم، فلقي مني شدة فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أخبرتك به من القرآن إنما تعلمته من عاصم تعلما. ت١٩٣هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ١٣٤} غاية النهاية {١/ ٣٢٥}.

(٤) عاصم بن بهدلة أبي النجود الكوفي، إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة، كان أحسن الناس صوتا بالقرآن، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة، فقال: رجل صالح خير ثقة، فسألته: أي القراءة أحب إليك؟ قال قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن فقراءة عاصم. ت١٢٧هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ٨٨} وغاية النهاية {١/ ٣٤٦}.

(٥) السبعة لابن مجاهد {٢٠٢} والنشر {٢/ ٢٣٨}.

(٦) الضم لغة تميم والفتح عند أهل الحجاز، الدر المصون {٣/ ٦٨}.

(٧) في (ب) زيادة: يارب.

(٨) رواه البخاري {٦٥٤٩-٧٥١٨} ومسلم {٢٨٢٩}.

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ محل ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نصب على المدح، أي: أعني الذين، ويجوز الرفع على الابتداء، ويجوز الخفض رداً على قوله تعالى ﴿ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ أي: صدقنا ﴿ فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ نصب على المدح أوخفض على النعت، أي: الصابرين في أداء الأمر وعن ارتكاب النهي ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي: في إيمانهم، صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية ﴿ وَٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ أي: المطيعين ﴿ وَٱلۡمُنفِقِينَ ﴾ أي: أموالهم في طاعة الله تعالى.

﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾ أي: المصلين بالأسحار،[1] أو هم الذين يصلون الصبح في جماعة،[2] وقُيد بالسَّحر لقربه من الصبح، أو مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا.[3]

وكان ابن عمر يُحي الليل، ثم يقول: يا نافع[4] أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، قعد يستغفر الله تعالى ويدعو، حتى يصبح.[5]

وقال لقمان لابنه: يابني لا تكونن أعجز من هذا الديك يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك.[6][١٦٨/ب]

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ نزلت في وفد نجران، أوفي حبرين من أحبار الشام، أتيا المدينة، فلما أبصراها قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج آخر الزمان، فلما دخلا عليه عرفاه بصفته، فقالا له: أنت محمد، قال: **((نعم))** قالا: وأنت أحمد؟ قال: **((أنا محمد وأحمد))** قالا:

---

(١) قاله مجاهد وقتادة والكلبي وسعيد بن جبير، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٦٥} والبغوي {١/ ٤١٩}.

(٢) قاله زيد بن أسلم، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٦٧} والبغوي {١/ ٤١٩} والدر المنثور {٣/ ٤٨٤}.

(٣) قاله ابن عمر وابن مسعود وأنس بن مالك، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٦٦} والبغوي {١/ ٤١٩}.

(٤) هو نافع أبو عبد الله القرشي العدوي، مولى ابن عمر وراويته، أصابه في بعض مغازيه، وقال ابن عمر: لقد من الله تعالى علينا بنافع، قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، ت ١١٧هـ. التاريخ الكبير {٨/ ٨٤} وسير أعلام النبلاء {٥/ ٩٥}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٦٦} والدر المنثور {٣/ ٤٨٤}.

(٦) الدر المنثور {١١/ ٦٣٦} وشعب الإيمان {٥/ ٤١} ومصنف عبد الرزاق {١٠/ ٤١٤} وأول الأثر: يا بني لا تأكل شبعا فوق شبع، فإنك إن تنبذه إلى الكلب خير لك، ويا بني لا تكونن... الخ

فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال: ((سلا)) قالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان.[١]

ومعنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أي: بيّن الله، إذِ الشهادة تبيين، أو حَكَم الله، أو أعلم الله أنه لا إله إلا هو.

ابن عباس: خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد بنفسه لنفسه قبل أن خلقَ[٢] الخلق حين كان، ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر،[٣] فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: وشهدت الملائكة، أو معنى شهادة الله تعالى الإخبار والإعلام، وشهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار، وقرئ (شهداءَ لله)[٤] على فعلاءَ، منصوبة، حالا لـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ شهداء، أي: شاهدين أنه لا إله إلا هو، وقرئ أيضاً: (شهداءُ لله)[٥] على فعلاءُ مرفوعة، أي: هم شهداء لله، واسم الله تعالى مجرور في هاتين القراءتين.﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ الأنبياء، أو المهاجرون والأنصار،[٦] أو علماء مؤمني أهل [١٦٩/أ] الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه،[٧] أو جميع علماء المؤمنين[٨] ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل، ونظم الآية شهد الله قائماً بالقسط، نصب على الحال، ومعنى ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: قائم بتدبير الخلق، كقول القائل: فلان قائم بأمر فلان، أي: مدبر له ومتعهد لأسبابه، وقائم بحق فلان، أي: مجاز له، فالله تعالى مدبر رازق مجاز بالأعمال. ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ عند من كسر الهمزة،[٩] ومن فتحها كان الوقف عنده على ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي {٩٩} والبغوي {٣/ ٤٢٠} والحديث ضعيف لضعف الكلبي.

(٢) وهذه لغة فصيحة، يشهد لها قوله تعالى: ﴿ أَنْ بُورِكَ ﴾ وقوله: ﴿ أَنْ غَضِبَ اللهُ ﴾ في قراءة نافع.

(٣) حديث لا أصل له. قاله ابن حجر المكي في فتاواه الحديثية. كشف الخفاء {١/ ١١٣}.

(٤) قرأ بها أبو المهلب، المحتسب {١/ ١٥٥} والبحر المحيط {٣/ ٦١} وهي قراءة شاذة.

(٥) قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب وابن السميفع وعاصم الجحدري وأبي المهلب وأبي نهيك، البحر المحيط {٣/ ٦١} الدر المصون {٣/ ٧٢} وهي شاذة.

(٦) قاله ابن كيسان عن ابن عباس، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٠} الوسيط {١/ ٤٢١}.

(٧) قول مقاتل، البغوي، انظر المرجعين السابقين.

(٨) قول السدي والكلبي، انظر تفسير البغوي {١/ ٤٢٠} الوسيط {١/ ٤٢١} والآية عامة.

(٩) أي: إن الوقف هنا تام عند من كسر الهمزة، وهم كل القراء ماعدا الكسائي.

كافياً، فتدبر هذا وأشباهه فيما أنص عليه من الوقوف؛ فإنه لا يمكن تعليل كل وقف أذكره؛ لأن هذا كتاب اختصار.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ أي: المرضي الصحيح، كقوله تعالى ﴿ ورَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] وقال ﴿ ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ [آل عمران: ٨٥] وفتح الكسائي الهمزة من ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ أي: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين الإسلام، أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، بأنه لا إله إلا هو، وكسر من بقي الهمزة على الابتداء، والإسلام الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، أو الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وهو دين الله تعالى الذي شرعه لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، ولا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به.[1]

وعن الأعمش:[2] أنه قام يتهجد، ذات ليلة فمر بهذه الآية﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾إلى ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله تعالى [١٦٩/ب] به، وأستودع الله تعالى هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ قالها مراراً، قال الراوي وهو غالب القطان:[3] فلما ودعته، قلت له: سمعت منك آية ترددها، فما بلغك فيها؟ قال: والله لا أحدثك فيها شيئاً إلى سنة، قال فأقمت سنة، فلما مضت السنة، قلت : يا أبا محمد مضت السنة، فقال: حدثني أبو وائل[4] عن عبد

(١) قاله قتادة، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٧٥} والبغوي {١/ ٤٢١}.

(٢) الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي، شيخ المقرئين والمحدثين، رأى أنس بن مالك ﷺ وحكى عنه، وكان يسمى المصحف من صدقه، وقال وكيع: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى. انظر: الطبقات الكبرى {٨/ ٤٦١} غاية النهاية {١/ ٣١٥}.

(٣) هو: الفقيه أبو سلمة غالب القطان بن أبى غيلان (خَطاف) الراسبي، ضبطه أحمد بالفتح وابن المديني وابن معين بالضم، مولى الأمير عبد الله بن عامر بن كريز القرشي، سمع الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد: كان ثقة. انظر: الجرح والتعديل {٧/ ٤٨} وسير أعلام النبلاء {٦/ ٢٠٥}.

(٤) هو: شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. روى له: أصحاب الكتب الستة. ت٨٢هـ انظر: الطبقات الكبرى {٨/ ٢١٦} وسير أعلام النبلاء {٤/ ١٦١}.

الله [1] قال: قال رسول الله ﷺ: **((يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: إن لعبدي هذا عندي عهداً، وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة))** [2]

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، [3] أي: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ أي: بيان نعته ﷺ.

لما حضر موسى الموت، دعا سبعين رجلاً من بني إسرائيل فاستودعهم التوراة، واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث، وقعت الفرقة بينهم، وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء ، ووقع الشر والاختلاف، وذلك من بعد ما جاءهم العلم، أي: بيان ما في التوراة ﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ [4] طلباً للملك والرياسة، فسلط الله تعالى عليهم الجبابرة. [5]

أو نزلت في نصارى نجران [6] أي: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أي: الإنجيل في أمر عيسى وفرقوا القول فيه إلا من بعد ما جاءهم [١٧٠/أ] العلم بأن الله تعالى واحد، وأن عيسى عبده ورسوله ﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ أي: المعاداة والمخالفة، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ ﴾ أي: خاصموك يا محمد في الدين؛ لأن اليهود والنصارى قالوا: لسنا على ما سميتنا يا محمد، إنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام، ونحن عليه، فقال الله تعالى: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾ أي: انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه؛ لأنه أكرم جوارح الإنسان وفيه بهاؤه، فإذا خضع وجهه للشيء خضع له جميع جوارحه، أو أخلصت عملي لله﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾ أي: ومن اتبعن أسلم كما أسلمتُ، وأثبت نافع وأبو عمرو [7] الياء في قوله: ﴿ ٱتَّبَعَنِ ﴾ على الأصل، ومن بقي بالحذف على الخط؛ لأنها في المصحف بغير ياء. [1]

---

(١) هو ابن مسعود ﷺ.

(٢) إسناد الحديث ضعيف، فيه عمر بن المختار، متهم بالوضع، ميزان الاعتدال {٣/ ٢٢٣} وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، تفرد به عمر بن المختار، وعمر يحدث بالأباطيل.اهـ {١/ ١١١}.

(٣) قاله الكلبي، تفسير البغوي {١/ ٤٢٢} والعجاب {٢/ ٦٦٩}.

(٤) في (ب) زيادة: أي.

(٥) أخرجه الطبري عن الربيع {٦/ ٢٧٧} والبغوي {١/ ٤٢٢}.

(٦) انظر الطبري {٦/ ٢٧٨} والبغوي {١/ ٤٢٢} والدر المنثور {٣/ ٤٩٠} وتقدم تخريجه في أول السورة.

(٧) هو أبو عمرو زبان بن العلاء البصري، أحد القراء العشرة، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية، من أهل السنة، ويعتبر من

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ أي: العرب ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ ﴾ استفهام، ومعناه أمر، أي: أسلموا، كما قال تعالى ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [٢] [المائدة: ٩١] ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ ﴾ فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال لليهود: ((**أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته؟**)) فقالوا: معاذ الله، وقال للنصارى: ((**أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله؟**)) فقالوا: معاذ الله أن يكون عبداً، فقال عز وجل: ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ ﴾ أي: تبليغ الرسالة وليس إليك الهداية [١٧٠/ب] ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: اليهود والنصارى يجحدون القرآن ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ حمزة (ويقاتلون الذين) بضم الياء وفتح القاف وألف بعدها وكسر التاء من المفاعلة،[٣] كان الوحي يأتي أنبياء بني إسرائيل، ولم يكن يأتيهم كتاب، فيُذكِّرون قومَهم فيُقتلون، فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم، فيُذكِّرون فيُقتلون أيضاً، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس.[٤]

سئل رسول الله ﷺ، أيُّ الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: ((**رجل قتل نبياً، أو قتل رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر**)) ثم تلا هذه الآية، إلى ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ثم قال: ((**قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقُتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه وأنزل الآية فيهم**))[٥]

أكثر القراء شيوخاً، ت١٥٤هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ١٠٠} وغاية النهاية {١/ ٢٨٨}

(١) أثبت نافع وأبو عمرو وأبو جعفر الياء وصلا، ويعقوب وصلا ووقفا، والباقون بحذفها في الحالين. النشر {٢/ ٢٤٧} إتحاف فضلاء البشر {١/ ٣٤٨}.

(٢) في ب زيادة: أي: انتهوا.

(٣) السبعة {٢٠٣} النشر {٢/ ٢٣٨}.

(٤) قاله ابن جريج ومعقل بن أبي مسكين، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٢٨٥} والبغوي {١/ ٤٢٣}.

(٥) في إسناده أبو الحسن مولى بني أسد، وهو مجهول، تخريج أحاديث الكشاف {٢٥} وأوله صحيح بلفظ: ((**أشد الناس عذابا يوم القيامة: رجل قتله نبي، أو قتل نبيا...**)) وانظر السلسلة الصحيحة {١٨٢}.

﴿فَبَشِّرۡهُم﴾ أي: أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ أي: وجيع، وأدخل الفاء على تقدير إلقاء (إنّ) أي: الذين يكفرون ويقتلون الأنبياء فبشرهم، إذ لا يقال: إن زيداً فقائم، ولا تدخل الفاء في خبر الذي، حتى يكون الفعل في صلته، ولم يدخل عليه عامل يغير معناه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ﴾[١٧١/أ] أي: بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝﴾

دخل رسول الله ﷺ على اليهود بيت المِدْراس، فدعاهم إلى الله تعالى، فقال له [نعيم بن عمرو والحارث بن زيد:][١] على أيِّ دين أنت يا محمد؟ فقال: **((على ملة إبراهيم))** قال: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال ﷺ: **((فهلموا إلى التوراة فهي بيني وبينكم))** فأبوا عليه، فنزل ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٢] أي: اليهود ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: دعي اليهود إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه، أو أن الله تعالى جعل القرآن حكماً فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه،[٣] أو هو التوراة، أو أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا، وكان في كتابهم الرجم، فكرهوا رجمهما؛ لشرفهما، فرفعوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فحكم ﷺ بالرجم، فقال النعمان بن أوفى، وبحري بن عمرو:[٤] جُرتَ عليهما يا محمد، ليس عليهما الرجم، فقال ﷺ: **((بيني وبينكم التوراة))** قالوا: قد أنصفتنا، قال: **((فمن أعلمكم بالتوراة؟))** قالوا: رجل أعور يسكن فدك، يقال له: ابن صوريا،[٥] فأرسلوا إليه فقدم المدينة، وكان جبريل قد وصفه لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: **((أنت ابن صوريا؟))** قال: نعم، قال: **((أنت أعلم اليهود؟))** قال:كذاك يزعمون، فدعا رسول الله ﷺ [١٧١/ب] بشيء من التوارة، فيه الرجم مكتوب، فقال له: **((اقرأ))** فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: يا رسول الله، قد جاوزها، وقام فرفع كفه عنها، ثم قرأ على رسول الله ﷺ، وقرأ على اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت [عليهم][٦] البينة رُجما،

---

(١) في النسختين: نعيم بن الحارث بن زيد، ولعل الصحيح ما أثبت من مصدر التخريج في الهامش التالي.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري {٦/ ٢٨٨} من طريق محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق، وهو مجهول، وانظر: سيرة ابن هشام {١/ ٥٥٢} والدر المنثور {٣/ ٤٩٤} وتخريج الأحاديث والآثار {١/ ١٨٠}.

(٣) قاله ابن عباس ﷺ، البغوي {١/ ٤٢٤}.

(٤) وهما من يهود بني قينقاع ومن أعداء النبي ﷺ. سيرة ابن هشام {١/ ٥١٤}.

(٥) عبد الله بن صوريا الفطيوني الأعور، من علماء اليهود وأحبارهم، سيرة ابن هشام {١/ ٥٤٩}.

(٦) في النسخة ب: عليهما.

وإن كانت المرأة حُبلى تُربِّص بها، حتى تضع ما في بطنها، فأمر ﷺ باليهوديين فرُجما، فغضب اليهود لذلك وانصرفوا، فنزل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] أي: التوراة.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي: فكيف حالهم ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو يوم القيامة، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: وفرت جزاء كسبها، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ سأل رسول الله ﷺ الله تعالى أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية،[2] أو لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وعد أمته ملك فارس والروم، قالت المنافقون: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم؟ هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة؟ فأنزل الله تعالى [١٧٢/أ] هذه الآية،[3] ومعنى ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فلما حذف حرف النداء زيدت الميم في آخره، أو معناه يا الله أُمّنا بخير، أي: اقصدنا، حذف حرف النداء، كقولهم: هلمّ إلينا، أصله هل أم إلينا، حذفت الهمزة استخفافاً، وخففوا أيضاً فقالوا: لاهمّ ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: مالك العباد وما ملكوا، أوملك السموات والأرض، وقال تعالى في بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك، ومالك الملك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإنِ العبادُ أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، ولا تشتغلوا بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم.[4]

---

(١) رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٤} وانظر: سيرة ابن هشام {١/ ٥٦٤- ٥٦٥} وأخرج نحوه الطبري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه راو لم يسم {١٠/ ٣٠٣- ٣٠٥} وأصل الخبر في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وليس فيه سبب نزول الآية. {١٧٠٠} وسيذكره المصنف في سورة المائدة بلفظ آخر ص {٣٧٣}.

(٢) أخرجه الطبري {٦/ ٣٠٠} والواحدي في أسباب النزول {١٠٠} عن قتادة مرسلا.

(٣) قول ابن عباس رضي الله عنه ذكره الواحدي في أسباب النزول {١٠٠} وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: لم أجد له إسنادا. {٢٥} والمشهور في السير أن النبي ﷺ ذكر ذلك في غزوة الخندق.

(٤) تفسير البغوي {١/ ٤٢٥}.

﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ أي: ملك النبوة،[١] أو تؤتي الملك محمداً وأصحابه[٢] ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ أبي جهل وأصحابه، ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ أي: تعز المهاجرين والأنصار، وتذل فارس والروم،[٣] أو تعز محمداً ﷺ وأصحابه حتى دخلوا مكة، وتذل أبا جهل وأصحابه حتى حُزَّت رؤوسهم وأُلقوا في القليب، أو تعز من تشاء بالإيمان، وتذل من تشاء بالكفر،[٤] أو تعز من تشاء بالطاعة، وتذل من تشاء بالمعصية، أو تعز من تشاء بالنصر، وتذل من تشاء بالقهر، أو تعز بالغنى وتذل بالفقر، أو تعز بالقناعة والرضى، وتذل بالحرص والطمع ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ أي: الخير والشر، فاكتفى بذكر أحدهما، كقوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ أي: تدخل حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات، وبالعكس فما نقص من هذا [١٧٢/ب] زاد في هذا، وحُكي أن بعض البقاع على خط الاستواء لا يزيد فيها ليل ولا نهار، وفيه نظر، والآية عامة.[٥]

﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ نافع وحفص[٦] وحمزة والكسائي ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ و﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [فاطر: ٩] و ﴿ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [الأعراف: ٥٧] وشبهه إذا كان قد مات بالتشديد، ومن بقي بالتخفيف،[٧] وكلُّهم شدد مالم يمت، نحو: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] وهما لغتان، أبو عمرو: المثقل ما لم يمت بعد وسيموت، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ والمخفف مافارقته الروح، هذا أشهر اللغات.

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، انظر الطبري {٦/ ٣٠٠} والبغوي {١/ ٤٢٥} والدر المنثور {٣/ ٤٩٩}.

(٢) قاله الكلبي ومقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٦} وزاد المسير {١/ ٣٦٩}.

(٣) قول عطاء، البغوي {١/ ٤٢٦}.

(٤) في ب زيادة: والضلالة.

(٥) بل ثبت أن بعض البلدان الواقعة على خط الاستواء متَساوٍ فيها طول الليل والنهار. معجم البلدان {٢/ ٢٧٨}

(٦) هو حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي، مولاهم الغاضري، الكوفي المقرئ، صاحب عاصم وابن زوجته، كان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم، توفي سنة ١٨٠ هـ انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ١٤٠} غاية النهاية {١/ ٢٥٤}.

(٧) السبعة {٢٠٥} النشر {٢/ ٢٢٤} اتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٧٣}

أي: يخرج الحيوان من النطفة وهي ميْتة، وتخرج النطفة من الحيوان،[١] أو الفرخ من البيضة والبيضة من الطير،[٢] أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن،[٣] فالمؤمن حيّ والكافر ميّت الفؤاد.

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أو يخرج النبات[٤] الطري من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النامي،[٥] أو ﴿ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ السقطة من لسان العارف،[٦] ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: من غير تضييق ولا تقتير.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كان الحجاج بن عمرو [و][٧]ابن أبي الحقيق وقيس بن زيد،[٨] بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير[٩] و[سعد][١٠] بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم،[١٧٣/أ] فنزلت هذه الآية،[١١] أو نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، وكانوا يظهرون

---

(١) قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي، انظر تفسير الطبري {٦/ ٣٠٤} والبغوي {١/ ٤٢٦} والدر المنثور {٣/ ٥٠٠} تفسير الماوردي {١/ ٣٨٥}.

(٢) قاله عكرمة والكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٦} الطبري {٦/ ٣٠٦}.

(٣) قول ابن عباس والحسن وعطاء، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٠٦} والبغوي {١/ ٤٢٦} وزاد المسير {١/ ٣٧٠}.

(٤) في ب زيادة: الغض.

(٥) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٦}

(٦) وهذا تفسير إشاري، كما هو واضح، وانظر البحر المحيط {٦٧٣}.

(٧) ساقط في النسختين والتصحيح من الطبري.

(٨) وهؤلاء من اليهود.

(٩) عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي، شهد العقبة وبدرا واستشهد بأحد، وكان أمير الرماة فيها. ت ٣هـ الإصابة {٤/ ٣٥} سير أعلام النبلاء {٢/ ٣٣١}.

(١٠) في المخطوط سعيد، والمثبت من مصدر الترجمة، وهو سعد بن خيثمة بن الحارث الأنصاري، أحد النقباء بالعقبة، استشهد يوم بدر. وانظر: الإصابة {٣/ ٥٥}.

(١١) أخرجه الطبري {٦/ ٣١٤} عن ابن عباس ﷺ، والواحدي {١٠٢} وعزاه في الدر المنثور {٣/ ٥٠٥} لابن إسحاق وابن أبي حاتم.

المودة لكفار مكة،[١] أو نزلت في المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه،[٢] كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالأخبار، يرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ.

﴿ ومَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ﴾ أي: موالاة الكفار في نقل الأخبار إليهم، وإظهارهم على عورة المسلمين ﴿ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ ﴾ أي: في دين الله.

أبو حاتم:[٣] الوقف هنا كاف، وفيه نظر؛ لأن بعده حرف الاستثناء [إلا أن يجعل حرف الاستثناء][٤] الذي هو إلا، بمعنى اللهم، والله أعلم بكتابه.

﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾ أي: إلا أن تخافوا منهم مخافة، وقرئ: (تقيَّة)[٥] كبقية؛ لأنها كتبت بالياء ولم تكتب بالألف، نحو نواة وحصاة، وهي مصدر، يقال تَقَيْتُه تقاةً وتقىً وتقيَّة وتقوى، ومصدر اتقيت اتقاءً، ومصدر تتقوا اتقاءً، وأوقع تُقاةً موقع اتقاءً؛ لأن اللفظين إذا اتحد معناهما جاز إيقاع مصدر أحدهما موقع الآخر، كقوله: ﴿ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلاً ﴾ [المزمل: ٨] ومعنى الآية: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم مباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ دفعاً عن نفسه، من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يُظهِر الكفارَ على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] ثم هذا رخصة، فلو صبر [١٧٣/ب] حتى قتل فله أجر عظيم، وأنكر قوم التقيَّة اليوم، منهم معاذ ومجاهد قالا: كانت التقية في جِدَة الإسلام قبل استحكام الدِّين وقوة المسلمين، وأما اليوم فقد أعز الله تعالى الإسلام، فلا ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم،[٦]

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان وابن حيان، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣١٤} والعجاب {٢/ ٦٧٦} وزاد المسير {١/ ٣٧١}.

(٢) قاله الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: أسباب النزول للواحدي {١٠٢} البغوي {١/ ٤٢٨}.

(٣) أبو حاتم: سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري، المقرئ النحوي، ت ٢٥٥هـ سير أعلام النبلاء {١٢/ ٢٦٨}.

(٤) مابين المعكوفين زيادة من ب.

(٥) وهي قراءة متواترة، قرأ بها يعقوب الحضرمي وحده، انظر: النشر {٢/ ٢٣٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٧٤}.

(٦) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٨} القرطبي {٤/ ٣٨} وهذه في حال دون حال.

وعن الحسن[1] أنه كان يقول: لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، في أيام الحجاج، فقال سعيد بن جبير:[2] "ليس في الإسلام تقية، إنما التقية في أهل الحرب."[3]

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ أي: عقوبته على موالاة الكفار ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾

﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ أي: من مودة الكفار ﴿ أَوۡ تُبۡدُوهُ ﴾ أي: من موالاتهم، أو إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب أو تظهروه، بحربه وقتاله ﴿ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ ﴾ رُفع ﴿ وَيَعۡلَمُ ﴾ على الاستئناف ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ أي: إذا كان لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء فكيف تخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩ ﴾

﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ ﴾ نُصب (يوم) على الظرف، أو بإضمار فعل ﴿ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا ﴾ أي: لم تُبخس منه شيئا، ﴿ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾ خبر في موضع نصب، أي: تجد محضراً ما عملت من الخير والشر، فتُسر بما عملت من الخير، وجعله بعضهم خبراً مستأنفاً، وعليه ما قرئ: وما عملت من سوء ودَّت [١/١٧٤] لو أن بينها وبينه"[4] ﴿ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ ﴾ أي: بين السوء وبين النفس ﴿ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ ﴾ أي: مكاناً بعيداً،[5] أو الأمد الأجل والغاية التي ينتهي إليها،[6] أو يسر أحدهم ألا يلقي عمله أبداً،[7] أو يود أنه لم يعلمه.[1] ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ ﴾

---

(١) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى زيد بن ثابت، نشأ بوادي القرى، وكان فصيحا عالما رفيعا ثقة مأمونا عابدا ناسكا كبير العلم. ت١١٠هـ الطبقات لابن سعد {٧/ ١٥٦} سير أعلام النبلاء {٤/ ٥٦٣}

(٢) سعيد بن جبير الوالبي، الفقيه المحدث المفسر، أحد علماء التابعين، من أكثر تلاميذ ابن عباس ﷺ رواية ودقة وتحريا في النقل عنه، وكان حريصا على تدوين ما يسمعه منه، وقرأ عليه القرآن، وكان يقول له ابن عباس ﷺ: انظر كيف تحدث عني، فإنك قد حفظت عني حديثا كثيرا. سير أعلام النبلاء {٤/ ٣٢١} طبقات المفسرين للأدنه وي {١/ ١٠}.

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٢٨} والثعلبي {٣/ ٤٩}.

(٤) قراءة ابن مسعود ﷺ، وابن أبي عبلة، وهي شاذة، انظر: الدر المصون {٣/ ١٢٣}وإعراب القراءات الشواذ {١/ ٣١١}.

(٥) قاله السدي، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٢٠} والبغوي {١/ ٤٢٩} والدر المنثور {٣/ ٥٠٨}.

(٦) قاله مقاتل، تفسير البغوي {١/ ٤٢٩}.

(٧) قاله الحسن، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٢١} والبغوي {١/ ٤٢٩} والدر المنثور {٣/ ٥٠٧}.

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ نزلت في اليهود، حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.[٢]

عن ابن عباس رضي الله عنهما: وقف ﷺ على قريش، وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها الشنوف، وهم يسجدون لها، فقال: **((يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل))** فقالت قريش: إنما نعبدها حباً لله، ليقربونا إلى الله زلفى،[٣] فقال تعالى: قل يا محمد: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم، أي: اتبعوا شريعتي وسنتي، فحب المؤمنين لله اتباع أمره، وإيثار طاعته، وابتغاء مرضاته، وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وعفوه عنهم[٤] ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ فلما نزلت هذه الآية، قال عبد الله بن أبيٍّ: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم، فنزل ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾[٥] أي: أعرضوا عن طاعتهما ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [١٧٤/ب] أي: لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا ﴾ قالت اليهود: نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية،[٦] أي: اصطفى هؤلاء المذكورين في الآية بالإسلام وأنتم على غير دين الإسلام.

و ﴿ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ اختار، من الصفوة، وهي الخالص من كل شيء ﴿ وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ ﴾ أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم وعمران نفسهما، كقوله تعالى: ﴿ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] أو آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم ، وآل عمران: هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وآلُه موسى وهارون، أو هو عمران بن أشهم بن ماثان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وآله مريم وعيسى عليهما السلام، أو عمران بن ماثان، وخُصوا هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم ﴿ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

---

(١) في (ب) يعمله.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي {١٠٣} والبغوي {١/ ٤٢٩}.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول {١٠٣} من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبغوي {١/ ٤٢٩}.

(٤) وهذا تأويل واضح، والحب صفة من صفات الله تعالى التي تليق بجلاله وعظمته.

(٥) انظر تفسير الثعلبي {٣/ ٥١} والعجاب {٢/ ٦٧٩}.

(٦) قاله ابن عباس رضي الله عنه انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣١} زاد المسير {١/ ٣٧٤}.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ اشتقاقها من ذرأ، بمعنى خلق، أو من الذرِّ؛ لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويسمى الآباء ذرية؛ لأنه ذري الأبناء منهم، والأولاد ذرية؛ لأنه ذرأهم الآباء،(١) و﴿ ذُرِّيَّةً﴾ نصب أي: اصطفى ذرية ﴿ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ ﴾ أي: من ولد بعض،(٢) أو بعضها من بعض في التناصر، أو بعضها على دين بعض(٣) ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾ هي حنة بنت [قاقوذ](٤) أم مريم، وعمران هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبِ موسى،[١٧٥/أ] وبينهما ألف وثمانمئة سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارَهم وملوكهم، أو عمران بن أشهم.(٥)

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ أي: جعلت الذي في بطني نذراً محرراً، والنذر: ما يوجبه الإنسان على نفسه و﴿ مُحَرَّرٗا ﴾ أي: عتيقاً خالصاً مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة،(٦) لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل مخلص محرر، حررت العبد إذا أعتقته، وكان المحرر إذا حُرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها، ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير، فإن أحب أقام فيها، وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التحرير مع التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا ومن نسله محرر لبيت المقدس،(٧) ولم يكن يحرر إلا الغلمان، ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض، فحررت أم مريم ما في بطنها، وقصتها:(٨) أن زكريا وعمران تزوجا أختين، وكانت أشباع بنت قاقوذ أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت قاقوذ أم مريم عند عمران، وكان قد أمسك عن حنة الولد، حتى أسنَّت، وكانوا أهل بيت من الله تعالى بمكان، فبينا هي في ظل

---

(١) لسان العرب وتاج العروس، مادة: ذرأ.

(٢) انظر: تفسير الماوردي {١/ ٣٨٦} زاد المسير {١/ ٣٧٥}.

(٣) قالها ابن عباس وقتادة، تفسير الماوردي {١/ ٣٨٦} زاد المسير {١/ ٣٧٥}.

(٤) في (ب) فاقوذ.

(٥) تاريخ الطبري {١/ ٣٤٥}.

(٦) انظر: مجاز القرآن {١/ ٩٠} وتفسير غريب القرآن {١٠٢}.

(٧) ولم أجد دليلا على هذا، وهو مما تناقلته بعض كتب التفاسير. والله أعلم.

(٨) أوردها الطبري بسنده عن محمد بن إسحاق {٦/ ٣٣٠}.

شجرة بصرت بطائر [تطعم][(١)] فرخاً، فتحركت لذلك نفسها للولد، فدعت الله تعالى أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على[١٧٥/ب] بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها : ويحك ما صنعت؟ أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى لا تصلح لذلك؟ فوقعا معاً في هم من ذلك، فهلك عمران، وحنة حامل بمريم.

﴿ فَلَمَّا وضَعَتۡهَا ﴾ أي: ولدتها إذا هي جارية، والهاء في قوله تعالى ﴿ وضَعَتۡهَا ﴾ راجعة إلى النذيرة لا إلى (ما) ولذلك أنَّث، وكانت حنة ترجو أن يكون غلاماً، فعند ذلك ﴿ قَالَتۡ ربِّ إِنِّي وضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ أي: اعتذرت إلى الله تعالى، ﴿ وٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وضَعَتۡ﴾ أبو بكر وابن عامر[(٢)] بإسكان العين وضم التاء، إخباراً عن حنة، ومن بقي بفتح العين وسكون التاء،[(٣)] إخباراً عن الله تعالى، ﴿ ولَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾ أي: في خدمة الكنيسة، والعبّاد الذين فيها؛ لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس، ﴿ وإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ ﴾ أي: العابدة والخادمة بلغتهم، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن، ﴿ وإِنِّيٓ أُعِيذُهَا ﴾ أي: أمنعها وأجيرها ﴿ بِكَ وذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ أي: أولادها، فالشيطان الطريد اللعين، والرجيم المرمي بالشهب.

قال ﷺ: **((ما من مولود من بني آدم إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل الصبي صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها))**[(٤)][١٧٦/أ]

وقال ﷺ: **((كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بأصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب ليطعن فطعن في الحجاب))**[(٥)]

---

(١) في ب [يطعم].

(٢) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر اليحصبي، كان أهل الشام قاطبة على قراءته إلى قريب الخمسمائة، قال أحمد بن عبد الله العجلي: ابن عامر شامي ثقة، وقد ائتم به عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء. ت ١١٨ هـ انظر معرفة القراء الكبار {١/ ٨٢} وغاية النهاية {١/ ٤٢٤}.

(٣) السبعة {٢٠٤} النشر {٢/ ٢٣٩}.

(٤) أخرجه البخاري {٣٤٣١–٤٥٤٨ } ومسلم {٢٣٦٦}

(٥) أخرجه البخاري {٣٢٨٦} ومسلم {٢٣٦٦ح١٤٧} وقال ابن حجر: وقوله: في (جنبه) كذا للأكثر بالإفراد، ولأبي ذر الجرجاني (جنبيه) بالتثنية، وذكر عياض أن في كتابه من رواية الأصيلي (جنبه) بالإفراد لكن بياء مثناة من تحت بدل الموحدة، قال: وهو تصحيف، قلت: لعل نقطته سقطت من القلم فلا ينبغي أن يعد ذلك رواية والله المستعان، والمراد

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ أي: تقبل مريم من حنة مكان المحرر، وتقبل أي: [(١)] رضي، والقبول مصدر قبلَ يقبل قَبولاً، مثل الوَلوع والوَزوع، ولم يأت غير هذه الثلاثة.[(٢)]

أو التقبل: التكفل بالتربية والقيام بشأنها، ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ أي: وأنبتها فنبتت نباتاً، أو هذا مصدر من غير لفظ الفعل، وكذلك ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ أي: سلك بها سبيل السعداء، ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ أي: سوَّى خلقها، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام[(٣)] ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ لما وضعت حنة مريم لفتها في خرقة، وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار، أبناء هارون، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة، فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار؛ لأنها كانت بنت إمامهم، وصاحب قربانهم، فقال زكريا: أنا أحقكم بها؛ لأن خالتها عندي، فقال الأحبار: لا تفعل ذلك، فإنها لو تركت لأحق الناس، لتركت لأمها، ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر الجار، وهو الأردن، فألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها،[(٤)] أوكان على كل قلم اسم كل واحد منهم،[١٧٦/ب] أو كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء، فارتزّ [(٥)] قلم زكريا فارتفع فوق الماء، وثبت كأنه في طين، وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر،[(٦)] أو جرى قلم زكريا مصعداً إلى أعلى الماء، وجرت أقلامهم إلى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم، وكان رأسَ الأحبار ونبيَّهم ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ الكوفيون[(٧)] بتشديد الفاء، أي: ضمَّنها الله تعالى زكريا وضمها إليه بالقرعة، ومن بقي بالتخفيف،[(٨)] أي: ضمها زكريا إلى

بالحجاب، الجلدة التي فيها الجنين أو الثوب الملفوف على الطفل. اهـ فتح الباري {٦/ ٤١٢}.

(١) في ب زيادة: [قبل ورضي]

(٢) القياس في (فَعول) بفتح الفاء، أنه اسم لما يُفعل به كالوَضوء، ووردت ألفاظ أخرى بالفتح للمصدر غير ما ذكره المصنف، مثل: الوَضوء والطَهور واللَّغوب والوَقود. انظر: المزهر {٢/ ١٢٧} التحرير والتنوير {١/ ٣٤٤}.

(٣) وهذه مبالغة واضحة، لا دليل عليها ولا ريب أنها من الإسرائيليات.

(٤) راجع الطبري {٦/ ٣٤٩} وما بعدها.

(٥) ارْتَزَّ: ثبت مَكانَه وبَقي. النهاية في غريب الحديث: (رزز).

(٦) قاله محمد بن إسحاق، البغوي {١/ ٤٣٣}.

(٧) وهم عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر.

(٨) السبعة {٢٠٥} النشر {٢/ ٢٣٩}.

نفسه وقام بأمرها، وهو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدون، من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام.[١] وحمزة و الكسائي وحفص: يقصرون زكريا، والباقون يمدون، وهما لغتان.[٢] فلما أخذها زكريا بنى لها بيتاً، واسترضع لها، أو ضمها إلى خالتها أم يحيى، حتى إذا شبت فبلغت مبلغ النساء، بنى لها محراباً في المسجد، وجعل بابه في وسطها لا يُرقى إليها إلا بالسلم، مثل باب الكعبة، ولا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ أي: الغرفة،[٣] والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد،[٤] ويقال للمسجد محراب،[٥] المبرد: لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرج[٦]، وكان زكريا إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل غرفتها ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ ﴾ أي: فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء،[٧] فعند ذلك [١٧٧/أ] ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ ﴾ أي: من أيِّ جهة؟ لأن أنَّى للسؤال عن الجهة، وأين للسؤال عن المكان[٨] ﴿ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: من قطف الجنة، أو أن مريم لما وُلدت لم تلقم ثديا قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: من عند الله، تكلمت وهي صغيرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧ ﴾ فعند ذلك قال زكريا: إن الذي قدر على الإتيان بالفاكهة في غير حينها، قادر على أن يصلح زوجي، ويهب لي ولداً في غير حينه على الكبر فطمع في الولد، وكان أهل بيته قد انقرضوا، وكان زكريا قد شاخ وأَيس من الولد.

---

(١) البداية والنهاية {٢/ ٥٦}.

(٢) السبعة {٢٠٥} النشر {٢/ ٢٣٩}.

(٣) قاله الأصمعي، تفسير غريب القرآن {١٠٤} والبحر المحيط {٢/ ٦٩٠}.

(٤) قاله أبو عبيدة، مجاز القرآن {١/ ٩١}.

(٥) تفسير غريب القرآن {١٠٤}.

(٦) فتح القدير {٤/ ٣٨٤}.

(٧) قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي، وغيرهم، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٥٤} والدر المنثور {٣/ ٥٢٣} وتفسير ابن كثير {٢/ ٣٢}.

(٨) (أنى) لفظ مشترك بين الاستفهام والشرط، والمصنف تبع النحاس في معناها في هذا الموضع، وجل المفسرين على أن المعنى هنا: من أين لكِ هذا؟ وهو كذا عند أبي عبيدة وابن قتيبة وغيرهما، مجاز القرآن {٢/ ٩١} معاني القرآن للنحاس {١/ ١٣٥} تفسير غريب القرآن {١٠٤}.

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾ أي: عند ذلك، فدخل المحراب وغلق الأبواب وناجى ربه ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ أي: أعطني من عندك ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضياً، والذرية تكون واحداً وجمعاً، وذكراً وأنثى، وهي[1] هنا واحد، بدليل قوله: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[مريم: ٥] وأنث ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيث لفظ الذرية ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي: مجيبه، أو سامعه.

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ حمزة والكسائي ﴿فَنَادَىٰهُ ﴾ بالياء،[2] ومن بقي بالتاء،[3] لتأنيث لفظ الملائكة وللجمع، مع أن الذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة، كان التأنيث فيها أحسن،كقوله تعالى:[١٧٧/ب] ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ﴾ [الحجرات: ١٤] .

عن إبراهيم[4] قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عنه يُذكِّر الملائكة في القرآن.[5]

---

(١) في (ب) زيادة (ها).

(٢) عبر المؤلف بالياء وأراد بها الألف الممالة، لأنهما يقرآن (فناداه).

(٣) السبعة {٢٠٥} النشر {٢/ ٢٣٩} البدور الزاهرة {٦٤}.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، أدرك جماعة من الصحابة ولم يحدث عنهم، فقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيرا، مات وهو مختف من الحجاج سنة ١٩٦هـ تهذيب الكمال {٢/ ٢٣٣}.

(٥) انظر: الدرالمنثور، وعزاه السيوطي لابن المنذر {٣/ ٥٢٧} وتفسير البغوي {١/ ٤٣٥}.

أبو [عبيدة]:[١] إنما نرى عبد الله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم: الملائكة بنات الله.[٢]
ابن مسعود: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء، وذكِّروا القرآن.[٣]

والمراد بالملائكة هنا: جبريل وحده،[٤] ويجوز الإخبار في العربية عن الواحد بلفظ الجمع، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ يعني نعيم بن مسعود[٥] ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾[آل عمران: ١٧٣] أي: أبو سفيان،[٦] أو بأن يكون القائل عظيماً في نفسه فيخبر عنه بلفظ الجمع؛ إذ هو رئيس، وكان جبريل عظيمَ الملائكة ورئيسَهم، ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد؛ كان زكريا هو الحبر الكبير الذي يقرب القربان، ويفتح المذبح فلا يدخلون إلا بإذنه، فبينا هو قائم يصلي في المسجد عند المذبح، والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول، إذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض، ففزع منه فناداه، وهو جبريل، يا زكريا: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ ابن عامر وحمزة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ بكسر الهمزة على إضمار القول، أي: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فقالت: (إن الله) ومن بقي بالفتح[٧] أي: فنادته الملائكة بأن الله، وحمزة ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ وبابه في كل القرآن بالتخفيف، إلا

---

(١) في النسختين عبيد، والتصحيح من المصادر الآتية في الهامش التالي. وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي العلامة، من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم، صاحب التصانيف الكثيرة، كان عالما بالشعر والغريب والأخبار والنسب، ولا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح ت٢١٠هـ تهذيب الكمال {٢٨/ ٣١٦} سير أعلام النبلاء {٩/ ٤٤٥}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٥} والقرطبي {٤/ ٤٨}.

(٣) أورده البغوي عن الشعبي {١/ ٤٣٥} والمصنف لابن أبي شيبة {٦/ ١٥٢}.

(٤) وهذا على قراءة حمزة والكسائي، والقول الثاني: أنها جماعة من الملائكة، ليس جبريل وحده. وانظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٦٥}.

(٥) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، أسلم وهاجر إلى رسول الله ﷺ في الخندق، وهو الذي خذَّل المشركين يومئذ، سكن المدينة ومات في خلافة عثمان ﷺ. الإصابة {٦/ ٤٦١}.

(٦) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، والد معاوية، وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين، أسلم عام الفتح وشهد حنينا والطائف، وكان من المؤلفة، تزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم، توفي في خلافة عثمان ﷺ. الإصابة {٣/ ٤١٢}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٣٩}.

قولـه تعـالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] اتفقـوا عـلى تشـديدها، وافقـه الكسـائي هنـا[١] وفي سـبحان[٢] والكهف[٣] وعسق،[٤] ووافق ابن كثير[٥] وأبو عمرو في ﴿عَسَقَ﴾ والباقون بالتشـديد،[١٧٨/أ] فالتشـديد مـن بشَّر يبشِّر تبشيراً، ومن خفف فهو من بشَر يبشُر، والأولى أشـهر.[٦] ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا﴾ لا ينصرف (يحيى) لمعرفته، وللزائد في أوله كيزيد، وسمي يحيى؛ لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه،[٧] أو أن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان،[٨] أو أن الله تعالى أحياه بالطاعة، حتى لم يعص ولم يهُمَّ،[٩] أو هو اسم موضوع غير مشتق، و﴿مُصَدِّقًا﴾ نصبٌ، حالٌ ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عيسى؛ وسـمي كلمـةً؛ لأن الله تعـالى قـال: كـن مـن غـير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة؛ لأنه بها كان،[١٠] أو سمي كلمةً؛ لأنه يهتدى به كما يهتـدى بكـلام الله؛[١١] أو هي بشارة الله تعالى مريم بعيسى بكلامه على لسان جبريل؛ أو لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبياً بلا أب، فسماه كلمـة [بحصـوله][١٢] بـذلك الوعـد،[١٣] أو بكلمـة مـن كتـاب الله تعـالى

---

(١) في الموضعين من هذه السورة.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٩].

(٣) قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الكهف:٢].

(٤) قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى:٢٣].

(٥) أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب الداري المكي، إمام المكيين في القراءة، أحد القراء العشرة، كان فصيحا بليغا مفوها، عليه سكينة ووقار ت١٢٠هـ معرفة القراء الكبار {١/ ٨٦} وغاية النهاية {٢/ ٤٤٣} والنشر {١/ ١٢٠}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٣٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٧٧}.

(٧) قاله ابن عباس، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٦}.

(٨) قاله قتادة، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٧٠} والبغوي {١/ ٤٣٦}.

(٩) قاله الحسن بن الفضل، انظر: زاد المسير {١/ ٣٨٢}.

(١٠) قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، انظر: زاد المسير {١/ ٣٨٢}.

(١١) روي ذلك عن أبي الجبائي. روح المعاني {٦/ ٢٤}.

(١٢) في (ب) لحصوله.

(١٣) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي {١/ ٤٣٦}.

وآياته،(١) كما يقال: كلمة فلان أي: قصيدته، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر(٢) ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي: الرئيس المتبوع، من ساد يسود، أو سيداً في الدين،(٣) أو السيد الذي يطيع ربه،(٤) أو السيد الفقيه العالم،(٥) أو السيد الورع العالم العابد،(٦) أو الحليم الذي لا يغضبه شيء،(٧) أو الكريم على الله تعالى،(٨) أو التقي،(٩) أو الذي لا يحسد،(١٠) أو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير،(١١) القانع بما قسم الله تعالى،(١٢) [١٧٨/ب] أو السخي.

قال ﷺ: **((من سيدكم يا بني سلمة؟))** قالوا: جد بن قيس،(١٣) على أنّا نبخّله، قال: **((وأي داء أدوأ من البخل؟ لكن سيدكم عمرو بن الجموح(١٤)))**.(١٥)

---

(١) قول أبي عبيدة وأهل البصرة، مجاز القرآن {١/ ٩١} وقد رد الطبري هذا التفسير {٦/ ٣٧٣}.

(٢) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٧٢} والبغوي {١/ ٤٣٦} والدر المنثور {٣/ ٥٣٠}.

(٣) قاله المفضل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٦}.

(٤) قول سعيد بن جبير، البغوي {١/ ٤٣٦}.

(٥) قول سعيد بن المسيب، الطبري {٦/ ٣٧٦} البغوي {١/ ٤٣٦} تفسير الماوردي {١/ ٣٩٠}.

(٦) قول قتادة، انظر الطبري {٦/ ٣٧٤} والبغوي {١/ ٤٣٦}.

(٧) قاله عكرمة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٦} والطبري {٦/ ٣٧٦} والدر المنثور {٣/ ٥٣١}.

(٨) قول مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٤٣٦} والطبري {٦/ ٣٧٥}.

(٩) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول الضحاك، تفسير الطبري {٦/ ٣٧٥}.

(١٠) قول سفيان الثوري، البغوي {١/ ٤٣٦}.

(١١) قاله الزجاج، انظر معاني الزجاج {١/ ٤٠٦}.

(١٢) قاله أحمد بن عاصم، انظر: تفسير الثعلبي {٣/ ٦٣}.

(١٣) الجد بن قيس بن صخر الأنصاري السلمي، ابن عم البراء بن معرور، تخلف يوم الحديبية عن البيعة، ساد في الجاهلية جميع بني سلمة فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده وسود فيهم عمرو بن الجموح ﷺ، مات في خلافة عثمان ﷺ. الإصابة {١/ ٤٦٨}.

(١٤) عمرو بن الجموح بن زيد الأنصاري السلمي، شهد العقبة وبدرا وقتل يوم أحد شهيدا، دفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد، وكانا صهرين متصافيين، وكان أعرجا. الإصابة {٤/ ٦١٥}.

(١٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر ﷺ، {٢٩٦} والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس ﷺ {١٢١١٦} والأوسط من حديث أبي هريرة ﷺ {٣٦٥٠} والصغير من حديث كعب بن مالك ﷺ {٣١٧} وصححه

﴿وَحَصُورًا﴾ أصله الحصر وهو الحبس، أو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن،[(١)] وهو فعول بمعنى فاعل، أي: يحصر نفسه عن الشهوات، أو العنِّين، فيكون الحصور الممنوع عن النساء.

ابن المسيب:[(٢)] كان ليحيى مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغضّ لبصره،[(٣)] أو أن الحصور الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه، وقد اختير هذا القول؛ لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى الثناء،[(٤)] والحصور أيضا الذي لا يحضر الميسر ولا يدخل مع الداخلين فيه،[(٥)] فلو صرف هذا المعنى إلى يحيى لم يكن بعيداً؛ لأنه لا يحضر الأباطيل، ولا يدخل في العبث والغضب، والحصور أيضاً الكتوم للسر.[(٦)] ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: قال لجبريل: ياسيدي،[(٧)] أو قاله لله عز وجل، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: وقد بلغت الكبر فقد شِخت، كما يقال بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، أوقد نالني الكبر وأضعفني؛ لأنه بشر بالولد وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، أو ابن تسع وتسعين، أو ابن عشرين ومائة،

الألباني في صحيح الأدب المفرد {٢٢٧}.

(١) قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء والحسن وابن قتيبة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٧} تفسير غريب القرآن {١٠٥} الطبري {٦/ ٣٧٩}.

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن أبو محمد القرشي المخزومي، أحد الفقهاء السبعة، وسيد التابعين في زمانه، من أعلم الناس بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وزوج ابنته، ت٩٤هـ سير أعلام النبلاء {٤/ ٢١٧} الطبقات {٥/ ١١٩}.

(٣) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٧٨} والبغوي {١/ ٤٣٧}.

(٤) وذكر البغوي علة أخرى: أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء. {١/ ٤٣٧} وقال ابن كثير في تفسيره: والمقصود أن مدح يحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولدا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم.اهـ {٢/ ١٣٦}.

(٥) قاله المبرد، انظر تفسير الثعلبي {٣/ ٦٥}.

(٦) انظر: مجاز القرآن {١/ ٩٢} ولسان العرب مادة: حصر.

(٧) قاله الكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٧} وهذا تفسير مخالف لظاهر الآية، والله أعلم.

وامرأته بنت ثمان وتسعين،[1] فذلك قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞ﴾أي: عقيم لا تلد، يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقُر بضم القاف [١٧٩/أ] يعقُر عُقراً بضم العين وعَقارةً بفتحها.[2]

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ وإنما قال زكريا بعدما وعده الله تعالى، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ لأنه لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان، فقال: يا زكريا، إن الصوت الذي كنت تسمعه ليس من الله، إنما هو الشيطان، لو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحى إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعاً للوسوسة،[3] أو أنه لم يشك في وعد الله تعالى، وإنما شك في كيفيته، أي: كيف ذلك؟ أتجعلني وامرأتي شابين، أم ترزقنا ولدا على الكبر منّا، أم ترزقني من امرأة أخرى.[4]

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي: علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي، فأزيد في العبادة شكراً لك ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ أي: تكف عن الكلام، وتقبل بكليتك على عبادتي، لا أنه حُبس لسانه، لكنه نهي عنه وهو صحيح سوي، ودليله قوله تعالى، ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١﴾ فأمره ونهاه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، أو أُمسك لسانُه عقوبة له؛[5] لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام، ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ أي: إشارة، والإشارة قد تكون باللسان وبالعين واليد،وكانت إشارته بالإصبع المسبحة، أو الرمز قد يكون باللسان من غير بيان، وهو الصوت الخفي، شبه الهمس،[6] أو أراد صوم ثلاثة أيام؛ لأنهم كانوا إذا صاموا[١٧٩/ب]لم يتكلموا إلا رمزاً ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١﴾ المراد بالتسبيح الصلاة، والعشي ما بين زوال

---

(١) ولا فائدة من ذكر هذه الأقوال، في تحديد العمر، قال الشنقيطي رحمه الله: لم يبيّن هنا القدر الذي بلغ من الكبر، ولكنه بيّن في سورة مريم أنه بلغ من الكبر عتيًا، وذلك في قوله تعالى عنه: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ والعتي: اليبس والقحول في المفاصل والعظام من شدة الكبر، وقال ابن جرير في تفسيره: وكل مُتَنَاهٍ إلى غايته في كبر أو فساد أو كفر فهو عات وعاس. اهـ أضواء البيان {١/ ٢١٨}.

(٢) لسان العرب، مادة: عقر.

(٣) أخرجه الطبري بسنده عن السدي {٦/ ٣٨٢}.

(٤) قول الحسن وابن كيسان، انظر: تفسير الثعلبي {٣/ ٦٦} البغوي {١/ ٤٣٧}.

(٥) قول قتادة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٨}

(٦) نقله البغوي عن الفراء {١/ ٤٣٨} وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن {١/ ٩٣}.

الشمس إلى غروبها، ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتي العشاء، والإبكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي: اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي: من مسيس الرجال، أو من الحيض والنفاس، وكانت مريم لا تحيض،[1] أو من الذنوب ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: عالمي زمانها، أو على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء، أو بالتحرير في المسجد، ولم تُحرر أنثى.

عن علي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **((خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة))**[2] وروي عن هشام بن عروة:[3] وأشار بيده إلى السماء والأرض.

وقال ﷺ: **((حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون))**[4].

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أي: أطيعي ربك، أو أطيلي القيام في الصلاة.[5]

الأوزاعي: لما قالت الملائكة لهاذلك، قامت في الصلاة حتى ورِمَت قدماها، وسالت دماً وقيحاً.[6]

﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ إنما قدم السجود على الركوع؛ لأنه كان كذلك في شريعتهم، أو كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب، بل للجمع ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ولم يقل مع الراكعات، إذ هو أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال [١٨٠/أ] والنساء، أو مع المصلين في الجماعة.[7]

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يقول لمحمد ﷺ ذلك المذكور من حديث يحيى وزكريا ومريم وعيسى ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي: أخبار الغيب ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: ذلك المذكور، ولذلك ذكّر.

---

(١) قاله ابن عباس والسدي، انظر: الدر المنثور {٣/ ٥٤١} زاد المسير {١/ ٣٨٧}.

(٢) أخرجه البخاري {٣٤٣٢- ٣٨١٥} ومسلم {٢٤٣٠}.

(٣) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، الإمام الحافظ الحجة الفقيه، قال ابن سعد: كان هشام ثقة ثبتا كثير الحديث حجة، رأى ابن عمر ﷺ ودعا له. ت ١٤٦هـ طبقات ابن خياط {١/ ٢٦٧} سير أعلام النبلاء {٦/ ٤٦}.

(٤) أخرجه البخاري {٣٤٣٣-٥٤١٨} ومسلم {٢٤٣١}.

(٥) في ب زيادة: [لربك] وهو قول مجاهد، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٣٩}

(٦) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٠} والقرطبي {٤/ ٥٤} والله أعلم بذلك.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٠}.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ﴾ أي: يا محمد ﷺ، في الماء للاقتراع ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: يربيها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ في كفالتها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ والهاء عائدة إلى عيسى، وسمي مسيحاً؛ لأنه مُسح من الأقذار، وطُهر من الذنوب، أو مسح بالبركة،[١] أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن،[٢] أو مسحه جبريل بجناحه لئلا يكون للشيطان عليه سبيل، أو مسيح القدم لا أخمص له،[٣] أو هو فعيل بمعنى فاعل، ما مَسح ذا عاهة إلا برأ،[٤] أو من السياحة في الأرض، كان يسيح ولا يقيم بمكان،[٥] أو المسيح الصديق،[٦] ويكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال، وهذا الحرف من الأضداد ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: ذا جاه وقدر ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: عند الله تعالى.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي: صغيراً قبل وقت الكلام، روي أن مريم قالت: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته،[١٨٠/ب] فإذا شغلني عنه إنسان سبح في بطني وأنا أسمع[٧] ﴿وَكَهْلًا﴾ أي: إذا اجتمع قبل أن يُرفع،[٨] أو بعد نزوله من السماء، أو أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل، وكلامه بعد الكهولة إخباره عن الأشياء المعجزة،[٩] أو ﴿وَكَهْلًا﴾ نبياً بشرها بنبوة عيسى، وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة، أو ﴿وَكَهْلًا﴾ حليماً.

والكهولة أحمَدُ أحوال الإنسان؛ إذ هي الحالة الوسطى، وفيها يكمل العقل ويجود الرأي وتَحسن التجربة، وفائدة أنه وصف أنه ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ الإيذان بتنقله من حال إلى حال، وذلك رد على من يدعي فيه الإلهية، ثم زاد ذلك بياناً بأن قال ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

---

(١) قول الحسن وسعيد، انظر الطبري {٦/ ٤١٤} وزاد المسير {١/ ٣٨٩} والدر المنثور {٣/ ٥٤٧}.

(٢) قاله أبو سليمان الدمشقي وحكاه ابن القاسم، انظر: زاد المسير {١/ ٣٨٩}.

(٣) رواه عطاء عن ابن عباس، زاد المسير {١/ ٣٨٩}.

(٤) قول ابن عباس في رواية، البغوي {١/ ٤٤٠}.

(٥) قاله ثعلب، زاد المسير {١/ ٣٨٩}.

(٦) قول النخعي، تفسير الطبري {٦/ ٤١٤} والدر المنثور {٣/ ٥٤٧} وعزاه السيوطي لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) روي عن مجاهد، وأورده المصنف بصيغة التمريض. انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٠}.

(٨) قاله مقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٠}.

(٩) تفسير الثعلبي {٣/ ٦٩}.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: لم يصبني رجل، قالت ذلك تعجباً، فعند ذلك تبارك وتعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ كما يريد تعالى علاؤه وشأنه.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ نافع وعاصم بالياء، رداً على لفظ الغيبة في قوله: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أو إن الله يبشرك بعيسى ويعلمه، ومن بقي بنون التعظيم،[١] مخبراً عن نفسه تعالى ﴿الْكِتَابَ﴾ أي: الكتابة والخط ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: ويجعله رسولاً، كان رسولاً في حال الصبا، أو إنما كان رسولاً بعد البلوغ، وأول أنبياء بني إسرائيل يوسف، وآخرهم عيسى، فلما بعث قال: [١٨١/أ] ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: علامة تصدق قولي، وقال: بآية وأتى بآيات؛ لأن الكل دل على شيء واحد، وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى لبني إسرائيل، قالوا: وما هي؟ قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ نافع بكسر الهمزة على الاستئناف، ومن بقي بالفتح[٢] أي: بأني ﴿أَخْلُقُ﴾ أي: أصوِّر وأقدِّر ﴿لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ والهيئة الصورة المهيأة، من هيأت الشيء إذا أصلحته ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: الطين ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ نافع (طائراً) واحدا أراد النوع، ولم يخلق سوى الخُفّاش، وخص بخلق الخفاش، لأنه أكمل الطير خلقاً؛ لأن لها ثدياً وأسناناً وهي تحيض.[٣]

قال وهب:[٤] كان يطير ماداموا ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً؛ ليتميز فعلُ الخلق من فعل الخالق؛[٥] وليُعلم أن الكمال لله تعالى، ومن بقي بالجمع،[٦] أراد أنه خلق طيراً كثيراً.

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ أي: أشفيهما، الأكمه: الذي وُلد أعمى،[٧] أو هو الأعمى،[٨]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٤٠} إتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٧٨}.

(٢) السبعة {٢٠٦} النشر {٢/ ٢٤٠}.

(٣) حياة الحيوان الكبرى {٣/ ٨١٠}.

(٤) وهب بن منبه الصنعاني، الأخباري القصصي، عنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، أخذ عن ابن عباس وجابر وابن عمر ﷺ وغيرهم، قال العجلي: كان ثقة تابعيا. ت١١٤هـ الطبقات الكبرى {٥/ ٥٤٣} وسير أعلام النبلاء {٤/ ٥٤٤}.

(٥) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤١} وزاد المسير {١/ ٣٩٢}.

(٦) أي بقية القراء. السبعة {٢٠٦} النشر {٢/ ٢٤٠}.

(٧) قاله ابن عباس وقتادة وابن قتيبة والزجاج، انظر الطبري {٦/ ٤٢٨} والبغوي {١/ ٤٤١} وزاد المسير {١/ ٣٩٢}.

(٨) ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمر عن قتادة، وبه قال الحسن والسدي، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٢٩} والبغوي

أو هو الذي يبصر بالنهار دون الليل[١] ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ الذي به وضح، وإنما خص هذين؛ لأنهما داءا إعياء، وكان عيسى قد بعث في زمن الطب، فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

وهب قال: اجتمع على عيسى في اليوم الواحد من المرضى خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يُطق مشى إليه عيسى، وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان.[٢]

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [١٨١/ب] قال ابن عباس: أحيا أربعة أنفس، عازر وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، أما عازر فكان صديقاً له، فأرسلت أخته إلى عيسى: أن أخاك عازر مات، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاث، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازر وودكه يقطر، فخرج من قبره ووُلد له، وأما ابن العجوز فمُرَّ به ميتاً على عيسى، على سرير يُحمل، فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلد له، وأما ابنة العاشر فكان رجلٌ يأخذ العشور،[٣] ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله فأحياها وبقيت وولد لها، وأما سام بن نوح، فإن عيسى جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه؛ خوفاً من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكن دعوتك باسم الله تعالى الأعظم، ثم قال: مت، قال: بشرط أن يعيذني الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى ففعل.[٤]

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ أي: مما لم يعاينه، كان يخبر الرجل بما أكل البارحة، وبما يأكل اليوم.

السدي:[٥] كان عيسى في الكتَّاب يحدِّث الغلمان بما يصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق [١٨٢/أ] فقد أكل أهلك كذا وكذا، فيذهب الغلام إلى أهله ويبكي عليهم، حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون

{١/ ٤٤١} وزاد المسير {١/ ٣٩٢}.

(١) قول مجاهد والضحاك، انظر تفسير الطبري {٦/ ٤٢٨} والبغوي {١/ ٤٤١}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٢} ولعله من الإسرائيليات، ولذلك قال الطبري: وزعم وهب ... {٦/ ٤٣١}.

(٣) الذي يأخذ العُشر من أموال الناس. لسان العرب، مادة: عشر.

(٤) تفسير البغوي {١/ ٤٤٢}.

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي، المفسر، وهو السدي الكبير، قال أحمد بن حنبل: السدي ثقة. وقال ابن عدي: له

من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى، فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر، فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا: ليسوا هنا، قال: فما في هذا البيت؟ قالوا: خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير،(١) ففشا ذلك في بني إسرائيل، فهمت به بنو إسرائيل، فلما خافت عليه أمه حملته على حُمَيِّرٍ لها، وخرجت هاربة إلى أهل مصر. أو إنما كان هذا في المائدة، وكانت خِواناً تنزل عليهم أين كانوا، كالمنِّ والسلوى لغيرهم، فأمروا أن لا يخونوا ولا يخبئوا، فخانوا وخبؤوا لغد، فأخبرهم عيسى بما أكلوا من المائدة وما ادَّخروا منها، فمسخهم الله تعالى خنازير.(٢) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على ﴿وَرَسُولًا﴾ لفظا، وحال معنى، وتقديره وجئتكم مصدقا، ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: من اللحوم والشحوم.

أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، أي: كل الذي حُرم عليكم، ويُذكر البعض ويراد به الكل.(٣)

كقول لبيد:(٤) أو يرتبط بعض النفوس حمامها

﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: المذكور من الآيات ووحَّدها؛ لكونها جنسا واحدا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾(٥)

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: وجد،(٦) أو عرف،(١) أو رأى(٢) ﴿مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ أي: وأرادوا قتله استنصر عليهم ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ لأن الله تعالى لما أرسله إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة، نفته بنو إسرائيل،

أحاديث يوردها عن عدة شيوخ، وهو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به. ت١٢٧هـ الطبقات الكبرى {٦/ ٣٢٣} تهذيب الكمال {٢/ ١٣٢} سير أعلام النبلاء {٥/ ٢٦٤}.

(١) انظر الطبري {٦/ ٤٣٥} والبغوي {١/ ٤٤٢}.

(٢) قاله قتادة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٢}.

(٣) مجاز القرآن {١/ ٩٤}.

(٤) هو لبيد بن ربيعة العامري، أبو عقيل الشاعر المشهور، قدم على النبي ﷺ مع وفد قومه، فأسلم وحسن إسلامه، شرف في الجاهلية والإسلام، معدود في فحول الشعراء، عاش أكثر من مائة سنة، ت٤١هـ. انظر: الإصابة {٥/ ٦٧٥}. والبيت في ديوانه {١٧٥} وفيه: يعتلق، بدل: يرتبط.

(٥) نهاية اللوحة [١٨٢/ ب] بعد قوله: (وربكم)

(٦) قاله الفراء، انظر: معاني الفراء {١/ ٢١٦}.

فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض، فنزل على رجل في قرية، فأحسن إليهما وأضافهما، وكان لتلك المدينة جبَّار معتدٍ، فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً، فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت لها مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً، قالت: لا تسأليني، قالت: أخبريني لعل الله يفرج كربته، قالت: إن لنا ملِكاً يجعل على كل رجل منَّا أن يطعمه وجنوده، ويسقيهم الخمر يوما، فإن لم يفعل عاقبه، واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة، قالت: فقولي له لا يهتم، فإني آمر ابني فيدعو له، فيُكفي ذلك، فقالت مريم لعيسى في ذلك، فقال: إن فعلت وقع شر، قالت: ولا تبال فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا، فقال، فقولي له إذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني، ففعل ذلك، فدعا الله عيسى، فتحول ماء القدور مرقاً ولحماً، وماء الخوابي خمراً لم يَرَ الناسُ مثله قط، فلما جاء الملك أكل، فلما شرب الخمرَ، قال: من أين هذا الخمر؟ قال: من أرض كذا، قال الملك: فإن خمري من تلك الأرض،[١٨٣/أ] وليست مثل هذه، قال: هي من أرض أخرى، فلما خلط على الملك واشتد عليه، قال: أنا أخبرك، عندي غلام لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك[٣] بأيام، وكان أحب الخلق إليه، فقال: إن رجلاً دعا الله أن يجعل الماء خمراً ومرقا، ليستجيبنَّ له حتى يُحيي ابني، فدعا عيسى فكلمه في ذلك، فقال عيسى: لا تفعل، فإنه إن عاش وقع شر، فقال الملك: لا أبالي أليس أراه، فقال عيسى: إن أحييته تتركوني وأمي نذهب حيث نشاء، قال: نعم، وعاهده على ذلك، فدعا الله فعاش الغلام، فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح، وقالوا: أكلَنا هذا، حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه؟ فاقتتلوا، وذهب عيسى وأمه فمرا بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نصيد السمك، قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس، قالوا: ومن أنت؟ قال: عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، فآمنوا به وانطلقوا معه.[٤]

---

(١) قاله أبو عبيدة، مجاز القرآن {١/ ٩٤}.

(٢) قاله مقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٣}.

(٣) في (ب) زيادة [اليوم].

(٤) أخرجه الطبري عن السدي {٦/ ٤٤٤} والمصنف هنا لم يورد الأثر كاملا، وهو في الدر المنثور وعزاه لابن عساكر عن ابن عباس {٣/ ٥٨٤}.

﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مـع الله، أو إلى بمعنـى: (في)[1] أي: مـن أعـواني في الله، أي: في ذات الله وسبيله، أو إلى في موضعه، معناه من يضم نصرته إلى نصرة الله تعالى، وكان الحواريون صيادين،[2] أو قصارين، أو ملاحين، أو سمُوا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي: يبيضونها.[3]

أو سلمت مريم عيسى في[١٨٣/ب]أعمال شتى، فآخر ما سلمته إلى القصارين، فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم، فاجتمعت عنده ثياب كثيرة وعرض له سفر، فقال لعيسى: إنك قد تعلمت هذه الحرفة، وأنا خارج في سفر لا أرجع عشرة أيام، فاصبغ هذه الثياب، وقد علّمتُ كل واحد منها بخيط على اللون الذي يُصبغ به، فيجب أن تكون فارغاً وقت قدومي منها، وخرج وطبخ عيسى جباً واحداً على لون واحد، وأدخله جميع الثياب، وقال: كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك، فقدم الحواري وجميع الثياب في الجب، فقال: ما فعلت؟ قال: فرغت منها، قال: أين هي؟ قال: في الجب، قال: كلها، قال: نعم، قال لقد أفسدت تلك الثياب، فقال: قم فانظر، فأخرج عيسى ثوباً أخضر، وثوباً أحمر وثوباً أصفر، على الألوان التي أرادها، فجعل الحواري يتعجب، ويعلم أن ذلك من الله تعالى، فقال للناس: تعالوا فانظروا، فآمن به هو وأصحابه، فهم الحواريون، أو سموا حواريين لصفاء قلوبهم،[4] أو لما عليهم من أثر العبادة ونورها،[5] أو هم الأصفياء،[6] لأنهم كانوا أصفياء عيسى، وكانوا اثني عشر رجلاً، أو هم الذين تصلح لهم الخلافة، أو هم الوزراء،[7] أو الناصر.[8]

ندب النبي ﷺ [الناس][9] يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال ﷺ **((إن لكل نبي حوارياً وإن حواري الزبير))**[1]

---

(١) قاله الحسن وأبو عبيدة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٤} مجاز القرآن {١/ ٩٤}.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد والسدي، انظر تفسير الطبري {٦/ ٤٤٩} والبغوي {١/ ٤٤٤}.

(٣) قاله الضحاك ومقاتل وأبو عبيدة والحسن، انظر: مجاز القرآن {١/ ٩٥} وتفسير البغوي {١/ ٤٤٤}.

(٤) قاله الضحاك، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٥٠} البغوي {١/ ٤٤٤}.

(٥) قاله ابن المبارك، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٤}.

(٦) قاله ابن عباس والكلبي وعكرمة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٤} فتح القدير {١/ ٤٤٦}.

(٧) قالهما قتادة، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٥٠} البغوي {١/ ٤٤٤}.

(٨) قاله سفيان بن عيينة، انظر: فتح القدير {١/ ٤٤٦} وهذا هو الصحيح كما قال ابن كثير في تفسيره {٢/ ٤١}.

(٩) مابين المعكوفين محذوف في (ب).

﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوان دين الله تعالى، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ﴾ أي: يا عيسى، ﴿بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ﴾ [١٨٤/أ] أي: من كتابك، ﴿وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾ أي: عيسى ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ أي: شهدوا لأنبيائك بالصدق، أو مع النبيين؛ لأن كل نبي شاهد أمته، أو مع محمد ﷺ وأمته؛[٢] لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: كفار بني إسرائيل دبروا في قتل عيسى؛ لأن عيسى عاد إليهم بعد إخراج قومه إياه وأمه مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله، وتواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ فالمكر من المخلوقين: الخبث والخديعة والحيلة، ومن الله تعالى: الاستدراج وأخذ العبد بغتة، أو مكر الله تعالى مجازاتهم على مكرهم،[٣] فسمي الجزاء باسم الابتداء، أو مكر الله تعالى في الآية خاصة إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل؛ وذلك أن عيسى استقبل رهطا فقذفوه وأمه، فدعا عليهم فمسخوا خنازير.

فلما رأى ذلك يهوذا فزع، واجتمع مع اليهود على قتله، فبعث الله تعالى جبريل فأدخله خوخة فيها روزنة[٤] فرفعه الله تعالى إلى السماء في تلك الرَّوْزَنة، فأمر يهوذا ططبانوس أن يدخل على عيسى ويقتله، فدخل فأبطأ عليهم، فظنوا أنه يقاتله، فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى، فلما خرج قتلوه وصلبوه،[٥] أو أنهم أرادوا قتله فأظلمت الأرض، وحالت الملائكة بينهم وبين عيسى، فجمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم، وقال: لَيكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة، فخرجوا عنه واليهود تطلبه، فقال أحد الحواريين ما تجعلون لي وأدلكم [١٨٤/ب] على المسيح؟ قالوا: ثلاثين درهماً، فأخذها ودلهم عليه، فلما دخل البيت ألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورُفع، فأُخذ، فقال: أنا الذي

(١) أخرجه البخاري في مواضع {٢٨٤٦- ٢٨٤٧-٢٩٩٧} ومسلم {٢٤١٥}.

(٢) قاله ابن عباس، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٥} وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد وابن المنذر من طريق الكلبي عن أبي صالح، {٣/ ٥٩٥}.

(٣) قاله الزجاج، انظر معاني الزجاج {١/ ٤١٩} والمكر صفة من صفات الله تعالى التي تليق بجلاله وعظمته، ومن آثارها وعلاماتها هنا إلقاؤه الشبه على صاحبهم لما أرادو قتل عيسى عليه السلام، ومن آثارها أخذ العبد بغتة.

(٤) الرَّوْزَنَةُ: الكُوَّةُ، وهي الخرق في أعلى السقف. لسان العرب: رزن.

(٥) ذكره الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، والإسناد ساقط لضعف الكلبي وأبي صالح.

دللتكم عليه، فلم يلتفتوا إليه وصلبوه، وجاءت مريم وامرأة أخرى تبكيان عند المصلوب، فجاء عيسى، وقال: علام تبكيان؟ إن الله تعالى رفعني ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، فلما كان بعد سبعة أيام، أمره الله تعالى بالهبوط على مريم المجدلانية،[1] في جبلها، فإنه لم يبك عليكَ أحد بكاءها، ولم يحزن أحد حزنها، ثم ليجتمع لك الحواريين فبثهم في الأرض دعاة، فلما هبط عيسى على الجبل اشتعل نوراً، ففعل ما أمره الله تعالى به، ثم رفعه الله تعالى، وتلك الليلة هي التي تدخر فيها النصارى، فلما أصبح الحواريون تحدَّث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم،[2] أو أن عيسى، قال لأصحابه أيكم يُقذف عليه شبهي فإنه مقتول؟ فقال رجل منهم: أنا يا نبي الله، فقتل ذلك الرجل، ومنع الله تعالى عيسى ورفعه وكساه الريش، وصرف عنه لذة المطعم والمشرب، وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش، وكان إنسياً ملكياً سمائياً أرضياً، وحملت به مريم ولها ثلاث عشرة سنة، وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أوري شلم،[3] لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل،[4] وأوحى الله تعالى إليه على رأس ثلاثين سنة، ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين، وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين.[5]

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[6] أي: قابضك ورافعك من الدنيا من غير موت،[7] بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧] أي: قبضتني، لأن قومه تنصروا بعد رفعه لا بعد موته، فمعناه: إني رافعك إليَّ وافياً لم تنل بسوء، من: توفيت كذا إذا أخذته تاماً، أو أني مُتَسلِّمُك، من قولهم

---

(١) اسم موضع في جبلها كما عند البغوي.

(٢) أورده البغوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس {١/ ٤٤٦} والكلبي متروك متهم.

(٣) بيت لحم: قرية قرب بيت المقدس، وأورشليم هي المقدس. معجم المعالم الجغرافية {٢٣٨- ٢٥٢}.

(٤) هي في مدينة العراق اليوم- أعاد الله إليها أمنها واستقرارها- مشهورة بحدائق بابل المعلقة، إحدى عجائب الدنيا القديمة السبع، وقد اندثرت بابل، تقع آثارها بين النهرين، بجوار مدينة الحلة. المرجع السابق {٣٩}.

(٥) ذكره البغوي عن قتادة {١/ ٤٤٦}.

(٦) نهاية اللوحة [١٨٥/ أ] بعد لفظ الجلالة من الآية.

(٧) قاله الحسن والكلبي وابن جريج وكعب الأحبار ومحمد بن جعفر وابن زيد وابن قتيبة، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٥٦} تفسير الماوردي {١/ ٣٩٧} وتفسير غريب القرآن {١/ ١٠٦}.

توفيت منه كذا، أي: تسلمته، أو التوفي النوم،[١] أي: أني منيمك ورافعك إلي، أو التوفي الموت،[٢] قالوا: إن الله تعالى توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه، أو سبع ساعات، أوفيه تقديم وتأخير، أي: ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالك من السماء.[٣]

قيل للحسين بن الفضل:[٤] هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ فقال نعم، قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] فإنه رفع ولم يكتهل، وإنما يكتهل بعد نزوله، قالوا يمكث في الأرض بعد

(١) قاله الربيع بن أنس، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٧} تفسير الماوردي {١/ ٣٩٧} وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] وانظر: أضواء البيان {١/ ٢١٩}.

(٢) قول ابن عباس انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٥٧} والدر المنثور {٣/ ٥٩٦}.

(٣) قول الفراء والزجاج والضحاك، انظر معاني الفراء {١/ ٢١٩} ومعاني الزجاج {١/ ٤٢٠} والبغوي {١/ ٤٤٧}.

(٤) أبو علي الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، العلامة، المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، عالم عصره في معاني القرآن، أقدمه ابن طاهر معه نيسابور، وابتاع له دارا فسكنها، وبقي بها يعلم الناس ويفتي، إلى أن توفي عام ٢٨٢هـ وهو ابن مئة وأربع. سير أعلام النبلاء {١٣/ ٤١٦}.

نزوله أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون.[١]

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: مخرجك ومنجيك، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ، فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة،[٢] أو الحواريين فوق الذين كفروا،[٣] أو هم الروم، أو هم النصارى فوق اليهود،[٤] فإن ملك اليهود انقرض، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فيكون الاتّباع على هذا بمعنى الادّعاء والمحبة، لا اتباع الدين. [١٨٥/ب]

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: في الآخرة ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: من الدين وأمر عيسى، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ حفص بالياء، ومن بقي بالنون،[٥] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ أي: نخبرك به ﴿مِنَ ٱلْأٓيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ أي: القرآن، أي: الذكر ذي الحكمة، أو الذكر المحكم الممنوع من الباطل، أو الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء،[٦] أو من الآيات أي: العلامات الدالة على نبوتك؛

---

(١) نزول عيسى عليه السلام، ثابت بالأحاديث الصحيحة منها ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا...**)) الحديث أخرجه البخاري {٢٢٢٢} ومسلم {١٥٥}. وورد مكثه في الأرض أربعين يوما في حديثٍ من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه أبو داوود {٤٣٢٤} وأحمد {٢/ ٤٠٦، ٤٣٧} وابن حبان {٦٨٢١} والطبري {٦/ ٤٥٩} والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي {٤١٦٣} وابن حجر في الفتح {٦/ ٦٠٢}.

(٢) قول قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي وابن جريج، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٤٨} الطبري {٦/ ٤٦٢}.

(٣) قول الضحاك ومحمد بن أبان، القرطبي {٤/ ٦٦}.

(٤) قاله ابن زيد، زاد المسير {١/ ٣٩٧}.

(٥) السبعة {٢٠٦} النشر {٢/ ٢٤٠}.

(٦) هذا حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه ابن جرير {١٦/ ٤٨٩} وعزاه في الدر المنثور {١٤/ ١٢١} لعبد الرزاق، وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات، وأبي الشيخ في العظمة، وابن مردويه، وأخرجه الطبراني {١٠٦٠٥} والحاكم {٣٧٧١- ٣٩١٧} وأبي نعيم في الحلية {١/ ٣٢٥، ٤/ ٣٠٥} وفي الحديث أبو حمزة الثمالي، قال عنه الذهبي: اسم أبي حمزة: ثابت، وهو واه بمرة. وقال ابن حجر في التقريب: ضعيف رافضي. {١٨٥}.

لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب أو من يوحى إليه، وأنت أمي لا تقرأ.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ نزلت في وفد نجران؛ لأنهم قالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا ؟ قال: **((وما أقول؟))** قالوا : تقول إنه عبد، قال: **((أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول))** فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فنزلت هذه الآية.[١]

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ﴾ أي: لعيسى[١٨٦/أ] ﴿كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ أي: فكان، وإنما قال: ﴿كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ بعد أن قال: خلقه ولا تكوين بعد الخلق؛ معناه خلقته ثم أخبرتكم، أي: قلت له: كن فكان من غير ترتيب في الخلق، كقول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً، ثم أعطيتك أمس درهماً، أي: ثم أخبرك أني أعطيتك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل جواز القياس، وهو رد فرع إلى أصل بنوع شبه ما، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم بنوع شبه ما.[٢]

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هو الحق،[٣] أو جاء الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: جادلك في عيسى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ أصله تعاليوا، تفاعلوا من العلو والمجيء، فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت[٤] ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ﴿نَدْعُ﴾ جزم بجواب الأمر ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين، ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ أمهما، ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ يعني ﷺ نفسه وعلياً ﵁، أو هو على العموم لجماعة أهل الدين، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتضرع في الدعاء،[٥] أو نجتهد،[٦] أو نلتعن،[٧] والابتهال: الالتعان، يقال: عليه بهلة الله، أي: لعنة الله.

---

(١) الحديث أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس ﵄، وهذه من الطرق الضعيفة عنه، وأورد نحوه عن قتادة والسدي وعكرمة ومحمد بن جعفر بن الزبير وابن زيد. {٦/ ٤٦٨} وأورده الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٠٤}.

(٢) انظر: تفسير السمعاني {١/ ٣٢٧}.

(٣) في (ب) زيادة [من ربك أي هو الحق].

(٤) انظر: البحر المحيط {٣/ ١٨٨} والدر المصون {٣/ ٢٢٤}.

(٥) قاله ابن عباس ﵄ انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٥٠}.

(٦) أي: في الدعاء، وهو قول الكلبي والزجاج، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٥٠} ومعاني الزجاج {١/ ٤٢٣}.

(٧) قاله الكسائي وأبو عبيدة وابن قتيبة، تفسير البغوي {١/ ٤٥٠} ومجاز القرآن {١/ ٩٦} تفسير غريب القرآن {١٠٦}.

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ أي: منا ومنكم في أمر عيسى، فدعا رسول الله ﷺ وفد نجران إلى المباهلة بعدما قرأ عليهم هذه الآية، قالوا: حتى نرجع [١٨٦/ب] وننظر في أمرنا ونأتيك غداً، فخلا بعضهم ببعض، فقالوا للعاقب: -وكان ذا رأيهم- يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى، إن محمداً نبي مرسل، ووالله ما باهل قوم قط نبياً فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم ذلك لتُهلكُنَّ، فإن أبيتم إلا الإقامة على قول ما أنتم قائلون، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، ويقول لهم: **((إذا دعوت فأمِّنوا))** فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني، فقالوا يا أبا القاسم: إنا لا نلاعنك، فقال ﷺ: **((فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم))** فأبوا، فقال: إني أنابذكم الحرب، فقالوا: مالنا بحرب العرب من طاقة، ولكنا نؤدي إليك كل عام ألفي حلة، ألفاً في صفر وألفاً في رجب، على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، فصالحهم ﷺ على ذلك، وقال: **((والذي نفسي بيده، إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله، حتى الطير على رؤوس الشجر، ولمّا حال الحول على النصارى [١٨٧/أ] كلِّهم حتى هلكوا))**.(١)

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: النبأ الحق، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من زائدة، أي: وما إله إلا الله، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ الذين يدعون(٢) إلى عبادة غير الله تعالى، ويعبدون غير الله تعالى.

اجتمع وفد نجران واليهود عند النبي ﷺ، فزعمت اليهود أن إبراهيم يهودي وهم على دينه، وزعمت النصارى أن إبراهيم نصراني وهم على دينه، فقال ﷺ: **((كلا الفريقين بريء من إبراهيم، بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً، وأنا على دينه، فاتبعوا دينه الإسلام))** فقالت اليهود: ما تريد إلا أن نتخذك رباً،

---

(١) أخرجه الطبري {٦/ ٤٧٨} مرسلا عن الشعبي، وورد بعضه عند أبي داوود {٣٠٤١} من رواية السدي الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق محمد بن مروان السدي، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بطوله، وابن مروان متروك متهم بالكذب.اهـ {٢٦}

(٢) في ب زيادة: الناس.

كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم، وقالت النصارى: ما تريد إلا أن نتخذك رباً كما اتخذت اليهود عزيرا، فنزل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1] وكل قصة لها شرح تسمى كلمة، ومنه قيل للقصيدة كلمة، و﴿سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: أمر مستو، يقال: دعا فلان إلى السواء، أي: [2] النصف، وسواء كل شيء وسطه، وقيل للوسط سواء؛ لأن أعدل الأمور وأوسطها أفضلها،[3] و﴿سَوَآءٍ﴾ نعت للكلمة، وسواء مصدر، و لا يثنى ولا يجمع، فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أو ضممت قصرت، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وموضع أن لا، رفعٌ [١٨٧/ب] بالابتداء، أو محله نصب بنزع الباء أي: بأن، أو خفض بدلاً من الكلمة،[4] أي: تعالوا أن لا نعبد إلا الله، ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: كما فعلت اليهود والنصارى، من قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] وقال عكرمة:[5] هو سجود بعضهم لبعض، أي: لا تسجدوا لغير الله تعالى،[6] أو معناه لا نطيع أحدا في معصية الله تعالى،[7] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ﴾ أنتم لهم: آمنا بالله، وقولوا ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: مخلصون.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية، وقد حدَثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ

---

(١) ذكره الثعلبي بدون إسناد {٣/ ٨٥} وعقب ابن حجر عليه في العجاب {٢/ ٦٨٧} فقال: وإطلاقه على قائل هذا مع ضعفه أنه قول المفسرين مما ينكر عليه، فإن هذه الآية الأولى أنزلها الله في قصة وفد نجران قبل أن يقع اجتماعهم باليهود، فلما أبوا وبذلوا الجزية واطمأنوا اجتمعوا بيهود المدينة عند النبي ﷺ أو فيما بينهم، فتجادلوا إلى أن ذكروا إبراهيم ونزلت الآيات التي بعدها في إبراهيم عليه السلام.اهـ.

(٢) في ب زيادة: إلى.

(٣) تفسير غريب القرآن {١٠٦} ومجاز القرآن {١/ ٩٦}.

(٤) انظر: معاني الزجاج {١/ ٤٢٥} مشكل إعراب القرآن {١/ ١٦٢}.

(٥) عكرمة أبو عبد الله المدني، المفسر، مولى ابن عباس رضي الله عنه، أصله من البربر، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وعن قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة. تهذيب الكمال {٢٠/ ٢٦٤} سير أعلام النبلاء {٥/ ١٢}.

(٦) انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٨٩} البغوي {١/ ٤٥٢}.

(٧) قول ابن جريج، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٤٨٩} الدر المنثور {٣/ ٦١٥}.

﴿وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ أي: بعد إبراهيم بزمان طويل، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفا سنة،[1] ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ أي: بطلان قولكم؟

﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ أبو عمرو ونافع بالمد من غير همز، وورش[2] أقل مدا، لأنه لين الهمزة ولم يدخل بينها وبين الهاء ألفا، وقنبل[3] بهمزة مقصورة بين الهاء والنون، وبألف بين الهاء والهمزة مع تحقيقها من بقي،[4] والكل لغات، وأصلها: أنتم وها تنبيه، أو أأنتم، أبدلت الهمزة هاء، كهرقت الماء وأرقته، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾[5] أي:[6] أمر موسى وعيسى عليهما السلام، وادعيتم أنكم على دينهما، أنزلت التوراة والإنجيل عليكم، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ أي: وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً، أو ﴿حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أي: جادلتم في أمر محمد ﷺ؛ لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاجون في إبراهيم، وليس في كتابكم، ولا علم لكم به؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ ثم برأ الله تعالى إبراهيم، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾

---

(١) تاريخ الطبري {١/ ٤٩٥} وتفسير البغوي {١/ ٤٥٣}.

(٢) هو عثمان بن سعيد المصري، قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات، ونافع هو الذي لقبه بورش؛ لشدة بياضه، وكان ثقة حجة في القراءة، توفي بمصر سنة ١٩٧هـ معرفة القراء الكبار {١/ ١٥٢} وغاية النهاية {١/ ٥٠٢}.

(٣) أبو عمر محمد بن عبد الرحمن المخزومي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة، جود القراءة على أبي الحسن القواس، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، قرأ عليه خلق كثير، ولي الشرطة بمكة في وسط عمره، فحمدت سيرته، ت٢٩١ هـ معرفة القراء الكبار {١/ ٢٣٠} وغاية النهاية {٢/ ١٦٥}.

(٤) تفصيل القراءات كما يلي: قرأ قالون وأبو عمرو البصري بإثبات ألف بعد الهاء، وهمزة مسهلة مع المد والقصر، وكذا أبو جعفر لكن مع القصر، وقرأ ورش بحذف الألف بعد الهاء وتسهيل الهمزة، على وزن: هعنتم، وله وجه آخر بإبدال الهمزة ألفا محضة مع المد المشبع، وقرأ قنبل بحذف الألف وتحقيق الهمزة، على وزن: فَعلتم، وقرأ الباقون بهمزة محققة وألف بعد الهاء. انظر: النشر {١/ ٤٠٠} إتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٠}.

(٥) نهاية اللوحة [١٨٨/ أ] عند قوله تعالى: (حاججتم فيما).

(٦) في (ب) زيادة: [في].

الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم،[1] أو الحنيف: من يوحد ويضحي ويحج ويختتن ويستقبل الكعبة.[2] وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله تعالى.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ أي: اتبعوه في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: من هذه الأمة ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

لما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة إلى النجاشي[3] واستقرت بهم الدار، أرسلت قريش إلى النجاشي بهدايا مع عمرو بن العاص،[4] وعمارة بن أبي معيط، يطلبون من النجاشي جعفراً وأصحابه؛ ليردهم إلى قريش؛ لينالوا منهم ما يريدون، فلما دخل عمرو وصاحبه، على النجاشي سجدا له، وقالا: قد [قدم][5] عليك [١٨٨/ب] قوم رجل كذاب، يزعم أنه رسول الله، ولم يتابعه إلا السفهاء، وكنا قد ضيقنا عليهم، فلما اشتد ذلك عليهم أرسل إليك ابن عمه يفتنك عن دينك ورعيتك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم، وآية ذلك: أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك، ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس؛ رغبة عن دينك وسنتك، فدعاهم النجاشي فجاؤوا الباب، فصاح جعفر: يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: فليدخلوا بأمان الله وحفظه وذمته، فدخلوا فلم يسجدوا، فقال عمرو: ألا ترى يستكبرون أن يسجدوا لك، فقال النجاشي: وما منعكم أن تسجدوا لي كغيركم؟ قالوا: نسجد للذي خلقك، وإنما كانت تلك التحية ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله تعالى فينا نبياً صادقاً، وأمرنا بالتحية التي رضيها الله تعالى، وهي السلام تحية أهل الجنة، فقال

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير البغوي {١/ ١٧٢}.

(٢) قول أبي عبيدة، انظر: مجاز القرآن {١/ ٥٨}.

(٣) النجاشي: اسمه أصحمة، ملك الحبشة ومعناه بالعربية عطية، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر، وليست له رؤية، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه صلاة الغائب، كان ردءا للمسلمين نافعا وقصته مشهورة في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه صدر الإسلام. انظر: الإصابة {١/ ٢٠٥} وسير أعلام النبلاء {١/ ٤٢٨}.

(٤) عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلما في أوائل سنة ثمان مرافقا لخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسلامهم، يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، ت٤٣هـ. انظر: الإصابة {٤/ ٦٥٠} وسير أعلام النبلاء {٣/ ٥٤}.

(٥) في الأصل: علم. والتصحيح من ب.

النجاشي: أيكم الهاتف: يستأذن [عليك][1] حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: فتكلم، قال: إنك ملك من ملوك الأرض، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام، وأنا أجيب عن أصحابي، وليتكلم أحد هذين الرجلين، ولينصت الآخر، فقال عمرو لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين، أعبيد نحن أم أحرار؟ فقال: بل أحرار كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية، وهل هرقنا دما بغير حق؟ قال عمرو: لا، ولا [قليلا][2] وهل أخذنا مالا لأحد بغير حق؟ قال النجاشي: ولو كان قنطاراً فعليّ قضاؤه، قال: لا، ولا قيراطاً، قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال [١٨٩/أ] عمرو: كنا وهم على دين، فتركوا ذلك واتبعوا غيره، فبعَثَنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا، قال النجاشي: وما الدين الذي كنتم عليه وما الذي اتبعتموه، اصدقني، قال جعفر: كنا على دين الشيطان، نكفر بالله ونعبد الحجارة، ثم تحولنا إلى دين الله تعالى الإسلام، جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى، فقال النجاشي: تكلمت بأمر عظيم، فجمع النجاشي قسيسيه ورهبانه، وقال: أنشدكم الله تعالى الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى والقيامة نبياً مرسلاً، فقالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى، وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول لكم هذا الرجل؟ قال: يقرأ علينا كتاب الله تعالى ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم، وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده لا شريك له، قال: اقرأ عليّ مما يقرأ عليكم، فقرأ سورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه، وقالوا: زدنا من هذا الطيب، فقرأ سورة الكهف، فقال عمرو: إنهم يسبون عيسى وأمه، ليغضب النجاشي، فقرأ عليهم جعفر سورة مريم، فلما أتى إلى ذكر مريم، رفع النجاشي نَفثَةً[3] من سواكه قدر ما يُقذى العين، وقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا، ثم قال لجعفر وأصحابه: أنتم سيوم بأرضي، أي: آمنون بالحبشية، فلا خوف على حزب إبراهيم، قال عمرو: ومن حزب إبراهيم؟ قال النجاشي: هؤلاء الرهط وصاحبهم، ثم رد النجاشي [١٨٩/ب] الهدايا، وقال هي رشوة، فإن الله ملّكني ولم يأخذ مني رشوة، فأنزل الله تعالى ذلك اليوم على رسول الله ﷺ في خصومتهم في إبراهيم ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الآية.[4]

---

(١) في (ب) عليكم.

(٢) في (ب) ولا قطرة.

(٣) النفث: قذف الريق القليل، وهو أقل من التفل، المفردات: نفث.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ{١٠٦} وعزاه في الدر المنثور لعبد بن

دعا اليهود معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر إلى دينهم، فنزل: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[١] أي: اليهود ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالقرآن وبيان نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ أي: تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية،[٢] أو لم تخلطون الإيمان بعيسى وهو حق بالكفر بمحمد ﷺ،[٣] أولم تخلطون التوراة المنزلة على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم[٤] ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ أي: أن محمداً رسول الله ﷺ ودينه حق.

تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر، وقالوا: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا به آخر النهار، وقولوا: نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذاك، وظهر كذبه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم واتهموه فيرجعون عن دينهم.[٥]

أو هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق على اليهود، فقال ابن الأشرف[١٩٠/أ] لأصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة، وصلوا إليها أول النهار، ثم اكفروا وارجعوا إلى قبلتكم آخر النهار؛ لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا، فأطلع الله تعالى نبيه على سرهم وأنزل: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾[٦] أي: أوله، سمي وجهاً؛ لأنه أحسنه، وأول ما يواجه الناظر فيراه، ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: عن دينهم.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ هذا متصل بقول اليهود بعضهم لبعض ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أي: لا تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: وافق ملتكم، واللام في لمن زائدة.

حميد من طريق شهر بن حوشب {٣/ ٦١٩} وهو عند ابن هشام في السيرة {١/ ٣٣٤}.

(١) ذكره البغوي في تفسيره، {١/ ٤٥٥}.

(٢) قاله قتادة والربيع وابن جريج، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٥٠٤} زاد المسير {١/ ٤٠٥}.

(٣) انظر تفسير النسفي {١/ ٢٢٥}.

(٤) قاله الحسن وابن زيد، الطبري {٦/ ٥٠٥} زاد المسير {١/ ٤٠٥}.

(٥) قاله الحسن وقتادة والسدي، تفسير الطبري {٦/ ٥٠٧} والبغوي {١/ ٤٥٦} وأسباب النزول للواحدي {١٠٩}.

(٦) قاله مجاهد ومقاتل والكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٥٦} أسباب النزول للواحدي {١٠٩}.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ هذا خبر من الله تعالى أي: أن البيان بيانه، وهذا كلام معترض بين كلامين،[١] وما بعده متصل بالكلام الأول إخبارا عن قول اليهود بعضهم لبعض، أي: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ أي: من العلم والحكمة والكتاب والآيات، كفلق البحر، والمن والسلوى، وغير ذلك. ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ أي: أو أن يحاجوكم؛ لأنكم أصح دينا منهم، أو أن اليهود قالت لسفلتهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ أي: لئلا يؤتى أحد، ولا: فيه مضمر، أي: لا [تصدقوهم][٢] لئلا يعلموا [ما علمتم][٣] فيكون لكم الفضل عليهم، ولئلا يحاجوكم، وقرئ: [١٩٠/ب] بكسر الهمز من ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾[٤] فعلى هذه يكون قول اليهود تاما عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ وما بعده من قول الله تعالى، قل يا محمد ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ أي: ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد ﷺ ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي: إلا أن يجادلكم اليهود بالباطل، فيقولوا: نحن أفضل منكم، وقوله تعالى ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ أي: عند فعل ربكم ذلك، أو تكون ﴿أَوۡ﴾ بمعنى (حتى) كقولهم: تعلق به أو يعطيك حقك،[٥] أي: حتى، ومعنى الآية: ما أُعطي أحدٌ مثل ما أعطيتم يا أمة محمد ﷺ، من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم.

ابن كثير ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ بالمد على الاستفهام،[٦] وفيه اختصار، تقديره: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، [قل][٧] وقوله: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ﴾ على هذه القراءة

---

(١) قال الفراء في المعاني: قد انقطع كلام اليهود عند قوله: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) ثم صار الكلام من قوله: قل: يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. {١/ ٢٢٢} واختاره الطبري وقال: وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التي ذكرناها لأنه أصحها معنى وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب وأشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه، وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد للكلام. اهـ الطبري {٦/ ٥١٦}.

(٢) في (ب) يصدقوهم.

(٣) في (ب) ما هم عليه.

(٤) قرأ بها سعيد بن جبير والأعمش وشعيب بن أبي حمزة، تفسير القرطبي {٤/ ٧٤} البحر المحيط {٢/ ٧٩٢} الدر المصون {٣/ ٢٥٩} القراءات الشاذة {٣٧}.

(٥) قاله الفراء في معانيه {١/ ٢٢٣}.

(٦) قرأها بزيادة همزة (أأن) على الاستفهام، بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية. البدور الزاهرة {٦٦}.

(٧) هكذا في النسختين، والنص بتمامه عند البغوي هكذا: ...تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة و الربيع. وقالا: هذا من

رجوع إلى خطاب المؤمنين، وتكون ﴿أَوۡ﴾ بمعنى: إنْ؛ لأنهما حرفا شرط وجزاء، ويوضع أحدهما موضع الآخر، أي: وإن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد: إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين، ونظم الآية: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين حسدوكم، فقل: إن الفضل بيد الله، وإن حاجوكم فـ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود، وقد تم عند قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ من كلام الله تعالى يثبت به قلوب المؤمنين؛ لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، يقول لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا [١٩١/أ] من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم، أو يقدروا على ذلك؛ فإن الهدى هدى الله، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ فتكون الآية كلها خطاب الله المؤمنين عند تلبيس اليهود؛ لئلا يرتابوا.[١]

﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾ أي: بنبوته ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾

أخبر الله تعالى عن اليهود أن فيهم أمانة وخيانة بقوله: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ القنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها، وإن قلت: أو ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداه، و﴿بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه،[٢] أو فنحاص بن عازوراء، استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه.[٣]

قول الله تعالى يقول: قل لهم يا محمد: إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به. اهـ انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٥٧}.

(١) وفي الآية أوجه كثيرة، أوصلها في الدر المصون إلى تسعة أوجه، فراجعه ص {٣/ ٢٥٢} وما بعدها. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم ويساووكم فيه، ويمتازوا به عليكم لشدة الإيمان به، ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ أي: يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم، فتقوم به عليكم الدلالة وتتركب الحجة في الدنيا والآخرة. اهـ {٢/ ٥٣}.

(٢) قول مقاتل بن سليمان، انظر: العجاب في بيان الأسباب {٢/ ٦٩٦}.

(٣) رواه جويبر بن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه، المصدر السابق.

أبو عمرو وأبو بكر وحمزة﴿يُؤَدِّهِۦ﴾ و﴿لَّا يُؤَدِّهِۦ﴾ و﴿نُؤْتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٤٥، الشورى: ٢٠] ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾ و﴿نُوَلِّهِۦ﴾ [النساء:١١٥] ساكنة الهاء؛ لأنها في موضع الجزم، وهي كأنها لام الفعل، فأسكنت في الجزم، كلام الفعل إذا جزم الفعل، وقالون(١) بكسر الهاء؛ لأنه أجراه على أصله قبل الجزم واكتفى بالكسر عن الياء، ومن بقي أشبع وقرأ بياء على الأصل؛(٢) لأن الأصل في الهاء الإشباع.

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ أي: ملحا، أو تطالبه بإلحاح،(٣) أو تواظب عليه بالاقتضاء،(٤) أو إن أودعته وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه رده عليك، وإن فارقته وأخرته أنكره ولم يرده(٥) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الاستحلال والخيانة، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ أي: إثم، كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١] لأن اليهود كانوا يستحلون أموال العرب؛ إذ ليسوا على دينهم، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم، أو قالت اليهود إن جميع الأموال كانت لنا، ولكن العرب غصبونا وظلمونا، فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم،(٦) أو إن طائفة من المسلمين بايعوا طائفة من اليهود في الجاهلية، فلما تقاضَوهم بعد الإسلام ببقية أموالهم، قالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء، لأنكم تركتم دينكم، وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادَّعَوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم، فكذبهم الله تعالى،(٧) فقال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿بَلَىٰ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا، بل عليهم سبيل، وابتدأ ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أي: ولكن من أوفى بعهد الله تعالى، الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ، وأداء الأمانة، هكذا ذكر بعضهم،

---

(١) قالون: أبو موسى عيسى بن ميناء الزرقي، قارئ أهل المدينة في زمانه، كان ربيب نافع، وأحد الرواة عنه، وهو الذي لقبه بقالون؛ لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها: جيد، ت٢٢٠هـ معرفة القراء الكبار {١/ ١٥٥}. ومعه في هذه القراءة يعقوب وهشام في إحدى وجهيه بالاختلاس من غير إشباع للكسر.

(٢) وهو الوجه الثاني لهشام، انظر: البدور الزاهرة {٦٦}.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنه، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٥٨}.

(٤) قاله ابن قتيبة والضحاك، تفسير غريب القرآن {١٠٦} البغوي {١/ ٤٥٨}.

(٥) قول أبي روق والسدي، الطبري {٦/ ٥٢٠} تفسير الثعلبي {٣/ ٩٦}.

(٦) قاله الكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٥٨}.

(٧) أخرجه الطبري عن ابن جريج {٦/ ٥٢٢}.

وقال أبو محمد الحسن بن علي العماني:[١] إن (بلى) إذا كان جوابا للجحد الذي قبله فهو إيجاب لما بعده فلا يفصل [١٩٢/أ] بينه وبين الشيء الذي يوجبه، كحرف التوكيد، كقولك: إن زيدا قائم، لا تفصل بينه وبين الذي بعده من الخبر، فكذلك الحرف الذي يؤدي معنى الإيجاب يجب أن يكون موصولا بالكلام الذي يوجبه؛ لأن الفصل بينهما ينقض معنى الإيجاب، كما لو فصلنا بين حرف النفي والمنفي انتقض معنى النفي، فكذلك الفصل بين حرف الإيجاب والموجب لا يجوز بحال. أو الهاء في ﴿بِعَهۡدِهِۦ﴾ راجعة إلى الموفى ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ أي: الكفر والخيانة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾.

قال ﷺ: **((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة واحدة كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر))**[٢]

كتم اليهود ما عهد الله تعالى إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ، وبدلو وكتبوا بأيديهم غيره، وحلفوا أنه من عند الله تعالى، لئلا تفوتهم المآكل، فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾[٣]

أو لما قال: ﷺ **((من حلف على يمين صبرٍ يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان))**[٤] فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لقوله، وروي أن الحالف لما أراد أن يحلف أنزل الله تعالى هذه الآية، فامتنع امرؤ القيس بن عابس الكندي[٥] أن يحلف، وأقر لخصمه.[٦]

قال ﷺ: **((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار، قالوا: وإن كان شِبراً[١] يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك قالها ثلاث مرات))**[٧].

أو أن رجلاً أقام سلعة [١٩٢/ب] في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط، ليوقع رجلاً من المسلمين، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾[٨] أي: يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ أي: بأداء الأمانة، ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي:

---

(١) أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني توفي بعد الخمسمائة. ألف المرشد في الوقف. غاية النهاية {١/ ٢٢٣}.

(٢) أخرجه البخاري {٣٤- ٢٤٥٩} ومسلم {٥٨}.

(٣) أخرجه الطبري عن عكرمة {٦/ ٥٢٨} والواحدي في أسباب النزول {١١٢}.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع {٢٣٥٦-٢٦٧٣- ٢٦٧٦} ومسلم {١٣٨}.

(٥) امرؤ القيس بن عابس الكندي، سكن الكوفة، و ممن ثبت على الإسلام، وأنكر على الأشعث ارتداده، له شعر يحرض فيه قومه على الثبات على الإسلام، حضر حصار حصن النجير، وشهد اليرموك. انظر: الإصابة {١/ ١١٢}.

(٦) أخرجه مسلم {١٣٩ح٢٢٤}.

(٧) أخرجه مسلم {١٣٧}.

(٨) أخرجه البخاري {٢٠٨٨- ٢٦٧٥- ٤٥٥١}. وقال ابن حجر في الفتح: في هذا الحديث وحديث: **((من حلف على**

الكاذبة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: من حطام الدنيا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾ أي: لا نصيب، ﴿لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ ونعيمها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: على سبيل الغضب، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً، إذا غضب عليه، أو كلاما ينفعهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لا يرحمهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يثني عليهم بالجميل، ولا يطهرهم من الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

قال ﷺ **((ثلاثة لا يكلمهم الله، يوم القيامة...** الآية، **المسبل، وفي رواية: المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب))**[١]

وقال ﷺ: **((ثلاثة لا يكلمهم الله...** الآية، **رجل حلف على يمين على مال مسلم فاقتطعه، ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر أنه أعطي بسلعته أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل منع فضل ماء، فإن الله يقول: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل [ما لم]**[٢] **تعمل يداك))**[٣]

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ أي: طائفة منهم كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وأبو ياسر، وشعبة بن عمرو الشاعر،[٤] ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يعطفون، وهو التحريف الذي حرفوه من صفة محمد ﷺ، وآية الرجم وغير ذلك،[٥] [١٩٣/أ] يقال: لوى لسانه عن كذا، أي: غيَّره ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: لتظنوه من الكتاب الذي أنزله الله تعالى،

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

أي: أنهم كاذبون في قولهم، أو أنها نزلت في النصارى واليهود؛ لأنهم حرفوا التوراة والإنجيل، وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه.[٦]

كان نصارى نجران يقولون: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: عيسى أن يؤتيه الله تعالى الإنجيل.[١]

يمين...)) قال: ولا تعارض بينهما لاحتمال أن تكون نزلت في كل من القصتين.اهـ {٥/ ٣٥٣}.

(١) أخرجه مسلم {١٠٦} وأورده المصنف هنا مختصرا.

(٢) في الأصل [ماء لم] والتصحيح من المصدر.

(٣) أخرجه البخاري {٢٣٦٩-٧٤٤٦} ومسلم {١٠٨}.

(٤) وهؤلاء من اليهود.

(٥) قاله مقاتل بن سليمان، العجاب {٢/ ٧٠٤}.

(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ونحوه عن مجاهد وقتادة والربيع وابن جريج، الطبري {٦/ ٥٣٦}.

أو ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أي: محمد ﷺ أن يؤتيه الله تعالى الكتاب، أي: القرآن؛[٢] لأن أبا رافع القرظي اليهودي، والرئيس من أهل نجران قالا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك [إلهاً؟][٣] فقال: ((**معاذ الله أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني الله، ولا بذلك أمرني**)) فنزلت هذه الآية ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[٤] أي: ما ينبغي، والبشر: جميع بني آدم، جمع لا واحد له من لفظه، ويوضع موضع الواحد والجمع. ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفهم والعلم،[٥] أو إمضاء الحكم عن الله تعالى، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ أي: المنزلة الرفيعة ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أي: ولكن يقول كونوا ربانيين، أي: فقهاء علماء،[٦] أو حكماء علماء،[٧] أو فقهاء معلمين،[٨]

---

(١) قاله مقاتل والضحاك، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٦٢}.

(٢) قول ابن عباس وعطاء، الطبري {٦/ ٥٣٩} والبغوي {١/ ٤٦٢}.

(٣) في (ب) [رباً].

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول {١١٣} والطبري {٦/ ٥٣٩} من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، وهو مجهول، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه في الدر المنثور لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي {٣/ ٦٤٢} وانظر سيرة ابن هشام {١/ ٥٤٤}.

(٥) قول قتادة، زاد المسير {١/ ٤١٣}.

(٦) قول علي و ابن عباس ومجاهد و الحسن، الطبري {٦/ ٥٤١} البغوي {١/ ٤٦٣}.

(٧) قول قتادة وأبي رزين، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٥٤٠} البغوي {١/ ٤٦٣}.

(٨) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما المرجع السابق.

أو الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره،[1] أو حكماء نصحاء لله في خلقه،[2] أو الرباني العالم والعامل بعلمه،[3] أو العالم بالحلال[193/ب] والحرام، والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة ما كان وما يكون،[4] أو الرباني الجامع العلم والبصارة بسياسة الناس، أو أصله رابي منسوب إلى الرب تعالى، أي: يدين لربه، ثم أدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كصنعاني وبهراني، أو هم أرباب العلم[5] وكل من قام بإتمام شيء أو إصلاحه فقد ربَّه يربُّه، واحدها: رُبَّان، كعطشان، ثم ضمت إليه ياء النسبة، كلحياني ورقباني.[6] ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ابن عامر والكوفيون ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد،[7] أي: غيركم، ومن بقي بالتخفيف،[8] وقرئ (تُدْرِسون) على التعدية من أدْرَسَ يُدْرِسُ، وقرئ (تدرِّسون) بالتشديد، من درَّسَ، يقال: درَّسَ بنفسه ودرَّسَ غيره.[9]

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب[10] بنصب الراء عطفاً على قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ ويكون مردوداً على البشر،[11] أي: ولا يأمر ذلك البشر، أو بإضمار أن، أي: ولا أن يأمركم ذلك البشر،[12] ومن بقي بالرفع على الاستئناف،[1] أي: ولا يأمُركم الله، أو ولا يأمركم محمد

(١) عن ابن الأَعرابي والمبرد، انظر: لسان العرب {١/ ٤٠٣} البغوي {١/ ٤٦٣}.

(٢) قول عطاء، المرجع السابق.

(٣) قول سعيد بن جبير، المرجع السابق.

(٤) عن أبي عبيد، لسان العرب {١/ ٤٠٣}.

(٥) عن ابن المبرد، البغوي {١/ ٤٦٣}.

(٦) لسان العرب {١/ ٤٠٣}.

(٧) أي بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة.

(٨) أي بفتح التاء وإسكان العين وفتح اللام مخففة. وانظر: البدور الزاهرة {٦٧}.

(٩) كلا القراءتين شاذتين، قرأ بهما أبو حيوة، وانظر: المحتسب {١/ ١٦٣} والبحر المحيط {٣/ ٢٣٣}.

(١٠) وخلف العاشر.

(١١) قاله الطبري في تفسيره {٦/ ٥٤٧} وأبو السعود {١/ ٣٨٥} ورد ابن عطية على الطبري فقال: وهذا خطأ لا يلتئم به المعنى.اهـ المحرر {٣/ ١٤٢} قال أبو حيان: فإطلاق ابن عطية الخطأ وعدم التئام المعنى إنما يكون على أحد التقديرين في: لا، وهي أن تكون لتأسيس النفي، وأن يكون من عطف المنفي بلا على المثبت الداخل عليه النفي، نحو: ما أريد أن تجهل وأن لا تتعلم، تريد: ما أريد أن لا تتعلم.اهـ البحر المحيط {٣/ ٢٣٤}.

(١٢) وعليه جل المفسرين، انظر: القرطبي {٤/ ٨٠} البحر المحيط {٣/ ٢٣٣}.

ﷺ،[٢] ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ كقريش والصابئين، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى، حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا، ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ على سبيل التعجب والإنكار، أي: لا يقول هذا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [١٩٤/أ] حمزة ﴿لِمَآ﴾ بكسر اللام، على أنها لام الإضافة دخلت على ما، أي: الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة، وأنهم أصحاب الشرائع، ومن بقي بفتح اللام على الخبر،[٣] أي: للذي آتيتكم، أو على الجزاء، أي: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم .

وجواب الجزاء ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ نافع ﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾ بألف ونون على لفظ الجمع للتعظيم، وقرأ على لفظ التوحيد من بقي؛ لموافقة خط المصحف،[٤] والمعنيُّ بهذه الآية: الأنبياء خاصة، أخذ الله تعالى عليهم الميثاق أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده، ويصدق بعضهم بعضاً، وأن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء، وينصره إن أدركه، وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه، فأخذ الله تعالى الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومِن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ، أو إنما أخذ الميثاق منهم في أمر محمد ﷺ، فأخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل إليهم النبيون،[٥] ألا ترى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ﴾ وإنما كان محمد ﷺ مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيين، وقرئ: ([وإذ أخذ][٦] الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)[٧] والقراءة المشهورة ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، أن يأخذوا الميثاق على أممهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه، إن أدركوه، أو: أراد أخذ

---

(١) إلا أبا عمرو البصري بخلف عن الدوري، فإنه قرأ بإسكانها، والوجه الثاني له: اختلاس ضمتها. انظر: اتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٣} والبدور الزاهرة {٦٧}.

(٢) قاله ابن جريج، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٦٤}.

(٣) النشر {٢/ ٢٤١}.

(٤) المرجع السابق.

(٥) قول مجاهد والربيع، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٦٤}.

(٦) في النسختين [وأخذ] والتصحيح من المصادر.

(٧) قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، وهي قراءة شاذة هنا. الطبري {٦/ ٥٥٣} البحر المحيط {٣/ ٢٣٥}.

الله تعالى الميثاق على الأنبياء، وأممهم في أمر محمد ﷺ، فاكتفى بذكر الأنبياء؛ لأن العهد على المتبوع عهد على الأتباع.[١] [١٩٤/ب]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لن يبعث الله نبياً، آدم ومن بعده، إلا أخذ عليه الميثاق والعهد في أمر محمد ﷺ، وأخذ العهد على قومه لتؤمنن به، ولئن بعث وهم أحياء لتنصرنه.[٢]

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: : قبلتم وأخذتم على ذلك عهدي، والإصر: العهد الثقيل،[٣] ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ أي: فاشهدوا على أنفسكم وأتباعكم، ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: عليكم وعليهم.

ابن عباس: فاشهدوا: فاعلموا، أو: قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم.[٤]

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الإقرار ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

اختلف أهل الكتاب، فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم، واختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: **((إن إبراهيم من كلا الفريقين بريء))** فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك،[٥] فنزل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ أبو عمرو وحفص ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء لقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ومن بقي بالتاء[٦] خطابا لقوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَرْهًا﴾ فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإباء من النفس.[٧]

أي: أسلم من في السموات طوعاً، وأسلم من في الأرض بعضهم طوعاً وبعضهم كرهاً، أو المراد السجود طوعاً المؤمن، وكرهاً ظل الكافر، أو هذا يوم الميثاق حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧]

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنه، انظر: تفسير الطبري {٦/ ٣٥٦} وقال: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: الخبر عن أخذ الله الميثاقَ من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضا، وأخذ الأنبياء على أممها وتباعها الميثاقَ بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به؛ لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها.اهـ

(٢) أورده البغوي {١/ ٤٦٤} والطبري بسنده عن السدي {٦/ ٥٥٦}.

(٣) لسان العرب، مادة: أصر.

(٤) قاله سعيد بن المسيب، والقولين عند البغوي {١/ ٤٦٥}.

(٥) أورده الواحدي في الأسباب عن ابن عباس رضي الله عنه {١١٣} وابن حجر في العجاب {٢/ ٧٠٦}.

(٦) النشر {٢/ ٢٤١} وإتحاف فضلاء البشر {٤٨٤}.

(٧) المفردات، مادة: طوع، كره.

فقال بعضهم ذلك طوعاً، وبعضهم [١٩٥/أ] كرهاً، أو أسلم المؤمن طوعاً فنفعه، والكافر أسلم كرهاً في وقت البأس فلم ينفعه، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] أو هو استعاذتهم به عند اضطرارهم، أو طوعاً الذي وُلد في الإسلام، وكرهاً الذي أجبر على الإسلام[١] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ حفص ويعقوب بالياء ومن بقي بالتاء خطابا.[٢]

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ذكر الله الملل واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسوله ﷺ أن يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية.

ارتد اثنا عشر رجلاً، وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري،[٣] فأنزل تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ هذه الآية أبطلت عمل كل عامل على غير ملة الإسلام.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [كيف هو استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾][٤] لأن الظالم يستحق بظلمه السخطة والعقوبة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذاب الله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [١٩٥/ب] أي: في اللعنة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾

أرسل الحارث بن سويد إلى رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟، فنزل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ فحملها رجل إلى الحارث، فقرأها عليه فقال الحارث: والله إنك

---

(١) انظر هذه الأقوال عند البغوي {١/ ٤٦٥}.

(٢) قرأ حفص بياء مضمومة وفتح الجيم، ويعقوب بياء مفتوحة وكسر الجيم، والباقون بتاء مضمومة وفتح الجيم. النشر {١/ ٦٧}.

(٣) الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، كان مسلما ثم ارتد ولحق بالكفار، قال بن الأثير اتفق أهل النقل على أنه الذي قتل المجذر بن زياد، فقتله النبي ﷺ به. انظر: الإصابة {١/ ٥٧٦}. والأثر ذكره الواحدي في أسباب النزول بسنده عن مجاهد {١١٤} وأورده الطبري من عدة طرق {٦/ ٥٧٢} وابن حجر في العجاب {٢/ ٧٠٩}.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط في الأصل، والتصحيح من ب.

لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله تعالى لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة فأسلم وحسن إسلامه.[١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ إن الله تعالى قبل توبة من تاب فما له؟ قال: ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ أي: لن تقبل توبتهم إذا وقعوا في الحشرجة كقوله تعالى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨] أو علم أنهم لا يتوبون فلذلك أخبر عنهم بعاقبة أمورهم، نزلت في اليهود حين كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا بمحمد ﷺ كفرا،[٢] أو في اليهود والنصارى، حين كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، وازدادوا كفراً أي: ذنوبا في حال كفرهم،[٣] أو نزلت في جميع الكفار، أشركوا بالله تعالى بعد الإقرار ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على الكفر حتى هلكوا، أو كلما نزلت آية كفروا بها، أو ازدادوا كفراً بتربصهم بمحمد ﷺ ريب المنون،[٤] أو نزلت في أصحاب الحارث الذين ارتدوا؛[٥] لأنهم [١٩٦/أ] قالوا: نقيم على ديننا، فمتى أردنا الإسلام نزل فينا ما نزل في صاحبنا، فلما افتتح ﷺ مكة، فمن دخل منهم في الإسلام قُبلت توبته، ومن مات منهم كافراً نزل فيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: مانعين، وملء الأرض، أي: مقدار ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها، والملء بفتح الميم المصدر، وبكسر الميم ما يملأ الإناء ذهبا، نصب على التفسير، ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ الواو زائدة، و﴿أَلِيمٞ﴾ موجع يخلص ألمه إلى قلوبهم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول {١١٤} وأورده الطبري من عدة طرق {٦/ ٥٧٢} وابن حجر في العجاب {٢/ ٧٠٩}.

(٢) قاله الحسن وقتادة وعطاء الخراساني، الواحدي في أسباب النزول {١١٥}.

(٣) قول أبي العالية، المرجع السابق.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٦٧}.

(٥) قاله ابن الكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٦٧} العجاب في بيان الأسباب {٢/ ٧١٣}.

قال ﷺ: ((**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا أن تشرك**))[١]

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي: الجنة، أو التقوى، أو الطاعة، أو الخير، أو أن تكونوا أبراراً[٢] ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: أحب أموالكم إليكم، أو المراد أداء الزكاة،[٣] أو نسختها آية الزكاة،[٤] أو كل نفقة يبتغي بها المسلم وجه الله تعالى ينال بها هذا البر، أو ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي: لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تنفقوا مما تحبون، أي: الأموال والأنفس، ولما نزلت هذه الآية تصدق أبو طلحة الأنصاري[٥] ببيرحاء.[٦]

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه ابتاع جاريةً، فقال: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها.[٧]

وعن ابن عمر رضي الله عنه[١٩٦/ب] أنه قرأ هذه الآية، فقال: ما شيء أعجب إلي من فلانة، هي حرة لوجه الله تعالى، ولولا أني لا أعود في شيء جعلته لله تعالى لنكحتها.[٨]

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ أي: يعلمه ويجازي به.

---

(١) أخرجه البخاري {٦٥٥٧- ٣٣٣٤-٦٥٣٨} ومسلم {٢٨٠٥}.

(٢) انظر هذه الأقوال في البغوي {١/ ٤٦٨}.

(٣) رواه الضحاك عن ابن عباس ﷺ، المرجع السابق.

(٤) قاله مجاهد والكلبي، المرجع السابق.

(٥) أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، مشهور بكنيته، صاحب رسول الله ﷺ ومن بنى أخواله، وأحد أعيان البدريين، وأحد النقباء ليلة العقبة، من فضلاء الصحابة، كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد، ت ٥٠هـ أو بعدها. انظر: الإصابة {٢/ ٦٠٧} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٢٧}.

(٦) أخرجه البخاري في مواضع {١٤٦١-٣٢١٨-٢٧٥٢} ومسلم {٩٩٨}.

(٧) أورده البغوي عن مجاهد، {١/ ٤٦٩}.

(٨) أورده البغوي عن حمزة بن عبد الله بن عمر، المرجع السابق.

قالت اليهود لرسول الله ﷺ: أنت تزعم أنك على ملة إبراهيم [وكان إبراهيم][1] لا يأكل[2] لحوم الإبل ولا يشرب ألبانها، وأنت تأكلها فلست على ملته، فقال ﷺ: **((كل ذلك كان حلالا لإبراهيم))** فنزل: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[3]

وإسرائيل هو يعقوب ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ أي: ليس الأمر كما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكل حلالاً، وإنما حرمها إسرائيل على نفسه قبل [نزول][4] حرمتها في التوراة، وسبب تحريمه إياها: أن يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لئن عافاه الله تعالى من سقمه ليحرِّمن أحب الطعام والشراب إليه وكانت لحمان الإبل أحب الطعام، وألبانها أحب الشراب إليه، أو كان به عرق النسا، وكان أصل وجعه به، أنه نذر إن رزقه الله تعالى اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح آخرهم، فتلقاه ملك من الملائكة، فقال له: يا يعقوب إنك رجل قوي، فهل لك في الصراع، فعالجه فلم يصرع أحدهما الآخر، فغمزه الملك غمزة عرض له منها عرق النساء، ثم قال له الملك: أما إني لو شئت لصرعتك،[١٩٧/أ] وإنما غمزتك هذه الغمزة؛ لأنك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحاً أن تذبح آخر ولدك، فقد جعل الله لك بهذه الغمزة مخرجاً من نذرك، فلما قدمها يعقوب نسي الغمزة وأراد ذبح ولده، فأتاه الملك وقال: قد وفي نذرك، وذكره الغمزة، فلا سبيل لك إلى ذبح ولدك، أو أقبل يعقوب من حران هاربا من العيص،[5] يريد بيت المقدس، فلقيه ملك فظنه لصا فعالجه ليصرعه، فغمز الملك فخذ يعقوب، ثم صعد إلى السماء ويعقوب ينظر إليه، فهاج به عرق النَّسا، ولقي من ذلك بلاءً وشدة، وكان لا ينام الليل، فحلف لئن شفاه[6] تعالى لا يأكل عِرقاً، ولا طعاماً فيه عِرق، فحرمه على نفسه، فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في ب زيادة: من.

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول {١١٥} عن أبي روق الكلبي بدون إسناد.

(٤) في الأصل: نزل، والتصحيح من (ب)

(٥) حران: على طريق الموصل والشام، قيل سميت بـ هاران أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعربت، فقيل: حران. معجم البلدان {١٠١/١} العيص: على ساحل البحر الأحمر، واد لجهينة بين المدينة والبحر، وفيه عيون وقرى كثيرة. معجم المعالم الجغرافية {٢١٨}.

(٦) في ب زيادة لفظ الجلالة [الله].

أو الأطباء وصفوا له ترك لحمان الإبل لما أصابه عرق النساء، فحرمها يعقوب على نفسه.

أو حرم إسرائيل لحم الجزور على نفسه تعبداً لله تعالى، فسأل ربه أن يجيزه له فحرمه الله تعالى على ولده، فحرم الله تعالى عليهم أي: اليهود في التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها، أو إنما كان محرماً عليهم بتحريم نبي الله إسرائيل، فإنه كان قد قال: لئن عافاني الله تعالى لا يأكله لي ولد، ولم يكن محرماً عليهم في التوراة وإنما حُرم عليهم بعد التوراة بظلمهم، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾ إلى أن قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]

وكانت بنو إسرائيل [١٩٧/ب] إذا أصابوا ذنبا عظيماً، حرم الله تعالى عليهم طعاماً طيباً، أو صب عليهم رجزاً وهو الموت، أولم يكن عليهم في التوراة شيء محرم؛ وإنما حرموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله تعالى، فكذبهم الله تعالى، فقال تعالى لمحمد ﷺ:

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ أي: حتى يتبين لكم ما قلتم، فلم يأتوا بها، فقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم؛ لأن اتباع ملة إبراهيم ﷺ اتباعه ﷺ.

قالت اليهود للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا، وهو أفضل من الكعبة وأقدم، وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل، فنزل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ الآية، والتي بعدها،[1] أي: ليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس. وأول بيت وضع، أي: ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض، خلقه الله تعالى قبل خلق آدم بألفي عام،[2] وكانت زبدة بيضاء على الماء، فدحيت الأرض من تحته، أو هو أول بيت بني في الأرض.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول {١١٥} عن مجاهد بلا إسناد.

(٢) وهذا ليس عليه دليل.

عن علي بن الحسين:[١] أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً، وهو البيت المعمور، فأمر الله تعالى الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض [١٩٨/أ] بيتاً على مثاله وقدره، واسمه الضراح، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

روي أنهم بنوه قبل آدم بألفي عام، وكانوا يحجونه، فلما حجه آدم قالت الملائكة: بُرّ حجك، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، أو أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، أو أول بيت مبارك وضع هدى للناس، أو أول بيت وضع قبلة، أو أول مسجد ومتعبد وضع للناس، أو أول بيت وضعت فيه البركة، [أو أول بيت وضع يحج إليه][٢] أو أول بيت وضع يعبد الله تعالى فيه.[٣]

ووضع المسجد الحرام قبل الأقصى بأربعين سنة، عن أبي ذر رضي الله عنه.[٤]

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هي مكة نفسها،[٥] وإبدال الباء من الميم وبالعكس جائز مشهور،[٦] أو بكة موضع البيت، ومكة اسم البلد كله.[٧] أو بكة موضع البيت والمطاف؛[٨] لأن الناس يتباكّون فيها، أي: يزدحمون،[٩] أو لأنها تبكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدقها، فلم يقصدها جبار بسوء إلا وقصمه الله تعالى،[١٠] وسميت مكة

---

(١) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زين العابدين، حضر مع أبيه كربلاء وكان مريضا فلم يقاتل ولم يُتعرض له، وكان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا. ت٩٤هـ الطبقات {٥/ ٢١١} وسير أعلام النبلاء {٤/ ٣٨٦}.

(٢) مابين المعكوفين ساقط من الأصل والتصحيح من (ب).

(٣) انظر هذه الأقوال عند البغوي {١/ ٤٧١} وما بعدها.

(٤) وحديثه أخرجه البخاري {٣٣٦٦- ٣٤٢٥} ومسلم {٥٢٠} ((يقول: قلت: يارسول الله، أيّ مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: **((المسجد الحرام))** قلت: ثم أي؟ قال: **((المسجد الأقصى))** قلت: كم كان بينهما؟ قال: **((أربعون سنة))** ثم قال: **((أينما أدركتك الصلاة بعدُ فصلِّ، فإن الفضل فيه))**.

(٥) قول الضحاك وابن قتيبة، الطبري {٧/ ٢٥} وتفسير غريب القرآن {١٠٧}.

(٦) انظر: تفسير غريب القرآن {١٠٧} المفردات مادة: بكت.

(٧) قول الزهري وضمرة بن حبيب، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٢٥} وزاد المسير {١/ ٤٢٥}.

(٨) قول ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وإبراهيم وعطية، انظر: زاد المسير {١/ ٤٢٥} تفسير ابن كثير {٢/ ٦٩}.

(٩) انظر: مجاز القرآن{١/ ٩٧}.

(١٠) عن عبد الله بن الزبير انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧٢} زاد المسير {١/ ٤٢٥}.

بذلك؛ لقلة مائها، من: مكَّ الفصيلُ ضرع أمه، وأمْتكه إذا امتص كل ما فيه من اللبن،[1] وتدعى أم رُحْم؛ لأن الرحمة تنزل بها ﴿مُبَارَكًا﴾ نصب على الحال، عن الذي، أي: ذا بركة وبركته تكفير الذنوب ومغفرة الخطايا ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ لأنه قبلة للمؤمنين.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ وقرئ: ﴿ءَايَةَ﴾[2] بالتوحيد والمراد ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحده، ومن جمع وهي القراءة المشهورة، فأراد مقام إبراهيم، الحجر الذي قام عليه إبراهيم، فأثر قدماه فيه، ثم اندرس بعد ذلك من كثرة المسح بالأيدي، والحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، أو مقام إبراهيم [١٩٨/ب] جميع الحرم،[3] من آيات البيت أن الطير لا تطير فوقه، وأن الجارحةَ إذا قصدت الصيد فدخل الحرم كَفَّتْ عنه،[4] وصدر إليه الأنبياء المرسلون، والأولياء والأبرار، وتضاعف الحسنة فيه بمائة ألف ضعف.[5]

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: لا يهاج؛ وذلك بدعاء إبراهيم، حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] وكانت العرب في الجاهلية من دخل الحرم لا تتعرض إليه، وإن كان لهم عليه دماء، والمراد من الآية هذا، عند جماعة،[6] أو المراد من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمناً، أو هو خبر بمعنى الأمر، أي: من دخله فأمنوه.[7]

ذهب قوم إلى أن من وجب عليه قتل، قصاصاً كان أو حداً، فالتجأ إلى الحرم فإنه لا يقتل، ولكن لا يبايع ولا يشارى حتى يخرج، أما إذا ارتكب الجريمة في الحرم فتستوفى منه عقوبته.

وذهب قوم إلى أن القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه، قاله ابن عباس رضي الله عنه، وبه قال الشافعي، وبالأول قال أبو حنيفة.[8]

---

(١) راجع لسان العرب، مادة: مكك.

(٢) قرأ بها أبي وعمر وابن عباس ومجاهد وأبو جعفر في رواية قتيبة، وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط {٣/ ١٣} وإعراب القراءات الشواذ {١/ ٣٣٨}.

(٣) قول ابن عباس رضي الله عنه، انظر تفسير ابن كثير {٢/ ٦٩}.

(٤) وهذا خلاف الواقع، وليس عليه دليل، والله أعلم.

(٥) هذا ورد في حديث لا يصح، مداره على إسماعيل بن أمية، كذاب يضع الحديث، العلل المتناهية {٢/ ٥٦٧}.

(٦) قول الحسن وقتادة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧٣} القرطبي {٤/ ٩١}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧٣} وكلا القولين محتمل، فهو آمن على العموم، والله أعلم.

(٨) انظر: أحكام القرآن للجصاص {١/ ٣٢٢} وتفسير القرطبي {٤/ ٩١} والمجموع للنووي {١٨/ ٤٧٢}.

أو من دخله معظماً له متقرباً إلى الله تعالى كان آمناً يوم القيامة.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أي: فرض واجب، أبو جعفر[1] وحمزة والكسائي وحفص بكسر الحاء في هذا الحرف وحده، ومن بقي بالفتح، وهما لغتان،[2] وقد يكون بالفتح مصدرا وبالكسر اسماً،[3] ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ والحج أحد أركان الإسلام، ولوجوب الحج خمس شرائط:[4] الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة، فلا يجب على الكافر والمجنون، ولا يصح منهما،[١٩٩/أ] ولا على الصبي والعبد، ويصح منهما، ويكون تطوعاً لا يسقط عنهما الفرض إذا صارا من أهله، ولا على غير المستطيع، ويسقط عنه إن وجد منه، والاستطاعة نوعان: أن يكون مستطيعاً ببدنه، والآخر: أن يكون مستطيعاً بغيره، أما الاستطاعة ببدنه فأن يكون قادراً بنفسه على الذهاب، ويجد الزاد والراحلة، وتكون الراحلة تصلح لمثله، والزاد قدر الكفاية للذهاب والرجوع، فاضلا عن نفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم مدة ذهابه ورجوعه، وعن دَينٍ يكون عليه، وإن لم يكن له من تلزمه نفقته ولا عليه دين ووجد قدرا يكفيه لذهابه ففي وجوب الحج عليه قولان، ووجد رفقة يخرجون وقت جريان عادة أهل بلده بالخروج، فإن تقدموا أو تأخروا مقدارا لو كانوا يسيرون كل يوم أكثر من مرحلة، لا يلزمه الخروج، وأن يكون الطريق آمناً، وأن يكون المنازل المأهولة معمورة، يجد فيها الزاد والماء، فإن تفرق أهلها، أو غارت مياهها، فلا يلزمه، ولو لم يجد الراحلة ويقدر على المشي، أو لم يجد الزاد ويمكنه الاكتساب، لم يلزمه، ويستحب منه، خلافا لمالك فإنه يوجبه، والمستطيع بغيره أن يكون عاجزاً، بأن يكون زمِناً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه، لزمه أن يستأجر، وإن لم يكن له مال ولكن بذل له ولده، أو أجنبي الطاعة، في أن يحج عنه، لزمه أن يأمره به إذا كان يعتمد صدقه، هذا عند الشافعي، وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المعضوب.[5]

---

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع، القارئ أحد القراء العشرة، أتي به إلى أم سلمة -رضي الله عنها- وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، ت١٣٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار {١/ ٧٢} وغاية النهاية {١/ ٣٨٢}.

(٢) انظر النشر {٢/ ٢٤١} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٥}.

(٣) البحر المحيط {٣/ ١٧}.

(٤) وانظر بسط الكلام في شروط الحج: بدائع الصنائع {٢/ ٢٩٣} المغني {٣/ ١٦٤} المجموع {٧/ ١٢}.

(٥) بدائع الصنائع {٢/ ٢٩٧} أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٣٧٨} مغني المحتاج {١/ ٦٣٢} المعضُوب: الزَّمِنُ الذي لا

وحجة من أوجبه حديث الخثعمية [١٩٩/ب] إذ قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ الحديث.(١)

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي: جحد فرض الحج،(٢) أو من كفر بالله من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به.(٣)

قال ﷺ **((من لم يحبسه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس، أو سلطان جائر، ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً))**(٤)

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تصرفون عن دين الله ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: تطلبونها زيغاً وميلاً.

أبو عبيدة: العِوج- بالكسر- في الدين والقول والعمل، وبالفتح في الجدار، وكل شخص قائم.(٥)

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: أن في التوراة نعت محمد ﷺ، وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ مرَّ [شاس](٦) بن قيس اليهودي على نفر من الأوس والخزرج في مجلس مجتمعين يتحدثون، فغاظه ما رأى من أُلفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في

حَرَاكَ به. النهاية: عضب.

(١) أخرجه البخاري {١٥١٣- ١٨٥٥- ٤٣٩٩} ومسلم {١٣٣٤} وتكملة الحديث: قال: ((نعم)).

(٢) قول ابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة والضحاك ومقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧٦} زاد المسير {١/ ٤٢٩}.

(٣) قول السدي، البغوي {١/ ٤٧٦} وانظر الهامش التالي.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب {٣٩٧٩} وفي السنن الكبرى {٨٤٤٣} والدارمي {١٧٨٥} وابن الجوزي في الموضوعات {٢/ ٢٠٩} وحكم بوضعه، وأعله بليث بن أبي سليم، وبأن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من أبي أمامة. و قال في التلخيص الحبير: وقال العقيلي والدارقطني: لا يصح فيه شيء... وليث ضعيف وشريك سيء الحفظ، ورواه الترمذي وقال: غريب وفي إسناده مقال، والحارث يُضعف، وهلال بن عبد الله الراوي له عن أبي إسحاق مجهول. اهـ. {٢/ ٢٢٢} وقال البيهقي في الشعب: و هذا إن صح فإنما أراد والله أعلم، إذا لم يحج و هو لا يرى تركه إثما و لا فعله برا.اهـ وقد ورد عن عمر ؓ موقوفا قوله: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهوديا مات أو نصرانيا. وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره {٢/ ٧٦} والله أعلم.

(٥) مجاز القرآن {١/ ٩٨}.

(٦) في النسختين: شماس، في الموضعين، والمثبت من المصادر. وشأس بن قيس هذا من يهود بني قينقاع، من أعداء الرسول

الجاهلية من العداوة، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس معهم ويذكرهم يوم بعاث [(١)] وما كان قبله، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل ذلك، فتنازع القوم [٢٠٠/أ] عند ذلك وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، فقال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددتها والله جذعة، وغضب الفريقان جميعاً، وقالا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة، وهي حرة فخرجوا إليها، وانضمت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، حتى جاءهم، فقال: **((يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد إذ أكرمكم الله تعالى بالإسلام، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، الله الله))** فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: شاسا وأصحابه ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ قال جابر ﷺ: فما رأيت يوماً أقبح أوَّلاً، وأحسن آخراً من ذلك اليوم.[(٢)]

ثم قال تعالى تعجبا منهم: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أي: لم تكفرون؟ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ في هذه الآية [٢٠٠/ب] علمان بينان: كتاب الله تعالى ونبي الله تعالى، فأما نبي الله ﷺ فقد مضى، وأما كتاب الله فأبقاه الله تعالى بين أظهركم رحمةً منه ونعمة.[(٣)]

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ أي: يمتنع ويتمسك بدينه وطاعته، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي: طريق واضح، أو ومن يعتصم أي: يؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع.

كان بين الأوس و الخزرج عداوة وقتال في الجاهلية، حتى هاجر إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم، فافتخر بعده منهم رجلان، من الأوس: ثعلبة بن غنم[(٤)]، ومن الخزرج أسعد بن زرارة،[(٥)] فقال

ﷺ، سيرة ابن هشام {١/ ٥١٤} وسيذكره في آخر الحديث بدون تصحيف.

(١) في حاشية الأصل مانصه: بعاث: بالعين والغين مصروف وغير مصروف، وزعم بعضهم أنه بالغين المعجمة تصحيف.

(٢) أخرجه ابن جرير {٧/ ٥٥} من طريق محمد بن إسحاق، أورده الواحدي في أسباب النزول بدون إسناد {١١٥} وأسنده عن ابن عباس ﷺ وعن عكرمة بنحو هذه الرواية. وانظر سيرة ابن هشام {١/ ٥٥٥}.

(٣) قول قتادة، أخرجه الطبري {٧/ ٦١}.

(٤) ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابي بن غنم بن كعب السلمي الخزرجي، شهد العقبة وبدرا، الإصابة {١/ ٤٠٦}.

(٥) أسعد بن زرارة بن عدس بن النجار، أبو أمامة الأنصاري، قديم الإسلام، شهد العقبتين، وكان نقيبا على قبيلته، وهو أول

الأوسي: منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين،[1] وحنظلة غسيل الملائكة،[2] وعاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدَّبر،[3] وسعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن، ورضي الله بحكمه في قريظة، قال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد،[4] ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم، فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا، فجاء الأوس و الخزرج ومعهما السلاح، فأتاهم النبي ﷺ، ونزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[5] أي: أن يطاع فلا يعصى،[6] أو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم[7] وأبنائكم.

أنس قال: لا يتقي الله امرؤ حق [٢٠١/أ] تقاته حتى يخزن لسانه.[8]

فلما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ فأنزل تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] فنسخت هذه الآية، مقاتل:[9] ليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذا.[1]

من جمَّع بالمدينة قبل مقدم النبي ﷺ مات قبل بدر. انظر: الإصابة {١/ ٥٤} وسير أعلام النبلاء {١١/ ٢٩٩}.

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري، من السابقين الأولين، جعل النبي ﷺ شهادته شهادة رجلين، وكان من كبار جيش علي ﷺ فاستشهد يوم صفين. انظر: الإصابة {٢/ ٢٧٨} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٤٨٥}.

(٢) حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الأوسي، المعروف بغسيل الملائكة، استشهد بأحد. الإصابة {٢/ ١٣٧}.

(٣) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، من السابقين الأولين، بعثه رسول الله ﷺ وأمره على سرية فقتل فيها، فأرسلت قريش ليؤتوا بشيء من جسده، وكان قد عاهد الله ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته، فسمي حمي الدَّبر. انظر: الإصابة {٣/ ٥٦٩}.

(٤) قيس بن السكن الأنصاري، من بني عدي بن النجار أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، مات بعد السبعين من الهجرة، الإصابة {٥/ ٤٧٦}.

(٥) أورده البغوي عن مقاتل بن حيان {١/ ٤٧٩}.

(٦) وتكملته: وأن يُذكر فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَر فلا يُكْفَر. وهو موقوف عن ابن مسعود ﷺ، وانظر: تفسير البغوي {١/ ٤٧٩} وتفسير ابن كثير {٢/ ٧٧} وصححه.

(٧) في ب زيادة [وآبائكم].

(٨) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٨٠} والدر المنثور {٣/ ٧٠٨}. ومعنى يخزن: أي: يحفظ، المفردات مادة: خزن.

(٩) أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي كبير المفسرين. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة. وقال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. وقال عنه الذهبي: أجمعوا على تركه. سير أعلام النبلاء {٧/ ٢٠١}.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ أي: مؤمنون، أو مخلصون، أو مفوضون أموركم إلى الله تعالى، أو محسنون الظن بالله تعالى.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أي: تمسكوا بدين الله،[٢] أو بعهد الله تعالى،[٣] أو بأمر الله تعالى وطاعته، أو حبل الله تعالى القرآن،[٤] أو الجماعة.[٥]

قال ﷺ: **((عليكم بالجماعة، فإنها حبل الله، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، خير مما تحبون في الفرقة))**[٦] والحبل: أصله السبب الذي يوصل إلى البغية.

قال ﷺ: **((إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال))**.[٧]

كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم، فوقعت بينهما عداوة وقتال بسبب قتيل، فتطاول ذلك بينهم مائة وعشرين سنة، إلى أن أطفأ الله تعالى ذلك بالإسلام، وألف بينهم برسوله ﷺ، وسبب ألفتهم أن سويد بن الصامت[٨] الذي كان قومه [٢٠١/ب] يسمونه الكامل؛ لجلادته ونسبه، قدم مكة، وكان

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨} القرطبي {٤/ ١٠٢} قال أبو جعفر النحاس: فكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه، ولا يقع فيه نسخ، وهذا هو قول النبي ﷺ: **((أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا))** وكذا على المسلمين كما قال ابن مسعود ﷺ: أن تطيعوا الله فلا تعصوه، وتذكروه فلا تنسوه، وأن تشكروه ولا تكفروه، وأن تجاهدوا فيه حق جهاده. فأما قول قتادة مع محله من العلم: إنها نسخت، فيجوز أن تكون معناه: نزلت: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بنسخة ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وأنها مثلها؛ لأنه لا يكلف أحدا إلا طاقته.اهـ الناسخ والمنسوخ {٢/ ١٣٠}.

(٢) قول ابن عباس ﷺ، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨}.

(٣) قول مجاهد وعطاء، المرجع السابق.

(٤) قول قتادة والضحاك والسدي، وروي موقوفا عن ابن مسعود ﷺ، تفسير البغوي {١/ ٤٠٨} زاد المسير {١/ ٤٣٢}.

(٥) عن ابن مسعود ﷺ، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٠٨}.

(٦) هذا الحديث ليس بمرفوع، بل هو من قول ابن مسعود ﷺ، وراجع: الطبري {٧/ ٧٥} والدر المنثور {١٣/ ٤١١} والمعجم الكبير {٨٩٧٢- ٨٩٧٣} والتمهيد {٢١/ ٢٧٣}.

(٧) أخرجه مسلم {١٧١٥}.

(٨) سويد بن الصامت بن حارثة، وكان قومه يسمونه الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو ابن خالة عبد المطلب، رأى النبي ﷺ بسوق ذي المجاز وذلك قبل بعاث، فدعاه النبي ﷺ الى الإسلام، فكان قومه يرون أنه مات مسلما شيخا كبيرا.

قد بعث رسول الله ﷺ وأُمر بالدعوة، فتصدى له حين سمع به ودعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له ﷺ: **((وما الذي معك))** [قال][1] مجلة لقمان، يعني: حكمته، فقال له ﷺ: **((اعرضها عليَّ))** فعرضها عليه، فقال: **((إن هذا الكلام حسن، وإن معي أفضل من هذا، القرآن أنزله الله تعالى عليَّ))** ثم انصرف إلى المدينة، فلم يلبث أن قتلته الخزرج قبل يوم بغاث، وقومه يقولون: قتل مسلما، ثم قدم أبو [الحيسر][2] أنس بن رافع،[3] بجماعة من بني الأشهل، فيهم إياس بن معاذ[4] يلتمسون [الحِلف][5] من قريش على قوم من الخزرج، فلما سمع بهم ﷺ أتاهم فجلس إليهم، فقال: **((هل لكم إلى خير مما جئتم له؟))** قالوا: وما هو؟ قال: **((أنا رسول الله تعالى، بعثني الله تعالى إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليَّ الكتاب))** ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ: أي: قومِ هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه إياس، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد [جئنا][6] لغير هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة، ثم كانت وقعة بغاث فهلك إياس بن معاذ، فلما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه خرج ﷺ في الموسم الذي كان لقي النفر من الأنصار، يعرض نفسه على قبائل العرب،[٢٠٢/أ] كما كان يصنع في كل موسم، فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيراً، وهم ستة نفر: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث[7] وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك العجلاني،[1]

الجرح والتعديل {٤/ ٢٣٣} والبداية والنهاية {ج٣/ ١٧٩}.

(١) ساقط في الأصل والتصحيح من ب.

(٢) في النسختين: أبو الخيسر بالمعجمة، والتصحيح من مصدر الترجمة.

(٣) أنس بن رافع أبو الحيسر الأوسي، تزوج عبد الرحمن بن عوف ﷺ ابنته، وشارك ابنه في بدر. الإصابة {١/ ٢٥٦}.

(٤) إياس بن معاذ الأنصاري، قال ابن السكن وابن حبان: له صحبة، وذكره البخاري في تاريخه الأوسط فيمن مات على عهد النبي ﷺ، قدم إياس مكة وهو غلام قبل الهجرة، فرجع ومات قبل الهجرة وذكر قومه أنه مات مسلما. المرجع السابق {١/ ١٦٧}.

(٥) في الأصل: الخلف. والمثبت من ب.

(٦) في النسخة ب: جئنا.

(٧) عوف بن الحارث بن رفاعة، شهد العقبة، وهو أخو معاذ ومعوذ، ابني عفراء، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا وقتل فيها شهيدا. انظر: الإصابة {٤/ ٧٣٩} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٣٥٩}.

و[قطبة بن عامر بن حديدة][٢] وعقبة بن عامر بن نابي،[٣] وجابر بن عبد الله،فقال ﷺ: **((من أنتم؟))** قالوا: نفر من الخزرج، قال: **((أمِن موالي يهود؟))** قالوا: نعم، قال: **((أفلا تجلسون حتى أكلمكم؟))** قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكان مما صنع الله تعالى لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وهم كانوا أهل أوثان وشرك، وكانوا إذا كان بينهم شيء، قالوا: إن نبياً الآن مبعوث قد أظل زمانه، نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه وصدقوه، وقالوا: إنا تركنا قوماً، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله تعالى أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله تعالى عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، مؤمنين، فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وأتى الموسم من الأنصار اثنا عشر[٢٠٢/ب] رجلاً، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ[٤] ابنا عفراء، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد القيس،[٥] وعبادة بن الصامت، و[يزيد]بن ثعلبة،[٦] وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، هؤلاء من الخزرج، وأبو الهيثم بن

---

(١) رافع بن مالك العجلاني الأنصاري، نقيب بدري شهد العقبة الأولى والثانية، أول من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل في الستة النفر الذين يروى أنهم أول من أسلم من الأنصار وليس قبلهم أحد، قتل يوم أحد شهيدا. انظر: الإصابة {٢/ ٤٤٤} الطبقات {٣/ ٦٢١}.

(٢) تصحف الاسم في الأصل إلى: عطية بن عامر بن جديدة، والتصحيح من المصادر، وسيرد اسمه في الصفحة التالية. وهو: قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو الأنصاري، شهد العقبة والمشاهد كلها، مات في خلافة عثمان ﷺ. الطبقات {٣/ ٥٨٧} الإصابة {٥/ ٤٤٤}.

(٣) عقبة بن عامر بن نابي الأنصاري السلمي، شهد العقبة الأولى، وسائر المشاهد واستشهد باليمامة. الإصابة {٤/ ٥٢١}.

(٤) معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري الخزرجي، معروف بابن عفراء، وهي أمه، شهد العقبة الأولى، وشارك في قتل أبي جهل في غزة بدر، عاش بعد ذلك، وقيل: بل جرح ببدر فمات. وعوف أخو معاذ ومعوذ، شهد بدرا مع أخويه وقتل بها، الإصابة {٤/ ١٤٠، ٧٩٣}.

(٥) ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، أحد حراس النبي ﷺ حين رجع من بدر، وأحد الذين شهدوا العقبة الأولى. انظر: الإصابة {١/ ٥٤} وتاريخ ابن خلدون {٢/ ٢٩١}.

(٦) في النسختين [زيد] والتصحيح من المصادر، وهو: يزيد بن ثعلبة بن خزْمة بن أصرم البلوي، أبو عبد الرحمن، ذكره بن

التيهان،[١] وعويم بن ساعدة من الأوس،[٢] فلقوه بالعقبة وهي الأولى، فبايعوه ﷺ على بيعة النساء، أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يزنوا، الآية، **((فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة، وإن غشيتم منه شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سُتر عليكم فأمركم إلى الله تعالى، إن شاء عذبكم وإن شاء عفا عنكم))** وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب، فلما انصرفوا بعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، وكان مصعب يسمى بالمدينة المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة، ثم خرج أسعد بمصعب فدخل بعض حوائط بني ظفر، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير:[٣] انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا؛ ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، فإن أسعد ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط، فلما رآه أسعد، قال لمصعب:[٢٠٣/أ] هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله تعالى فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، فقال مصعب: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، وكلمه مصعب في الإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال: إن ورائي رجلاً، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه،

إسحاق فيمن شهد العقبة الأولى. انظر: الإصابة {٦/ ٦٥٠} الطبقات {١/ ٢٢٠} سيرة ابن هشام {١/ ٤٣٢}.

(١) أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري الأوسي، مشهور بكنيته، أحد النقباء الاثني عشر، أحد الستة النفر الذين لقوا رسول الله ﷺ من الأنصار بمكة فأسلموا وأفشوا الإسلام بالمدينة، شهد المشاهد كلها انظر: الإصابة {٧/ ٤٤٩} الطبقات {٣/ ٤٤٧}.

(٢) عويم بن ساعدة بن عائش الأنصاري الأوسي، بدري كبير، شهد العقبة والمغازي. انظر: الإصابة {٤/ ٧٤٥}.

(٣) أسيد بن حضير الأنصاري الأشهلي، من السابقين إلى الإسلام، وأحد النقباء ليلة العقبة، أسلم قبل سعد بن معاذ، وثبت يوم أحد، من عقلاء الأشراف وذوي الرأي، من أحسن الناس صوتا بالقرآن. انظر: الإصابة {١/ ٨٣} وسير أعلام النبلاء {١/ ٣٤٠}.

وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم انصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد، قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، لأنهم عرفوا أنه ابن [خالتك](١) ليخفروك، فقام سعد مغضباً مبادراً للذي ذكره من بني حارثة، فأخذ الحربة، وقال: ما أراك أغنيت عني [٢٠٣/ب] شيئاً، فلما رآهما مطمئنين، عرف أن أسيدا أراد أن يسمع منهما شيئا، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمتَ هذا مني، تغشانا بما نكره؟ فقال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد قومه، فقال مصعب لسعد: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته عزلناك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم جلس إليهما بعد أن ركز حربته، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا الإسلام في وجهه، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل ثم تطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحق، وركع ركعتين، ثم أخذ حربته، وأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه، قالوا: نحلف بالله تعالى، لقد رجع إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام؛ حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلم أو مسلمة، ورجع مصعب وأسعد بن زرارة إلى منزله، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون، إلا دار بني أمية بن زيد، وخطمة ووائل وواقف، لأنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت [٢٠٤/أ] الشاعر،(٢) وكانوا يطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول ﷺ، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم رجع مصعب إلى مكة، وخرج معه سبعون من الأنصار مسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، وهي العقبة الثانية.

---

(١) في النسختين: خالك، والمثبت من المصادر، وقد ذكره قبل أسطر.

(٢) أبو قيس بن الأسلت الأوسي، مختلف في اسمه وفي إسلامه، كان يعدل بقيس بن الخطيم في الشجاعة والشعر، وكان يحض قومه على الإسلام ويقول: استبقوا إلى هذا الرجل وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ، الإصابة {٧/ ٣٣٤}.

قال كعب بن مالك: -وكان قد شهد ذلك- فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ ومعنا عبد الله بن حرام أبو جابر أخبرناه، وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا، فقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ودعوناه إلى الإسلام فأسلم، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، فاجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب أم عمارة،[1] إحدى نساء بني النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع[2] إحدى نساء بني سلمة، ننتظر رسول الله ﷺ، فجاءنا ومعه عمه العباس، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، وتوثق له، فلما[٢٠٤/ب] جلسنا كان أول من تكلم العباس، فقال: يا معشر الخزرج[3] قد علمتم مكان محمد ﷺ منا، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم [واللحْق][4] بكم، فإن كنتم ترون أنكم [وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفهم فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم][5] مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة، فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله وخذ لربك ولنفسك ما شئت.

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام، ثم قال: **((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم))** قال: فأخذ البراء بن معرور[6] بيده، فقال: والذي بعثك

---

(١) أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية النجارية، الفاضلة المجاهدة، شهدت ليلة العقبة وأحدا والحديبية ويوم حنين واليمامة، وجاهدت وقطعت يدها في الجهاد. انظر: الإصابة {٨/ ٢٦٥} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٢٧٨}.

(٢) أسماء بنت عمرو بن عدي الأنصارية السلمية، أم معاذ بن جبل. الإصابة {٧/ ٤٨٩}.

(٣) في ب زيادة: وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الأوس والخزرج خزرجا.

(٤) في (ب) [اللحوق].

(٥) مابين المعكوفين ساقط من الأصل والمثبت من (ب).

(٦) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء ليلة العقبة، وكان نقيب قومه بني سلمة، أول من بايع ليلة العقبة الأولى، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلث ماله، وكان فاضلا تقيا فقيه النفس، مات في صفر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر. انظر: الإصابة {١/ ٢٨٢} وسير أعلام النبلاء {١/ ٢٦٧}.

بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا، فبايعْنا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحلْقة ورثناها كابراً عن كابر.

فاعترض القول أبو التيهان[(١)] -والبراء يكلم رسول الله ﷺ- فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس حبالاً يعني اليهود، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك وأظهرك الله تعالى أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: **((الدم الدم والهدم الهدم،[(٢)] أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم))** وقال ﷺ:[٢٠٥/أ] **((أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، كفلاء على قومهم بما فيهم، ككفالة الحواريين لعيسى))** ثم أخرجوا اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فعند ذلك قال العباس بن عبادة بن نضلة:[(٣)] يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: **((الجنة))** قالوا: اُبسط يدك، فبسط يده فبايعوه، وأول من ضرب على يده البراء بن معرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ، صرخ الشيطان بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب، هل لكم في مذمم والصباة معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال ﷺ: **((هذا عدو الله تعالى، هذا أزب العقبة، اسمع أي: عدو الله: والله لأفرغن لك))**، ثم قال ﷺ: **((ارفضوا إلى [رجالكم]))**[(٤)] فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: **((لم نؤمر**[٢٠٥/ب] **بذلك، ولكن ارجعوا إلى [رجالكم]))** قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، بلغنا إنكم جئتم صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما حيٌّ من العرب أبغض

---

(١) هو أبو الهيثم بن التيهان المتقدم قريبا.

(٢) في حاشية الأصل: أي: محيانا محياكم، ومماتنا مماتكم.

(٣) العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك الأنصاري الخزرجي، من أصحاب العقبة، أقام بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكان أنصاريا مهاجريا، واستشهد بأحد. انظر: الإصابة {٣/ ٦٣٠}.

(٤) في ب: رحالكم.

إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله: ما كان من هذا شيء وما علمناه، وصَدَقوا وما علموا، وبعضنا ينظر إلى بعض، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام المخزومي،[1] وعليه نعلان، فقلت كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا جابر، أما تستطيع وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش، فسمعها الحارث فخلعهما، ثم رمى بهما إلي، وقال: والله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر ﵁: مه، والله أحفظت الفتى فاردد إليه نعليه، قال: لا أردهما، ثم قال: والله لئن صدق الفأل لأستلبنه.

ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شددوا العقد مع رسول الله ﷺ، فلما قدموها أظهروا الإسلام، وبلغ ذلك قريشاً، فآذوا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **((إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها))** فأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم [٢٠٦/أ] الأنصار.

فأول من هاجر إلى المدينة: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي،[2] ثم عامر بن ربيعة،[3] ثم عبد الله بن جحش،[4] ثم تتابع أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً إلى المدينة، فجمع الله أهلَ المدينة أوسَها وخزرجَها بالإسلام، وأصلح ذات بينهم بنبيه محمد ﷺ.[5]

فقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يا معشر الأنصار ﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ أي: قبل الإسلام ﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: بالإسلام ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ﴾ أي: فصرتم برحمته ﴿إِخۡوَٰنٗا﴾ أي: في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: يا معشر الأوس والخزرج على طرف حفرة، قيل جانب البئر، أي:

---

(١) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، شهد بدرا مع أخيه أبي جهل ثم فر منها، وغزا أحدا مع المشركين أيضا، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، له حديث في الصحيحين. الإصابة {١/ ٦٠٦}.

(٢) عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أخو النبي ﷺ من الرضاعة وابن عمته، تزوج أم سلمة ثم صارت بعده إلى النبي ﷺ، مشهور بكنيته، أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة، مات بالمدينة من جرح كان أصابه بأحد فمات منه. انظر: الإصابة {٤/ ١٥٢} وسير أعلام النبلاء {١/ ٤٥٠}.

(٣) أبو عبد الله عامر بن ربيعة العنزي، من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر ﵁ وهاجر الهجرتين، مات بعد قتل عثمان ﵁ بأيام، وقيل قبله. سير أعلام النبلاء {٢/ ٣٣٣}.

(٤) عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي، أحد السابقين إلى الإسلام، وصاحب أول راية عقدت في الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا قتل يوم أحد ودفن هو وحمزة في قبر واحد. انظر: الإصابة {٤/ ٣٥} والطبقات {٣/ ٩١}.

(٥) هذه القصة أوردها ابن هشام في السيرة {١/ ٤٤٠}.

ليس بينكم وبين وقوعكم في النار إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ أي: بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: كونوا أمة، و(من) زائدة ليست للتبعيض،[١] واللام في ﴿وَلْتَكُن﴾ لام الأمر ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾

قال ﷺ: **((من رأى منكم منكراً** [٢٠٦/ب] **فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).**[٢]

وقال ﷺ: **((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، [ولتنهون]**[٣] **عن المنكر، أو ليوشكن الله عز وجل أن يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم))**[٤]

وقال ﷺ: **((إن الناس إذا رأوا المنكر، فلم يغيِّروه، يوشك أن يعمهم الله بعذابه)).**[٥]

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ هم اليهود والنصارى، أو هم المبتدعة من هذه الأمة، أو هم الحرورية بالشام، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم.[٦]

قال ﷺ: **((من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة، فإن الشيطان مع الفذ، وهو من الاثنين أبعد))**[٧] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾

---

(١) والذي يظهر والله أعلم أنها للتبعيض، وهذا مارجحه الطبري {٧/ ٩٠} قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه. اهـ {٢/ ٨١}

(٢) أخرجه مسلم {٤٩}.

(٣) في (ب) [ولتنهن]

(٤) أخرجه الترمذي {٢١٦٩} وأحمد {٢٣٣٠١- ٢٣٣٢٧} من طريق عمرو ابن أبي عمرو، وللحديث شواهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: عند أبي داوود {٤٣٣٦- ٤٣٣٧} وحسنه الألباني في المشكاة {٥١٤٠}.

(٥) أخرجه أبو داوود {٤٣٣٨} والترمذي {٢١٦٨- ٢٠٥٧} وابن ماجه {٤٠٠٥} وصححه الألباني في الصحيحة {١٥٦٤}.

(٦) والآية عامة في هؤلاء كلهم.

(٧) أخرجه الترمذي {٢١٦٨} والنسائي {٢٢٧} وابن ماجه {٢٣٦٣} وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي {٢١٦٥}.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ أي: يوم تبيض وجوه المؤمنين، وتسود وجوه الكافرين، أو يوم تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين، أو تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة.[١]

إذا كان يوم القيامة، رفع لكل قوم ما كانوا يعبدون، وهو قوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥] فإذا انتهوا إليه حزنوا، فتسود وجوههم من الحزن، وبقى أهل القبلة واليهود والنصارى، لم يعرفوا شيئاً مما رفع، فيأتيهم الله عز وجل، فيسجد له من كان يسجد له في الدنيا مطيعاً، ويبقى أهل الكتاب والمنافقون [٢٠٧/أ] لا يستطيعون السجود، ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤوسهم، ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضاً، والمنافقون وأهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين، حزنوا فاسودت وجوههم، فيقولون: ربنا مالنا مسودة وجوهنا فو الله ما كنا مشركين؟ فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا كيف كذبوا على أنفسهم.[٢]

وابيضاض الوجوه: إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وثواب الله تعالى، واسودادها: حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله تعالى،[٣] قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦،٢٧]

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: يقال لهم أكفرتم، وقال: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وليس لهم إيمان؛ إرادة لإيمانهم [يوم][٤] الميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فكأنه قال: أكفرتم بعد أخذ الميثاق،[٥] أو هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروا بقلوبهم،[٦] أو هم

---

(١) قول ابن عباس رضي الله عنه، تفسير البغوي {١/ ٤٨٩} الدر المنثور {٣/ ٧٢١}.

(٢) ذكره البغوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، {١/ ٤٨٩}.

(٣) والمصنف رحمه الله، أراد هنا أن اللون ليس معتبرا في ذلك المقام، والمعتبر حينئذ حالة الوجه.

(٤) في الأصل [بعد] والمصنف اختصر الكلام من البغوي {١/ ٤٩٠}.

(٥) حكي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٩٠}.

(٦) قول الحسن، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٩٠}.

أهل الكتاب آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل بعثه، فلما بعث كفروا به،[١] أو هم من أهل قبلتنا، أو هم الخوارج،[٢] أو هم أهل البدع.[٣]

قال ﷺ: **((بادروا بالأعمال، فإن ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي- كافراً، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً** [٢٠٧/ب] **يبيع دينه بعرض من الدنيا))**[٤]

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: في جنته.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

قال مالك بن [الصيف][٥] ووهب بن يهوذا اليهوديان لابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، نحن أفضل منكم، وديننا خير مما تدعوننا إليه، فنزل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٦] أو نزلت في الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة،[٧] أو هم أصحاب محمد ﷺ خاصة،[٨] الرواة والدعاة الذين أمر الله تعالى المسلمين بطاعتهم، أو ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أي: يكون لأولنا ولا يكون لآخرنا.[٩]

قال ﷺ: **((خيركم قرني، ثم الذي يلونهم، ثم الذي يلونهم))** وقع شك في المرتين والثالث، وقال: **((إن بعدكم قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن))**[١٠] أو هم جميع مؤمني هذه الأمة.

---

(١) قول عكرمة، المرجع السابق.

(٢) قول أبي أمامة، المرجع السابق.

(٣) قول قتادة، المرجع السابق.

(٤) أخرجه مسلم {١١٨}.

(٥) في النسختين: الضيف، وهو تحريف.

(٦) أورده الواحدي في أسباب النزول {١١٨}.

(٧) عن ابن عباس رضي الله عنه، الطبري {٧/ ١٠١} والبغوي {١/ ٤٩١}.

(٨) عن الضحاك، البغوي {١/ ٤٩١}.

(٩) عن عمر رضي الله عنه، انظر: تفسير الطبري {٧/ ١٠١} والمرجع السابق.

(١٠) أخرجه البخاري {٢٦٥١-٣٦٥٠-٦٤٢٨-٦٦٩٥} ومسلم {٢٥٣٥}.

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ﴾ أي: أنتم، أو كنتم خير أمة عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، أو كنتم خير أمة ما أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وآمنتم بالله،[٢٠٨/أ] أو أنتم خير الناس للناس،[١] أو ﴿لِلنَّاسِ﴾ صلة، أي: ما أخرج الله تعالى للناس أمة خيرا من أمة الرسول ﷺ.

قال ﷺ: **((ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة، هي أخيرها وأكرمها على الله تعالى))**[٢]

(١) انظر هذه الأقوال في: معاني الفراء {١/ ٢٢٩} والزجاج {١/ ٤٥٦}.

(٢) أخرجه أحمد {١١٥٨٧} من طريق علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف كما في التقريب {٦٩٦}.

وقال ﷺ: ((**إن الجنة حرمت على الأنبياء كلها حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي**))[(١)]

وقال ﷺ: ((**أهل الجنة عشرون ومائة صنف، ثمانون من هذه الأمة**))[(٢)]

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

عمد رؤوس اليهود إلى من آمن، منهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فآذوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾[(٣)] أي: أيها المؤمنون، هؤلاء اليهود ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ أي: باللسان وعيداً وطعناً، أو كلمة كفر تتأذون بها ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي: منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ أي: عليكم بل يكون لكم [النصر][(٤)] عليهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ أي: حيث ما وُجدوا استضعفوا وقُتلوا وسُبُوا فلا يأمنون ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: بعهد، أي: بأن يسلموا، والمراد بالناس ها هنا: [٢٠٨/ب] المؤمنون، أي: بأن يؤدوا الجزية إليهم، أو أمانٍ، أي: إلا أن يعتصموا بحبل فأمِنوا. ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: رجعوا به ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[(٥)] أي: وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين، أو تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ﴾ وهو وقف؛ لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة، فإسناده حسن {١٦٧١٧} وضعفه ابن حجر في التقريب {٤٥١}.

(٢) أخرجه الترمذي {٢٥٤٦} والحاكم {٢٧٣} وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي. وفيه لفظة: صف، بدل صنف. وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة، ورجالهم رجال الصحيح، غير الحارث بن حصيرة، وقد وُثق. {١٨٦٧٧}.

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول {١١٨}.

(٤) في (ب) [النصرة]

(٥) أورده الواحدي في أسباب النزول {١١٩} عن ابن عباس ومقاتل، وابن جرير {٧/ ١٢٠}.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ثم قال: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ أي: المؤمنون والفاسقون، ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أو من قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ابتداء لكلام آخر؛ لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواءً، ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: لا تستوي اليهود وأمة محمد ﷺ،[١] القائمة بأمر الله تعالى، الثابتة على الحق، المستقيمة، أو القائمة المهتدية على أمر الله تعالى، لم يضيعوه، أو مطيعة قائمة على كتاب [٢٠٩/أ] الله تعالى وحدوده، أو قائمة في الصلاة، أو الأمة الطريقة، أي: ذو طريقة مستقيمة.

﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرؤون كتاب الله تعالى، أو يتبعون ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ساعاته، واحدها: إِنْيٌ بكسر الهمز كنحي وأنحاء،[٢] ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أي: يصلون؛ إذ لا تلاوة في السجود، وهي الصلاة بالليل، أو هي صلاة العتمة؛ إذ لا يصليها من سواهم،[٣] أو نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء،[٤] أو ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أربعون رجلاً من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الروم، آمنوا بعيسى وصدقوا محمداً ﷺ، منهم أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، ومحمد بن مسلمة، ومحمود بن مسلمة،[٥] وأبو قيس صرمة بن أنس،[٦] كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة، ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية، حتى جاءهم النبي ﷺ فصدقوه.[٧]

---

(١) قاله ابن مسعود ﷺ، انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٩٦} تفسير ابن كثير {٢/ ٩٤}.

(٢) انظر: المفردات، مادة: أنا.

(٣) عن ابن مسعود ﷺ، الطبري {٧/ ١٢٧} والبغوي {١/ ٤٩٦}.

(٤) رواه سفيان عن منصور بن المعتمر، انظر: تفسير الطبري {٧/ ١٢٩} والعجاب {٢/ ٧٣٨}.

(٥) محمد بن مسلمة بن سلمة الأوسي الأنصاري، أبو عبد الرحمن المدني، حليف بني عبد الأشهل، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، ممن سمي في الجاهلية محمدا، صحب النبي ﷺ هو وأولاده، وآخى بينه وبين أبي عبيدة، أحد الذين شاركوا في قتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، استخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته، اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، توفي سنة ٤٦ وقيل: ٤٣ هـ وأخوه: محمود بن مسلمة، قتل في غزوة خيبر. الإصابة {٦/ ٣٣- ٤٢} سير أعلام النبلاء {٢/ ٣٦٩}.

(٦) صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي، مشهور بكنيته، ترهب في الجاهلية واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية ثم أمسك، حتى قدم النبي ﷺ فأسلم، كان قوالا بالحق، وكان معظما في قومه، أدرك الإسلام شيخا كبيرا، وعاش عشرين ومائة سنة. الإصابة {٣/ ٤٢٢}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٤٩٦}.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما، إخباراً عن الأمة القائمة، ومن بقي بالتاء خطابا لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ وأبو عمرو خير بين التاء والياء فيهما،[1] أي: وما تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه،[٢٠٩/ب] بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: من عذاب الله تعالى، أي: لا تنفعهم أموالهم في الفداء، ولا أولادهم ينصرونهم، وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه، تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد، ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ وسماهم أصحاب النار؛ إذ لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد في قتال النبي ﷺ،[2] أو نفقة اليهود على علمائهم، أو جميع نفقات الكفار وصدقاتهم، أو نفقة الرياء،[3] ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ الصر السموم الحارة التي تقتل،[4] أو صوت، أو برد شديد.[5]

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بالكفر والمعصية ومنعِ حق الله تعالى، أي: مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة، كمثل زرع أصابته ريح باردة ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أو نار فأحرقته، فلم ينتفع به أصحابه ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود، لما بينهم من القرابة والصداقة والجوار والرضاع وغير ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾[6] نهوا عن مباطنتهم خوف

---

(١) النشر {٢/ ٢٤١} البدور الزاهرة {٦٩}. وصحح الوجهين في النشر عن أبي عمرو، وقال: إلا أن الخطاب أكثر وأشهر، وعليه الجمهورمن أهل الأداء. اهـ

(٢) ذكره البغوي {١/ ٤٩٧} وابن حجر في العجاب عن يمان بن المغيرة {٢/ ٧٣٩} وقال محقق العجاب: ثم إن الآية ذكرت الأموال والأولاد، ومعركة أحد لم تكن وقعت والسياق في أهل الكتاب.اهـ

(٣) انظر: زاد المسير {١/ ٤٤٥} البغوي {١/ ٤٩٧}.

(٤) حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما، المرجع السابق.

(٥) قول ابن عباس رضي الله عنهما وأبي عبيدة وابن قتيبة، تفسير الطبري {٧/ ١٣٦} مجاز القرآن {١/ ١٠٢} تفسير غريب القرآن {١٠٩}.

(٦) أخرجه الطبري {٧/ ١٤١} والواحدي في أسباب النزول {١٢٠}، ونهاية اللوحة[٢١٠/ أ] عند قوله (آمنوا).

الفتنة، أو نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين،(١) وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه؛ لأنهم يستبطنون أمره ويطَّلعون عليه، أي: لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم، ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم فقال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورث الشر [والفساد](٢) والخبال العناء والشر والفساد،(٣) و﴿خَبَالًا﴾ نصب مفعولا ثانيا ليألونكم، أو بنزع الخافض، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يودون ما يشق عليكم، إذ العنت: المشقة، أو الخطأ والغلط.(٤)

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: بالوقيعة في المسلمين، أو باطلاع المشركين على أسرار المؤمنين، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أي: من العداوة والغيظ ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ﴾ ها تنبيه، وأنتم كناية للمخاطبين و﴿أُولَاءِ﴾ إشارة إليهم، أي: أنتم أيها المؤمنون، ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي: هؤلاء الذين نهيتكم عن مباطنتهم؛ لأسباب كالرضاع وما تقدم ذكره ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أي: لما بينكم من مخالفة الدين، أو هم المنافقون يحبهم المؤمنون لمَّا أظهروا الإيمان ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب وهم لا يؤمنون بكتابكم[٢١٠/ب] ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: لما يرون من ائتلاف المؤمنين، وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ، وهذا من مجاز الأمثال، وإن لم يكن ثم عض، وهي جمع أنملة بضم الميم وفتحها، وكذلك الهمزة، وهي أطراف الأصابع،(٥) ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أي: ابقوا إلى الممات ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ أي: القلوب من خير وشر.

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي: بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها، وغير ذلك ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بأن يدال عليكم وأن يصبكم جدب أو يقع بينكم اختلاف وما أشبه ذلك، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ أي: على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ أي: تخافوا ربكم ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ أي: لا ينقصكم، ابن عامر وأهل الكوفة بضم الضاد والراء وتشديد الراء، ومن بقي بكسر الضاد وسكون

---

(١) عن مجاهد، انظر: تفسير الطبري {٧/ ١٤١} الدر المنثور {٣/ ٧٣٧}.

(٢) مطموس في الأصل والتصحيح من (ب)

(٣) المفردات مادة: خبل.

(٤) النهاية في غريب الحديث واللسان، مادة: عنت.

(٥) لسان العرب، مادة: نمل. وفي أنملة تسع لغات، بتثليث الهمزة والميم.

الراء،[1] يقال: ضاره يَضِره ضيراً، وبتشديد الراء من ضرّهَ يضرّهُ ضَراً، كرده يرده رَداً، والأول جزم جواب الجزاء، ومن شدد الراء وضمها فقد جزم أيضا، وأصله عنده: يضرركم، فأدغمت الراء في الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد، وضُمت الثانية إتباعا،[2] أو تكون (لا) بمعنى ليس، ويضمر فيه الفاء، أي: وإن تصبروا وتتقوا فليس يضركم ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ أي: عالم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ هو يوم بدر، أو يوم الأحزاب، أو يوم أحد؛[4] لأن ما بعده إلى آخر السورة في حرب أحد، فمشى رسول الله ﷺ على رجليه إلى أحد، يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح، ونزل المشركون بأحد يوم الأربعاء، فسمع بنزولهم، فاستشار أصحابه ودعا عبد الله بن سلول، ولم يدعه قط قبلها فاستشاره، فقال ابن أبيّ بن سلول: أقم يا رسول الله بالمدينة، فوالله ما خرجنا إلى عدو منها قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا، فإن أقاموا، أقاموا بشر مجلس، وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين، فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي.

وقال بعض أصحابه: اخرج بنا يا رسول الله إلى هذه الأكلب، لايرون أنا جبنًا عنهم وضعفنا، فقال ﷺ: **((رأيت في منامي بقراً فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولتها هزيمةً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة))**[5].

وكان يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة، فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر، وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا [٢١١/ب] فلم يزالوا به ﷺ ،حتى دخل فلبس لأْمته، فلما رأوه قد لبس ندموا، وقالوا: بئس ما صنعنا، نشير على رسول الله ﷺ والوحي ينزل عليه، فقاموا واعتذروا،

---

(١) النشر {٢/ ٢٤٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٦}.

(٢) إعراب القراءات السبع {١/ ١١٨} حجة القراءات لابن زنجلة {١٧١}.

(٣) نهاية اللوحة [٢١١/ أ] عند قوله (كيدهم).

(٤) وهذا ما عليه جمهور المفسرين، وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري والربيع والحسن وقتادة والسدي وابن إسحاق، وراجع الطبري {٧/ ١٦٠} زاد المسير {١/ ٤٤٩} وقال ابن كثير في تفسيره فيمن قال إنه يوم الأحزاب: غريب لا يعول عليه.اهـ {٢/ ٩٧}

(٥) أخرجه البخاري {٣٦٢٢-٤٠٨١- ٧٠٣٥} ومسلم {٢٢٧٢}.

وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت، فقال ﷺ: **((لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل))** وأقام المشركون بأحد الأربعاء والخميس، وخرج إليهم ﷺ يوم الجمعة، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، فكان من أمرهم ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ أي: واذكر ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾ أي: تنزل المؤمنين مواطن للقتال، بوأتُ القوم إذا وطنتهم، وتبوؤوا هم إذا توطنوا ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾

﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا﴾ أي: تجبنا وتضعفا وتتخلفا، وهما بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر؛ لأن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، أو في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشرط انخزل عبد الله بن أبيّ بثلث الناس، ورجع في ثلاثمائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي، فقال: أنشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم، قال ابن أبيّ: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فهمت إذ ذاك بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع ابن أبيّ[٢١٢/أ] فلم ينصرفوا، فقال تعالى: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾ أي: ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾

﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة،[١] أو اسم لبئر هناك،[٢] يذكر الله تعالى منته عليهم بالنصرة لهم يوم بدر ﴿وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ جمع: ذليل، وجاء بجمع القلة لأنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم﴾ أمدهم الله تعالى يوم بدر بألف، بدليل قوله تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ﴾ [الأنفال: ٩]ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف. قال الحسن: فهؤلاء الخمسة آلاف ردءٌ المؤمنين إلى يوم القيامة.

الإمداد: إعانة الجيش بالجيش، أو ما كان على جهة القوة والإعانة يقال فيه: أمده إمدادا، أو ما كان على جهة الزيادة يقال: مده مدا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ﴾ أي: المد في الشر، والإمداد في الخير.[٣] ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾ ابن عامر بتشديد الزاي على التكثير، ومن بقي بالتخفيف والزاي مفتوحة فيهما،[٤] وقرئ بكسرها،[١] أي: منزلين النصر.

---

(١) قاله الضحاك، الطبري {٧/ ١٧١} الدر المنثور {٣/ ٧٥٠}.

(٢) قاله علي بن أبي طالب والشعبي، انظر: المرجعين السابقين.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة: مدد.

(٤) انظر: السبعة {٢١٥} والنشر {٢/ ٢٤٢}.

ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر، وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، إنما يكونون عدداً ومدداً.(٢) [٢١٢/ب]

ابن إسحاق: لما كان يوم أحد وانجلى القوم عن رسول الله ﷺ، وبقي سعد بن مالك يرمي، وشاب يتنبل، فلما فني النبل أتاه فنثره، فقال: ارم أبا إسحاق، ارم أبا إسحاق مرتين، فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل، فلم يعرف.(٣)

عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت يوم أحد عن شمال رسول الله ﷺ، وعن يمينه رجلين، عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كأشد القتال، يعني جبريل وميكائيل.(٤)

الشعبي:(٥) بلَغ رسول الله ﷺ: أن كرز بن جابر المحاربي،(٦) يريد أن يمد المشركين يوم بدر، فشق عليهم، فأنزل هذه الآيات، فبلغ كرزاً الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم الله تعالى بالخمسة آلاف، وكانوا قد أمدوا بألف.(٧) أو وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر، أو كان يوم أحد إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدهم الله تعالى في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمدهم الله تعالى حين حاصروا قريظة والنضير.(٨)

---

(١) مخففة قراءة الحسن وأبي حيوة، ومشددة قراءة ابن أبي عبلة، وهما شاذتان، انظر: البحر المحيط {٣/ ٧٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٧}.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني، وفيه عمار بن أبي مالك الجنبي، ضعفه الأزدي، {٩٩٨٥} وانظر السلسلة الضعيفة {٤٠٨٨}

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل {٣/ ٢٥٦}. وابن إسحاق هذا هو عمير بن إسحاق، وليس هو بصاحب السيرة.

(٤) أخرجه البخاري {٤٠٥٤- ٥٨٢٦} ومسلم {٢٣٠٦} وقال النووي في شرحه على الحديث: فيه بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه. {١٥/ ٦٦}.

(٥) أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي، ولد في عهد الفاروق، وكان فقيها حافظا عالما، أدرك جلة من أصحاب رسول الله ﷺ وروى عن بعضهم. ت ١٠٤هـ. انظر: الطبقات {٦/ ٢٤٦} سير أعلام النبلاء {٤/ ٢٩٤}.

(٦) كرز بن جابر بن حسيل المحاربي، أسلم بعد الهجرة وحسن إسلامه، وولاه رسول الله ﷺ الجيش الذي كان في أثر العرنيين الذين استاقوا الإبل وقتلوا راعيه، قتل يوم الفتح. انظر: الإصابة {٥/ ٥٨١}.

(٧) أخرجه الطبري {٧/ ١٧٣} وعزاه في الدر المنثور لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم {٣/ ٧٥٢}.

(٨) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٠٢} وهذا يحتاج إلى دليل.

قال عبد الله بن أبي أوفي:[1] حاصرنا قريظة والنضير ما شاء الله تعالى، فلم يفتح علينا فرجعنا، فدعا رسول الله ﷺ بغسل، فهو يغسل رأسه، إذ جاءه جبريل، فقال: وضعتم أسلحتكم، ولم تضع الملائكة أوزارها؟ فدعا رسول الله ﷺ بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى، فقمنا [٢١٣/أ] حتى أتينا قريظة والنضير، فأمدنا الله تعالى يومئذ بثلاثة آلاف، وفتح لنا فتحاً يسيراً.[2]

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ أي: لعدوكم وتتقوا مخالفة نبيكم ﴿وَيَأۡتُوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ أي: من وجههم هذا،[3] أو من غضبهم هذا؛[4] لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد منهم ﴿مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، أراد أنهم سوّموا خيلهم، ومن بقي بالفتح،[5] أراد أنهم سوموا نفوسهم، والتسويم: الإعلام من السومة وهي العلامة، وعلامتهم أنهم كانوا على خيل بلق عليهم عمائم صفر،[6] أو كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم،[7] أو عمائم صفر مرخاة على أكتافهم،[8] أو كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها.[9]

وروي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: **((تسوموا، فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم)).**[10]

---

(١) عبد الله بن أبي أوفى بن خالد الأسلمي، شهد الحديبية وروى أحاديث شهيرة ت٨٠هـ. انظر: الإصابة {٤/ ١٨}.

(٢) أخرجه الطبري بسنده {٧/ ١٧٨} وفيه سليمان بن زيد المحاربي أبو إدام وهو ضعيف، قال عنه يحي بن معين: ليس بثقة كذاب. تهذيب الكمال {١١/ ٤٣٢}.

(٣) قاله ابن عباس والحسن وقتادة و مقاتل و الزجاج، انظر: تفسير الطبري {٧/ ١٨١} زاد المسير {١/ ٤٥١}.

(٤) قاله عكرمة و مجاهد و الضحاك، المرجع السابق.

(٥) النشر {٧٠} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٧}.

(٦) قاله عروة بن الزبير، انظر: تفسير الطبري {٧/ ١٨٨} الدر المنثور {٣/ ٧٥٦}.

(٧) قاله علي وابن عباس، البغوي {١/ ٥٠٣}.

(٨) قال هشام بن عروة والكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٠٣} زاد المسير {١/ ٤٥١}.

(٩) قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٠٣} وتفسير الماوردي {١/ ٤٢٢}.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده عن عمير بن إسحاق وهو مجهول {٧/ ١٨٦} وابن أبي شيبة {٧/ ٣٥٤}وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ أي: الوعد والمدد إلا بشارة لتستبشروا، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ أي: ولتسكن قلوبكم، فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [٢١٣/ب]أي: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند، فإن النصر من الله فاستعينوا به وتوكلوا عليه؛ لأن العز والحكم لله.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: لقد نصركم الله ليقطع طرفاً، أي: لكي يهلك طرفا من الذين كفروا، أو ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون، ومن حمل الآية على حرب أحد، فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر، وكانت النصرة للمسلمين إلى أن خالفوا أمر الرسول ﷺ فانقلبت عليهم[1] ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أي: يهزمهم،[2] أو يصرعهم لوجوههم،[3] أو يلعنهم،[4] أو يهلكهم،[5] أو يحزنهم، أو يذلهم، أو يكبتهم [بكيدهم][6] أي: يصيب الحزن والغيظ أكبادهم، على تعاقب الدال والتاء،[7] كسبت رأسه وسبده: حلقته، ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي:لم ينالوا مرجُوَّهم.

بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة، بعد انقضاء أربعة أشهر من أحد؛ ليعلموا الناس القرآن والعلم، أميرهم المنذر بن عمرو،[8] فقتلهم عامر بن الطفيل،[9] فوجد عليهم رسول الله ﷺ، وبقي شهراً يقنت في الصلوات كلها، يدعو على طائفة من تلك القبائل

---

(١) في (ب)زيادة [أجمعين].

(٢) قاله ابن عباس والزجاج، انظر: معاني الزجاج {١/ ٤٦٧} وزاد المسير {١/ ٤٥٤}.

(٣) قاله يمان وأبو عبيدة واليزيدي والخليل، انظر: مجاز القرآن {١/ ١٠٣} وزاد المسير {١/ ٤٥٤}.

(٤) قاله السدي، زاد المسير {١/ ٤٥٤}.

(٥) قاله أبوعبيدة، البغوي {١/ ٥٠٣} وزاد المسير {١/ ٤٥٤}.

(٦) في (ب) [يكيدهم].

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن {١١٠}.

(٨) المنذر بن عمرو الأنصاري الخزرجي الساعدي، عقبي بدري نقيب، كان يكتب بالعربية قبل الإسلام، استشهد يوم بئر معونة. انظر: الإصابة {٦/ ٢١٧} الطبقات {٣/ ٥٥٥}.

(٩) عامر بن الطفيل بن مالك العامري، وفد هو وأخوه على النبي ﷺ، وأرادا الغدر به فلم يفلحا، أصيب بطاعون في عنقه ومات منه ولم يسلم. سيرة ابن هشام {٤/ ٥٦٨}.

باللعن والسنين، فنزلت: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾[١] وكان دعاؤه عليهم بعد رفعه من الركوع الآخر، في الفجر، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد،[٢] [٢١٤/أ] أو نزلت لما كسرت رباعيته وشج في رأسه يوم أحد، فجعل يسلت الدم ويقول: ((**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته**)).[٣]

أو نزلت لما قال يوم أحد: ((**اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية**[٤]))[٥]

﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فأسلموا فحسن إسلامهم، أو لما رأى رسول الله ﷺ وأصحابه ما صنع بأصحابهم يوم أحد من جب المذاكير والآذان والأنوف، قالوا: لئن أدالنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٦]

﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: حتى يتوب عليهم، أو إلى أن يتوب، أو هو نسق على قوله: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفًا﴾ و﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ معترض بين الكلامين كأنه قال: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم، ﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ بل الأمر أمري في ذلك كله.

ثم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ أي: ما كانوا يفعلونه عند حلول الأجل من زيادة في المال وتأخير الطلب، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: في أمر الربا ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ ثم أكد تخويفهم [٢١٤/ب] بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾

---

(١) أصل القصة في البخاري {٤٥٦٠- ٦٢٠٠} ومسلم {٦٧٥}.

(٢) أخرجه البخاري {٤٠٦٩- ٤٥٥٩-٧٣٤٦}.

(٣) أخرجه مسلم {١٧٩١}.

(٤) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي المكي، أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه، استعار النبي ﷺ منه سلاحه في حنين، وأعطاه من الغنائم، من كبراء قريش، نزل بالمدينة ثم أذن له النبي في الرجوع إلى مكة فأقام بها حتى مات بها آخر خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: الإصابة {٣/ ٤٣٢} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٥٦٢}.

(٥) أخرجه البخاري {٤٠٦٩-٤٠٧٠}.

(٦) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {٢٨٤}.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ نافع وابن عامر ﴿سَارِعُواْ﴾ بلا واو، وأثبتها من بقي،[١] فعلى قراءة من قرأ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ كان الوقف على ﴿تُرۡحَمُونَ﴾ كافيا، وهو معطوف على ماقبله، فتدبر هذا وأمثاله، سواء ذكرت الاختلاف الذي فيه، أو لم أذكره حتى تتحقق المراد، وفقك الله تعالى وإيانا.

ومعنى: سارعوا، بادروا إلى الأعمال الموجبة للمغفرة، أو إلى التوبة،[٢] أو إلى أداء الفرائض،[٣] أو إلى الهجرة،[٤] أو أنها التكبيرة الأولى.[٥]

﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: وإلى جنة عرضها كعرض السموات، أي: سعتها، وخص العرض بالذكر؛ لأن طول كل شيء غالبا أكثر من عرضه، هذا عرضها، فأما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى، وهذا على التمثيل، لا أنها كالسموات والأرض لا غير، بل كعرض السموات السبع والأرضين السبع عند ظنكم.

روي أن اليهود قالوا لعمر، لما سألوا عن قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فأين النار؟ فقال عمر: أفرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: إنه لمثلها في التوراة.[٦] قالوا: إن باب الجنة في السماء وعرضها السموات والأرض.

وعن أنس بن مالك ﷺ: أن الجنة فوق السموات السبع تحت العرش.[٧]

وقتادة قال: كانوا يرون أن جهنم تحت الأرضين وأن [٢١٥/أ] الجنة فوق السموات السبع.[٨]

﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي: في اليسر والعسر، بدأ بذكر السخاء إذ هو أشق على بعض النفوس من غيره.

---

(١) انظر: السبعة {٢١٦} واتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٨}.

(٢) روي عن ابن عباس ﷺ وعكرمة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٠٦}.

(٣) قول علي بن أبي طالب ﷺ، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٠٦} زاد المسير {١/ ٤٦٠}.

(٤) قول أبي العالية، المرجع السابق.

(٥) قول أنس بن مالك، المرجع السابق.

(٦) انظر: تفسير الطبري {٧/ ٢١١} والدر المنثور {٤/ ٦}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٠٧}.

(٨) المرجع السابق.

قال ﷺ: ((**السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار**))(١)

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، إذ أصل الكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ رده في جوفه بعد أن يمتلأ غيظا ولا يظهره، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨]

قال ﷺ : ((**من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يُنفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء**))(٢)

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: المملوكين بسوء الأدب، أو عمن ظلمهم، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾

قال المؤمنون: يا رسول الله، كان بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا، كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه، اجدع أنفك، أذنك، افعل كذا، فسكت ﷺ، فنزل ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ (٣) أو نزلت في نبهان التمار أبي مقبل،(٤) أتته امرأة تبتاع منه تمراً، فقال: إن في البيت تمرا أجود منه، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت: اتق الله، فتركها وندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ[٢١٥/ب] وذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية،(٥) أو آخى رسول الله ﷺ بين رجلين، أحدهما من الأنصار والآخر ثقفي، فخرج الثقفي في غزاة، واستخلف الأنصاريَّ على أهله، فاشترى لهم اللحم ذات يوم ، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه، دخل على إثرها وقبل يدها، ثم ندم وانصرف، ووضع

---

(١) أخرجه الترمذي {١٩١٦} والطبراني في الأوسط {٢٣٦٣} والبيهقي في الشعب {١٠٨٥١} وقال: تفرد به سعيد بن محمد وهو ضعيف.اهـ وكذا في مجمع الزوائد {٤٧٠٧}. وقال الألباني في الضعيفة: ضعيف جداً. {١٥٤}

(٢) أخرجه أبو داوود {٤٧٧٧} والترمذي {٢٠٢١- ٢٤٩٣} وابن ماجه {٤١٨٦} وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه {٣٣٧٥}.

(٣) أخرجه الطبري من طريقين عن علي بن زيد بن جدعان عن ابن مسعود ﷺ موقوفا، ومن طريق عطاء مرسلا {٧/ ٢١٩} وابن جدعان هذا ضعيف، لم يدرك ابن مسعود ﷺ. التقريب {٦٩٦}. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٢٤} عن عطاء مرسلا.

(٤) نبهان التمار أبو مقبل، معدود في الصحابة، ذكر ابن حجر في الإصابة قصة فيه غير هذه في سبب نزول الآية، وفي إسنادها ضعف. {٦/ ٤١٨}.

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بدون إسناد عن عطاء عن ابن عباس ﷺ {١٢٣}.

التراب على رأسه، وهام على وجهه، فلما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري، فسأل عنه امرأته، فقالت: لا أكثر الله في الإخوان مثله، وأخبرته بالحال، والأنصاري يسيح في الجبال تائباً مستغفراً، فطلبه الثقفي حتى وجده، فأتى به أبا بكر؛ رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً، وقال الأنصاري: هلكت، وذكر القصة، فقال أبو بكر: أما علمت أن الله يغار للغازي مالا يغار للمقيم، ثم لقيا عمر، فقال كذلك، ثم أتيا النبي ﷺ فذكرا له أمرهما، فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ [(١)] أي: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش: الخروج عن الحد والقبح.

جابر: الفاحشة الزنا، ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أي: مادون الزنا، كالقبلة، أو الفاحشة مادون الزنا من لمس ونظرة وغيرهما، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، أو فعلوا فاحشة، أي: بالكبائر، وظلموا أنفسهم، أي: بالصغائر، أو الفاحشة بالفعل وظلم أنفسهم بالقول، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: وعيد الله فإن الله سائلهم، أو ذكروا الله باللسان عند الذنوب، ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [(٢)] أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله؟ ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ أي: لم يقيموا، ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء.

قال الحسن: إتيان العبد ذنباً عمداً إصرارٌ حتى يتوب.[(٣)]

السدي: الإصرار السكوت وترك الاستغفار.[(٤)]

قال ﷺ: **((ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة))**[(٥)]

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ أي: أن الله يملك مغفرة الذنب، أو يعلمون أن لهم رباً يغفر الذنوب، أو يعلمون أن الله تعالى لا يتعاظمه العفو عن الذنوب، أو أنهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم.[(٦)]

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٢٣}من رواية الكلبي، وهي طريق ضعيفة، والبغوي عن مقاتل والكلبي {١/ ٥٠٩}.

(٢) نهاية اللوحة: [٢١٦/ أ] عندقوله تعالى: (لذنوبهم)

(٣) أخرجه الطبري {٧/ ٢٢٤} والدر المنثور {٤/ ٣٥}.

(٤) انظر المرجعين السابقين.

(٥) أخرجه أبوداوود {١٥١٤} والترمذي {٣٥٥٤} وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة، وليس إسناده بالقوي. اهـ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير {٥٠٠٤}.

(٦) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥١٠}.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ أي: ثواب المطيعين.

قال ﷺ: **((ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً، فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له)).**[1]

عن رسول الله ﷺ، عن الله تعالى علاؤه وشأنه **((قال: ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ابن آدم إنك إن تلقاني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرةً، بعد أن لا تشرك بي شيئاً، ابن آدم إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء، ثم تستغفرني أغفر لك)).**[2] لما نزلت هذه الآية بكى إبليس، حكاه ثابت البناني.[3][4]

﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾ [٢١٦/ب] أي: شرائع، أو أمم مضت، لكل أمة سُنة، إذا اتبعوها رضي الله تعالى عنهم، أو خلت من قبلكم سنن بالهلاك لمن كذب قبلكم، أو أهل سنن.

والسنة: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: منها سنَّ فلان سنة حسنة، وسنة سيئة، أي: قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة، بإمهالي واستدراجي، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإدالة أنبيائي.

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ﴾ أي: آخر ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ أي: منهم، هذا في حرب أحد، يقول: وأنا أمهلهم وأستدرجهم، حتى يبلغ أجلي المؤجل في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

﴿هَٰذَا بَيَانٞ ﴾ أي: القرآن ﴿لِّلنَّاسِ ﴾ أي: عامة ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ أي: خاصة.

---

(١) أخرجه أبوداوود {١٥٢١} والترمذي {٤٠٦- ٣٠٠٦} وحسنه، وابن ماجه {١٣٩٥} وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه {٢٢٢}.

(٢) أخرجه الترمذي {٣٥٤٠} وقال: حديث غريب.اهـ وأحمد من طرق {٢١٥١٠} والطبراني في الكبير {١٢٣٤٦} والأوسط {٤٣٠٥- ٥٤٨٣} والصغير {٨٢٠} وأخرج بعضه مسلم {٢٦٨٧}. وصححه الألباني صحيح سنن الترمذي {٢٨٠٥}

(٣) ثابت بن أسلم أبو محمد البناني، الإمام القدوة ولد في خلافة معاوية، من أئمة العلم والعمل، ومن الثقات المأمونين ومن تابعي أهل البصرة وزهادهم ومحدثيهم، مات قبل الطاعون. الطبقات {٧/ ٢٣٢} السير {٥/ ٢٢٠}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥١٣}.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم، هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر، على ما أصابهم يوم أحد من القتل والجَرح، وقتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، ومن الأنصار سبعون.

﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ أي: تكون لكم العاقبة عليهم؛ إذ كنتم مؤمنين؛ لأنهم كانوا مؤمنين.

انهزم أصحاب رسول الله ﷺ،[٢١٧/أ] فأقبل ابن الوليد بخيل المشركين، يريد أن يعلوَ عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: **((اللهم لا تعلين علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك))** وثاب رماة من المسلمين، فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾[(١)]

أو نزلت هذه الآية بعد يوم أحد، حين أمر النبي ﷺ أصحابه، بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح، فاشتدَّ ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية.[(٢)]

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ﴾ حمزة والكسائي وأبو بكر بضم القاف حيث وقع، ومن بقي بالفتح لغتان،[(٣)] بمعنى الجهد أو بالفتح الجرح، وبالضم: ألمه،[(٤)] خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن، أي: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ﴾ يوم أحد ﴿فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أي: يوم بدر.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: نجعلها دولة بينهم، فيوما عليهم ويوماً لهم، أديلُ للمسلمين يوم بدر حتى قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين، وأديل للمشركين يوم أحد، حتى جرحوا من المسلمين سبعين وقتلوا خمسة وسبعين.[(٥)]

جعل رسول الله ﷺ على الرجالة، وهم خمسون رجلاً يوم أحد عبد الله بن جبير، فقال: **((إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم))** فهزمهم، قال البراء[٢١٧/ب] بن عازب: وأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أيْ قوم، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس بدون إسناد {١٢٤} والطبري بسنده عن ابن جريج مرسلا ومن طريق عطية العوفي وهو ضعيف {٧/ ٢٣٦}.

(٢) قاله الكلبي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥١٤}.

(٣) انظر: السبعة {٢١٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٨}.

(٤) الحجة في القراءات {٥٥} إعراب القراءات السبع {١/ ١١٩}.

(٥) وانظر في أحداث غزوة أحد تاريخ الطبري {٢/ ٥٨} والبداية والنهاية لابن كثير {٤/ ١١}.

فقال عبد الله: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٣] فلم يبق معه ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم ﷺ عن جوابه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة، كذلك، أفي القوم ابن الخطاب كذلك، ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، يوم بيوم بدر، والحرب سجال، ثم أخذ أبو سفيان يرتجز: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: **((ألا تجيبوه؟))** قالوا: ما نقول؟ قال: **((قولوا الله أعلى وأجل))** فأجابوه، قال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال ﷺ: **((ألا تجيبوه؟))** قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: **((الله مولانا ولا مولى لكم))**(١) وروي أن أبا سفيان قال: يوم بيوم، وإن الأيام دول والحرب سجال، فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.(٢)

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: إنما كانت هذه المداولة ليعلم الله، أي: ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، [٢١٨/أ] ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ أي: يكرم قوماً بالشهادة، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ أي: يطهر المؤمنين من الذنوب، ويهلك الكافرين، أي: إن قتلوكم فهو تطهيركم، وإن قتلتموهم فهو هلاكهم.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ لأن قوماً من المسلمين تمنوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا، أو يستشهدوا، فأراهم الله يوم أحد، والمراد بقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾ أي: سبب الموت وهو الجهاد.

﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي: أسبابه ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ تأكيد لرأيتموه، أو ليعلم أن المراد رؤية البصر، إذ قد تكون الرؤية بمعنى العلم، أو أنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري {٣٠٣٩- ٤٠٤٣}.

(٢) أخرجه الحاكم {٣١٦٣} وصححه ووافقه الذهبي.

خرج رسول الله ﷺ إلى الشعب من أحد في سبعمائة رجل، وجعل على الرجالة عبد الله بن جبير، أخو خوات بن جبير،[1] وقال: ((**أقيموا بأصل الجبل، وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم، فإنا لا نزال غالين ما ثبتُّم مكانكم**))

فجاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، ومعهم النساء يضربن بالدفوف،[٢١٨/ب] ويقلن الأشعار، فقاتلوا حتى حميت الحرب، فأخذ ﷺ سيفاً، فقال: ((**من يأخذ هذا السيف بحقه، ويضرب به العدو حتى ينحني**)) فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة،[2] فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال ﷺ: ((**إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموطن**))

ففلق به هام المشركين، فحمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين فهزموهم.[3]

فعند ذلك جاء الرماة يوافقون أصحاب رسول الله ﷺ في طلب الغنيمة، فرأى خالد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيله، وحمل على أصحاب رسول الله ﷺ من خلفهم فهزموهم وقتلوهم، ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ، بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله، وتفرق أصحابه عنه، ونهض ﷺ إلى صخرة ليعلوها، وكان قد ظاهر بين درعين، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها، فقال ﷺ: ((**أوجب طلحة**)).[4]

ووقعت هند[5] وصواحباتها يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنوف، حتى اتخذت هند من ذلك قلائد، وأعطتها وحشياً،[6] وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، وأقبل ابن قمئة يريد

---

(١) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري، أسلم فحسن إسلامه، وشهد أحدا والمشاهد بعدها. ت٤٠هـ انظر: الإصابة {٢/ ٣٤٦} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٣٢٩}.

(٢) أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري، شهد بدرا، وكان يوم أحد عليه عصابة حمراء، استشهد باليمامة وشارك في قتل مسيلمة. انظر: الإصابة {٧/ ١١٩} وسير أعلام النبلاء {١/ ٢٤٣}.

(٣) أخرج بعضه مسلم {٢٤٧٠} وانظر سيرة ابن هشام {٢/ ٦٦}.

(٤) المرجع السابق {٢/ ٨٦}.

(٥) هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية، كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت يوم الفتح. انظر: الإصابة {٨/ ١٥٥}.

(٦) وحشي بن حرب الحبشي، قاتل حمزة يوم أحد، قدم على النبي ﷺ مع وفد أهل الطائف مسلما، وأمره أن يُغيِّب وجهه عنه،

قتل النبي ﷺ، فذب عنه[٢١٩/أ] مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله ﷺ فقتله ابن قمئة، وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع وقال: إني قتلت محمداً، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، يقال: إنه كان إبليس، فانكفأ الناس، ورسول الله ﷺ يدعو: **((إليَّ عباد الله، إلي عباد الله))**، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه، حتى كشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سِيةُ[١] قوسه، ونثل[٢] له رسول الله ﷺ كنانته، فقال له: **((ارم فداك أبي وأمي))** وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر ومعه الجعبة فيها النبل، فيقول ﷺ: **((انثرها لأبي طلحة))** وكان إذا رمى استشرفه النبي ﷺ لينظر موقع نبله، وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله وقى بها رسول الله ﷺ يومئذ فيبست، وأصيبت عين قتادة بن النعمان[٣] حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ مكانها كأحسن ما كانت، فلما انصرف رسول الله ﷺ، أدركه أبي بن خلف الجمحي، وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: يا رسول الله، ألا يعطف عليه رجل منا؟ فقال عليه السلام: **((دعوه))** وكان أبيّ قبل ذلك يلقى رسول الله ﷺ، فيقول: عندي رمكة[٤] أعلفها كل يوم فرق ذرة، أقتلك عليها، فقال: **((بل أنا أقتلك إن شاء الله))**[٢١٩/ب] فلما دنا منه، تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة،[٥] ثم استقبله فطعنه في عنقه، وخدشه خدشة، فتدهدأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، فاحتمله أصحابه، وقالوا: ليس عليك بأس، قال: بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم، أليس قال لي: أقتلك؟ فلو بزق عليَّ بعد تلك المقالة قتلني، فلم يلبث إلا يوماً حتى

وهو من قتل مسيلمة الكذاب، توفي في خلافة عثمان ﷺ. انظر: الإصابة {٦/ ٦٠١}.

(١) سِيَةُ القوس: ما عطف من طرفيها، وقيل: رأْسها، وقيل: ما اعوج من رأْسها. لسان العرب مادة:سيا. والنهاية مادة: سيه.

(٢) استخرج مافيها من نبل ونثره. لسان العرب مادة: نثل.

(٣) قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي البدري، الأمير المجاهد، من نجباء الصحابة، أخو أبي سعيد الخدري لأمه، من الرماة المعدودين، روى عن النبي ﷺ، مات في خلافة عمر ﷺ. الإصابة {٥/ ٤١٦} وسير أعلام النبلاء {٢/ ٣٣١}.

(٤) الرَّمَكة: الفرس والأُنثى من البراذين التي تتخذ للنسل. لسان العرب، مادة: رمك.

(٥) الحارث بن الصمة بن مالك بن النجار، ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس، وبايعه على الموت، شهد يوم بئر معونة وقتل يومئذ شهيدا. انظر: الإصابة {١/ ٥٧٨} الطبقات {٣/ ٥٠٨}.

مات بسرف[١] موضع بقرب مكة، وفشا في الناس أن محمداً قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم، وقال بعض المنافقين: إن كان محمداً قد قتل فالحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن النضر[٢] عمُّ أنس بن مالك: يا قوم إن كان قد قتل محمد، فإن رب محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء،[٣] أي: المنافقون، ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل، ثم انطلق ﷺ إلى الصخرة وهو يدعو الناس، فأول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي أنِ اسكت، فانحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم النبي ﷺ[٢٢٠/أ] على الفرار، فقالوا: يا نبي الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قد قتلت، فرعبت قلوبُنا فولينا مدبرين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[٤] محمد هو المستغرق جميع المحامد؛ إذِ الحَمدُ لا يستوجبه إلا الكامل، والتحميد أبلغ من الحمد، ومحمد بناء مبالغة، فلا يستحقه إلا المتناهي في الكمال،[٥] وأكرم الله تعالى نبيه باسمين مشتقين من اسمه: محمد وأحمد.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي: رجعتم إلى دينكم الأول، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بل إنما ضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ أي: وما كانت نفس لتموت ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بقضائه أو بعلمه ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ أي: لكل نفس أجل لا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره، و﴿كِتَٰبًا﴾ نصب مصدر أو إغراء، والمعنى آمنوا بالقدر المقدور، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: من يرد بطاعته الدنيا نؤته منها

---

(١) سرف: واد متوسط الطول بمكة، ويعرف الآن بالنوارية، يبعد ١٢ كيلا شمالا معجم المعالم الجغرافية {١٥٦}.

(٢) أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري، عمُّ أنس بن مالك، أول مشهد له مع رسول الله ﷺ يوم أحد، واستشهد يومئذ، ووجد به أكثر من ثمانين طعنة، ما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. انظر: الإصابة {٧/ ٦٤٢}.

(٣) قوله هذا في صحيح البخاري {٢٨٠٥-٤٠٤٨}.

(٤) ذكره الطبري في تاريخه بسنده عن أسباط عن السدي {٢/ ٦٧} والواحدي في أسباب النزول {١٢٥} وقال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن ساق القصة: وهذا غريب جدا وفيه نكارة.اهـ {٤/ ٢٦}

(٥) ولعل المصنف رحمه الله يقصد الكمال النسبي، إذ الكمال المطلق لله وحده.

ما هو جزاء لعمله، أي: نؤته ما نشاء مما قدرنا له، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: إذا أراد بعمله الآخرة، وهم الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا، [1] [٢٢٠/ب] أو كأنه قال من يرد ثواب الدنيا نؤته منها لمن نريده منها قدر ما نشاء إذا نشاء، جزاء عمله، وإن كان لم يستحق عليه الجزاء، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ أي: المطيعين.

قال ﷺ: **((من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله تعالى غناءه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا، جعل الله [فقره][2] بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له)).**[3]

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ ابن كثير بالمد والهمز وزن كاعن حيث وقع، وبعد الألف همزة، وقرئ بتليين الهمزة،[4] ومن بقي بالتشديد كعيِّن،[5] أي: وكم، وهي كاف التشبيه، ضمت إلى (أيّ) المستفهم بها، ولم يقع للتنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، وبعضهم يقف (وكأيِّ) بلا نون؛ لأنه عنده تنوين ثبت في المصحف وهو أبو عمرو، ومن بقي بالنون.[6]

﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ ابن عامر والكوفيون ﴿قَٰتَلَ﴾ بألف، من القتال، ومن بقي بغير ألف، من القتل وضم القاف،[7] فمن قرأ بالألف، فقد أسند القتال إلى النبي، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ ابتداء وخبر، أو ﴿رِبِّيُّونَ﴾ رفع بالظرف أو بفعلهم، والجملة صفة للنبي، أو تكون الجملة في موضع الحال من الضمير

---

(١) قاله مقاتل، انظر: زاد المسير {١/ ٤٧٠}.

(٢) في (ب) [الفقر].

(٣) أخرجه الترمذي {٢٤٦٥} من طريق يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف. وللحديث شواهد كثيرة، منها ما أخرجه ابن ماجه {٤١٠٥} عن زيد بن ثابت، وابن حبان {٦٨٠} وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. وصححه الألباني في الصحيحة {٩٤٩- ٩٥٠}.

(٤) أي: بتسهيلها، وهي قراءة أبي جعفر.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٤٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٨٩}.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر المرجعين السابقين.

في ﴿قَـٰتَلَ﴾ والهاء في ﴿مَعَهُۥ﴾ تعود على ذلك المضمر، ولو جعلته صفة للنبي كانت تعود على ﴿نَّبِيٍّ﴾ والربيون قاتلوا معه. روي: أنه ما قُتِل نبي قط في قتال.[٢٢١/أ] عن الحسن وغيره.(١)

فإضافة القتال إليه أولى من القتل، ومن قرأ ﴿قَـٰتَلَ﴾ بغير ألف جعل ﴿قَـٰتَلَ﴾ وما بعده صفة للنبي، والفعل وما بعده مسندا إلى النبي، أي: قُتل النبي ومعه ربيون كثير، فالوقف على هذا على ﴿قَـٰتَلَ﴾ ويبتدئ: ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ أو يكون قتل وما بعده صفة أيضا للنبي، والفعل مسندا إلى ربيين مرفوع بقُتِل، على ما لم يسم فاعله.(٢) والربيون: جموع كثيرة، أو الألوف، أو الرِّبِّية الواحدة: عشرة آلاف، أو الواحدة: ألف، أو فقهاء علماء، أو هم الأتباع، فالربانيون الولاة، والربيون الرعية، أو هم الذين يعبدون الرب تعالى علاؤه وشأنه.(٣)

﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ﴾ أي: جبنوا، ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ أي: من الجهاد بما نالهم من الجراح، وقتل أصحابهم. ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ أي: ما استسلموا، أو ما ذلوا، أو ما تضرعوا، أو ما جبنوا، ولكنهم صبروا على أمر ربهم. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ قرئ برفع اللام من ﴿قَوْلَهُمْ﴾(٤) والقراءة بنصب اللام خبر كان، والاسم أن قالوا، أي: وما كان قولهم عند قتل نبيهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: الصغائر، ﴿وَإِسْرَافَنَا﴾ أي: على أنفسنا، ﴿فِىٓ أَمْرِنَا﴾ أي: الكبائر، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: النصرة والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(٥) أي: الأجر والجنة.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: اليهود أو المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم(٦) ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ أي:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي {٤/ ١٤٧}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٢٠}.

(٣) انظر تفسير البغوي {١/ ٥٢٠} والقرطبي {٤/ ١٤٨} وابن كثير {٢/ ١١٧} وقال: وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل، قال: ورد بعضهم عليه، فقال: لو كان كذلك، لقيل: الرَّبيون، بفتح الراء.اهـ

(٤) وهي قراءة شاذة قرأ بها الحسن، انظر: القراءات الشاذة {٣٩}.

(٥) نهاية اللوحة [٢٢١/ ب] عند قوله: (حسن ثواب).

(٦) قاله علي بن أبي طالب ﷺ، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٢١}.

يرجعوكم إلى الشرك، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ أي: مغبونين ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ أي: حافظكم.

﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ أي: أبي سفيان وأصحابه لما ارتحلوا يوم أحد نحو مكة، حتى بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا، قتلناهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم عند ذلك، حتى رجعوا عما هموا به.[1]

أبو جعفر وابن عامر والكسائي بضم العين والراء من ﴿ٱلرُّعُبَ﴾ وهو الخوف، ومن بقي بالإسكان، لغتان،[2] ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ أي: برهاناً، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ أي: مقام الكافرين.

لما رجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما أصابهم بأحد ما أصابهم، قالوا: كيف أصابنا هذا؟ وقد وعد الله تعالى بالنصر، فنزل: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾[3] أي: بالنصر والظفر؛ لأن ذلك كان للمسلمين في الابتداء؛ لأن رسول الله ﷺ [١/٢٢٢] جعل أحداً خلف ظهره، واستقبل المدينة وجعل عينين – اسم جبل – عن يساره، وأقام عليه الرماة، وأقبل المشركون فأخذوا في القتال، فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف، حتى ولوا هاربين فذلك قوله: ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله تعالى وقدره.

[أبو عبيدة]:[4] الحس: الاستئصال بالقتل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ أي: جبنتم ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ الواو زائدة في ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ والتنازع الاختلاف؛ لأن الرماة اختلفوا لما انهزم المشركون وطلبوا الغنيمة كما تقدم ذكره، إلا ما كان من ثبات عبد الله وعشرة من أصحابه، وحملة خالد وعكرمة، بمن معهما من المشركين، وقتلِ عبد الله وأصحابه، وعند ذلك انتقلت الريح دبوراً بعد أن كانت صباً، وانتقضت صفوف المسلمين، واختلطوا، وجعلوا يقتتلون على غير شعار، يضرب بعضهم بعضاً ما يشعر من الدهش.

﴿وَعَصَيۡتُم﴾ أي: الرسول ﷺ وخالفتم أمره، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أي: من الظفر والغنيمة

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عن السدي {٧/ ٢٨٠} والواحدي في أسباب النزول {١٢٥}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢١٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٠}.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول مرسلا عن محمد بن كعب القرظي {١٢٦}.

(٤) في النسختين أبو عبيد، والمثبت من المصدر، والقول بمعناه في مجاز القرآن {١/ ١٠٤}.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الذين تركوا المركز، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: الذين ثبتوا بالمركز حتى قتلوا.

ابن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا، حتى كان يوم أحد.[1]

ونزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [٢٢٢/ب] أي: ردكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: لينزل البلاء عليكم، أو ليختبركم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ أي: لم يستأصلكم بعد المعصية، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥٢﴾ أي: ولقد عفا عنكم.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ أي: هاربين، وقرئ: بفتح التاء والعين،[2] والقراءة بضم التاء وكسر العين.

والإصعاد: مصدر أصعد في الأرض، أبعد فيها، والصعود: مصدر صعد، إذا علا وارتفع، أو أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت ارتقيت في جبل أو غيره.[3]

وكان المسلمون يومئذ منهم صاعد ومصعد، أو صعِد وأصعَد وصعَّد بمعنى واحد.[4]

﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي: لا تعرِّجون، ولا يلتفت بعض إلى بعض، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: في آخركم من ورائكم ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ أي: فجازاكم، وقوله: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ أصل الثواب في الحسنات، ومعناه ها هنا: أنه جازاكم، وجعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ أو: الباء بمعنى على، أو غماً متصلاً بغم، فالأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثاني: ما نالهم من الهزيمة والقتل.[5] أو الأول: ما نالهم من القتل والجراح، والثاني: ما سمعوا أن محمدا قد قتل فأنساهم الغم الأول،[6] أو الأول: إشراف خالد بخيل المشركين عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان،[7] حين وقف هو وأصحابه بباب الشعب؛ لأن رسول الله ﷺ، لجأ إليه هو وأصحابه فعند ذلك ظن [٢٢٣/أ] أصحاب رسول الله ﷺ أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم، فأنساهم هذا ما نالهم، فقال ﷺ: **((ليس لهم أن يعلونا،**

---

(١) أخرجه الطبري {٧/ ٢٩٤} والدر المنثور {٤/ ٧٠}.

(٢) وهي شاذة قرأ بها الحسن وأبو عبد الرحمن السلمي، انظر: القراءات الشاذة {٣٩} والدر المصون {٣/ ٤٣٨}.

(٣) المفردات، مادة: صعد.

(٤) قاله المفضل، الدر المصون {٣/ ٤٣٩}.

(٥) البغوي {١/ ٥٢٣}.

(٦) قاله قتادة والربيع، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٣٠٦} تفسير الماوردي {١/ ٤٣٠}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٢٣}.

اللهم إن تُقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض)) ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم.[١]

أو أنهم غموا النبي ﷺ بمخالفة أمره، فجازاهم الله تعالى بذلك غم القتل والهزيمة.[٢] ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: من الفتح والغنيمة، ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أي: أمناً، والأمنة [والأمن][٣] واحد، أو الأمن يكون مع زوال سبب الخوف، والأَمَنة مع بقاء سببه، وقرئ: أَمْنة، بسكون الميم،[٤] إذ هو مصدر وسكون العين في المصدر أكثر ﴿نُّعَاسًا﴾ بدلاً من الأمنة ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ حمزة و الكسائي بالتاء، رداً إلى الأمنة، ومن بقي بالياء رداً إلى النعاس،[٥] وكذلك كل كلمة تضمنت مذكرا ومؤنثا ثم أخبرت عنها، فلك أن ترد الخبر إلى التذكير والتأنيث، وهذا أصل كبير.

ابن عباس: أمّنهم يومئذ بنعاس يغشاهم، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام.[٦]

عن أبي طلحة قال: غشينا النعاس ونحن بمصافنا بأحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه.[٧]

وقال: رفعت رأسي فما أرى أحداً من القوم إلا وهو يومئذ تحت جحفته [٢٢٣/ب] من النعاس.[٨]

وعن الزبير قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا الخوف، أرسل الله تعالى علينا النوم، والله إني لأسمع قول معتب بن قشير،[١] والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم، يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا.[٢]

---

(١) انظر ل[٢٢٠/ أ]

(٢) البغوي {١/ ٥٢٣}.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) وهي شاذة قرأ بها ابن محيصن ورويت عن يحيى والنخعي، انظر: المحتسب {١/ ١٧٤} والقراءات الشاذة {٣٩}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٤٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩١}.

(٦) أخرجه الطبري {٧/ ٣١٧} والبغوي {١/ ٥٢٤}.

(٧) أخرجه البخاري {٤٠٦٨ - ٤٥٦٢}.

(٨) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح {٣٠٠٧} والنسائي في الكبرى {٢١٨ - ٢١٩}.

و﴿مِّنكُمۡ﴾ أي: المؤمنين، ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: المنافقون، الواو قاطعة، إذ لا حظ لهذه الطائفة في النعاس، وما بعدها مبتدأ و﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ﴾ خبره، أو الخبر في ﴿يَظُنُّونَ﴾.

وعن سيبويه: أنها واو الحال،[3] ومعنى ﴿أَهَمَّتۡهُمۡ﴾ أي: حملتهم على الهم، كقولك همك ما أهمك.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: لا ينصر الله تعالى محمدا، أو إنه قد قتل ﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ أي: كظن الجاهلية ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: جحد، ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ أبو عمرو برفع اللام على الابتداء، وخبره ﴿لِلَّهِ﴾ ومن بقي بالنصب على النعت للأمر أو البدل عند الأخفش،[4] ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ لأن المنافقين قالوا: لو كان لنا عقول ما خرجنا مع محمد، ولم يُقتل رؤساؤنا، أو لو كنا على الحق لم نقتل ها هنا، أو ظنهم بالله غير الحق: التكذيب بالقدر،[5] وهو قولهم: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾

﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ [6] أي: قضي ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ أي: مصارعهم، وقرئ: (لبُرِّز) بالتشديد وضم الباء،[7] وقرئ: (عليهم القتال) [8] ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي: يختبر ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ أي: يخرج ويطهر، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ أي: من خير وشر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي: من المسلمين، يوم التقى[9] جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد، انهزم أصحاب رسول الله ﷺ، ذلك اليوم، إلا اثني عشر رجلاً مع رسول الله ﷺ، منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم وهزم الباقون. ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: طلب زلتهم، أو حملهم على الزلة وهي الخطيئة، أو

---

(١) معتِّب بن قشير بن مليل الأنصاري الأوسي، شهد العقبة، وذُكر فيمن شهد بدرا. انظر: الإصابة {٦/ ١٧٥}.

(٢) الدر المنثور {٣/ ٧٩}.

(٣) الكتاب {١/ ٦١}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩١} ومعاني الأخفش {١/ ٤٢٥}.

(٥) قاله ابن عباس ﭬ، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٢٥}.

(٦) نهاية اللوحة [٢٢٤/ أ] عند حرف النفي (ما).

(٧) وهي قراءة شاذة قرأ بها أبو حيوة، انظر: القرطبي {٤/ ١٥٦} والبحر المحيط {٣/ ٣٩٦}.

(٨) وهي قراءة شاذة قرأ بها الحسن والزهري، انظر: البحر المحيط {٣/ ٣٩٦}.

(٩) في ب زيادة [الجمعان].

أزل واستزلَّ واحد، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ۖ﴾ أي: بتركهم المركز، أو بقبولهم من الشيطان لما وسوس إليهم من الهزيمة.[(١)] ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: في الاعتقاد، ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ أي: غزاةً [٢٢٤/ب] جمع غاز، كفاسق وفسّق وكافر وكفّر[(٢)] ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ أي: ظنهم أو قولهم: ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء، ومن بقي بالتاء خطابا.[(٣)] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ نافع وحمزة والكسائي ﴿مُتُّمْ﴾ و﴿مِتْنَا﴾ بكسر الميم، وافقهم حفص في جميع القرآن، إلا في هذين الموضعين، في هذه السورة، من مات يمات كخاف يخاف، لغة، ومن بقي بالضم من مات يموت أيضا، كقال يقول،[(٤)] ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ أي: من الغنائم، حفص بالياء غيبة، ومن بقي بالتاء خطابا.[(٥)] ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ أي: فبرحمة، و(ما) زائدة ﴿لِنتَ لَهُمْۖ﴾ أي: سهلت أخلاقك لهم، واحتملتهم يوم أحد إذ خالفوك، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أصل الفظ: ماء الكرش،[(٦)] أي: جافياً سيء الخلق، أو فظاً في القول،

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٢٥} والقرطبي {٤/ ١٥٧}.

(٢) تفسير غريب القرآن {١١٤} ولسان العرب، مادة: غزا.

(٣) انظر: السبعة {٢١٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٢}.

(٤) انظر: السبعة {٢١٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٢}.

(٥) انظر: السبعة {٢١٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٣}.

(٦) الفظ: ماء الكرش من البعير يُعتصر فيُشرب عند الحاجة، وشُبه الرجل الفظ الغليظ به لغلظه، لسان العرب، مادة: فظظ.

﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: في الفعل، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: تفرقوا ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: اشفع لهم حتى أشفعك فيهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: اعلم ما عندهم من الرأي،[٢٢٥/أ] من شُرت الدابة، أشورها، استخرجت جريها، أو من شُرت العسل أو أشرته أخذته من موضعه،(١) وأمره تعالى بمشاورتهم مع ما أعطاه من كمال العقل والرأي، ووجوب طاعته على الخلق كرهوا أو أحبوا. أي: شاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد،(٢) أو ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو،(٣) أو شاورهم تطيباً لقلوبهم؛ فإنها أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغانهم، فإن سادة العرب كان من عادتهم إذا لم يُشاوروا يشق ذلك عليهم، أو ليستن بمشاورته ﷺ إياهم من بعده.(٤)

قالت عائشة: ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ.(٥)

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا على مشاورتهم، أي: قم به وثق به واستعنه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ أي: يعنكم على عدوكم كيوم بدر، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ أي: يتركم غيرَ منصورين، كيوم أحد، والخذلان: القعود عن النصرة ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ التوكل هو: أن لا تعصي من أجل رزقك، أو لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله، ولا لرزقك جازياً ومجرياً غيره[٢٢٥/ب] ولا لعملك شاهداً غيره.

قال ﷺ **((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون))** فقال عكاشة بن محصن:(٦) يا رسول

---

(١) المرجع السابق. مادة: شور.

(٢) معاني الزجاج {١/ ٤٨٣}.

(٣) انظر: الدر المنثور {٣/ ٨٩}.

(٤) انظر: زاد المسير {١/ ٤٨٨} تفسير الماوردي {١/ ٤٣٣}.

(٥) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ {١٧١٤} وقال ابن حجر في الفتح: رجاله ثقات إلا انه منقطع.اهـ {١٣/ ٤١٦} والبغوي في التفسير عن عائشة رضي الله عنها {١/ ٥٢٦} وفي إسناده: طلحة بن زيد، متروك، قال أحمد وعلي وأبوداوود: كان يضع الحديث. التقريب {٤٦٣}.

(٦) عكاشة بن محصن بن خزيمة الأسدي، من السابقين الأولين، شهد بدرا، وقتل في قتال أهل الردة، قتله طليحة بن خويلد. انظر: الإصابة {٤/ ٥٣٣}.

الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **((أنت منهم))** فقام آخر، فقال: ادع الله تعالى أن يجعلني منهم، قال: **((سبقك عكاشة))**.[(١)]

فُقدت قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض الناس لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾[(٢)]

أو نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ: من أخذ شيئاً فهو له، وأن لا يقسم الغنائم كما [لم يقسم][(٣)] يوم بدر، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم، فقال ﷺ: **((ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز؟))** قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال ﷺ: **((بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم))** فأنزل الله تعالى هذه الآية.[(٤)]

أو نزلت في طائفة غلت من أصحابه،[(٥)] أو أن الأقوياء ألحُّوا عليه يسألونه من المغنم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾[(٦)] أي: فيعطي قوياً ويمنع آخرين، بل يقسم بالسوية، أو هذا في الوحي، أي: ما كان لنبي أن يكتم شيئاً من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة.[(٧)]

ابن كثير وعاصم وأبو عمرو ﴿أَنْ يَغُلَّ﴾ [١/٢٢٦أ] بفتح الياء وضم الغين، أي: ما كان لنبي أن يخون، والمراد الأمة. أي: فلا تُخوِّنوه، أي: لا تظنوا به الخيانة، وهو من لطيف التعريض.

---

(١) أخرجه البخاري {٦٥٤٢- ٥٧٠٥- ٥٨١١} ومسلم {٢١٦- ٢١٨- ٢٢٠}.

(٢) أخرجه أبو داوود {٣٩٧١} والترمذي {٣٠٠٩} وابن جرير {٧/ ٣٤٨} والواحدي في أسباب النزول {١٢٦} والطبراني في الكبير {١٢٠٢٨- ١٢٠٢٩} وأبو يعلى {٢٤٣٨- ٢٦٥١} من طريق خُصَيف عن ابن عباس رضي الله عنهما. وخُصَيف هذا صدوق سيء الحفظ. التقريب {٢٩٧}. وقال في الفتح السماوي: {١/ ٤١٤} وأعله ابن عدي بخُصَيف، فالحديث ضعيف، ووهم من حسنه كالجلال السيوطي؛ اغترارا بتحسين الترمذي له. اهـ ويدل على ضعفه أن سياق الآيات في معركة أحد وليس في بدر.

(٣) في النسختين: قسمها، والتصحيح من البغوي.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٢٧} والبغوي {١/ ٥٢٨} وابن حجر في العجاب {٢/ ٧٧٩} عن الكلبي ومقاتل بن سليمان.

(٥) أخرجه الطبري {٧/ ٣٥٣} والواحدي في أسباب النزول {١٢٧} عن قتادة.

(٦) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٢٩}.

(٧) ذكره البغوي عن محمد بن إسحاق {١/ ٥٢٩} وانظر: سيرة ابن هشام {٢/ ١١٧}.

وأصل[1] الغلول: الخيانة، من غلَّ في الإهاب، إذا ترك فيه شيئا من اللحم،[2] ومن بقي بضم الياء وفتح الغين،[3] أي: ما كان لنبي أن يخان، أي: تخونه أمته، أو من الإغلال، أي: ما كان لنبي أن يخوَّن، وينسب إلى الخيانة ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: يُمثل له ذلك الشيء في النار، فيقال له: انزل فخُذْه فينزل فيحمله على ظهره، فإذا بلغ موضعه وقع في النار، ثم كُلف أن ينزل إليه فيُخرجه، يُفعل به ذلك أبدا.[4]

وقال ﷺ لما أصاب مِدعَماً[5] سهم فقتله: **((والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها يوم خيبر من الغنائم ولم تصبها المقاسم، تشتعل عليه ناراً)).**[6]

وتوفي رجل عام خيبر فلم يصل عليه رسول الله ﷺ لكونه غل خرزات من خرزات اليهود ما تساوي درهمين.[7]

وروي عن قيس بن أبي حازم[8] [عن معاذ بن جبل][9] أنه قال له رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن: **((لا تصيبن شيئاً بغير إذني فإنه غلول، ومن غل يأت بما غل يوم القيامة)).**[10]

وعن عمر رضي الله عنه: إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه.[1]

---

(١) في (ب) [وأضل].

(٢) لسان العرب مادة: غلل.

(٣) انظر: النشر {١/ ٢٤٣} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٣}.

(٤) قاله الكلبي، البغوي {١/ ٥٢٩}.

(٥) مدعم الأسود مولى رسول الله ﷺ، أهداه رفاعة بن زيد الجذامي لرسول الله ﷺ. انظر: الإصابة {٦/ ٦٠}.

(٦) أخرجه البخاري {٤٢٣٤-٦٧٠٧} ومسلم {١١٥}.

(٧) أخرجه أبوداوود {٢٧١٠} والنسائي في السنن {١٩٥٩} وابن ماجه {٢٨٤٨} وأحمد {٢١٧١٩} وابن حبان {٤٨٥٣} والحاكم {٢٥٨٢} وقال صحيح على شرط الشيخين. وضعفه الألباني في ضعيف أبي دوود {٥٧٩}.

(٨) قيس بن أبي حازم البجلي الأحمسي، هاجر إلى المدينة فقُبض النبي ﷺ قبل أن يلقاه، روى عن كبار الصحابة، ويقال: إنه لم يرو عن العشرة جميعا غيره، كبر حتى جاوز المائة، مات في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك. انظر: الإصابة {٥/ ٥٣١}.

(٩) ساقط من النسختين، والمثبت من المصادر.

(١٠) أخرجه الترمذي {١٣٣٥} وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي أسامة عن داود الأودي. اهـ والطبراني في الكبير {٢٥٩}. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي {١٣٣٥}.

وروي: أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه.[٢]

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾[٣] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: فترك الغلول، ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: فغل ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢﴾ ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: أصحاب درجات، أي: لمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولمن باء بسخط من الله العذاب الأليم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: العرب؛ لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وله فيهم نسب، إلا بني تغلب،[٤] أو أراد بهم جميع المؤمنين، ومعنى: ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، لقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨][٥]

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ أي: بأحد ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ أي: ببدر؛ لأن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ أي: من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله تعالى فينا؟ ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾

روى عبيدة السلماني[٦] عن علي: أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ [٢٢٧/أ] فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا -يعني أسرى المشركين- فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن تُقتل منهم عدتُهم، فذكر ذلك رسول الله

---

(١) أخرجه أبو داوود {٢٧١٣} والترمذي {١٤٦١} وأحمد {١٤٤} وقال الترمذي: هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم... قال: وسألت محمدا [أي: البخاري] عن هذا الحديث، فقال: إنما روى صالح بن محمد بن زائدة، وهو أبو واقد الليثي، وهو منكر الحديث، قال محمد: وقد روي في غير حديثٍ عن النبي ﷺ في الغال، فلم يأمر فيه بحرق متاعه. اهـ وضعف إسناده الألباني في ضعيف أبي داوود {٥٨٠}.

(٢) أخرجه أبو داوود {٢٧١٥} وضعفه الألباني في ضعيف أبي داوود {٥٨٢}.

(٣) نهاية اللوحة [٢٢٦/ ب] عند حرف النفي في الآية.

(٤) وهذا يحتاج إلى إثبات ودليل، والله أعلم. تغلب قبيلة معروفة، تعود إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. الأنساب {١/ ٤٦٩}.

(٥) وهذا التفسير الثاني الأشبه بظاهر الآية، قال ابن كثير: أي: من جنسهم؛ ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: ٢١] أي: من جنسكم. اهـ {٢/ ١٤١}.

(٦) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الفقيه الكوفي، أسلم عام فتح مكة بأرض اليمن ولم ير النبي ﷺ، من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه وكان ثبتا في الحديث. ت٧٢هـ انظر: الطبقات {٦/ ٩٣} وسير أعلام النبلاء {٤/ ٤٠}.

ﷺ للناس، فقالوا: يا رسول الله عشائرنا وإخواننا، لا، بل نأخذ منهم فداءهم، فنقوى به على قتال عدونا، ويُستشهد منا عدتُهم فكان كذلك، فقتل منهم بأحد سبعون.[١] ومعنى: ﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ أي: بأخذكم الفداء واختياركم القتل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي: بأحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ أي: ليميز، أو ليرى. ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لأجل دين الله تعالى وطاعته ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ أي: عن حرمكم وأهلكم، أو كثروا سواد المسلمين إن لم تقاتلوا، يكون ذلك دفعاً وقمعاً للعدو،[٢] ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: إلى الإيمان، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ أي: كلمة الإيمان ﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ أي: في النسب لا في الدين، وهم شهداء أحد[٢٢٨/ب] ﴿وَقَعَدُواْ﴾ أي: عبد الله وأصحابه عن الجهاد ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ وانصرفوا عن محمد ﷺ ﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ هشام[٣] ﴿قُتِّلُواْ﴾ مشددا مبالغة ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ في أن الحذر يغني عن القدر. كان شهداء بدر أربعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، فنزل فيهم: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾[٤] لأن بل بعد أمواتا ليست بعاطفة، ولو كانت عاطفة لاختل المعنى، ويقدر الكلام: بل هم أحياء، وإنما هذا عطف جملة على جملة وهو في حكم الاستئناف، أو نزلت في شهداء أحد سبعين، منهم مهاجرون حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعثمان بن شماس،[٥] وعبد الله بن جحش، وسائرهم من الأنصار.[٦]

---

(١) أخرجه الطبري {٧/ ٣٧٥} والترمذي {١٥٦٧} والنسائي في الكبرى {٨٦٢٢} وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث الثوري.

(٢) قاله السدي، الطبري {٧/ ٣٨٠}.

(٣) هشام بن عمار بن نصير السلمي، شيخ أهل دمشق وخطيبهم ومحدثهم، وكان ثقة عدلا ضابطا فصيحا عالما عارفا بالرواية والدراية، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي. ت٢٤٥هـ. معرفة القراء الكبار {١/ ١٩٥} وغاية النهاية {٢/ ٣٥٤}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٣٣}.

(٥) عثمان بن شماس بن الشريد المخزومي، ذكره بن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة مع مصعب بن عمير، قتله أبيّ بن خلف الجمحي بأحد. انظر: الإصابة {٤/ ٤٥٠}.

(٦) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن سعيد بن جبير {١٣٠}.

عن رسول الله ﷺ: **((إن أرواحهم كطير خضر))** وروي: **((في جوف طير خضر تسرح في الجنة أين شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فبينا هم كذلك، إذ اطلع عليهم ربك إطلاعةً، فقال: سلوني ما شئتم، فقالوا: يا رب كيف نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ فلما رأوا أن لا يتركوا أن يسألوا شيئاً، قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك، قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تُركوا))**.[1]

وروي: **((أنهم لما رأوا نعيمهم [١/٢٢٨] وما هم عليه من طيب العيش، وما أعد الله تعالى لهم من الكرامة، قالوا: يا ليت قومنا رأوا ما نحن عليه، وما صنع الله بنا، كي يرغبوا في الجهاد، ولا يتكلوا، فقال تعالى: أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم، ففرحوا بذلك واستبشروا))** فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الآية.[2]

وروي أن رسول الله ﷺ رأى جابرا منكسرا، فقال له ﷺ: **((ما لي أراك منكسراً؟))** قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً وديناً، قال: **((أفلا أبشرك بما لقي الله به؟))** قلت: بلى، قال: **((ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكلمه كفاحاً، قال: يا عبدي تمن علي [أعطك][3] قال: يا رب أحيني فأقتل فيك الثانية، فقال تعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون))** قال جابر: فأنزلت فيه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الآية.[4]

أو نزلت في شهداء بئر معونة، وذلك أنه قدم أبو براء عامر بن مالك، ملاعب الأسنة،[5] على رسول الله ﷺ المدينة بهدية، فأبى قبولها وقال: **((لا أقبل هدية مشرك فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك؟))** عرض عليه الإسلام، وما له وما عليه، فلم يسلم، ولم يبعد، وقال: يا محمد إنما تدعو إليه حسن، فلو بعثت

---

(١) أخرجه مسلم {١٨٨٧}.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بسنده عن سعيد بن جبير {١٣٠} وأبو داوود {٢٥٢٠} والحاكم {٤٤٤- ٣١٦٥} وأحمد {٢٣٨٨} والحديث على كل حال حسنه شعيب الأرناؤوط، والألباني في صحيح سنن أبي داوود {٢١٩٩} والمصنف رحمه الله أورده هنا مختصرا.

(٣) في الأصل [أعطيك] ولعل الصحيح ما أثبت؛ وهو كذا عند الترمذي وابن ماجه، والله أعلم.

(٤) أخرجه الترمذي {٣٠١٠} وابن ماجه {٢٨٠٠} وأحمد {١٤٩٢٤} وابن حبان {٧٠٢٢} والحاكم وصححه {٤٩١١} وتعقبه الذهبي بقوله: فيض بن وثيق كذاب.أهـ وللحديث شواهد أخرى. وحسن إسناده الألباني.

(٥) عامر بن مالك بن جعفر العامري الكلابي، أبو براء المعروف بملاعب الأسنة، بعث إلى النبي ﷺ يسأله الدواء من وجع بطن ابن أخ له، فبعث إليه النبي ﷺ عكة عسل فسقاه فبرأ. انظر: الإصابة {٣/ ٥٩٩}.

رجالاً من قومك إلى أهل نجد فيدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ: **((إني أخشى عليهم أهل نجد))** فقال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث ﷺ المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً، في صفر سنة أربع من الهجرة، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، فلما نزلوها، [٢٢٨/ب] قالوا: أيكم يبلّغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال حرام بن ملحان:[١] أنا، فخرج بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، وكان على ذلك الماء، فلما أتاهم حرام، لم ينظر عامر في كتاب رسول الله ﷺ، فقال حرام: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ثم استصرخ عامر بن الطفيل على المسلمين بني عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، قد عقد لهم عقداً وجواراً، ثم استصرخ قبائل من بني سليم - عصية ورعلاً وذكوان- فأجابوه، فخرجوا فغشوا القوم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد؛[٢] تركوه وبه رمق، فارتث[٣] بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري،[٤] ورجل من الأنصار، فلم ينبهِهما على مصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، وقالا: والله إن لهذا الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، وإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره، فقال الأنصاري:[٢٢٩/أ] لكني ما كنت أرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قتل، وأخذوا ابن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأطلقه وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فقدم ابن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال ﷺ: **((هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً))** فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه إخفار عامر

---

(١) حرام بن ملحان بن خالد الأنصاري، خال أنس بن مالك، استشهد يوم بئر معونة كما في القصة. الإصابة {٨/ ٢٢٧}.

(٢) كعب بن زيد بن قيس بن مالك النجار الأنصاري، شهد بدرا وأحدا وبئر معونة والخندق وقتل فيها. انظر: الطبقات {٣/ ٥٢١}.

(٣) ارتث: يقال للرجل إذا ضرب في الحرب فأُثْخن وحُمل وبه رَمق. لسان العرب، مادة رثث.

(٤) عمرو بن أمية بن خويلد الضمري، شهد بدرا وأحدا مع المشركين، ثم أسلم، فكان أول مشهد شهده مسلما بئر معونة، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى النجاشي، مات بالمدينة في خلافة معاوية ﷺ. الطبقات {٤/ ٢٤٨}.

إياه، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره. وكان عامر بن فهيرة ممن قتل ذلك اليوم، فقال[١] عامر بن الطفيل: لما قتل رأيته قد رفع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء دونه؟ ثم بعد ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله.[٢] أو أن رعلاً وعصية وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو لهم، فأمدهم بسبعين من الأنصار يسمون القراء، يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، فقتلوهم ببئر معونة فقنت ﷺ في الصبح يدعو عليهم شهراً.

روي: أنه نزل في السبعين قرآناً، ثم نسخ: (بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)[٣]

أو إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾[٤] أي: لا تظنن ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ﴾ ابن عامر[٢٢٩/ب] بتشديد التاء من ﴿قُتِلُواْ﴾ ومن بقي بالتخفيف،[٥] أي: كأموات من لم يقتل في سبيل الله ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾ أي: أحياء في الدين، أو الذكر، أو يُرزقون ويتنعمون ويأكلون كالأحياء، أو لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، أو أن الشهيد لا يبلى، ولا تأكله الأرض.[٦] ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون، ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠﴾ أي: إخوانهم الذين تركوهم في الدنيا، أن يلحقوا بهم وينالوا ما نالوا هم.

---

(١) في النسختين زيادة: ابن، وهو خطأ من الناسخ.

(٢) انظر: القصة في تاريخ الطبري {٢/ ٨١} وسيرة ابن هشام {٢/ ١٨٣}.

(٣) ساقه المصنف بصيغة التمريض، والحديث أخرجه البخاري {٣٠٦٤- ٤٠٩٠} ومسلم {٦٧٧}.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بدون إسناد {١٣٠} والبغوي {١/ ٥٣٧}. وعلى كل حال فما ذكر من أسباب النزول فإن العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٤٣} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٤}.

(٦) وما ورد في الحديث المتقدم عند مسلم أن أرواحهم في أجواف طير خضر وفي الجنة يتنعمون هو الذي ينبغي المسير إليه في تفسير الآية، قال القرطبي: ... ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين... وقال: فالذي عليه المعظم هو ما ذكرناه وأن حياة الشهداء محققة... قال: وهذا هو الصحيح من الأقوال؛ لأن ما صح به النقل فهو الواقع، وحديث ابن عباس ﷺ نص يرفع الخلاف.اهـ {٤/ ١٧٢}.

﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ الكسائي ﴿وَأَنَّ﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف.[1]

قال ﷺ: ((**لا يجد الشهيد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة**))[2]

وقال ﷺ: ((**يأتي الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك**))[3]

لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد طالبا مكة، ندموا على انصرافهم، وقال: لا قتلتم محمداً ولا أردفتم الكواعب، ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأراد أن يرهب العدو، ويريهم من نفسه وأصحابه قوةً، فانتدب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان [١/٢٣٠] وأصحابه، ونادى مناديه: ((**ألا لا يخرجن معنا أحد، إلا من حضر يومنا بالأمس**)) فلم يخرج معه من المخلفين ممن لم يحضر الوقعة، إلا جابر بن عبد الله، استأذنه فأذن له ﷺ وفعل ذلك ترهيباً للعدو، وليظنوا أن به وبأصحابه قوة، لم يوهنهم ما أصابهم، فينصرفوا.

فخرج ﷺ بسبعين رجلا حتى بلغ حمراء الأسد –وهي على ثمانية أميال من المدينة[4] فمر برسول الله ﷺ معبد الخزاعي[5] –وهو مشرك يومئذ– فقال: والله لقد عز علينا ما أصابك يا محمد، ثم خرج حتى لقي أبا سفيان وأصحابه بالروحاء،[6] مجتمعين على الرجعة إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراءك؟ قال: قد خرج محمد بأصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه، وندموا على صنيعهم، وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل من مكانك حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم،[قال معبد: فوالله إني أنهاكم عن ذلك وفتره عن ذلك وخوّفه، وقال أبو سفيان

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٤٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٤}.

(٢) أخرجه الترمذي {١٦٦٨} والنسائي {٣١٦١} وابن ماجه {٢٨٠٢} وأحمد {٧٩٤٠} والدارمي {٢٤٠٨}. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.اهـ وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي {١٦٦٨} .

(٣) أخرجه البخاري {٢٨٠٣} ومسلم {١٨٧٦}.

(٤) حمراء الأسد: جبل أحمر جنوب المدينة على (٢٠) كيلا. معجم الجغرافية {١٠٦}.

(٥) معبد الخزاعي الذي رد أبا سفيان يوم أحد عن الرجوع إلى المدينة. انظر: الإصابة {٦/ ١٧٢}.

(٦) بئر الرَّوْحَاء على (٧٥) كيْلًا من المدِينَةِ، معجم المعالم الجغرافية {١٤٣}.

لركب عبد القيس مرّ به طالبا المدينة: إذا جئتم محمدا فأخبروه أنا قد أجمعنا الكرة عليهم][١] لنستأصلهم ثم انصرف إلى مكة، فمر الركب برسول الله ﷺ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: **((حسبنا الله ونعم الوكيل)).**[٢]

أو نزلت في بدر الصغرى، واعد أبو سفيان رسول الله ﷺ الخروج لما انصرف من أحد إلى موسم بدر الصغرى في العام المقبل، فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان[١٣٠/ب] من مكة حتى نزل مجنة،[٣] فألقى الرعب في قلبه، فبدا له الرجوع، فقال أبو سفيان: يا نعيم، إني واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وقد بدا لي أن لا أخرج، وليكن الخلف من محمد، ولا يكون مني، فإنه إن خرج ولا أخرج، ازداد جراءة علينا، فالحق بهم وثبطهم، وأعلمهم أنا في جمع كثير، وأنهم لا قوة لهم بنا، فأتى نعيم المدينة، فوجد الناس يتجهزون إلى موعد أبي سفيان، فقال: بئس الرأي رأيتم، أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم إلا الشريد، تريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله ﷺ عند ذلك الخروج، فقال ﷺ: **((والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي))** فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

فخرج رسول الله ﷺ بمن معه حتى وافوا بدراً الصغرى، فجعلوا يسألون عن أبي سفيان وأصحابه، فيقولون: قد جمعوا لكم يريدون أن يرعبوا المسلمين، فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأقام رسول الله ﷺ ببدر الصغرى ينتظر أبا سفيان، وكانت سوقا في الجاهلية موسمها ثمانية أيام يجتمع إليها الناس، وكانت مدة مقامه ﷺ، بها أيام سوقها.

وكان مع أصحابه ﷺ تجارات ونفقات، فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين، وانصرفوا[١٣١/أ] إلى المدينة سالمين غانمين، ولم يجئهم أبو سفيان، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٤] أي: أجابوا، و﴿

---

(١) مابين المعكوفين ساقط من الأصل والمثبت من (ب).

(٢) انظر: تاريخ الطبري {٢/ ٧٥} وسيرة ابن هشام {٢/ ١٠٢}.

(٣) مَجنة. من أسواق العرب في الجاهلية، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها، معجم البلدان {٥/ ٥٨}.

(٤) أخرجه الطبري في التاريخ {٢/ ٨٧} وفي التفسير {٧/ ٤١٢} ورجح أنها نزلت في حال خروج رسول الله ﷺ ومن معه في أثر أبي سفيان ومعه من المشركين، منصرفهم من أحد إلى حمراء الأسد، وقال: وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث، وخروج النبي ﷺ لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع، ولم يكن للنبي ﷺ بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه. {٧/ ٤١٣}.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض، صفة للمؤمنين، أي: أن الله تعالى لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله وللرسول ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ أي: نالهم الجرح، تم الكلام، ثم ابتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ أي: أحسنوا بطاعتهم الله تعالى، وإجابتهم رسوله ﷺ إلى الغزو، واتقوا معصيته ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خفض أيضاً ردا على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول، والمراد بالناس: نعيم، فهذا من العام المراد به الخاص، كقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: محمداً ﷺ،[1] أو المراد بالناس الركب من عبد القيس المذكور.[2] ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ أي: أبا سفيان وأصحابه، ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا﴾ أي: يقينا وتصديقاً وقوة ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ أي: الموكول إليه الأمور.

روي: أن إبراهيم الخليل لما ألقي قال: **((حسبنا الله ونعم الوكيل))**[3]

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ أي: بعافية لم يلقوا عدواً، و[﴿وَفَضۡلٖ﴾][4] تجارة وربح ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ أي: لم يصبهم أذى ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: طاعة الله تعالى ورسوله؛ لأنهم قالوا: هل يكون لنا هذا غزواً [٢٣١/ب] فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو، ورضي عنهم، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: القائل لكم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ من فعل الشيطان، ألقى في أفواههم ليرهبوهم ويجبنوا عنهم ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفكم بأوليائه، وقرئ بها،[5] أي: يخوف المؤمنين بالكافرين، أو يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم، وقرئ: يخوفكم أولياءه.[6]

﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ أي: في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ نافع بضم الياء وكسر الزاي، في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وقرئ بضمها، وهما لغتان.[7]

---

(١) قاله مجاهد وعكرمة ومقاتل والكلبي، زاد المسير {١/ ٥٠٤} والقرطبي {٤/ ١٧٨}.

(٢) قاله ابن عباس وابن إسحاق، زاد المسير {١/ ٥٠٤} والبغوي {٥٤٢}.

(٣) أورده المصنف بصيغة التضعيف والحديث صحيح أخرجه البخاري {٤٥٦٣- ٤٥٦٤}.

(٤) زيادة يقتضيها السياق، وانظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٢}.

(٥) قرأ بها أبيّ والنخعي، انظر: البحر المحيط {٣/ ١٦٧} والدر المصون {٣/ ٤٩٣} وهي شاذة.

(٦) قرأ بها ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وعطاء، انظر: المحتسب {١/ ١٧٧} البحر المحيط {٣/ ١٦٧} وهي شاذة.

(٧) وقراءة الضم لأبي جعفر وحده في سورة الأنبياء فقط، انظر: النشر {٢/ ٢٤٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٥}.

حزِن يحزُن وهي العليا، وأحزن يُحزن،[١] ﴿فِي ٱلْكُفْرِ﴾ هم كفار قريش، أو المنافقون، يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ أي: بمسارعتهم في الكفر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: ثوابا؛ فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: استبدلوا؛ لأنهم دُعوا إلى الإيمان وعُرضوا له وهم في الكفر، فتركوا الإيمان وأخذوا بالكفر، وكل ما كان من هذا مما صحبته الباء فمتروك، وما لم تصحبه الباء فمأخوذ، وإن جعلت الباء[١/٢٣٢] بمعنى على، كان على معنى الاشتراء الاختبار.

﴿لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ و﴿شَيْـًٔا﴾ نصب على المصدر، أي: شيئا من الضرر، والمعنى لن يضروا دين الله أو أولياء الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ حمزة بالتاء فيهما ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ والهمزة مفتوحة و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ نصب على هذه القراءة، و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أي: ولا يحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم، و(أن) مع (ما) في حيزه تنوب عن المفعولين، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤] وما مصدرية بمعنى: ولا تحسبن أن إملاءنا خير، وكان ينبغي أن تكتب مفصولة؛ لكن هكذا وجدت في الإمام،[٢] واتباعه سنة، وجاز البدل ها هنا وإن لم يأت بالمفعولين، كما جاز في قولك: جعلت متاعك بعضه فوق بعض، ألا ترى امتناع سكوتك على متاعك، ويجوز تقدير مضاف محذوف على تقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم، أو لا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم، ومن بقي بالياء،[٣] والذين رفعٌ على هذه القراءة، والفعل متعلق بأن وما في حيزه.[٤]

والإملاء: تخليتهم مع شأنهم مستعار، من أملى لفرسه، إذا أرخى له ليرعى كيف شاء،[٥] أو هو إمهالهم وإطالة عمرهم، أي: ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم

---

(١) انظر: الدر المصون {٣/ ٤٩٥}.

(٢) أي: في مصحف عثمان رضي الله عنه.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٤٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٥}.

(٤) للتوسع فيما ذكره المصنف من إعراب هذه القراءة راجع: البحر المحيط {٣/ ١٧٠} والكشاف {١/ ٢٣٣} والدر المصون {٣/ ٤٩٦} ومشكل إعراب القرآن {١/ ١٨٢}.

(٥) انظر: لسان العرب، مادة: ملا.

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ ينبغي أن تكتب (ما) هذه متصلة كافة، دون الأولى، وهي جملة مستأنفة [٢٣٢/ب] أي: إنما نمهل لهم، ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ وقرئ بكسر الأولى وفتح الثانية، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء،[1] أي: لا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان، و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ﴾ اعتراض بين الفعل ومعموله، ومعناه: أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعامنا عليهم بتفسيح المدة، والواو في ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ واو الحال، كأنه قيل: ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين. نزلت في مشركي مكة،[2] أو قريظة والنضير.[3]

قال ﷺ **((خير الناس من طال عمره وحسن عمله))**[4]

قالت قريش: يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار، والله عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة، والله عنه راض، فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك، فأنزل الله تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]

أو روي عن النبي ﷺ أنه قال: **((عرضت عليَّ أمتي في صورها في الطين، كما عرضت على آدم، وأُعلمت من يؤمن بي ومن يكفر))** فبلغ ذلك اليهود، فقالوا استهزاءً: زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ممن لم يخلق بعد، ونحن معه وما يعرفنا، فبلغ رسول الله ﷺ، فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: **((ما بال أقوام طعنوا في علمي، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، إلا أنبأتكم به))** فقام عبد الله بن حذافة السهمي،[6] فقال: من أبي؟[٢٣٣/أ] قال: **((حذافة))** فقام عمر وقال: رضينا بالله رباً

---

(١) قرأ بها يحيى بن وثاب، انظر: البحر المحيط {٣/ ١٧١} والدر المصون {٣/ ٥٠١} وهي شاذة.

(٢) قول مقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٣} وزاد المسير {١/ ٥٠٨}.

(٣) قول عطاء، انظر المرجعين السابقين.

(٤) وفي (ب) زيادة، تكملة الحديث **((وشر الناس من طال عمره وساء عمله))** أخرجه الترمذي (٢٣٣٠) وقال: حديث حسن صحيح. والحاكم {١٢٥٦} وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي {١٣٢}.

(٦) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، من السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، أرسله النبي ﷺ برسالة إلى كسرى، وله قصة معروفة مع ملك الروم تدل على شدته وصلابته في الدين، توفي بمصر في خلافة عثمان ﷺ.انظر: الإصابة {٤/ ٥٧} وسير أعلام النبلاء {٢/ ١١}.

وبالإسلام ديناً وبك نبياً، فاعف عنا يا رسول الله، فقال ((فهل أنتم منتهون؟)) ثلاثا، ثم نزل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[(١)]

﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ الخطاب للكفار والمنافقين، من الكفر والنفاق، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أو الخطاب للمؤمنين الذين أخبروا عنهم، أي: ما كان الله تعالى ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب.

حمزة والكسائي بضم الياء والتشديد، ومثله في الأنفال، لغتان،[(٢)] مازه يميزه ميزاً وميَّزه يميِّزه تمييزاً، إذا فرقه، إذا فرقت بين شيئين، قلتَ: مزتُ ميزاً، وبين الأشياء ميزت تمييزاً، وكذلك: فَرَقت بالتخفيف، بين الشيئين، وبالتشديد بين الأشياء،[(٣)] أي: حتى يميز المنافق من المخلص، فبرأ الله المؤمنين من يوم أحد، حيث أظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله ﷺ.

أو حتى يميز المؤمن من الكافر [بالهجرة][(٤)] أو﴿لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: في أصلاب الرجال وأرحام النساء، يا معشر المنافقين والكفار، حتى يفرق بينكم وبين ما في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين،[(٥)] أو﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾ وهو [المذنب][(٦)] ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ وهو المؤمن، أي: يحط عن المؤمن الأوزار بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ لأنه لا يعلم الغيب أحد غيره، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [٢٣٣/ب] أي: يطلعه على بعض علم الغيب، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦،٢٧] أو ما كان الله تعالى ليطلع محمداً ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباه[(٧)] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

---

(١) أخرج أوله الواحدي في أسباب النزول عن السدي بلا إسناد {١٣٢} وخبر عبد الله بن حذافة أخرجه البخاري {٧٢٩٤} ومسلم {٢٣٥٩}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٦}.

(٣) لسان العرب، مادة: ميز.

(٤) زيادة من (ب). وهذا قول قتادة، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٤٢٥} وزاد المسير {١/ ٥١١}.

(٥) قول الضحاك، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٥}.

(٦) في النسختين: الذنب. والمثبت من تفسير البغوي.

(٧) انظر: تفسير الطبري {٧/ ٤٢٦} والبغوي {١/ ٥٤٥}.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ أي: ولا يحسبن الباخلون البخل خيراً لهم، وهو صلة، ويسميه الكوفيون عماداً، والبصريون فصلا ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي: البخل ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: الذين منعوا من الزكاة، تُجعل حيةً تطوق في عنقه يوم القيامة، تنهشه من قرنه إلى قدمه،[1] أو يكلفون يوم القيامة بما بخلوا به في الدنيا،[2] أو نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ونبوته،[3] والمراد بالبخل كتمان العلم.

ومعنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يحملون وزره ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: أن كل شيء فانٍ وهو تعالى الباقي، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ أبو عمرو وابن كثير بالياء، ومن بقي بالتاء خطابا.[4]

لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء،[5] أو قائل هذه المقالة حيي بن أخطب،[6] أو أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ عنه بكتاب يهود بني قينقاع، يدعوهم إلى الإسلام وأن يقيموا الصلاة [٢٣٤/أ] ويؤتوا الزكاة، وأن يقرضوا الله تعالى قرضاً حسناً، فدخل مدْراسهم،[7] فوجد كثيراً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له: فنحاص بن عازوراء، ومعه أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، فآمن وصدق وأقرض الله قرضاً

---

(١) هذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي، واختاره الطبري {٧/ ٤٤٠} وانظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٥}. ويدل له ما رواه البخاري في صحيحه {١٤٠٣-٤٥٦٥} عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه- يقول: أنا مالك أنا كنزك))** ثم تلا هذه الآية...

(٢) قاله مجاهد وإبراهيم النخعي، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٦} وزاد المسير {١/ ٥١٣}.

(٣) رواية عطية العوفي عن ابن عباس ﷺ، وابن جريج عن مجاهد، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٤٣٢} وزاد المسير {١/ ٥١٢}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٦}.

(٥) أخرجه ابن حجر في العجاب وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ، انظر: العجاب في بيان الأسباب {٢/ ٨٠٤} والدر المنثور {٤/ ١٦٠}.

(٦) قاله الحسن و قتادة، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٧} وزاد المسير {١/ ٥١٥}.

(٧) المدْرَاس: المكان الذي يدرس فيه اليهود. لسان العرب، مادة: درس.

حسناً يدخلك الجنة، فقال فنحاص: تزعم أن الله يستقرض أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني؟ فإن كان ما تقول حقاً، فإن الله إذاً لفقير ونحن أغنياء، وينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنياً ما أعطانا، فغضب أبو بكر ﷺ وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: انظر [ما فعل][1] بي صاحبك، فقال ﷺ لأبي بكر ﷺ: ((**ما حملك على ما صنعت؟**)) فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً، زعم أن الله فقير وهم أغنياء، فغضبت لله وضربت وجهه، فجحد فنحاص، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾[2] أي: من الإفك والفرية على الله تعالى فيجازيهم به، أو يحفظ عليهم، أو سنأمر الحفظة بالكتابة[3] ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ حمزة ﴿سَنَكْتُبُ﴾ بضم الياء وفتح التاء، على ما لم يسم فاعله، ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ برفع اللام ﴿وَنَقُولُ﴾ بالياء[4] ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[٢٣٤/ب] أي: النار.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ أي: يقال له عند نزول العذاب به إنما حل بك هذا بفعلك بنفسك من كفرك، لا أن الله تعالى ظالمك، وأضاف الفعل إلى الأيدي ها هنا تأكيدا للحجة عليه، إذ الفعل بعد تقدير الله تعالى للإنسان واليد بعضه.

قال فنحاص وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ومالك بن الصيف، ومن معهم من اليهود لرسول الله ﷺ: [تزعم][5] إن الله بعثك إلينا رسولاً، وأنزل إليك كتابا، وعهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه جاء من عند الله، حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾[6] محل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض، بدلا من ﴿الَّذِينَ﴾ قبلها، أي: وسمع

---

(١) في (ب) ما صنع.

(٢) أخرجه الطبري من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول، عن ابن عباس ﷺ، وعن عكرمة، وعن السدي {٧/ ٤٤١} وذكره الواحدي في أسباب النزول {١٣٣} والبغوي {١/ ٥٤٧} وابن هشام في السيرة {١/ ٥٥٨}.

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٧}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٦٩}.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي {١٣٤}.

قول الذين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ أي: أمرنا في كتبه ﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ﴾ أي: لا نصدق رسولاً ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ والقربان: كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من صدقة وغيره، وكانت الغنائم والقرابين لا تحل لبني إسرائيل، فإذا قربوا قرباناً إن قُبل جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها، فأحرقته، وإن لم يُقبل بقي مكانه.[1]

قال السدي: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول الله تعالى فلا تصدقوه، حتى يأتيكم بقربان تأكله النار، حتى يأتيكم المسيح ومحمد، [فإذا أتياكم][2] فآمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان، إقامة للحجة عليكم.[3]

﴿قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ﴾[١/٢٣٥] أي: قل يا محمد: قد جاءكم رسل كزكريا ويحيى وغيرهما، ممن قُتلوا من الأنبياء ﴿مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ﴾ أي: القربان ﴿فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ أي: تكذيبهم إياك يا محمد مع علمهم بصدقك، كقتل آبائهم الأنبياء، مع إتيانهم بالقربان والمعجزات، والمراد أسلافهم، وخاطبهم بذلك؛ لأنهم رضوا بفعل أسلافهم، ثم عزَّا نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ ابن عامر ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ بالباء، أي: الكتب المزبورة، أي: المكتوبة، واحدها زبور كرسول، ومن بقي بلا باء ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ أي: الواضح، وانفرد هشام بزيادة باء في ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾.[4]

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ في الحديث: **((لما خلق الله آدم، اشتكت الأرض إلى ربها لما أخذ منها، فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها، فما من أحد إلا ويدفن في التربة التي خلق منها))**[5]

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ أي: إن خيرا فخير وإن شراً فشر. ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أي: نُجّي ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ أي: ظفر بالنجاة ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ أي: منفعة ومتعة،

---

(١) أخرجه الطبري {٧/ ٤٤٨} والدر المنثور {٤/ ١٦١} من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٨}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٧}.

(٥) ذكره الثعلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ {٣/ ٢٢٤} وورد بعضه عند الديلمي في زهر الفردوس {٤/ ١٧} وفيه محمد بن إسحاق الأهوازي متهم بالوضع. ميزان الاعتدال {٣/ ٤٧٨}.

كالفأس والقدور وغيرهما، ثم يزول، أو كخضرة النبات لا بقاء له، أو هي متاع متروكة مضمحلة، فخذوا من الطاعات ما استطعتم، والغرور: الباطل.[١]

أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فنحاص بن عازوراء يستمده، وكتب معه كتاباً، وقال لأبي بكر: لا تفتأن عليّ بشيء حتى ترجع، فأعطاه أبو بكر الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربك إلى أن نمده، فهمَّ أبو بكر بضربه بالسيف، ثم ذكر قول رسول الله ﷺ، فكف، ونزلت: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾[٢] [١٣٥/ب] أو نزلت في كعب بن الأشرف،[٣] وكان يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين، ويحرض المشركين عليهم، ويشبب في شعره بنساء المسلمين، فقال ﷺ: **((من لي بابن الأشرف، فقد آذى الله ورسوله))** فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك. فرجع ابن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، فقال له: **((لم تركت الطعام والشراب؟))** قال: قلت قولاً ولا أدري أَفِي به أم لا، فقال: **((إنما عليك الجهد))** قال: يا رسول الله، إنا لابد من أن نقول، قال: **((قولوا ما بدا لكم، وأنتم في حل من ذلك))** فاجتمع مع محمد في قتل ابن الأشرف أبو نائلة،[٤] وكان أخا لكعب من الرضاعة، وعباد بن بشر[٥] والحارث بن أوس[٦] وأبو عبس بن [جبر][٧] فمشى معهم

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٤٩}.

(٢) أخرجه الطبري عن عكرمة {٧/ ٤٥٥} والبغوي مرسلا عن عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جريج {١/ ٥٥٠}.

(٣) أصل القصة عند البخاري {٢٥١٠- ٣٠٣١- ٣٠٣٢} ومسلم {١٨٠١} وانظر: سنن أبي داوود {٢٧٦٨} وسيرة ابن هشام {٢/ ٥٤}.

(٤) أبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش الأنصاري، مشهور بكنيته، كان شاعرا ومن الرماة المعدودين. الإصابة {٧/ ٤٠٩}.

(٥) عباد بن بشر بن وقش بن الأنصاري الأشهلي، أحد البدريين، وأحد الشجعان الموصوفين، أبلى بلاء حسنا في اليمامة واستشهد بها. انظر: الإصابة {٣/ ٦١١} وسير أعلام النبلاء {١/ ٣٣٧}.

(٦) الحارث بن أوس بن معاذ الأنصاري، ابن أخي سعد بن معاذ، شارك في قتل ابن الأشرف. انظر: الإصابة {١/ ٥٦٣}.

(٧) تصحف في الأصل إلى [جبير] والمثبت من النسخة ب ومصدر الترجمة، وهو أبو عبس عبد الرحمن بن جبر بن عمرو الأنصاري الأوسي، بدري كبير، شهد المشاهد، وكان هو وأبو بردة يكسران أصنام بني حارثة حين أسلما، مات بالمدينة.

ﷺ إلى البقيع، وقال: **((انطلقوا على اسم الله تعالى، اللهم أعنهم))** فجاؤوا حصنه في ليلة مقمرة، فذهب فتحدث أبو نائلة مع ابن الأشرف، وقال: كان قدوم هذا الرجل بلاءً، رمتنا العرب عن قوس واحدة، وانقطعت عنا السبل، وإن معي أصحاباً أردنا تبيعنا طعامك ونرهنك، قال: ترهنوني أبناءكم، [قال: نستحي تُعيَّر أبناؤنا بعدنا](١) بذلك، قال: فنساؤكم، قال: أنت أجمل العرب ولا يمكن ذلك، ولكنا نرهنك الحلْقة، يعني: السلاح، وإنما ذكر له السلاح؛ لئلا ينكر عليهم إذا رأى معهم السلاح، فرجع أبو نائلة إلى أصحابه وانتهى بهم إلى حصنه، فهتف أبو نائلة، وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته، فقالت امرأته: أسمع صوتاً يقطر منه الدم، وأنت محارب، فقال: إن الكريم إذا دعي ليلا إلى طعنة لأجاب، فخرجوا يتماشون، وكان أبو نائلة قال: لأصحابه إني فاتل شعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت فدونكموه، فقال له: ما أطيب رائحة رأسك، فلمسه بيده ثم شمها مرارا حتى أَنِس، ثم لزم بفَودي(٢) رأسه حتى استمكن، ثم قال: اضربوا عدو الله، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً، وقد صاح عدو الله صيحةً لم يبق حصن [٢٣٦/أ] حولنا إلا أوقدت عليه نار، قال محمد: فذكرت مغولاً(٣) معي فوضعته في ثُندوته،(٤) ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، ووقع عدو الله إلى الأرض، فجئنا رسول الله ﷺ برأسه، فخافت يهود من ذلك، فقال ﷺ: **((من صادفتم من رجال اليهود فاقتلوه))** فوثب محيِّصة بن مسعود(٥) على [ابن سنينة](٦) رجل من تجار يهود، وكان حُويِّصة(٧) إذ

سنة ٣٤هـ انظر: الإصابة {٢٦٦/٧} وسير أعلام النبلاء {١٨٨/١}.

(١) في ب: قالوا: نستحي تُعيَّر أبناؤنا من بعدنا.

(٢) الفَوْدُ: مُعظم شعر الرأس مما يلي الأُذن. لسان العرب مادة: فود.

(٣) المغول: حديدة تجعل في السوط يكون لها غلافا. لسان العرب مادة: غَوَلَ.

(٤) ثندوة: يقال: للحم الذي حول الثدي. لسان العرب مادة: ثند.

(٥) محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر الأنصاري، أصغر من حويصة وأسلم قبله. انظر: الإصابة {٦/ ٤٥}.

(٦) في النسختين: ششينة. والمثبت من سيرة ابن هشام {٢/ ٥٨} وتاريخ الطبري {٢/ ٥٤} لأنه قال بعد ذلك: رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ...اهـ.

(٧) حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر الأنصاري شهد أحدا و المشاهد بعدها. انظر: الإصابة {٢/ ١٤٣}.

ذاك لم يسلم، وكان أسن من محيصة، فجعل يضربه ويقول: أي: عدو الله قتلتَه، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله؛ [لأنه][1] كان يبايعهم.

قال محيصة: والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك، قال: لو أمرك بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، قال والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب! فأسلم حويصة، فأنزل الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: لتُختَبرُن، اللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم، ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي: بالعاهات والجوائح، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: بمصائب الأقارب والعشائر، أو بالأمراض، أو هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم،[2] أو هو ما فرض عليهم من الصيام والصلاة والحج ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ أي: مشركي العرب، ﴿أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ أي: على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ أي: حق الأمور، أو من حقيقة الإيمان.[4]

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالياء فيهما، على لفظ الغيبة، ردا على الغيبة المقدمة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وعلى قوله أيضا ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ومن بقي بالتاء على الخطاب، أي: فقال لهم لتبيننه،[5] ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: طرحوه[٢٣٦/ب] وتركوا العمل به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾ أي: المأكل ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قتادة: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلِّمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة.[6]

قال ﷺ: **((من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم بلجام من نار))**[7]

وعن علي بن أبي طالب: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا.[1]

---

(١) في الأصل: لأنهم، والصحيح ما أثبت من (ب). لعود الضمير على ابن سنينة المذكور.

(٢) قاله عطاء، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٥١}.

(٣) قاله الحسن، المرجع السابق.

(٤) قاله عطاء، المرجع السابق.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٤٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٧}.

(٦) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٥٢} والقرطبي {٤/ ١٩٤}.

(٧) أخرجه أبو داوود {٣٦٥٨} والترمذي {٢٦٤٩} وابن ماجه {٢٦٤} وأحمد {٧٥٦١} والحديث صححه الألباني.

﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ ﴾ عاصم وحمزة والكسائي بالتاء، أي: لا تحسبن يا محمد، ومن بقي بالياء،(٢) أي: لا يحسبن الفارحون فرحهم منجياً لهم من العذاب، ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم ﴾ أبو عمرو وابن كثير: بالياء وضم الباء إخباراً عن الفارحين، أي: فلا يحسبُن أنفسهم، وبالتاء وفتح الباء من بقي،(٣) أي: فلا تحسبنهم يا محمد، وأعاد ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم﴾ تأكيداً ﴿بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ نزلت في رجال كانوا يتخلفون بعد رسول الله ﷺ إذا ذهب في الغزو ويفرحون بذلك، فإذا قدم جاؤوه واعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا،(٤) أو أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية،(٥) أو في فنحاص وأشيع وغيرهما من الأحبار يفرحون بإضلالهم الناس، وبنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم.(٦) أو هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب، وحمدهم إياهم عليه.(٧) أو هم اليهود فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم وهم براء من ذلك.(٨) أوهم يهود خيبر أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: نعرفك ونصدقك، ونحن على رأيكم ونحن لكم ردء، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما فعلتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، قال المسلمون: أحسنتم

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٥٢} وزاد المسير {١/ ٥٢١}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٨}.

(٣) انظر المرجعين السابقين.

(٤) أخرجه البخاري {٤٥٦٧} ومسلم {٢٧٧٧}.

(٥) أخرجه البخاري {٤٥٦٨} ومسلم {٢٧٧٨}، وما ورد في الصحيحين فيه غنية عن غيره من الأسباب المذكورة بعد؛ لضعف أسانيدها، أو انقطاعها. قال ابن حجر في الفتح: ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معا، وبهذا أجاب القرطبي وغيره، ثم قال: ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه والله أعلم.اهـ {٨/ ٢٩٤}.

(٦) أخرجه الطبري عن عكرمة من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول {٧/ ٤٦٦}.

(٧) أخرجه الطبري عن مجاهد {٧/ ٤٦٩}.

(٨) قول سعيد بن جبير، المرجع السابق والعجاب {٢/ ٨١٦}.

هكذا فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فنزلت هذه الآية،[١] وقوله تعالى: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا﴾ أي: ما فعلوا و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ [٢٣٧/أ] أي: بمنجاة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ كأنَّ قوما سألوا آية فقيل لهم: اعتبروا بما ترون من عجائب الصنع وكمال القدرة بخلق السموات والأرض وما فيهما.

عن رسول الله ﷺ: أنه استيقظ ليلة فتسوك ثم توضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخر السورة، ثم قام فصلى ركعتين، فأطال القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات، بست ركعات، كل ذلك يستاك، ثم يتوضأ ثم يقرأ هذه الآيات، ثم أوتر بثلاث ركعات، ثم أتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول: **((اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي لساني نوراً واجعل من خلفي نوراً، وأمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، واجعل في قلبي نوراً وعن يميني نورا، وعن يساري نوراً)).**[٢]

وأولوا الألباب ذوو العقول، ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: حال قيامهم وقعودهم وعلى جنوبهم، وهذا نهاية وصفهم بمداومة الذكر، إذ لا يكون الإنسان غالبا إلا على إحدى هذه الحالات الثلاث، أو هو في الصلاة يصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب، عن علي وابن عباس والنخعي[٣] وقتادة.[٤] هذا في صلاة المريض، وهذه حجة الشافعي في إضجاع المريض على جنبه كاللحد،[٥] وعند أبي حنيفة يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد.[٦]

---

(١) قول قتادة، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٤٧١} والعجاب {٢/ ٨١٥}.

(٢) أخرجه البخاري {٦٣١٦} ومسلم {٧٦٣}.

(٣) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني، أحد الأعلام، واسع الرواية فقيه النفس مفتى أهل الكوفة، دخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو صبي، ولم يثبت له منها سماع، ت ٩٦هـ سير أعلام النبلاء {٤/ ٥٢٠}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٥٥} وزاد المسير {١/ ٥٢٧}.

(٥) مغني المحتاج {١/ ٢١٥} والمجموع للنووي {٥/ ١١٦}.

(٦) بدائع الصنائع {١/ ٢٨٨}.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: وما فيهما من العجائب استدلالا بذلك على قدرة الصانع، ويعرفون أن لهما صانعا قادراً مدبراً حكيماً، والفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية، كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة.[١]

وعن الثوري: أنه صلى خلف المقام ثم رفع رأسه فلما رأى الكوكب غشي عليه، وكان [٢٣٧/ب] يبول الدم من طول حزنه وفكرته.[٢] وروي: **((لا عبادة كالتفكر))**[٣]

وروي أنه قال ﷺ: **((لا تفضلوني على يونس بن متى، فإنه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض))**[٤]

قيل: وإنما كان ذلك[٥] في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب؛ إذ لا يقدر أحد أن يعمل بجوارحه كعمل أهل الأرض جميعا.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ أي: ويقولون وأراد الخلق، ولو أراد السموات والأرض لقال هذه ﴿بَاطِلًا﴾ أي: عبثاً وهزلاً، بل لأمر عظيم، ونصبه بنزع الجار، أي: بالباطل، أو للباطل أوحالا للخلق، أي: ما خلقته مبطلا ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ١٩١﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ أي: أهلكته، أو أهنته، أو فضحته، وأراد هنا بدخول النار التخليد، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢﴾

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ أي: محمداً ﷺ،[٦] أو القرآن،[٧] فليس كل أحد يلقى محمدا ﷺ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ وأراد بالذنوب

---

(١) قاله ابن عون، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٥٦}.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي {٣/ ٢٣١} سير أعلام النبلاء {٧/ ٢٤٢}.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير{٢٦٨٨} والبيهقي في الشعب {٤٦٤٧}وهو حديث موضوع. وانظر: كشف الخفاء {٢/ ٣٥٨} والفتح السماوي {١/ ٤٤٣} والسلسلة الضعيفة {٥٤٢٨}.

(٤) قال الألباني في الجملة الأولى: لا أصل له بهذا اللفظ، شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقه {١/ ١٧٢} والذي ورد في الصحيح: **((لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى))**.

(٥) في ب زيادة: التفكر.

(٦) قاله ابن مسعود وابن عباس وابن جريج وابن زيد ومقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٥٧} وزاد المسير {١/ ٥٢٨}.

(٧) قول محمد بن كعب القرظي، انظر المرجعين السابقين.

الكبائر وبالسيئات الصغائر، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣﴾ أي: اقبض أرواحنا مع النبيين والصالحين، أو توفنا في جملة الأبرار، وعلى ملة الأبرار.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسنة رسلك ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾ وهذه الآية دعاء، معناه الخبر، أي: لتؤتينا ما وعدتنا، تقديره: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ لتؤتنا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة، أو واجعلنا من الذين يستحقون ثوابك، وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رسلك؛ لأنهم لا يتيقنون استحقاقهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين، أو إنما سألوا تعجيل النصر على الأعداء؛ لأنهم علموا أنه لا يخلف الميعاد في النصر وغيره، ولكن قالوا لا صبر لنا فعجل النصر.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى﴾ أي: بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾[1] قالت [أم سلمة:][2] إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة، ولا يذكر النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3]

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ أي: في الدين والنصرة والموالاة، أو كلكم من آدم وحواء، أو رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون، أخرجهم المشركون من مكة ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِّلُوا۟﴾ ابن عامر وابن كثير بالتشديد، أي: قطعوا في المعترك، ومن بقي بالتخفيف، وحمزة والكسائي ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ يقدمان المفعولين على الفاعل، أي: قتل بعضهم وقاتل من بقي منهم وقتلوا، وقد قاتلوا، ومن بقي بتأخير المفعولين على الفاعل،[4] أي: ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ نصب على القطع،[5] أو مصدر،[1] أي: لأثيبنهم ثواباً ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ﴾ أي: من عندي، وهذه عادة العرب بينا هو مواجه بالكلام إذ صار مخبرا، أو مخبرا إذ صار مواجها ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾

---

(١) نهاية اللوحة [٢٣٨/ أ] عند قوله تعالى: (عامل).

(٢) في النسختين: أم سليم، والتصحيح من المصادر.

(٣) أخرجه الترمذي {٣٠٢٣} والحاكم {٣١٧٤} والطبري {٧/ ٤٨٧} والواحدي في أسباب النزول {١٣٩}. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٤٩٨} وتقدم تخريج القراءة التي قبلها.

(٥) قاله الكسائي، مشكل إعراب القرآن {١/ ١٨٥}.

قال يوما بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾﴾ (٢) أي: ضربهم في الأرض وتصرفهم للتجارات وأنواع المكاسب، والخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: كل ما هو فان قليل وإن كثر، أي: منفعته يسيرة في الدنيا ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ أي: الفراش.

﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ أي: حال المتقين، معنى ﴿لَٰكِنِ﴾ ههنا إثبات ما بعد النفي ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ أي: جزاءً وثواباً، أي: عوض المتاع الذي يتقلب فيه الكفار، ونزلا نصبٌ مصدرٌ أو على القطع ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾[٢٣٨] أي: من متاع الدنيا.

قال عمر: دخلت على رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أُدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوراً وعند رأسه أُهبا(٣) معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه، فبكيت فقال: **((ما يبكيك؟))** فقلت: يا رسول الله: إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله؟ فقال: **((أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟))**.(٤)

لما مات النجاشي، واسمه أصحمة، ومعناه: عطية بلسان الحبشة، نعاه جبريل ﷺ لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال ﷺ لأصحابه: **((اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي))** فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر [سرير](٥) النجاشي، وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات، واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج(٦) حبشي نصراني لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية.(٧)

---

(١) قاله المبرد، البغوي {١/ ٥٥٨} البحر المحيط {٣/ ٢٠٥}.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٣٩} وابن حجر في العجاب {٢/ ٨١٨} وأورده المناوي في الفتح السماوي وقال: لم أقف عليه. اهـ {١/ ٤٤٧}.

(٣) القَرَظُ: شجر يُدبغ به، أو ورق السلم مجموع، والأهب: جمع إهاب، وهو الجلد. لسان العرب، مادة: قرظ، أهب.

(٤) أخرجه البخاري {٢٤٦٨- ٤٩١٣- ٥١٩١} ومسلم {١٤٧٩ح٣٤}.

(٥) في الأصل: سير، والمثبت من (ب).

(٦) العلج: الشديد الكثير الصرع لأقرانه، والرجل من كفار العجم. القاموس مادة: علج.

(٧) أخرجه الطبري {٧/ ٤٩٧} والواحدي في أسباب النزول {١٣٩} عن ابن عباس وجابر وأنس وقتادة، بلا إسناد،

أو نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه،[1] أو نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم.[2]

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ أي: القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: التوراة والإنجيل، ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ أي: متواضعين، ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ أي: لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد ﷺ لأجل الرياسة والمملكة،كفعل غيرهم من رؤساء اليهود﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ أي: على دينكم فلا تتركوه لشدة ولا رخاء، أو اصبروا على طاعة الله تعالى، أو على أمر الله تعالى، أو على أداء الفرائض، أو على الجهاد. أو على البلاء.[3]

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أي: الكفار ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أي: المشركين، أي: داوموا واثبتوا، والربط الشد، وأصل الربط: أن يربط هؤلاء خيولهم في الثغر، ثم قيل: ذلك لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه، وإن [٢٣٩/أ]لم يكن له مركب.

قال ﷺ **((رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها))**[4]

والبغوي {١/ ٥٥٩} وصلاة النبي ﷺ على النجاشي ثابتة في الصحيحين عند البخاري {١٢٤٥- ١٣٣٣} ومسلم {٩٥١-٩٥٢}.

(١) أخرجه الطبري {٧/ ٤٩٨} عن ابن جريج، والبغوي {١/ ٥٥٩}.

(٢) الطبري {٧/ ٤٩٩}.

(٣) انظر هذه الأقوال في البغوي {١/ ٥٥٩}.

(٤) أخرجه البخاري {٢٧٩٤- ٢٨٩٢- ٣٢٥٠- ٦٤١٥} ومسلم {١٨٨١}.

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن:[١] لم يكن في زمان رسول الله ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة.[٢]

دليله قوله ﷺ: **((ألا أخبركم بما يمحو الله تعالى به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط))**[٣]

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ أكد هذه الطاعة كلها بالتقوى إذ هي ملاك الأمر وعصمة الدين، وغيب مآل أمرهم، ليكونوا حذرين وجلين، ومتى أمن ابن آدم طغى.

قال بعضهم: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورابطوا في دار الأعداء، واتقوا إله الأرض والسماء، تفلحون في دار البقاء.[٤]

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، قيل: اسمه عبد الله وقيل: إسماعيل، الحافظ الفقيه، أحد أعلام المدينة، حدث عن جلة من الصحابة، وكان حجة مجتهدا كبير القدر، ت٩٤هـ سير أعلام النبلاء {٤/ ٢٨٧} والطبقات {٥/ ١٥٥}.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك {٣١٧٧} وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم {٢٥١}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٦١} ومدارج السالكين {٢/ ١٥٩}.

سورة النساء

مدنية [١] وهي مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية [٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ أي: آدم ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ أي:حواء، والعطف هاهنا على محذوف، أي: خلقكم من نفس واحدة [أنشأها أو أبدعها، ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ أي: أنشأكم من نفس واحدة] [٣] هذه صفتها، أو العطف على خلقكم، والمعنى: خلقكم من نفس آدم وخلق منها حواء أمكم، وخلقت قبل خلق الناس، وإنما أخرت في الذكر؛ لأن الواو لا توجب ترتيبا ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا﴾ أي:آدم وحواء ﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ أي: غيركم من الأمم الماضية.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ ﴾ الكوفيون يخففون السين على حذف إحدى التاءين، ومن بقي بالتشديد [٢٣٩/ب] على إثباتها [٤] ﴿بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ حمزة بخفض الأرحامِ عطفا، وفيها نظر، [٥] إذ العطف على المضمر المخفوض بغير إعادة حرف الخفض قليل، أو قسما؛ لأنهم كانوا يقسمون بها ويتناشدون بها فيقولون أنشدك الله والرحم، أو الرحم شجنة [٦] من الله تعالى، وقرئ: (والأرحامُ)

---

(١) وهو قول ابن عباس ﷺ وقتادة، ويدل له قول عائشة رضي الله عنها، في البخاري: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. {٤٩٩٣}. قال القرطبي: ولا خلاف بين العلماء أن النبي ﷺ إنما بنى بعائشة بالمدينة. {٥/ ٣}.

(٢) مائة وخمس وسبعون عند الجمهور، مائة وست وسبعون عند الكوفيين، مائة وسبع وسبعون عند الشاميين. مرشد الخلان {٦٦}.

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠١}.

(٥) طعن بعض أهل اللغة على هذه القراءة؛ محتجين بأن ذلك غير فصيح في لغة العرب، والقاعدة التي يجب المصير إليها في مثل هذا الطعن والرد عليه، أن يقال: إن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها، فإذا ثبتت القراءة لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة. والله أعلم. وانظر النشر {١/ ١٠} وقواعد التفسير {١/ ٩٤}.

(٦) الشِّجْنَةُ والشُّجْنَةُ: عروق الشجر المشتبكة، أي: قرابةٌ من الله عزّ وجل مشتبِكةٌ كاشتباك العروق. الصحاح، مادة: شجن. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: **((إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته))** {٥٩٨٨}.

بالرفع،[(١)] ومن بقي بالنصب،[(٢)] أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، والإتيان بمثل المذكور من الآية يدل على قدرة الصانع على كل شيء، وإذا نظر الإنسان حقيقة النظر جعل التقوى له ملاذا، إذ عقب الأمر بالتقوى ينبغي أن يؤتى بما يوجبها أو يدل عليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ۝١﴾

كان مع رجل غطفاني مال كثير لابن أخيه يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه، فترافعا إلى النبي ﷺ، فنزلت: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله فأخذه الفتى فأنفقه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ:((**ثبت الأجر ويقي الوزر**)) فقيل: كيف يا رسول الله؟ فقال: ((**ثبت الأجر للغلام ويقي الوزر على والده**))[(٣)]

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾ خطاب للأولياء والأوصياء، واليتامى: جمع يتيم، وهو الصغير الذي لا أب له ولا جدّ، وإنما يدفع إليهم بعد البلوغ، وسموا يتامى بعد البلوغ استصحابا للحال، ولا يُتْمَ بعد الحلم، ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ أي: لا تستبدلوا حلال أموالكم بما هو حرام عليكم من أموالهم؛ لأنهم كانوا يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء، فنهوا عن ذلك.[(٤)]

أو كانوا لا يورثون النساء والصبيان في الجاهلية، ويأخذ الأكبر الميراث، فنصيبه من الميراث طيب له، وما يأخذه من أنصباء غيره خبيث، أو لا تتعجل الرزق الحرام قبل إتيان الحلال.[(٥)]

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ أي: مع أموالكم، أي: لا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢﴾ أي: إثماً عظيماً.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أي: إن خفتم يا أولي اليتامى أن لا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ أي: فتزوجوا غيرهن ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ قال: ما طاب، ولم يقل: من طاب [٢٤٠/أ]

---

(١) وهي قراءة شاذة قرأ بها عبد الله بن يزيد، المحتسب {١/ ١٧٩}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠١}.

(٣) ذكره البغوي {١/ ٥٦٢} والواحدي في أسباب النزول {١٤٢} عن مقاتل والكلبي.

(٤) قول ابن المسيب والضحاك والنخعي والزهري والسدي، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٥٢٥} والبغوي {١/ ٥٦٢}.

(٥) قول مجاهد، انظر المرجعين السابقين.

وهو الوجه، أي: فانكحوا الطيب، أي: الحلال، أو العرب تضع (من) و(ما) كل واحدة منهما موضع الأخرى،[1] كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠] مجاهد: يعني الدواب والبهائم.[2]

كان من عادة العرب إذا كانت اليتيمة مرضية عندهم تزوجوها، وإن كانت قليلة المال غير مرضية رغبوا عنها، قال: فكما يرغبون عنها إذا كانت غير مرضية أن ينكحوها، فكذلك لا يتزوجون بها إذا كانت مرضية.

كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده اليتيمة فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه؛ كراهية أن يدخله غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص بها أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى عليهم ذلك، وأنزل هذه الآية،[3] أو كان الرجل من قريش يتزوج العشرة من النساء، فإذا قل ما عنده عهد إلى مال يتيمه الذي تحت حجره فأنفقه عليهن، فأنزل تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[4] أي: لا تزيدوا على أربع لئلا تحتاجوا إلى مال اليتيم.

مثنى معدول عن اثنين اثنين، وثلاث معدول عن ثلاثة ثلاثة، ورباع عن أربعة أربعة، ولذلك لم ينصرفْن، أي: إن شئتم اثنين وإن شئتم ثلاثا وإن شئتم أربعا، والواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦] و﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١] وفائدة التكرير: أنه خطاب للجميع فكرره؛ ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق، وأكثر من ذلك غير جائز عند جميع الفقهاء، إلا عند أصحاب الظاهر،[5] فإنه رأى الجمع بين مثنى وثلاث ورباع، فعلى زعمه

---

(١) انظر: معاني الفراء {١/ ٢٥٣}.

(٢) انظر: تفسير الطبري {١٧/ ٨٢} وزاد المسير {٤/ ٣٩١}.

(٣) قاله الحسن، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٦٣}.

(٤) قول عكرمة، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٥٣٥} والدر المنثور {٤/ ٢١٧}.

(٥) عزاه ابن قدامة في المغني {٧/ ٤٣٦} للقاسم بن إسماعيل، وعزاه السمرقندي {١/ ٢٨٠} والقرطبي {٥/ ١٣} للرافضة وبعض أهل الظاهر. وقد صرح ابن حزم الظاهري: بأنه لا يجوز نكاح أكثر من أربع زوجات في أكثر من موضع من كتبه، فقال في المحلى: (فلم يَختلف في أنه لا يحل لأحد زواج أكثر من أربع نسوة أحدٌ من أهل الإسلام، وخالف في ذلك قوم من الروافض، لا يصح لهم عقد الإسلام). وقال أيضا: (ولا يحل لأحد أن يتزوج أكثر من أربع نسوة إماء أو حرائر...) {٩/ ٤٤١} وقال في مراتب الإجماع: واتفقوا على أن نكاح أكثر من أربع زوجات لا يحل لأحد بعد رسول الله ﷺ. {٦٣}.

يصير المجموع تسعة، فجوز ذلك وهذا غير صحيح؛ إذ لو كان كذلك لجاز التزويج بما لا نهاية له، وإنما كانت الزيادة من خصائص رسول الله ﷺ، أو كان بعضهم يتحرج عن أموال اليتامى ويترخص في التزويج بما شاء فربما عدل وربما جار، فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ أنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[(١)] أي: فكما خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك خافوا في النساء فلا تتزوجوا أكثر [من][(٢)] ما يمكنكم القيام بحقهن؛ إذ هن كاليتامى في الضعف، فما بالكم تراقبون الله في شيء وتعصونه في مثله، وهذا يوجب [٢٤٠/ب] استعمال القياس والحكم به؛ لأنه رخص في أربع، ثم قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ أي: فيهن وبينهن ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدة، وقرئ برفع (واحدةٌ)[(٣)] أو إن تحرجتم من أموال اليتامى فكذلك تحرجوا من الزنا، فانكحوا النساء الحلال نكاحا طيبا؛[(٤)] ثم بين العدد بقوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ هذا للحر، أما العبد فلا يجوز له نكاح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم.[(٥)]

عن عمر بن الخطاب: العبد ينكح امرأتين ويطلق تطليقتين.[(٦)]

وربيعة[(٧)] جوز للعبد أن ينكح أربعا.[(٨)]

---

(١) قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٥٣٦- ٥٣٧} البغوي {١/ ٥٦٣}.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) وهي قراءة متواترة لأبي جعفر، انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٢}.

(٤) قول مجاهد، انظر: تفسير الطبري {٧/ ٥٣٩} والدر المنثور {٤/ ٢٢٠} وهذا أبعد الأقوال عن الآية كما قال الشنقيطي في أضواء البيان {١/ ٢٤٠}.

(٥) وهو قول عمر بن الخطاب وعلي وعبد الرحمن ابن عوف ﷺ وأبي حنيفة ومالك في إحدى روايتيه، والشافعي والثوري والليث وعطاء والحسن والشعبي وقتادة، انظر: أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤٠٩} والشرح الكبير لابن قدامة {٧/ ٤٩٨} وقال الجصاص في أحكام القرآن: وروى ليث عن الحكم قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن العبد لا يجمع من النساء فوق اثنتين. فقد ثبت بإجماع أئمة الصحابة ما ذكرناه.اهـ{٢/ ٣٤٧}.

(٦) أخرجه البغوي في تفسيره {١/ ٥٦٤} وروي مثله عن ستة من الصحابة. أحكام القرآن للجصاص {٢/ ٣٤٧}.

(٧) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسم أبيه فروخ، القرشي التيمي مولاهم، المشهور بربيعة الرأي، مفتي المدينة، ومن أئمة الاجتهاد، ثقة فقيه مشهور، ت١٣٦هـ على الصحيح. انظر: سير أعلام النبلاء {٦/ ٨٩} والتقريب {٣٢٢}.

(٨) انظر: أحكام القرآن للجصاص {٢/ ٣٤٨}.

﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ أي: السراري، لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا قسم لهن، ولا وقت في عددهن، وأيمانكم هو جمع يمين الجارحة، أو جمع يمين من القسم أي: ما تنفذ فيه أقسامكم، ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أي: أقرب ﴿أَلَّا تَعُولُواْ ٣﴾ أي: تجوروا،[1] يقال: ميزان عائل، أي: جائر. مجاهد: أن لا تضلوا،[2] أو أن لا تجاوزوا ما فرض الله تعالى عليكم،[3] وأصل العول: المجاوزة، ومنه عول الفرائض.[4]

وقال الشافعي رحمه الله: أن لا يكثر عيالكم،[5] وأُخذ عليه، قالوا إنما يقال من كثرة العيال: أعال يعيل إعالة، إذا كثر عياله، ويجوز أن يكون ما قاله الشافعي لغة في أعال يعيل.

قال أبو حاتم: الشافعي أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة، أو هي لغة حمير، قلت: وإن لم يكن لغة فيجوز أن الشافعي نظر إلى السبب الموجب للجور والمجاوزة، فقال: ألا تكثر عيالكم إذا كان الجور والمجاورة غالبا إنما يقعان بسبب كثرة العيال، فيكون من باب الكناية، وقرئ: (تُعيلوا) بضم التاء وكسر العين وهذه القراءة حجة للشافعي،[6] لأنها من أعال يعيل إذا جار.[7]

---

(١) وروي هذا التفسير مرفوعا من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قال ابن أبي حاتم: والصواب عن عائشة رضي الله عنها موقوف. انظر: تخريج الأحاديث والآثار {١/ ٢٨٠}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٦٥} وزاد المسير {٢/ ١٠}.

(٣) قول الفراء، انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٦٥}.

(٤) الصحاح، مادة: عول.

(٥) عزاه الماوردي له في تفسيره النكت والعيون {١/ ٤٥٠}.

(٦) وهي شاذة قرأ بها طاووس، انظر: البحر المحيط {٣/ ٢٣١} والدر المصون {٣/ ٥٧٠} .

(٧) راجع في تفصيل هذه المسألة وأحكام القرآن للجصاص {٢/ ٣٤٩} . وظاهر الآية وسياقها يدل على حمل العول في الآية على الجور والميل؛ وهو الأقرب لمعنى الآية ومقصود الشرع. والله أعلم.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ ﴾ قرئ: بضم الصاد والدال،[١] وبضم الصاد وسكون الدال،[٢] وبضم الصاد والدال من غير ألف وفتح التاء (صُدُقَتَهُنَّ)[٣] والكل لغات.

هو خطاب للأولياء،[٤] كان الولي إذا زوج وليته فإن كانت معه في العشيرة لم يعطها من مهرها شيئا، وإن كان الزوج غريباً حملوها إليه على بعير ولا يعطونها من مهرها غير ذلك، فنهوا عن ذلك، وأمروا بتسمية المهر في العقد.

وشبيه بهذا [٢٤١/أ] نكاح الشغار، وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل الآخر ابنته، ولا صداق بينهما.[٥]

أو الخطاب للأزواج،[٦] أمروا بإتيان نسائهم الصداق، وهذا أصوب؛ إذِ الخطاب فيما قبل مع الناكحين.

والصدقات: المهور، جمع صدقة، ونحلة: فريضة،[١] أو فريضة مسماة، أبو عبيد: لا تكون النحلة إلا مسماةً معلومة،[٢] أو عطية وهبة عن طيب نفس،[٣] أو تديناً.[٤]

---

(١) وهي قراءة شاذة قرأ بها مجاهد وموسى بن الزبير وابن أبي عبلة وفياض بن غزوان، انظر: البحر المحيط {٣/ ٢٣٢} والدر المصون {٣/ ٥٧٠}.

(٢) وهي شاذة قرأ بها قتادة، انظر المرجعين السابقين.

(٣) وهي شاذة قرأ بها النخعي وابن و ثاب، انظر المرجعين السابقين.

(٤) قول الكلبي ومجاهد وأبي صالح، البغوي {١/ ٥٦٥}.

(٥) والحديث الوارد في النهي عنه رواه البخاري {٥١١٢- ٦٩٦٠} ومسلم {١٤١٥-١٤١٦-١٤١٧}.

(٦) قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج، انظر: تفسير القرطبي {٥/ ١٧} ورجحه الطبري وقال: ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صُرف عنهم إلى غيرهم، فإذْ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قيل لهم: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ هم الذين قيل لهم: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة، لأنه قال في أوّل الآية: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ولم يقل: فأنكحوا، فيكون قوله: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ مصروفًا إلى أنه معنيّ به أولياء النساء دون أزواجهن، وهذا أمرٌ من الله أزواجَ النساء المدخول بهن والمسمَّى لهن الصداق، أن يؤتوهن صدُقاتهن، دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسمّ لها في عقد النكاح صداق.اهـ {٧/ ٥٥٤} واختاره ابن العربي في أحكام القرآن، وقال: واتفق الناس على الأول- أي أن المخاطبين هم الأزواج – وهو الصحيح؛ لأن الضمائر واحدة؛ إذ هي معطوفة بعضها على بعض في نسق واحد، وهي فيما تقدم بجملته الأزواج، فهم المراد ها هنا..ثم ذكر الآية وقال: فوجب تناسق الضمائر، وأن يكون الأول هو الآخر فيها أو منها.اهـ {١/ ٤١٣}.

قال ﷺ: ((**أحق الشروط أن توفوا بها استحللتم به الفروج**)).[٥]

وانتصابها على المصدر، أو النحلة الملة، وملة الإسلام خير النحل.

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ (منه) هاهنا للجنس بدليل جواز قبول الرجل جميعه، فـ(من) هاهنا كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] إذ لم يؤمروا باجتناب بعض الأوثان.

أي: إن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبنه منكم، فنقَل الفعل من النفوس إلى أصحابها، فخرجت مفسِّرة، ووجدت النفس لذلك، كقوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧] أو لفظها واحد ومعناها جمع.

وروي: أن امرأة أتت بزوجها شريحا[٦] في عطية أعطته إياها تطلب أن ترجع، فأمره بردها عليها.[٧] ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾ أي: سائغاً طيباً، يقال: هنَأني الطعام بفتح النون، يهنِئني بكسر النون، والهنيء والمريء لغتان على فعيل، من هنَأ الطعام يهنُؤ، ومرأ مرؤ، والهنيء: الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمريء: المحمود العاقبة السريع الهضم من غير ضرر، ويقال هنأني الطعام ومرأني، فإذا أفردوا قالوا: أمرأني، ومعنى أمرأني: أي: قد انهضم وحمدت مغبته، ومعنى مرأني، أي: سينهضم وأحمدت مغبته.[٨]

=

(١) قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد ومقاتل، زاد المسير {٢/ ١١}.

(٢) تفسير القرطبي {٥/ ١٨}.

(٣) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، انظر: مجاز القرآن {١/ ١١٧} وتفسير غريب القرآن {١٢٠}.

(٤) عن الزجاج، زاد المسير {٢/ ١١}

(٥) أخرجه البخاري {٢٧٢١- ٥١٥١} ومسلم {١٤١٨}.

(٦) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية الفقيه قاضي الكوفة. ت ٧٨هـ سير أعلام النبلاء {٤/ ١٠٠}.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في المصنف من عدة طرق عن شريح، {٩/ ١١٤}. وانظر المسألة عند ابن العربي في أحكام القرآن {١/ ٤١٥} حيث رجح عدم جواز رجوع الزوجة فيما وهبته لزوجها من صداق أو نحوه، إذا كان ذلك على ما ذكر في الآية من طيب نفسها به؛ لعموم الأدلة الواردة في النهي عن الرجوع في الهبة. والله أعلم.

(٨) انظر: تهذيب اللغة ولسان العرب، مادة: مرأ، هنأ.

وقرئ: (هنيًّا مريًّا) مشددا بلا همز فيهما،[١] في الآية دليل على وجوب الاحتياط، حيث بنى الشرط على طيب النفس، فقال: ﴿فَإِن طِبْنَ﴾ ولم يقل: فإن وهبن. ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ هم النساء.[٢]

الضحاك:[٣] النساء من أسفه السفهاء.[٤]

نُهي الرجال أن يؤتوا أموالهم النساء [٢٤١/ب] وهن سفهاء، سواء كنَّ أزواجاً و بنات، أو أمهات أو أخوات، أو هم الأولاد، أي: لا تعط ولدك السفيه مالك، أو هم النساء والصبيان، أو هي الزوجة السفيهة والابن السفيه.

أي: لا تعط مالك الذي خولك الله تعالى وجعله معيشة لك، امرأتك وبنيك فيقومون به عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم، قاله ابن عباس.[٥]

روي أنه قال ﷺ: **((نعم المال الصالح للرجل الصالح))**[٦]

ابن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك لا تؤته إياه وأنفق عليه حتى يبلغ، وأضاف الأموال إلى الأولياء؛ لأنهم قوامها ومدبروها.[٧]

---

(١) وهي قراءة متواترة لحمزة في حالة الوقف، وأبي جعفر في حالتي الوصل والوقف بخلف عنه من الروايتين. انظر: إتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٣}.

(٢) وفي معنى السفيه أقوال أخرى، انظرها عند الطبري {٧/ ٥٦٥} والأظهر والله أعلم ما رجحه الطبري واختاره ابن العربي أن السفيه: هو المتناهي في ضعف العقل وفساده، كالمجنون والمحجور عليه. أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٣٣١}.

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، من أوعية العلم، وصاحب التفسير، وثقه أحمد، ويحيى بن معين، وضعفه يحيى بن سعيد، ت ١٠٢ هـ انظر: سير أعلام النبلاء {٤/ ٥٩٨}.

(٤) تفسير البغوي {١/ ٥٦٦}.

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي {١/ ٥٦٦}.

(٦) أخرجه الإمام أحمد {١٧٧٩٨- ١٧٨٣٥} والبخاري في الأدب المفرد {٢٩٩} وابن حبان {٣٢١١} والحاكم وصححه ووافقه الذهبي {٢١٣٠} وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد {٢٢٩}.

(٧) تفسير البغوي {١/ ٥٦٦}.

والذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله هو المستحق للحجر، بأن يكون مبذراً في ماله أو مفسداً في دينه، أي: لا تؤتوا السفهاء، أي: الجهال بموضع الحق ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ نافع وابن عامر (قيماً) بلا ألف، جمع قيمة كديمة وديم، أو مصدر بمعنى القيام، وإنما اعتل؛ تبعا لفعله المأخوذ منه.[١]

الأخفش:[٢] في المصدر ثلاث لغات: القوام والقيام والقيم،[٣] ومن بقي بالألف مصدر قام قياما،[٤] أو مصدر يقيمكم، وأصله: قِواما، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهو ملاك الأمر وما يقوم به، وأراد قوام عيشكم الذي تعيشون به، أو ما يقام به الحج والجهاد وأعمال البر[٥]﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم، ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾ أي: لمن تجب عليكم مؤنته، وقال: ﴿فِيهَا﴾ دون (منها)؛ أي: اجعلوا لهم فيها رزقاً، فالرزق من الخالق تعالى عطية من غير حد، ومن الخلق إجراء مؤقت معدود.

﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ أي: عدِةً جميلة،[٦] يقول: إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت جعلت لك فيه حظاً، أو هو الدعاء.

ابن زيد:[٧] إن لم يكن ممن تجب عليك نفقته، فقل له: عافاك الله وإيانا، بارك الله فيك، أو قولاً تطيب به أنفسهم.[٨]

توفي رفاعة وترك ابنه ثابتا صغيرا فجاء عمه، إلى النبي ﷺ وقال: إن ابن [٢٤٢/أ] أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[٩] أي: اختبروهم في

---

(١) إملاء ما من به الرحمن {١/ ١٦٧}.

(٢) الأخفش: هو الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي ثم البصري. مولى بني مجاشع، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، ت ٢١٥هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء {١٠/ ٢٠٦}.

(٣) انظر: البحر المحيط {٣/ ٢٣٧} والدر المصون {٣/ ٥٨١}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٣}.

(٥) قاله الضحاك، تفسير البغوي {١/ ٥٦٧}.

(٦) قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد ومقاتل، انظر المرجع السابق، وزاد المسير {٢/ ١٣}.

(٧) أسامة بن زيد المدني، أبو زيد الليثي مولاهم، استشهد به البخاري، ومسلم في المتابعات، ت١٥٣هـ السير{٦/ ٣٤٢}.

(٨) انظر: الدر المنثور {٤/ ٢٣٣}.

(٩) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٤٣} بدون إسناد، وابن حجر في الإصابة، وقال: هذا مرسل رجاله ثقات. {١/ ٣٨٧}.

عقولهم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي: مبلغ النساء والرجال، ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: أبصرتم عقلاً وصلاحاً في الدين وحفظاً للمال.

ابن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس رشده.[1]

والابتلاء: إن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع إليه الولي شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه، وإن كان ممن لا يتصرف فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عبيده، والمرأة تُختبر بأمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها، فإن رأى حسن تدبيره في الأمور مراراً، يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه.

وزوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرشد، والبلوغ بأحد أربعة أشياء:

الأول: السن، وهو أن يستكمل خمس عشرة سنة حكم ببلوغه، غلاماً كان أو جارية، عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة بلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والجارية باستكمال سبع عشرة سنة.[2]

الثاني: الاحتلام، وهو نزول المني بجماع أو غيره بكل حال،[3] فإذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [النور: ٥٩] وهذان يشترك فيهما الرجال والنساء.

والثالث: نبات الشعر الخشن حول الفرج، فهو بلوغ في أولاد المشركين، لما روي عن عطية القرظي[4] قال: كنت من سبي قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت قتل ومن لم ينبت لم يقتل، وكنت ممن لم ينبت.[5]

وهل يكون بلوغاً في أولاد المسلمين؟ قولان، أحدهما: يكون بلوغاً كأولاد المشركين،[6] والثاني: لا؛ لأنه يمكن الوقوف على مواليدهم من قبل آبائهم، والكفار لا يقبل قول آبائهم.

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٦٧}.

(٢) المغني لابن قدامة {٤/ ٥٥١} وأحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٥}.

(٣) وهذا فيه تعميم؛ لأن المقرر أن الاحتلام نزول المني أثناء النوم. معجم لغة الفقهاء {١/ ٤٦}.

(٤) عطية القرظي، رأى رسول الله ﷺ وسمع منه ونزل الكوفة ولا يعرف له نسب، سكن الكوفة، روى حديثه أصحاب السنن، وروى عنه مجاهد وعبد الملك بن عمير. الإصابة {٤/ ٥١٢}.

(٥) أخرجه أبو داوود {٤٤٠٤} والترمذي {١٥٨٤} والنسائي {٣٤٢٩} وابن ماجه {٢٥٤١} وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

(٦) رواية للشافعي، المغني {٤/ ٥٥١} مغني المحتاج {٣/ ١٥٩}.

والرابع: الحيض والحبل، يختصان بالنساء، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين، حكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر وأيسر [٢٤٢/ب] زمان.

وأما الرشد: فهو أن يكون مصلحاً لدينه وماله، فصلاحه دينه اجتنابه الفواحش والمعاصي المسقطة العدالة، وصلاحه ماله أن يحسن التصرف، بأن لا يغبن في البيوع، وأن لا ينفق ماله إلا في ما فيه محمدة دنيوية أو مثوبة أخروية، فإذا بلغ وهو مفسد في دينه أو غير مصلح لماله، دام عليه الحجر، ولا يدفع إليه ماله، وتصرفه فيه باطل عند الشافعي، وعند أبي حنيفة إن كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه، وإن كان مفسداً في دينه وإن كان مفسداً لماله، قال: لا يدفع إليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله،[1] فإذا بلغ وأونس منه الرشد، دفع المال إليه، رجلاً كان أو امرأة، تزوج أو لم يتزوج، خلافا لمالك فإنه لا يدفع مال اليتيمة إليها إلا بعد التزويج، فإذا تزوجت دفع إليها، ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج، ما لم تكبر وتجرب.[2]

وإذا بلغ الصبي رشيداً وزال عنه الحجر، ثم عاد سفيهاً، فإن كان مبذراً في ماله حجر عليه، وإن كان مفسداً في دينه، فعلى وجهين عند الشافعي،[3] وعند أبي حنيفة: لا حجر على الحر البالغ العاقل بحال، إلا المفتي الجاهل والطبيب الجاهل والمكاري المفلس.[4]

﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا﴾ أي: يا معشر الأولياء، لا تأكلوها إسرافا بغير حق، ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرة ﴿أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾ ﴿أَن﴾ منصوبة المحل، أي: لا تبادروا إلى إنفاقها إسرافا في المعصية؛ مخافة كبرهم ورشدهم؛ وحذراً أن يكبروا، فيلزمكم تسليمها إليهم، وحرف الجحد منوي هاهنا، كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٨٦] ثم بين الحلال للأولياء من أموالهم، فقال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ أي: يمتنع من مال اليتيم فلا ينال منه شيئا، والعفة: الامتناع مما لا يحل ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا﴾ أي: محتاجاً إلى مال اليتيم ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص {٢/ ٣٤٠} مغني المحتاج {٢/ ٢٣١}.

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤١٩} وأحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٧}.

(٣) مغني المحتاج {٢/ ٢٣٢}.

(٤) انظر: بدائع الصنائع {٦/ ١٧٢}.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لفقير ليس لي شيء ولي يتيم، فقال: **((كل من مال يتيمك، غير مسرف ولا مبادر ولا**[٢٤٣/أ] **متأثل)).**[١]

فإن أكل فهل يلزمه القضاء؟ فذهب قوم إلى وجوب القضاء إذا أيسر، منهم مجاهد وابن جبير.[٢]

قال عمر ﷺ: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة [مال][٣] اليتيم، إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت.[٤]

وعند الشعبي: لا يأكله حتى يضطر إليه كاضطراره إلى الميتة.[٥] وقال قوم: لا قضاء عليه.[٦]

فعند عطاء[٧] وعكرمة: يأكل بأطراف أصابعه، ولا يسرف ولا يكتسي منه.[٨]

وعند النخعي: لا يلبس الكتان ولا الحلل، ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة.[٩]

وعند الحسن وجماعة: يأكل من ثمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه، فأما الذهب والفضة فلا، فإن أخذ منه شيئاً رده.[١]

---

(١) أخرجه أبو داوود {٢٨٧٢} والنسائي {٣٦٦٨} وابن ماجه {٢٧١٨} وأحمد {٦٧٤٧} وقال ابن حجر في الفتح: إسناده قوي. وزاد نسبته لابن خزيمة وابن الجارود وابن أبي حاتم {٨/ ٣٠٤} وانظر الفتح السماوي {٢/ ٤٥٩}. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود {٢٤٩٦}. ومعنى متأثل: أي: غير جامع. وقال ابن حجر في الفتح: اتخاذ أصل المال حتى كأنه عنده قديم. {٥/ ٤٩١} وانظر النهاية في غريب الحديث، مادة: أثل.

(٢) انظر: تفسير الطبري {٧/ ٥٨٤- ٥٨٥}.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) أخرجه الطبري {٧/ ٥٨٢} والسيوطي في الدر {٤/ ٢٣٧} وقال ابن كثير في التفسير: إسناده صحيح{٢/ ١٩٥}.

(٥) أخرجه الطبري {٧/ ٥٨٢}.

(٦) ويشهد له الحديث المتقدم، وهو الصحيح عند أصحاب الشافعي؛ لأن الآية أباحت الأكل إلى غير بدل، كما قال ابن كثير في تفسيره {١/ ١٩٥}.

(٧) عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح أسلم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي، من أوعية العلم، ثقةٌ، فقيه، عالم، كثير الحديث، أدرك جملة من الصحابة وروى عنهم. ت ١١٤هـ الطبقات {٥/ ٤٦٧} وسير أعلام النبلاء {٥/ ٧٨}.

(٨) تفسير البغوي {١/ ٥٧١} وأخرجه الطبري عن السدي عن ابن عباس ﷺ {٧/ ٥٨٦} وهذا كما ترى تحديد ليس له دليل. والله أعلم.

(٩) انظر: تفسير الطبري {٧/ ٥٨٧} والبغوي {١/ ٥٧١}.

الكلبي:[٢] بالمعروف: ركوب الدابة وخدمة الخادم، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً.[٣]

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال: إن لي يتيماً وإن له إبلاً، أفأشرب من إبله؟ قال: إن كنت تبغي ضالة إبله، وتهنأ جرباءها، وتلوط حوضها، وتسقيها يوم وردها، فاشرب غير مضرٍّ بنسل، ولا ناهكٍ في الحلب.[٤]

وعند بعضهم: يأخذ من جميع ماله بقدر قيامه وأجرة عمله، ولا قضاء عليه، منهم عائشة رضي الله عنها.[٥]

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر إرشاد وليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على اليتيم عند دفع المال إليه؛ لتزول عنه التهمة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ٦﴾ أي: كافيا بالشهادة عليكم، بالدفع والقبض، أو محاسباً فعليكم بالصدق واجتناب الكذب.

توفي أوس بن ثابت الأنصاري، وترك امرأة، يقال لها: أم كجة وثلاث بنات لها منه، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه، سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، وكانوا لا يورثون في الجاهلية النساء ولا الصغار، وإن كان الصغير ذكراً، فجاءت أم كجة فقالت: يا رسول الله، إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ ثلاث بنات وأنا امرأته، وليس عندنا ما ننفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالاً حسناً، وهو عند سويد وعرفجة، فدعاهما رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل ولا ينكأ عدواً، فأنزل الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ أي: الذكور[٢٤٣/ب] من أولاد الميت وأقربائه، ﴿نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ أي: حظ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ أي: للإناث منهن حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: من المال، ﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ٧﴾ نصب على القطع، أو جعل

=

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرفض، ت ١٤٦هـ. التقريب {٨٤٧}.

(٣) تفسير البغوي {١/ ٥٧١}.

(٤) أخرجه الطبري {٧/ ٥٨٨} والبغوي {١/ ٥٧١} ومعنى: تهنأ جرباءها: أي تطليها بالقطران، وتلوط حوضها: أي تطينه وتصلحه. شرح السنة للبغوي {٤/ ٤٣٣}.

(٥) تفسير البغوي {١/ ٥٧١}.

ذلك نصيباً، فأثبت لهن الميراث، ولم يبين كم هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة: **((لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئاً، فإن الله جعل لبناته شيئا، ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل))** فأنزل الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ الآية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة: **((أن ادفعا إلى أم كجة الثمن، وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال))**.[1]

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ أي: قسمة المواريث ﴿أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: الوارثون، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة، وهذه الآية منسوخة بآية الميراث عند ابن المسيب والضحاك، وعند ابن عباس والشعبي والزهري والنخعي: هي واجبة على أهل الميراث أن يرزقوا ما طابت به أنفسهم.[2]

الحسن: كانوا يعطون التابوت والأواني ورثَّ الثياب والمتاع الذي يُستَحى من قسمته.[3]

وإن كان بعض الورثة طفلاً، فعند ابن عباس رضي الله عنه وغيره: إن كانوا كباراً أرضخوا لهم، وإن كانوا صغاراً اعتذر لهم الولي والوصي، يقول: إني لا أملك هذا المال وإنما هو للصغار، ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم، وإن يكبروا فسيعرفون حقوقكم، هذا عنده معنى قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[4]

وقال بعضهم: ذلك حق واجب في أموال الصغار والكبار، فالكبير يرضخ بنفسه، والصغار يرضخ عنهم وليهم.

---

(١) أخرجه الطبري مرسلا باختصار عن عكرمة {٧/ ٥٩٨} والواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٤٣} والسيوطي في الدر {٤/ ٢٤٢} وانظر الإصابة {٨/ ٢٨٤} والفتح السماوي {٢/ ٤٦٠}.

(٢) والقول الثاني: أنها محكمة واجبة، والثالث: أنه محكمة وتؤول على الندب والترغيب، عند مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن والزهري وعَبيدة وعروة والشعبي ويحي بن يعمر، وأحد قولي ابن عباس رضي الله عنه، قال النحاس رحمه الله: وهذا أحسن ما قيل في الآية، أن تكون على الندب والترغيب في فعل الخير والشكر لله تعالى، فأمر الله عز وجل الذين فُرض لهم الميراث إذا حضروا القسمة، وحضر معهم من لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين، أن يرزقوهم شكرا لله عز و جل على ما فرض لهم. انظر: تفسير الطبري {٨/ ٩- ١٠} والناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ١٥٦- ١٥٨- ١٥٩- ١٦١}.

(٣) تفسير البغوي {١/ ٥٧٢}.

(٤) المرجع السابق.

عن يحيى بن يعمر:[1] ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس: هذه الآية، وآية الاستئذان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ الآية [النور: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية،[2] [الحجرات: ١٣] وعند بعضهم على الندب والاستحباب.[3]

﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾[4] أي: أولاداً صغارا، ﴿ خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: الفقر والضيعة، ﴿ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ المراد الأولياء، أمروا أن يخشوا الله فيخافوا على من كان في حجورهم من اليتامى، وليحسن إليهم، وليأت في حقهم ما يجب أن يفعل بذريته من بعده.

أو هو الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرته: انظر لنفسك، فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئاً، أعتق وتصدق، وأعط فلاناً وفلاناً، حتى يأتي على عامة ماله، فنهوا عن ذلك، وأمرهم أن يأمروه بالنظر لولده، ولا يزيد بالوصية على الثلث، كما لو كان القائل هو الموصي لسره أن يحث على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالةً مع ضعفهم وعجزهم.

﴿ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ۝٩ ﴾ السديد العدل، والصواب، أي: يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لولده.

ولي مرثد بن زيد الغطفاني مال ابن أخيه، وهو يتيم صغير فأكله، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾[5] أي: بغير حق، ﴿ إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا ﴾ إخبار عن مآله، أي: ما يجر إلى النار، فكأنه نار في الحقيقة، و﴿ فِي بُطُونِهِمۡ ﴾ أي: ملء بطونهم. كقوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا[6]

---

(١) يحيى بن يعمر، أبو سليمان العدواني البصري، الفقيه العلامة المقرئ، من أوعية العلم، قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي، وهو أول من نقط المصاحف نقط إعجام، توفي قبل التسعين. انظر: الطبقات الكبرى {٧/ ٣٦٨} وسير أعلام النبلاء {٤/ ٤٤١}.

(٢) أخرجه الطبري {٨/ ٩} وانظر: الدر المنثور {٤/ ٢٤٤}.

(٣) ورجحه النحاس في الناسخ والمنسوخ {٢/ ١٥٩} وابن حجر في الفتح {٨/ ٣٠٦}.

(٤) نهاية اللوحة [٢٤٤/ أ] عند حرف الجزم في الآية.

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن مقاتل بن حيان بلا إسناد {١٤٤}.

(٦) في (ب) زيادة: فإن زمانكم زمن خميص. لا يعلم له قائل، ذكره سيبويه في الكتاب، وانظر المحتسب {٢/ ٨٧}.

وروي: أنه يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره وفيه وأنفه وأذنيه، فيعرف الناس أنه آكل مال اليتيم.[١]

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝﴾ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء، أي: يُدخلون النار ويحرقون، كقوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠] ومن بقي بفتح الياء،[٢] أي: [يدخلونها][٣] يقال: صليَ النار يصلاها وصِلا، تقول صليت اللحم إذا شويته، فإن أردت أنك أحرقته قلت: أصليته، وقرئ: (وسيصلَّون) بالتشديد مبالغة.[٤]

قال جابر: جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا لا أعقل، فتوضأ وصب علي من وَضوئه، فعقلت، فقلت: يا رسول الله، لمن الميراث إنما يرثني كلالة؟ فنزلت آية الفرائض.[٥]

أو نزلت في أم كجة [٢٤٤/ب] امرأة أوس بن ثابت وبناته.[٦]

أو لما استشهد سعد بن الربيع[٧] النقيب يوم أحد وترك امرأة وبنتين وأخاً، فأخذ الأخ المال، فجاءت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ بابنتي سعد، فقالت: يا رسول الله، إن هاتين ابنتا سعد، وإن سعداً قتل يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما ولا يُنكحان إلا ولهما مال، فقال ﷺ: **((ارجعي فلعل الله تعالى سيقضي في ذلك))** فنزل ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ إلى آخرها.[٨]

وكانت الوراثة في الجاهلية للرجال حسب دون النساء والصبيان، فنسخ ذلك بقوله تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عن السدي {٨/ ٢٦} وورد بعضه مرفوعا وفي سنده ضعف، انظر: تخريج الأحاديث والآثار {١/ ٢٩٠}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٤}.

(٣) في النسختين: يدخلونه، والمثبت من تفسير البغوي.

(٤) وهي شاذة قرأ بها أبو حيوة، انظر: الدر المصون {٣/ ٥٩٥} وفتح القدير {١/ ٥٥١}.

(٥) أخرجه البخاري {٥٦٧٦- ٦٧٢٣- ٦٧٤٣} ومسلم {١٦١٦}.

(٦) تقدم تخريج الأثر قريبا.

(٧) سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي البدري النقيب استشهد بأحد، الإصابة {٣/ ٥٨}.

(٨) أخرجه أبو داوود {٢٨٩١- ٢٨٩٢} والترمذي {٢٠٩٢} وابن ماجه {٢٧٢٠} والحاكم {٧٩٥٤} وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود {٢٥١٤}.

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ الآية، وكانت أيضاً في الجاهلية وابتداء الإسلام بالمحالفة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ [النساء: ٣٣] ثم صارت بالهجرة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنفال: ٧٢] ثم نسخ ذلك كله، وصارت الوراثة بثلاثة: نسب؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥]

ونكاح؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾ الآية، أي: أن كل واحد من الزوجين يرث صاحبه. وولاء؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: ((**إنما الولاء لمن أعتق**)).[1]

ومعنى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم ﴿ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ أي: في شأن أولادكم وميراثهم منكم بعد موتكم ما هو العدل والمصلحة، هذا إجمال، تفصيله: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ بدأ بذكر الذَّكر لفضله، وجعل للذَّكر مثلي الأنثى؛ لأن من تزوجها قام بأَوَدها.

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾ أي: المتروكات اثنتان فصاعداً، ﴿ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ هذا عند الجماعة و﴿فَوْقَ﴾ عندهم زائدة.

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع {٢١٥٦-٢١٦٩-٢٥٦٢} ومسلم {١٥٠٤-١٠٧٥}.

ابن عباس: يعطي الاثنتين ما يعطي الواحدة؛ لظاهر الآية.[١]

وحجة الجماعة أن البنتين أقرب إلى الميت، فأوجبوا لهما ما أوجب الله تعالى للأختين، ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما، أو أنه لما وجب للبنت الثلث مع أخيها كان أحرى أن يجب لها مع أختها.[٢]

﴿ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ ﴾ أي: البنت، نافع برفع: (واحدةٌ) أي: إن وقعت واحدة [٢٤٥/أ] ﴿ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ ﴾ ومن بقي بنصبها خبر كان[٣] ﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ قرئ بفتح نون النصف وضمها،[٤] وبتخفيف السدس والثلث والربع والثمن،[٥] أي: لأبوي الميت، كناية عن غير مذكور ﴿ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾ أي: يكون لكل واحد من الأب والأم سدس الميراث عند وجود الولد، أو ولد الابن، ويكون الأب صاحب فرض ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ﴾ حمزة والكسائي (فلإِمه) بكسر الهمزة فراراً من ثقل الضمة، ومن بقي بالضم على الأصل.[٦]

﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ ﴾ أي: اثنان أو أكثر ذكورٌ أو إناثٌ ﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ والباقي للأب، إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، بل يحجبون الأم من الثلث إلى السدس.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤٣٦} والقرطبي {٥/ ٤٢}. قال ابن عبد البر: وأما قوله عز وجل: ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ فالمعنى في ذلك عند جمهور العلماء وجماعة الفقهاء الذين تدور عليهم في الأمصار الفتوى: إن كن نساء اثنتين فما فوقها، وما أعلم في هذا خلافا بين علماء المسلمين، إلا رواية شاذة لم تصح عن ابن عباس رضي الله عنهما...ثم ذكر قوله، وقال بعد ذلك: وهذه الرواية منكرة عند أهل العلم قاطبة، كلهم ينكرها ويدفعها بما رواه ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه جعل للبنتين الثلثين. وعلى هذا جماعة الناس، وقد روي عن النبي ﷺ من أخبار الآحاد العدول مثل ما عليه الجماعة في ذلك. الاستذكار لابن عبد البر {٥/ ٣٢٣}.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤٣٧}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٤}.

(٤) والضم قراءة علي وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، والسلمي. وهما شاذتان. انظر: البحر المحيط {٣/ ٢٥٥}.

(٥) قراءة الحسن ونعيم بن ميسرة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٣٧٢} وفتح القدير {١/ ٥٥٥}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٤٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٤}.

ولا يحجب ابن عباس بالإخوة الأم من الثلث إلى السدس، إلا أن يكونوا ثلاثةً، قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ ولا يقال للاثنين إخوة،(١) فيقال عليه: إن اسم الجمع قد يقع على التثنية؛ إذ الجمع ضم شيء إلى مثله، وذلك موجود في التثنية، كقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤] ذكر القلب بلفظ الجمع، وأضافه إلى اثنين.

وعن ابن عباس أيضا: أن الإخوة يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم.(٢)

﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر (يوصَى) بفتح الصاد على مالم يسمَّ فاعله، وكذلك الثانية، وافق حفص في الثانية، و من بقي بكسر الصاد؛(٣) إذ قد تقدم ذكر الميت قبل، كأنه قال: من بعد وصية يوصي بها الميت المذكور، فعلى قراءة الكسر تقتضي تخصيص الميت، وعلى قراءة الفتح لم يقتض تخصيص الميت، بل أيِّ ميت كان.(٤)

قال علي بن أبي طالب: إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية.(٥) وتقديم الدين على الوصية إجماع، والآية معناها الجمع دون الترتيب. [٢٤٥/ب]

والميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً، أي: هذه الأقضية إنما تجب بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه، وجاء بـ أو مع واحد، إذ هي للإباحة، والواحد معهما يتضمن الجماعة، كقولك جالس الحسن أو الشعبي، أي: كل واحد منهما لك مجالسته، اجتمعا أو افترقا وفي الواو إبهام(٦) ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ أي: الذين يرثكم آباؤكم وأبناؤكم ﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ أي: في الدِّين والدنيا،

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤٤٠} وما بعدها، فقد أطال الكلام في هذا القول والرد عليه.

(٢) تفسير الطبري {٨/ ٤٥}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٤٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٥}.

(٤) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة {١٩٣} ومفاتيح الأغاني {١٤٠}.

(٥) أخرجه الترمذي {٢١٢٢} وابن ماجه {٢٧١٥} وأحمد {٥٩٥} وفي الإسناد الحارث بن الأعور، ضعيف، التقريب {٢١١} وقال الترمذي: والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أنه يبدأ بالدين قبل الوصية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه {٢١٩٥} وانظر تعليق الشيخ شاكر على تفسير الطبري {٧/ ٤٧}.

(٦) انظر: الكشاف {١/ ٢٥٤} وإملاء ما من به الرحمن {١/ ١٦٩}.

فظانٌ أن يكون الابن أنفع له، فيكون الأب أنفع له وبالعكس، وأنا العالم [بما][(١)] هو أنفع ودبرت أمركم على ما فيه المصلحة لكم من قسمة الفرائض.

ابن عباس: إن الله تعالى يشفِّع المؤمنين بعضهم في بعض، فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع إليه ولده، وإن كان الولد أرفع درجة رفع إليه والده لتقر بذلك أعينهم.[(٢)]

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: المواريث، وفريضة نصب مصدر أو حال، إذ معنى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ ٱللَّهُ أي: يفرض عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ أي: لم يزل عليما حكيما، أو كان زائدة، أو اعلموا أنه الآن عليم حكيم، فقيل لهم: قد كان في الأزل على ما علمتموه عليه الآن.

أبو عبيد: كان: بمعنى المضي والاستقبال، وكل ما ورد من هذا فهذا سبيله.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ هذا للأزواج ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ إذا كان للرجل أربع نسوة أو أقل اشتركن في الربع والثمن. وتختص بهما الواحدة.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ أي: تورث كلالة أيضا، وترتيب الآية:[٢٤٦/أ] وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالةً، بفتح الراء ونصب كلالة على المصدر، أو على الحال، أو على خبر ما لم يسم فاعله، تقديره: وإن كان رجل يورث مالُه كلالة، أو وإن كان رجل كلالة يورث مالُه.[(٣)]

والكلالة عند أكثر الصحابة: من لا ولد له ولا والد.[(٤)]

---

(١) في ب: بمن.

(٢) تفسير البغوي {١/ ٥٨٠}.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن {١/ ١٩٢} والدر المصون {٣/ ٦٠٨} وما بعدها.

(٤) وهو قول أبي بكر الصديق وإحدى الروايتين عن عمر، وهو قول علي وابن مسعود والصحيح عن ابن عباس وهو قول زيد والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم، وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة، والفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف ﷺ وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد. قاله ابن كثير. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤٤٩} وتفسير ابن كثير {٢/ ٢٠٦}.

روى عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة فقال: أقول برأيي فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن الشيطان ومني، هي من لا ولد له ولا والد.[١]

وعند طاووس:[٢] من لا ولد له، وهي إحدى الروايتين عن ابن عباس ، وآخر القولين عن عمر ﷺ،[٣] وحجتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] الآية، وإنما نزلت في جابر ﷺ، ولم يكن له يومئذ ابن ولا أب؛ لأن عبد الله قتل يوم أحد، وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي ﷺ.[٤]

واختلفوا في الكلالة اسم لمن؟ فقال قوم: اسم للميت، منهم علي وابن مسعود، وقال قوم: اسم للورثة، منهم ابن جبير؛ لأنهم يتكللون الميت من جوانبه، وليس في عمود نسبه أحد، كالإكليل يحيط بالرأس، وسط الرأس منه خال،[٥] قال النضر بن شميل:[٦] الكلالة اسم للمال.

قال عقبة:[٧] ما أعضل بأصحاب رسول الله ﷺ ما عضلت بهم الكلالة.[٨]

وقال عمر: ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بينهن لنا أحب من الدنيا وما فيها: الكلالة والخلافة وأبواب الربا.[٩] وقال: ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: ((**يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة**

---

(١) تفسير ابن كثير {٢/ ٢٠٦}.

(٢) طاووس بن كيسان، أبو عبد الرحمن الفارسي اليمني، من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، وهو حجة باتفاق، من كبار تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، ت ١٠٦هـ سير أعلام النبلاء {٥/ ٣٨}.

(٣) تفسير الطبري {٨/ ٥٩} وزاد المسير {٢/ ٣١}.

(٤) انظر: فتح الباري {٨/ ٣٠٦-٣٣٨}.

(٥) تفسير غريب القرآن {١٢١} وزاد المسير {٢/ ٣٢}.

(٦) النضر بن شميل بن خرشة بن زيد، أبو الحسن المازني البصري النحوي، ثقة صاحب سنة، إمام في العربية والحديث، ت ٢٠٤هـ سير أعلام النبلاء {٩/ ٣٢٨}.

(٧) عقبة بن عامر الجهني، صحابي جليل روى عن النبي ﷺ، وروى عنه جلة من الصحابة والتابعين، كان قارئا حسن الصوت بالقرآن، عالما بالفرائض والفقه، فصيح اللسان شاعرا كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن. ت ٥٨هـ الإصابة {٤/ ٥٢٠}.

(٨) انظر: تفسير البغوي {١/ ٥٨١}.

(٩) أخرجه البخاري {٧٣٣٧} ومسلم {٣٠٣٢}.

النساء))[١] لأنها نزلت في الصيف، وفيها بيانٌ ليس في الآية التي في أول سورة النساء، وهي التي نزلت في الشتاء؛ فلذلك أحال على آية الصيف، ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ أي: من الأم بالاتفاق، وقرئ (وله أخ أو أخت من أم)[٢] ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة، إذ من عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت إليهما،كقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[٣] ثم قال:﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة:٤٥]

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ أي: يزيدون على الواحد فهم شركاء في الثلث، أي: لا يزيد نصيب أولاد الأم على الثلث وإن زادوا، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.

قال أبو بكر: الآية الأولى في أول سورة النساء نزلت في بيان الفرائض في الولد والوالد. والثانية في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والتي في آخر النساء في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والتي في آخر سورة الأنفال في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.[٤]

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ وغير نصب حال، فكأن الله تعالى نهى عن إدخال الضرر على الورثة، وهو قطع الميراث. قتادة: كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت، ونهى عنه.[٥] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ أي: المذكور من الفروض ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: فيما حكم بين عباده، وفيما فرض من أموالهم، ويقم حدوده على ما أمر به، ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ جمع الصفة وهو قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ووحد الاسم وهو قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ لأن ﴿مَن﴾ يصلح للجمع والوحدان و﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال، ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ المعصية ههنا كفر، أو من يعص في المواريث فيحكم بخلاف ما أمر به، خالدا وخالدين نصب حال، قرأ ﴿ندخله﴾ بالنون، انصرف من

---

(١) أخرجه مسلم {٥٦٧- ١٦١٧}.

(٢) قراءة سعد بن أبي وقاص ﷺ البحر المحيط {٣/ ٢٦٤} والدر المصون {٣/ ٦١١} وهي شاذة.

(٣) نهاية اللوحة [٢٤٦/ ب] عند الكلمة الأولى من الآية.

(٤) تفسير الطبري {٩/ ٤٣١} والدر المنثور {٥/ ١٥٤}.

(٥) تفسير الطبري {٨/ ٦٥}.

الخبر إلى الحكاية فيهما، نافع وابن عامر، ومن بقي بالياء.؛ لقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ وكذا ﴿ندخله﴾ في الفتح و﴿نعذبه﴾[١٧] وفي التغابن ﴿نكفر عنه سيئاته وندخله﴾ [٩] و ﴿ندخله﴾ في الطلاق[آية:٥] وهي سبعة مواضع.[١]

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي: الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡ﴾ [٢] أي: المسلمين، خطاب للحكام، فيه دليل على أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود، ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ أي: فاحبسوهن ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

كان في ابتداء الإسلام إذا زنت المرأة حبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك، في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الثيب بالجلد والرجم.[٣]

قال ﷺ: ((**خذوا عني خذوا عني: قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب جلد مائة والرجم**)) وهذا الحديث صحيح عن مسلم.[٤]

ثم نسخ الجلد وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم.[٥] وعند طائفة يجمع بينهما.[٦]

عن علي: أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة، وقال: رجمتها بكتاب الله وجلدتها بسنة رسول الله ﷺ.[٧]

وعند عامة العلماء لا تجلد الثيب مع الرجم؛ لأنه ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما.[٨]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٤٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٥}.

(٢) نهاية اللوحة [٢٤٧/ أ] عند قوله: ﴿عليهن﴾.

(٣) قال ابن العربي: اجتمعت الأمة على أن هذه الآية ليست منسوخة؛ لأن النسخ إنما يكون في القولين المتعارضين من كل وجه، اللذين لا يمكن الجمع بينهما بحال، وأما إذا كان الحكم ممدودا إلى غاية، ثم وقع بيان الغاية بعد ذلك فليس بنسخ؛ لأنه كلام منتظم متصل لم يرفع ما بعده ما قبله، ولا اعتراض عليه. أحكام القرآن {١/ ٤٥٧}.

(٤) وهو في صحيحه برقم {١٦٩٠}.

(٥) قول عمر وعثمان وابن مسعود ﷺ والنخعي والزهري والأوزاعي والليث وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في رواية، أحكام القرآن للشافعي {١/ ٣١٦} والناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ١٧٠} والمغني {١٠/ ١١٦}.

(٦) قول علي وابن عباس وأبي بن كعب وأبي ذر والحسن وأحمد ﷺ المغني {١٠/ ١١٧}.

(٧) أخرجه البخاري {٦٨١٢}.

(٨) أخرجه مسلم {١٦٩٢}.

وعند أبي حنيفة: التغريب في حق البكر منسوخ.[١] وأكثر أهل العلم على ثبوته.[٢]

ضرب ﷺ وغرب، وضرب أبو بكر وغرب، وضرب عمر وغرب.[٣]

وهل الإمساك في البيت كان حداً فنسخ، أم كان حبساً ليظهر الحد؟ قولان.[٤]

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ أي: الرجل والمرأة، والهاء عائدة إلى الفاحشة أو الرجلان الزانيان، وأراد اللواط،[٥] ابن كثير ﴿ وَٱلَّذَانِّ، وٱلَّذَيۡنِّ، وهَـٰتَيۡنِّ وهَـٰذَانِّ ﴾ بتشديد النون للتوكيد، وافقه أبو عمرو في ﴿فَذَٰنِكَ ﴾ ومن بقي بالتخفيف، وخُص أبو عمرو ﴿ فَذَٰنِكَ ﴾ بالتشديد لقلة حروفها،[٦] ﴿ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ أي: فعيروهما باللسان: أما خفت الله؟ أما استحييت من الله حين زنيت؟

ابن عباس : سبوهما واشتموهما، وقال: هو باللسان واليد، يؤذى بالتعيير وضرب النعال.[٧]

---

(١) بدائع الصنائع {٥/ ٤٩٦}.

(٢) قول مالك والشافعي وأحمد، أحكام القرآن للشافعي {ج١/ ٣١٨} المغني {١٠/ ١٢٩} .

(٣) أخرجه الترمذي {١٤٣٨} وقال: حديث غريب رواه غير واحد عن عبد الله بن إدريس، فرفعوه وروى بعضهم عن عبد الله بن إدريس هذا الحديث عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: أن أبا بكر...الحديث، ثم قال: ولم يذكروا فيه عن النبي ﷺ، وقد صح عن رسول الله ﷺ النفي، رواه أبو هريرة وزيد بن خالد وعبادة بن الصامت وغيرهم عن النبي ﷺ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو بكر وعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وأبو ذر وغيرهم، وكذلك روي عن غير واحد من فقهاء التابعين، وهو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.اهـ

(٤) ورجح ابن العربي أنه حد جعله الله عقوبة ممدودة إلى غاية مؤذنة بأخرى هي النهاية، أحكام القرآن {١/ ٤٦١} والناسخ والمنسوخ له {٢/ ١٥١}.

(٥) قول مجاهد، تفسير ابن كثير {٢/ ٢١١}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٤٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٦}.

(٧) تفسير الطبري {٨/ ٨٥}.

ذكر في الآية الأولى الحبس وفي هذه الآية الإيذاء، فطريق الجمع بينهما: أن الأولى في النساء، وهذه في الرجال،[1] أو الأولى في الثيب وهذه في البكر.[2] أو الأولى في المساحقات والثانية في اللواطين.[3]

﴿فَإِن تَابَا﴾ أي: من الفاحشة، ﴿وَأَصْلَحَا﴾ [٢٤٧/ب] العمل فيما بعد، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ ولا تؤذوهما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ١٦﴾ كل هذا كان قبل نزول الحدود، فنسخ بالجلد والرجم، فالجلد قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] والرجم ما روي: أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: كان ابني عسيفاً على هذا، فزنى بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت ابني بمائة شاة وجارية لي، ثم سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب سنة، وإنما الرجم على امرأته، فقال ﷺ: **((والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فردٌّ عليك))** وجلد ابنه مائة وغربه عاماً، وأمر أنيسا الأسلمي[4] أن يأتي امرأة الآخر، فإن اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها.[5]

وقال عمر بن الخطاب: إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل معه الكتاب، فكان مما أنزل آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من النساء والرجال، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.[6]

---

(١) قول مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٥٨٤}.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير ابن كثير {٢/ ٢١١}.

(٤) أنيس بن الضحاك الأسلمي، قال ابن السكن: لست أدري من أنيس المذكور في هذا الحديث، ولم أجد له رواية غير ما ذكر في هذا الحديث. انظر: الإصابة {١/ ١٣٨}.

(٥) أخرجه البخاري في مواضع {٢٦٩٥-٢٧٢٤-٦٦٣٣} ومسلم {١٦٩٧}.

(٦) أخرجه البخاري {٦٨٢٩} ومسلم {١٦٩١}.

وحد الزنا: إنما يجب بعد الإحصان، وهو أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح، فحده الرجم، مسلماً كان أو ذمياً، عند الشافعي.(١)

وذهب فقهاء الكوفة إلى أن الإسلام شرط في الإحصان، فلا يرجم الذمي.(٢)

وقد صح أنه ﷺ رجم يهوديين زنيا، وكانا قد أحصنا.(٣)

وإن لم يكن الزاني محصنا بأن كان غير بالغ، أو مجنوناً فلا حد عليه، وإن كان حراً بالغاً عاقلاً، غير أنه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام، وإن كان عبداً فعليه جلد خمسين، وفي التغريب قولان، أصحهما نصف سنة.(٤)

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ﴾ أي: المتقبلة عند الله، أو من الله، ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ اجتمعت الصحابة [٢٤٨/أ] أن كل ما عصي به الله تعالى فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله تعالى فهو جاهل،(٥) أو المراد [العمد،(٦) أو](٧) لم يجهل أنه ذنب ولكن جهل عقوبته،(٨) أو الجهالة: اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي: قبل إحاطة السوء بحسناته فيحبطها، أو يتوب في صحته قبل مرض موته، أو قبل الموت، أو قبل معاينة ملك الموت.(٩)

قال ﷺ: **((إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)).**(١٠)

---

(١) انظر: الحاوي الكبير {١٣/ ١٩٦}.

(٢) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٩٤}.

(٣) أخرجه مسلم {١٦٩٩}

(٤) قول الثوري وأبي ثور، المغني {١٠/ ١٤٠}.

(٥) قول قتادة، تفسير البغوي {١/ ٥٨٦}.

(٦) قول مجاهد،المرجع السابق.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) قاله الكلبي، المرجع السابق.

(٩) انظر هذه الأقوال في المرجع السابق.

(١٠) أخرجه الترمذي {٣٥٣٧} وابن ماجه {٤٢٥٣} وأحمد {٦١٦٠- ٦٤٠٨} والحاكم {٧٦٥٩} وقال الترمذي حديث حسن غريب. وصححه الحاكم ، وانظر تخريج الأحاديث والآثار {١/ ٢٩٢}

وقال ﷺ: **((قال الشيطان: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني))**[1].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: وقع في النزع ﴿قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ وهي حين تساق روحه، لا يقبل من كافر إيمان ولا من عاص توبة، ولذلك لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ (لا) هو الذي للنفي والواو للعطف، والذين مجرور بالعطف على قوله ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قوله: ولا، معطوف على وليست، فعلى هذا لا يوقف على ﴿تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.[2]

الأخفش: للذين، هو لام التوكيد، دخلت على: الذين، واللام فيه للاستئناف، وموضع الذين رفع بالابتداء، كقولنا: لزيد عاقل، وخبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ فعلى هذا الوقف على (تبت الآن) تام، وتبتدئ: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ والوقف على ﴿وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ تام على التأويلين.[3]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾.

كان أهل المدينة في الجاهلية وأول ابتداء الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة، جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته، فألقى ثوبه على تلك المرأة، أو على خبائها، فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارُّها [٢٤٨/ب] لتفتدي منه بما ورثت من الميت، أو تموت هي فيرثها، [فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها فكانوا كذلك][4] حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري[1] وترك امرأته، فقام ابنه من غيرها فطرح

---

(١) أخرجه أحمد من عدة طرق {١١٢٣٧- ١١٢٤٤-١١٣٦٧} والحاكم وصححه ووافقه الذهبي {٧٦٧٢} وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى {١٧٥٧٣} وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع {١٦٥٠}.

(٢) القطع والإئتناف {١/ ١٦٢} المكتفى في الوقف والابتداء {٢١٨}.

(٣) المكتفى {٢١٨}.

(٤) زيادة من (ب).

ثوبه عليها فورث نكاحها، ثم تركها ولم ينفق عليها، يضارُّها لتفتدي منه، فأتت كبيشة[٢] رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه، فلا هو ينفق عليَّ ولا هو يخلي سبيلي، فقال: **((اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله تعالى))** فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهًا ﴾[٣]

حمزة والكسائي بضم الكاف، هنا وفي التوبة، وهما لغتان.[٤]

والكَره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة، ﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ وموضع ﴿ لَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾ نصب عطفا على أن ترثوا، ولا لتأكيد النفي، أي: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا أن تعضلوهن، هذا خطاب للأولياء، أي: لا تمنعوهن من الأزواج فيضجرن فيفتدين ببعض مالهن، والصحيح أنه خطاب للأزواج.[٥]

ابن عباس: هذا في المرأة تكون عند زوجها وهو كاره لصحبتها، ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد إليه ما ساق إليها،[٦] فنهوا عن ذلك، ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ فيحل حيئذ لكم ضرارهن لتفتدي منكم. والفاحشة النشوز،[٧] أو الزنا،[٨] أي: أن المرأة إذا نشزت، أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع.

=

(١) تقدمت ترجمته ص ١٤٣.

(٢) كبشة بنت معن بن عاصم الأنصارية، زوج أبي قيس، ويقال لها: كبيشة، بالتصغير. الإصابة {٨/ ٩٢}.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول {١٤٧} وأخرجه الطبري {٨/ ١٠٥- ١٠٦} وفي صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك. {٤٥٧٩}.

(٤) النشر {٢/ ٢٤٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٦}.

(٥) وهو قول ابن زيد ورجحه الطبري، وقال: وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحد غيرهما -أي الولي أو الزوج- وكان الولي معلوما أنه ليس ممن آتاها شيئا، فيقال: إن عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها كان معلوما أن الذي عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها هو زوجها الذي له السبيل إلى عضلها ضرارا لتفتدي منه. {٨/ ١١٣}

(٦) تفسير الطبري {٨/ ١١١}.

(٧) قول عائشة وابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء، تفسير البغوي {١/ ٥٨٨} وتفسير الماوردي {١/ ٤٦٦}.

(٨) قول الحسن، وأبي قلابة والسدي، المرجع السابق.

كان الرجل إذا أتت امرأته فاحشةً أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها، فنسخ ذلك بالحدود.[1]

ابن كثير وأبو بكر (مبينة) و (مبينات) بفتح الياء، وافقهما نافع وأبو عمرو في (مبينات) ومن بقي بكسرها فيهما.[2]

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ تقدير الكلام: [وآتوا النساء صدقاتهن نحلة][3] وعاشروهن بالمعروف، وهي الإجمال في القول والمبيت والنفقة، أو أن تتصنع لها كما تتصنع له، ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ أي: ولدا صالح، أو يعطفه الله تعالى عليها.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ المراد بالزوج الزوجة ولم يكن من قبلها نشوز، ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[4] أي: أعطيتم إحداهن مالا كثيرا صداقاً، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: من القنطار، ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ نهي وتوبيخ بصيغة الاستفهام، ﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٢٠﴾ وانتصابها أي: تصيبون بهتاناً وإثماً مبيناً، أو بنزع الخافض، أو حال، أي: باهتين فآثمين،[5] والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه، لأنه يبهت عند ذلك أي: يتحير.

قام عمر يوما خطيباً فقال: يأيها الناس لا تغالوا بصدُق النساء، فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة وقالت: يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقاً جعله الله تعالى لنا، والله يقول:

---

(١) قول عطاء، تفسير البغوي {١/ ٥٨٨}. ومعنى الفاحشة عام لعموم اللفظ؛ وعدم دليل التخصيص، وما ذكر من أقوال إنما هو من قبيل اختلاف التنوع، وهو الغالب في خلاف السلف في التفسير. ورجحه الطبري حيث قال: وإذ صح ذلك فبين فساد قول من قال: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ منسوخ بالحدود؛ لأن الحد حق الله جل ثناؤه على من أتى بالفاحشة التي هي زنا، وأما العضل لتفتدي المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها، كما عضلُه إياها وتضييقُه عليها إذا هي نشزت عليه لتفتدي منه حق له وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر. {٨/ ١١٨-١٢٠}

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٧}.

(٣) ما ذكره المصنف رحمه الله ليس من هذه الآية.

(٤) نهاية اللوحة [٢٤٩/ أ] عند الكلمة الثانية من الآية.

(٥) في (ب) وآثمين.

﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ فقال: كل أحد أعلم من عمر، ثم قال لأصحابه: تسمعونني أقول مثل هذا، فلا تنكرونه عليّ حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء؟[١]

﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ﴾ إنكار واستعظام ﴿وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ كناية عن الجماع.

وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء، وقد قيل: صحبة عشرين يوماً قرابة، فكيف يكون ما يجري بين الزوجين من الممازجة والاتحاد.

﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١﴾ هو قول الولي عند العقد: زوجتكما على ما أخذ الله للنساء على الرجال، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

أو هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **((اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله))**.[٢]

الجاهلية كانوا ينكحون نساء آبائهم، فتوفي أبو قيس وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه، فقالت: إني أتخذك ولداً، وأنت من صالحي قومك، ولكني آتي رسول الله ﷺ أستأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[٣] أي: من نكح أو إشارة إلى نفس العقد، أي: لا تنكحوا النكاح الذي كان نكحه آباؤكم ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ أي: بمعنى لا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه، [٢٤٩/ب] كما يعلق بالمحال نحو قولك: حتى يَبْيَضَّ القار،[٤] وحتى يلج الجمل في سم الخياط.

أو لكن ما سلف في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ أي: إنه فاحشة، و(كان) زائدة، والفاحشة أقبح المعاصي ﴿وَمَقۡتٗا﴾ أي: يورث مقت الله تعالى، والمقت: أشد البغض، أو كانوا يفعلون

---

(١) أخرجه أبو داوود {٢١٠٦} والترمذي {١١١٤} والنسائي {٣٣٤٩} وابن ماجه {١٨٨٧} والحاكم {٢٧٢٥} وصححه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأما إنكار المرأة لعمر ﷺ فرواه البيهقي في الكبرى {١٤١١٤} وقال: هذا منقطع. وانظر: تخريج الأحاديث والآثار {١/ ٢٩٤}.

(٢) أخرجه مسلم {١٢١٨}.

(٣) قاله أشعث بن سوار، ذكره الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٤٨} وأشعث هذا ضعيف، التقريب {١٤٩} والبيهقي وقال: هذا مرسل وبمعناه ذكره غير واحد من أهل التفسير. {١٣٦٩٥} والسيوطي في الدر {٤/ ٢٩٧}

(٤) القارُ: طلاء أسود تُطلى السفن به يمنع وصول الماء. لسان العرب، مادة: قير.

ذلك مع أن فيهم من يسميه نكاح المقت لمروءتهم ويمقتونه، والمولود عليه يقال له: المقتي والمقيت ﴿ وَسَآءَ سَبِيلاً ﴾ أي: بئس طريقاً.

وعن البراء بن عازب قال: مر خالي ومعه لواء، فقلت: أين تذهب؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه.[1]

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾ أي: حرم عليكم نكاحهن، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ ولأن المفهوم من تحريم ما نكح آباؤكم من النساء تحريم نكاحهن، ويَحرم على الرجل أصوله وفصوله، وفصول أول أصوله، وأول فصل من كل أصل بعده، فالأصول هن الأمات، وهن جمع الأم، ويدخل فيهن الجدات وإن علين، من قبل الأم أو من قبل الأب ﴿ وَبَنَاتُكُمۡ ﴾ جمع بنت، ويدخل فيهن بنات الأولاد وإن سفلن، وهن فصوله، وتحريم الأمهات والبنات تحريم مؤبد، لم يحل قط لأحد في حال ضرورة وانقطاع نسل، وتحريم باقي الآية عارض؛ لأنه أبيح في شرع من تقدمنا كآدم وإبراهيم، والجاهلية كانوا يحرمون ما حرم الله تعالى، إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، وعلة التحريم لذلك؛ ورد الشرع به؛ أو لنفور الطباع وتحاشي النفوس منه، ﴿ وَأَخَوَٰتُكُمۡ ﴾ جمع أخت، سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما، ويدخل فيهن بنات الإخوة والأخوات وهن فصول أول أصوله ﴿ وَعَمَّٰتُكُمۡ ﴾ جمع عمة، ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علوا ﴿ وَخَٰلَٰتُكُمۡ ﴾ جمع خالة، ويدخل فيهن جميع أخوات أمهاتك وجداتك، والعمات والخالات ومن يدخل فيهن وهن أول فصل من كل أصل بعده.

﴿ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ [2] ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وإن سفلن، فهؤلاء سبع حرمن بالنسب، وسبع حرمن بالسبب وهن قوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ

---

(١) أخرجه أبو داوود {٤٤٥٦-٤٤٥٧} والترمذي {١٣٦٢} والنسائي {٣٣٣١- ٣٣٣٢} وابن ماجه {٢٦٠٧} من طرق عن عدي بن ثابت عن البراء، والحاكم {٢٧٧٦} من طرق في أكثر من موضع وصححه، وقال الذهبي: إسناده مليح.اهـ وقال الترمذي: حديث حسن غريب.اهـ

(٢) نهاية اللوحة [٢٥٠/ أ] عند الكلمة الثانية من الآية.

﴿ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ القراءة بفتح الراء من الرضاعة، وقرئ بكسر الراء،[1] ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ؛ لقوله ﷺ: **((يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة))** [2]

وثبوت حرمة الرضاع بشرطين:

الأول: أن يكون قبل استكمال حولين، لقوله تعالى ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] وقالت أم سلمة: قال رسول الله ﷺ: **((لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء))** [3]

وعن ابن مسعود، عنه ﷺ **((لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم))**[4] وإنما يكون هذا في حال الصغر.

وعند أبي حنيفة: مدة الرضاع ثلاثون شهراً[5] لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥] وعند الأكثرين لأقل مدة الحمل، وأكثر مدة الرضاع، وأقل مدة الحمل ستة أشهر.[6]

---

(١) وهي شاذة قرأ بها أبو حيوة، البحر المحيط {٣/ ٢٩٥}.

(٢) أخرجه أبو داوود {٢٠٥٥} والترمذي {١١٤٧} والنسائي {٣٣٠٢} وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، لا نعلم بينهم في ذلك اختلافا. وله شاهد عند البخاري {٢٦٤٦- ٣١٠٥} ومسلم {١٤٤٤}.

(٣) أخرجه الترمذي {١١٥٢} والنسائي في الكبرى {٥٤٦٥} وابن ماجه {١٩٤٦} وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئا. اهـ

(٤) ضعيف مرفوعا، أخرجه أبو داوود {٢٠٦٠} والدارقطني {٤/ ١٧٢} والبيهقي {٧/ ٤٦٠} قال ابن حجر في التلخيص: في إسناده أبو موسى الهلالي عن أبيه، وهما مجهولان. {٤/ ٤}.ورواه أبوداوود {٢٠٥٩} موقوفا وزاد في إسناده: عن ابنٍ لعبد الله بن مسعود ﷺ، وصححه الألباني.

(٥) أحكام القرآن للجصاص {٢/ ١١٥} وقال ابن قدامة: وقول أبي حنيفة تحكم يخالف ظاهر الكتاب وقول الصحابة، فقد روينا عن علي وابن عباس ﷺ أن المراد بالحمل حمل البطن، وبه استدل على أنه أقل مدة الحمل ستة أشهر، وقد دل على هذا قول الله تعالى:﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤] فلو حمل على ما قاله أبو حنيفة لكان مخالفا لهذه الآية، إذا ثبت هذا فالاعتبار بالعامين لا بالفطام. اهـ المغني {٩/ ٢٠٠}.

(٦) المرجع السابق.

الثاني: خمس رضعات متفرقات، عن عائشة وابن الزبير رضي الله عنهما وبه قال الشافعي.[١]

وعند قوم: قليل الرضاع وكثيره يحرم، منهم ابن عباس وابن عمر، وابن المسيب والثوري، ومالك والأوزاعي وابن المبارك[٢] وفقهاء الكوفة.[٣]

دليل الأول قوله ﷺ: **((لا تحرم المصة من الرضاع والمصتان))**[٤]

وعن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخ[٥] بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ في القرآن.[٦]

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ أصل واحدها أمهة، كحمّرة وقبّرة فسقطت الهاء في الواحد وعادت في الجمع، كمياه وشفاه، هذا تحريم المصاهرة، وجملته :كل من عقد على امرأة فيحرم على الناكح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ وهي جمع: ربيبة، وهي بنت المرأة، وسميت بذلك؛ لتربيته إياها، ثم لزمها ذلك الاسم [٢٥٠/ب] وإن لم يربيها الرجل، وقوله:

﴿فِي حُجُورِكُم﴾أي: في تربيتكم دَخَلْتُم ﴿بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهن.

فيحرم عليه بنات المنكوحة وبنات أولادها، وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، فلو فارق قبل الدخول أو ماتت جاز له أن ينكح بنتها، دون أمها؛ لإطلاق الآية، وفي تحريم الربائب قيد بالدخول: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن أو متن.

---

(١) وروي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن الزبير وعطاء وطاووس وأحمد في الصحيح من إحدى روايتيه، المرجع السابق {١١/ ٣١٠} أحكام القرآن للشافعي {ج١/ ٢٧١}. الاستذكار لابن عبد البر {٦/ ٢٥٠}.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي، الحافظ الغازي، أحد الأعلام وشيخ الإسلام، عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته، حديثه حجة بالإجماع.ت ١٨١هـ سير أعلام النبلاء {٨/ ٣٨٧}.

(٣) المغني {٩/ ١٩٣} أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٦٦}.

(٤) أخرجه مسلم {١٤٥٠}.

(٥) في (ب) نسخن.

(٦) أخرجه مسلم {١٤٥٢}.

قالوا وعند علي: لا تَحرُم أم المرأة إلا بالدخول بالبنت كالربيبة.[١]

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ أي: أزواج أبنائكم، جمع حليلة، والمذكر حليل، سميا بذلك؛ لأن كل واحد منهما حلال لصاحبه، أو لأن كل واحد يحل صاحبه، من الحلول أي: النزول، أو لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه، من الحل ضد العقد.

وجملته: أنه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده، من الرضاع والنسب بنفس العقد، وفائدة قوله: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ أن حليلة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه، بدليل تزويج الرسول ﷺ بامرأة زيد بن حارثة،[٢] وكان ﷺ قد تبناه.

ومن المحرمات بالصهرية أيضا: حليلة الأب والجد وإن علا، فتحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد، كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ وقد تقدم ذكره.

والوطء بملك اليمين[والشبهة كوطء عقد النكاح في التحريم حتى لو وطئ امرأة بشبهة أو جارية بملك اليمين][٣] فتحرم على الواطئ أم الموطوءة وابنتها، وتحرم الموطوءة على أب الواطئ وابنه.

وإن زنى بامرأة فلا حكم لذلك عند جماعة، منهم علي وابن عباس وابن المسيب وعروة والزهري ومالك والشافعي.[٤]

وذهب جماعة إلى أنه يحرم، منهم عمران بن حصين[٥] وأبو هريرة، وجابر بن زيد والحسن وفقهاء الكوفة.[٦]

---

(١) وروي أيضا عن جابر وابن الزبير وزيد ومجاهد، أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٤٨٤} المغني {٧/ ٤٧٠}.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، الأمير الشهيد، المسمى في سورة الأحزاب، ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابيا باسمه إلا هو، أبو أسامة سيد الموالي وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله ﷺ، أحد الأمراء الثلاثة في غزوة مؤتة، واستشهد بها رضي الله عنه. انظر: الإصابة {٢/ ٥٩٨} سير أعلام النبلاء {١/ ٢٢٠}.

(٣) زيادة من (ب)

(٤) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٧٦} المغني {٧/ ٤٨٢}.

(٥) عمران بن حصين الخزاعي، أسلم عام خيبر، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، من فضلاء الصحابة وفقهائهم، ممن اعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها، ت٥٢هـ وقيل ٥٣هـ. الإصابة {٤/ ٧٠٥}.

(٦) المغني {٧/ ٤٨٢}.

وإن لمس امرأة بشهوة أو قبلها، فهل هو كالدخول في إثبات حرمة المصاهرة؟ وهل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة؟ أكثر أهل العلم: قال إنه تثبت به الحرمة، وهو الصحيح،(١) وقال بعضهم: لا تثبت به الحرمة كما لا تثبت بالنظر.(٢)

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ المراد حرمة النكاح؛ لأن [٢٥١/أ] التحريم في الآية تحريم النكاح.

وعن عثمان وعلي أنهما قالا: أحلتهما آية وحرمتهما آية.(٣)

يعنيان هذه الآية، وقوله: ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء:٣] خُلفهما في الجمع بين الحُرتين في العقد وبين الأمتين في الوطء بملك اليمين، فعليٌ رجح التحريم، وعثمان رجح التحليل، وسواء كانتا من نكاح أو رضاع فإن طلق إحداهما بائنا جاز له نكاح أختها، ولو ملك أختين فلا يجمع بينهما في الوطء، وكذلك لا يجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، لقوله ﷺ: **((لا يجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها))**.(٤)

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ أي: لكن ما مضى فهو معفو عنه؛ لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وهو استثناء منقطع، أو إلا ما كان من يعقوب فإنه جمع بين ليا أم يهوذا وراحيل أم يوسف، وكانتا أختين(٥)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ لما كان منكم في الجاهلية ﴿رَّحِيمٗا ٢٣﴾ لما يكون منكم في الإسلام.

هذه الآية ليس فيها وقف تام ولا في آخرها؛ لأن ما بعدها من جملة ما نص على تحريمهن، لكن النَفَسُ يقصر عن بلوغ التمام.(٦)

---

(١) روي عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو ومسروق ومالك والأوزاعي وأبي حنيفة وأحد قولي الشافعي، المغني {٧/ ٤٨٦}.

(٢) قال الجوزجاني: سألت أحمد عن رجل نظر إلى أم امرأته في شهوة أو قبَّلها أبو باشرها، فقال: أنا أقول لا يحرمه شيء من ذلك إلا الجماع، وكذلك نقل أحمد بن القاسم و إسحاق ابن منصور. المرجع السابق.

(٣) قال الزركشي بعد أن ذكر رواية عثمان ﷺ: قال الأئمة وإنما كان التحريم أحب؛ لأن فيه ترك مباح لاجتناب محرم، وذلك أولى من عكسه. اهـ المنثور في القواعد {١/ ١٢٦}.

(٤) أخرجه البخاري {٥١٠٩- ٥١١٠} ومسلم {١٤٠٨}

(٥) تاريخ الطبري {١/ ١٤٨}.

(٦) القطع والإئتناف {١/ ١٦٣}.

﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ أي: ذوات الأزواج، حرائرا كن أو إماء، مسلمات كن أو كافرات، لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن، وهذه السابعة المحرمة بالسبب، نزولها في نساء كن يهاجرن ولهن أزواج فيتزوجن ببعض المسلمين، فيقدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله تعالى عن نكاحهن[1] ثم قال: ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ أي: السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء، لأن النكاح يرتفع بينها وبين زوجها بالسبي، أو أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً يوم حنين إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج فكرهوا غشيانهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[2] عطاء: هي في الأمة للرجل تكون في نكاح عبده فيجوز نزعها منه.

ابن مسعود: المراد أن يبيع السيد الجارية المزوجة، فتقع الفرقة بينها وبين الزوج ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها،[3] أو المراد بالمحصنات الحرائر،[4] والمعنى: أن ما فوق الأربع منهن حرام، و﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ من الجواري لا عدد [٢٥١/ب] عليكم فيهن.

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ نصب مصدر مؤكد، أي: كتب الله ذلك عليكم كتابا، أو إغراء، أي: ألزموا كتاب الله، أي: فرض الله عليكم، وقرئ: كتب الله عليكم،[5] بمعنى فرض.

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم ﴾ عطف على الفعل المضمر الذي نصب ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم ﴿ مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات.

حمزة والكسائي وأبو جعفر وحفص ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ بضم الهمزة وكسر الحاء، لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ ومن بقي بالفتح[6] أي: أحل لكم ﴿ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم ﴾ أي: تطلبوا أو تنكحوا بصداق أو تشتروا

---

(١) أخرجه الطبري {٨/ ١٦٤} والبغوي في التفسير {١/ ٥٩٤} عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وإسناده ضعيف، فيه حجاج بن أرطأة كثير الخطأ والتدليس، وحبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس، التقريب {٢١٨و٢٢٢}.

(٢) أخرجه مسلم {١٤٥٦}.

(٣) انظر القولين في تفسير البغوي {١/ ٥٩٥}.

(٤) روي عن ابن عباس ﷺ وعبيدة، زاد المسير {٢/ ٥٠}.

(٥) قراءة أبي حيوة وابن السميفع وهي شاذة، البحر المحيط {٢/ ٣٠٠}.

(٦) ماعدا خلف العاشر، فبضم الهمزة وكسر الحاء، انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٨}.

بثمن، ومن هنا قال فقهاء العراق: لا مهر أقل من عشرة دراهم؛ لأن اسم المال لا يطلق على أقل من ذلك المقدار.[١]

﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ أي: متزوجين ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ أي: زانين، من سفح الماء وصبه وهو المني، ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ أي: ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع بالنكاح الصحيح، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، أو هو نكاح المتعة،[٢] وهو أن ينكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق، وتستبرىء رحمها وليس بينهما ميراث، وكان في ابتداء الإسلام مباحاً فنهى عنه ﷺ بقوله: **((يا أيها الناس كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله تعالى حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كانت عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً))**[٣].

وبما روي عن عبد الله[٤] والحسن[٥] ابني محمد بن علي[٦] عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الأهلية.[٧]

وذهب عامة الناس إلى أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة،[١] إلا عند ابن عباس، وروي أنه رجع عن ذلك.[٢]

---

(١) أحكام القرآن للجصاص {٢/ ١٤٧} بدائع الصنائع {٢/ ٥٦١}.

(٢) ذكر الشنقيطي رحمه الله: بأن سياق الآية يدل دلالة واضحة على أنها في عقد النكاح، لا في نكاح المتعة؛ لأن الله تعالى ذكر المحرمات التي لا يجوز نكاحها، ثم بين أن غير تلك المحرمات حلال بالنكاح، ثم بين أن النكاح والاستمتاع يلزم منه ثبوت المهر، مرتبا لذلك بالفاء على النكاح، بقوله: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ﴾ أضواء البيان {١/ ٢٥٤}.

(٣) أخرجه مسلم {١٤٠٦}.

(٤) عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثقة، قليل الحديث، وكانت الشيعة تنتحله، قال الزهري: كان الحسن أوثقهما وكان عبد الله يتبع السبئية. ت ٩٨هـ سير أعلام النبلاء {٤/ ١٢٩}.

(٥) الحسن بن محمد بن الحنفية، كان أجل الأخوين وأفضلهما، من علماء أهل البيت، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدا أعلم بما اختلف فيه الناس من الحسن بن محمد. ت ١٠٠هـ المرجع السابق {٤/ ١٣٠}

(٦) محمد بن علي بن الحنفية، أخو الحسن والحسين، أمه خولة بنت جعفر الحنفية من سبي اليمامة، كان ورعا كثير العلم، قال إبراهيم بن الجنيد: لا نعلم أحدا أسند عن علي أكثر ولا أصح مما أسند ابن الحنفية. المرجع السابق {٤/ ١١٠}.

(٧) أخرجه البخاري {٤٢١٦- ٥١١٥-٥٥٢٣-} ومسلم {١٤٠٧}.

وروي أن عمر خطب يوما وقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة قد نهى عنها رسول الله ﷺ؟ لا أجد رجلاً نكحها إلا رجمته بالحجارة.(٣)

وعن الشافعي أنه قال: لا أعلم في الإسلام شيئاً أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة.(٤)

﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة أراد أنهما إذا عقد إلى أجل بمال، فإذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل [٢٥٢/أ] وزاد الرجل في الأجر، وإن لم يتراضيا فارقها، ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح، قال المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ﴾ من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

ولا تقدير لأكثر الصداق لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠]

وعن عائشة أنها قالت: كان صداقه ﷺ لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونش، ثم قالت لأبي سلمة: أتدري ما النش؟ قال: لا، قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم.(٥)

وأما أقله فلا تقدير له، بل ما جاز أن يكون مبيعاً أو ثمناً جاز أن يكون صداقاً عند ربيعة والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق،(٦) لقول عمر رضي الله عنه: في ثلاث قبضات زبيب مهر.(٧)

وقال ابن المسيب: لو أصدقها سوطاً جاز.(٨)

وعند قوم: يتقدر بنصاب السرقة، منهم مالك وأبو حنيفة، غير أن مالكا عنده نصاب السرقة ثلاثة دراهم،(١) وعند أبي حنيفة عشرة دراهم.(٢)

=

(١) وهو قول عمر وابنه وعلي وابن مسعود وابن الزبير، رضي الله عنهم وأبو حنيفة ومالك وأهل المدينة والأوزاعي والليث والشافعي وأحمد في رواية، المغني {٧/ ٥٧١} الناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ١٩١}.

(٢) المغني {٧/ ٥٧١}.

(٣) أخرجه البيهقي {٧/ ٢٠٦} والسيوطي في الدر {٤/ ٣٣٢}.

(٤) المغني {٧/ ٥٧١} تفسير البغوي {١/ ٥٩٦}.

(٥) أخرجه مسلم {١٤٢٦}.

(٦) المغني {٨/ ٥} المحلى {٩/ ٤٩٧} المنهاج مع شرحه {٤/ ٤٦٠}.

(٧) السنن الكبرى للبيهقي {١٤١٥٩} تفسير البغوي {١/ ٥٩٧}.

(٨) المغني {٨/ ٥}.

دليل الأول: حديث الواهبة نفسها للنبي ﷺ إذ قال: يا رسول الله، إن لم يكن بها حاجة فزوجنيها، فقال ﷺ: **((هل عندك من شيء تصدقها))**؟ فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال: **((إن أعطيتها جلست لا إزار لك، فالتمس شيئاً))** فقال: ما أجد، قال: **((فالتمس ولو خاتماً من حديد))** فالتمس فلم يجد شيئاً، فقال ﷺ: **هل معك من القرآن شيء))**؟ قال: نعم، سورة كذا لسورة سماها، فقال ﷺ: **((قد زوجتكها بما معك من القرآن))**[٣].

الدليل قوله: **((التمس شيئاً))** يدل على أيِّ شيء كان من المال، وقال: **((لو خاتماً من حديد))** ولا قيمة لخاتم الحديد إلا التافه.

وفي الحديث دليل على جواز أن يجعل تعليم القرآن صداقاً، عند الشافعي.[٤]

وعند فقهاء الكوفة لا يجوز، وكل عمل يجوز الاستئجار عليه مثل البناء والخياطة من الأعمال جاز أن يجعل صداقاً، ولم يجوز أبو حنيفة أن تجعل منفعة الحر صداقاً.[٥]

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ أي: فضلاً ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي: الحرائر.

الكسائي بكسر الصاد من (المحصنات) حيث جاء، إلا قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في أول هذه السورة فإنه فتح الصاد،[٦] ولا خلاف [٢٥٢/ب] بين القراء في كسر الصاد من ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ بياء ونون. ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي: من لم يقدر على نكاح الحرة المؤمنة، فليتزوج الأمة المؤمنة، فيه دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين:[٧]

=

(١) الاستذكار لابن عبد البر {٥/ ٤١٠}.

(٢) تقدم ل ٢٥٢/ أ.

(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع {٢٣١٠-٥١٢١- ٥١٣٢} ومسلم {١٤٤٥}.

(٤) الأم للشافعي {٢/ ١٤٠} مغني المحتاج {٣/ ٣٠٣}.

(٥) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٩٠- ٩١}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٨}.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٥٠٢}.

أحدهما: أن لا يجد مهر حرة. والثاني: أن يكون خائفاً من العنت على نفسه، وهو الزنا، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ عند جابر وطاووس وعمرو بن دينار[1] ومالك والشافعي.[2]

وجوز فقهاء الكوفة نكاح الأمة، إلا أن تكون في نكاحه حرة، أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كانت تحته حرة أو أمة، وعند أبي حنيفة لا يجوز إذا كانت تحته حرة، كما يقول في الحر.[3]

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ أي: لا تعترضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم.

﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: إخوة لبعض، أو كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: مواليهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: مهورهن من غير مطل ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي: زانيات ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: أحباب يزنون بهن في السر.

قال الحسن: المسافحة هي كل من دعاها تبعته، وذات الخدن لا تزني إلا بواحد، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوز الثانية.[4]

﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الهمزة والصاد، أي: حفظن فروجهن، أو أسلمن ومن بقي بضم الهمزة وكسر الصاد، أي: زُوجن.[5] ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ أي: الزنا، ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: الأبكار الحرائر إذا زنين، ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الحد، فجلد الرقيق إذا زنى خمسون، وفي التغريب قولان، فإن غرب فنصف سنة على القول الصحيح.

والعبد مقيس على الأمة في الحد الجامع بينهما الرق، ولا رجم على الرقيق.[6] ولا فرق بين من تزوج منهم أو لم يتزوج عند الأكثرين.[7]

---

(١) عمرو بن دينار الجمحي مولاهم المكي، أبو محمد الأثرم، ثقة ثبت، ت ١٢٦هـ التقريب {٧٣٤}.

(٢) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٢٠٣} والقرطبي {٥/ ٩٠}.

(٣) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ١١٠}.

(٤) تفسير البغوي {١/ ٥٩٩}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٩}.

(٦) تقدم في اللوحة ٢٤٨/ أ.

(٧) وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن والنخعي ومالك والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، انظر: أحكام القرآن للجصاص {٣/ ١٢٤} والشافعي {١/ ٣١٩} والقرطبي {٥/ ٩٤- ٩٥}.

وعند بعضهم لا حد على من لم يتزوج من المماليك إذا زنى؛ لقوله: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ روي عن ابن عباس، وطاووس.[١]

وعند [٢٥٣/أ] الآخرين الإحصان الإسلام،[٢] وإن أريد به التزويج[٣] فليس المراد أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه، بل للتنبيه على أن المملوك وإن كان محصناً بالتزويج فلا رجم عليه إنما حده الجلد بخلاف الحر.

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ﴾ أي: نكاح الأمة عند عدم الطول، والعنت الزنا، يريد المشقة لغلبة الشهوة، إذ أصل العنت الضيق والشدة،[٤] تعنته وأعنته حمله على خطة حدباء، أي: إن صاحبها يصير من شدتها أحدب بمعنى واحد.

﴿ وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ أي: عن نكاح الإماء متعففين ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ لئلا يخلق الولد رقيقاً، أو لما قيل: ((**إن العرق دساس**))[٥] ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ أي: يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم، أو يبين لكم ما يقربكم منه، أو يبين لكم أن الصبر عن نكاح الأمة خير لكم ﴿ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: شرائع الذين من قبلكم في تحريم الأمهات والبنات والأخوات، فإنها كانت محرمة على من قبلكم إلا آدم، ومن كان من ولده في وقته، أو يهديكم ملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم.

﴿ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يتجاوز عما أصبتم قبل أن يتبين لكم، أو يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته، أو يوفقكم للتوبة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: إن وقع منكم تقصير في أمر دينه، ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ أي: عن الحق بإتيانكم ما حرم عليكم، والموصوفون باتباع الشهوات

---

(١) المرجع السابق. {٥/ ٩٤}.

(٢) قول ابن مسعود وعطاء والنخعي والشعبي والزهري ومجاهد، أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٥١٧} والقرطبي {٥/ ٩٤}.

(٣) قاله سعيد بن جبير والحسن وقتادة وأبو عبيد، وروي عن ابن عباس وأبي الدرداء، المرجع السابق.

(٤) الصحاح، مادة: عنت.

(٥) حديث موضوع، الفوائد المجموعة {١/ ١٧٠} ضعيف الجامع الصغير {٢٤٢٨}.

اليهود والنصارى،[١] أو هم المجوس؛ لأنهم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت،[٢] أو هم الزناة يريدون ميلكم عن الحق فتزنون كما يزنون،[٣] أو هم جميع أهل الباطل.[٤] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ أي: يسهل عليكم.

قال ﷺ: **((بعثت بالحنيفية السمحة السهلة))**[٥]

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا يصبر عن النساء،[٦] أو يستميله هواه وشهوته،[٧] أو أنه خلق من ماء مهين،[٨] بيانه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] أو هو آدم ضعف بأخذ زوجته من ضلعه، أو ضعف اليقين، [٢٥٣/ب] أو ضعيفا أي: فقيرا، وقرئ: (وخَلق الإنسان) بفتح الخاء واللام ونصب الإنسان.[٩]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: الحرام، كالربا والقمار والغصب والخيانة، أو العقود الفاسدة، فيه دليل على فضيلة النسب إذ هو القوام لنظام الدين والدنيا.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ الكوفيون بنصب ﴿تِجَٰرَةً﴾ خبر كان، ومن بقي بالرفع،[١٠] على أن كان تامة، وهذا استثناء منقطع، لا أنه يجوز أكل المال بالباطل إذا كانت التجارة عن تراض، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] أي: فدعوه كذلك فلا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، اللهم إلا أن تكون عن تراض فلا

---

(١) قاله السدي، تفسير البغوي {١/ ٦٠١}. وزاد المسير {٢/ ٦٠}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٦٠١}.

(٣) قاله مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٦٠١} وزاد المسير {٢/ ٦٠}.

(٤) انظر المرجعين السابقين.

(٥) أخرجه أحمد في المسند {٢٢٣٤٥} والطبراني في الكبير {٧٨٦٨} وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. مجمع الزوائد {٩٤٤١}.

(٦) قاله طاووس والكلبي ومقاتل، انظر: تفسير البغوي {١/ ٦٠٢}. وزاد المسير {٢/ ٦٠}.

(٧) قاله ابن كيسان والزجاج، انظر المرجعين السابقين.

(٨) قاله الحسن، انظر المرجعين السابقين.

(٩) وهي شاذة قرأ بها ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، البحر المحيط {٣/ ٣١٩}.

(١٠) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٩}.

تأكلوها أيضا بالباطل، أو كان بعضهم يقول: لا تأكلوا أموالكم بالإسراف والإتلاف من غير تصرف وتقلب، فتقعدوا فقراء عيلة، والصحيح ما يتأوله الفقهاء من أن المراد بالباطل الحرام.

﴿ عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: بطيبة نفس كل واحد منكم، أو هو أن يجيز كل أحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم، وإلا فلهما الخيار مالم يتفرقا.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: لا تهلكوها،[1] أو لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال الباطل، أو أراد قتل المسلم نفسه، قال ﷺ: **((من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة))**[2]

أو﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: إخوانكم، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، أو لا تقتلوا أنفسكم عجزا عن الحيلة والتصرف، أو بالحرص والإمساك.

وقرئ (تقتّلوا) بالتشديد للتأكيد[3] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: ما سبق ذكره من المحرمات ﴿ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾ العدوان مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ وقرئ: (نَصليه) بفتح النون،[4] أي: نحرقه ونشويه، أي: ندخله في الآخرة نارا، ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[5].

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر هي: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس وقول الزور. [٢٠٤/أ]

ابن مسعود رضي الله عنه: هي ثلاث: الكفر بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله.[6]

وسأل رجل ابن عباس: أسبع الكبائر؟ فقال: هي إلى السبعمائة أقرب، إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، وكل شيء عصي الله تعالى به فهو كبيرة، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر،

---

(١) قاله أبو عبيدة، مجاز القرآن {١/ ١٢٤}.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع {١٣٦٣- ٦٠٤٧-٦١٠٥} ومسلم {١١٠}.

(٣) وهي شاذة قرأ بها علي رضي الله عنه والحسن، البحر المحيط {٣/ ٣٢٤} والدر المصون {٣/ ٦٦٤}.

(٤) قراءة المطوعي والنخعي والأعمش وهي شاذة، البحر المحيط {٣/ ٣٢٥} القراءات الشاذة {٤١}.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) تفسير الطبري {٨/ ٢٤٢} والبغوي {١/ ٦٠٦}.

فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعاً عن الإسلام، أو جاحداً فريضة، أو مكذباً بقدر. إلى هنا كلامه.[١]

ابن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ فهو كبيرة.[٢]

أو هي كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب،[٣] أو هي ما أوعد الله تعالى عليه حداً في الدنيا وعذاباً في الآخرة،[٤] أو هي ما سماه الله تعالى في القرآن كبيراً أو عظيماً،[٥] كقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله؛ لأن الله تعالى كريم يغفر، واحتج بقوله ﷺ: **((إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أمة محمد، إن الله قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات، تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي))**[٦]

أو الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة،[٧] أو الكبائر ذنوب العمد، والسيئات الخطأ والنسيان،[٨] أو الكبائر ما نهى الله تعالى عنه من الذنوب الكبار، والسيئات مقدماتها وتوابعها ما يجتمع فيه الفاسق والصالح، كاللمسة والنظرة.[٩]

---

(١) تفسير الطبري {٨/ ٢٤٥} والبغوي {١/ ٦٠٦}.

(٢) تفسير الطبري {٨/ ٢٣٣} والبغوي {١/ ٦٠٦}.

(٣) قول ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {٨/ ٢٤٦}.

(٤) قاله الضحاك، تفسير البغوي {١/ ٦٠٦}.

(٥) قاله الحسين بن فضل، المرجع السابق.

(٦) الحديث موضوع، في إسناده الحسين بن داوود، قال العراقي: رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس، وفيه الحسين بن داود البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة، حديثه موضوع. تخريج أحاديث الإحياء {٤٦٠٣} وميزان الاعتدال {١/ ٥٣٤} والسلسلة الضعيفة {٣/ ٤٣٩}.

(٧) قاله مالك بن مغول، تفسير البغوي {١/ ٦٠٧}.

(٨) تفسير البغوي {١/ ٦٠٧}.

(٩) قول السدي، المرجع السابق.

قال ﷺ: **((العينان تزنيان، واليدان تزنيان والرجلان تزنيان، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه))**[١]

[أو الكبائر ما يستحقره العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون موافقته][٢] أو الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون ذلك من السيئات، ﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ أي: من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان.

وكان ﷺ يقول: **((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر))**.[٣]

﴿ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ أي: حسناً وهو الجنة، نافع (مَدخلاً) بفتح الميم هنا وفي الحج، لموضع الدخول، ومن بقي [٢٠٤/ب] بالضم على المصدر بمعنى الإدخال،[٤] وهذا مما انفتحت العين في ماضيه، وانضمت في مستقبله، فليعتبر بنظائره.

قالت أم سلمة: يا رسول الله الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثلهم. فنزل: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٥] أو لما جعل الله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين، قالت النساء: نحن أحق وأحوج لضعفنا،[٦] ولما نزل: قوله تعالى: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ قالت الرجال: إنا لنرجو أن نفضل عليهن بحسناتنا فيكون لنا ضعف ما للنساء في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث، فنزل: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ ﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾[٧] أي: الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء، إذ الحسنة بعشرة أمثالها.

---

(١) أخرجه أحمد {٣٩١٢- ٨٥٠٧} وابن حبان {٤٤١٩} وورد نحوه عند البخاري {٦٢٤٣- ٦٦١٢} ومسلم {٢٦٥٧}.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) أخرجه مسلم {١٣٣- ٢٣٣}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٩}.

(٥) أخرجه الترمذي {٣٠٢٢} والحاكم {٣١٩٥} والطبري {٨/ ٢٦١- ٢٦٢} والواحدي في أسباب النزول {١٥٠} وقال الترمذي: حديث مرسل. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة رضي الله عنها، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه على تفسير الطبري {٨/ ٢٦٣}.

(٦) تفسير البغوي {١/ ٦٠٨}.

(٧) قاله قتادة والسدي، المرجع السابق.

أو معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد، وللنساء نصيب ما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج، أي: إن كان للرجال فضل جهاد فللنساء فضل طاعة وحفظ فروج، ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ أي: رزقه، أو من عبادته، فهو التوفيق للعبادة، ولم يأمر بالمسألة إلا ليعطي، عن ابن عيينة.[1] ابن كثير والكسائي (وسلوا) إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز، ونقل الحركة إلى السين، ومن بقي بسكون السين والهمز؛[2] فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد، والحسد هو أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبها، وتتمناها لنفسك، والغبطة تمني مثل ما لصاحبك، وليقل الإنسان اللهم ارزقني مثل ما لفلان، ولا يتمنى زوجته ولا داره ولا فرسه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ .

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ أي: لكل واحد من الرجال والنساء جعلنا عصبة يعطون، ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ وهم الموروثون، أو لكل جعلنا ورثة مما ترك، أي: من الذين تركهم و (ما) بمعنى (من) ثم فسر الموالي فقال: ٱلۡوَٰلِدَانِ ﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الوارثون ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ﴾ الكوفيون بغير ألف ﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ ومن بقي بالألف[3] ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ جمع يمين، من القسم واليد؛ لأنهم كانوا [عند المحالفة][4] [٢٥٥/أ] يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد.

وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك، هدمي هدمك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من مال الحليف،[5] وكان ذلك في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ أي: حظهم من الميراث، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٥] أو

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٠}.

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) أخرجه الطبري عن قتادة {٨/ ٢٧٥}.

فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد لا من الميراث، والآية على هذا غير منسوخة، قاله مجاهد.[١] لقوله تعالى: ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] وقال ﷺ يوم فتح مكة: **((لا تحدثوا حلفاً في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة)).**[٢]

ابن عباس: نزلت هذه الآية في الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة، وكان يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ ﴾ نسخت،[٣] ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ أو كانوا يتوارثون بالتبني، وهذه الآية فيه ثم نسخ.[٤]

نشزت حبيبة بنت زيد [بن أبي زهير][٥] امرأة سعد بن الربيع من النقباء، أوهي بنت محمد بن مسلمة، فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ، فقال: أفرشته كريمتي فلطمها، فقال ﷺ: **((لتقتص من زوجها))** فانصرفت مع أبيها لتقتص منه، فقال ﷺ: **((ارجعوا هذا جبريل قد أتاني))** فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية[٦] أي: مسلطون على تأديبهن، والقيم والقوام واحد، ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: فضل الرجال بزيادة العقل والدين والولاية، على النساء، أو بالشهادة، أو بالجهاد، أو بالعبادات كالجمعة والجماعات، أوله أن ينكح أربعاً وليس للزوجة إلا زوج واحد، أو بالطلاق بيده، أو بالميراث، أو بالدية، أو بالنبوة.[٧]

---

(١) تفسير البغوي {١/ ٦٠٩}.

(٢) أخرجه الطبري من عدة طرق {٨/ ٢٨١} وما بعدها. وورد عند مسلم بلفظ **((لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة))** {٢٠٦}.

(٣) أخرجه الطبري {٥/ ٢٧٧}.

(٤) قول سعيد بن المسيب، المرجع السابق {٨/ ٢٨٠}.

(٥) في النسختين [ابن زهير] والمثبت من المصادر. وهي حبيبة بنت زيد بن أبي زهير الأنصاري. الإصابة {٧/ ٥٧٥}.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن مقاتل بدون إسناد {١٥١} وأخرجه بنحوه عن الحسن مرسلا، والطبري عن قتادة وابن جريج مرسلا {٨/ ٢٩١- ٢٩٢}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٦١١}.

﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أي: إعطاء المهر والنفقة ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ أي: مطيعات ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ أي: للفروج في غيبة الأزواج، أو حافظات لسرهم[٢٥٥/ب] ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ قرئ: (الله) نصباً[1] أي: بحفظهن اللهَ، والرفع أي: بما حفظهن اللهُ، ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ أي: عصيانهن، أصل النشوز: التكبر والارتفاع، من نشز الأرض للمكان المرتفع،[2] ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ أي: فخوفوهن الله، من الوعظ، ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ ﴾ أي: إن لم يرجعن عن ذلك القول فاهجروهن في المضاجع، أي: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها،[3] أو يعتزل إلى فراش آخر،[4] ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ أي: إن لم يرجعن مع الهجران فاضربوهن ضرباً غير مبرح، أي: شديد ولا شائن، أو ضرباً بالسواك.[5]

وعنه ﷺ أنه قال: **((تطعم المرأة إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر))**[6] ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، أو لا تكلفوهن محبتكم،[7] فإن ذلك بيد الله تعالى.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ أي: لا يكلف العباد إلا ما يطيقون، وقال بعضهم: إذا ظهر النشوز جمع الزوج بين الوعظ والهجران والضرب؛ لظاهر الآية.[8]

وحمل ﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ على العلم كقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ ﴾[البقرة: ١٨٢] أي:علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية، فإن ظهرت أمارات النشوز وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها.

---

(١) وهي قراءة متواترة قرأ بها أبو جعفر المدني، انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٠}.

(٢) القاموس، مادة: نشز.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٥٣٣}.

(٤) قاله إبراهيم والشعبي وقتادة والبصري ورواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك، المرجع السابق.

(٥) قول عطاء، تفسير البغوي {١/ ٦١٣}.

(٦) أخرجه أبو داوود {٢١٤٢- ٢١٤٣} وابن ماجه {١٨٥٠} وأحمد {٢٠٠٢٧} والحاكم {٢٧٦٤} وصححه ووافقه الذهبي.

(٧) قاله ابن عيينة، تفسير البغوي {١/ ٦١٣}.

(٨) المرجع السابق.

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا ﴾ إن تيقنتم خلافا بين الزوجين، أو إن ظننتم، فإذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما، فلم يصفح الرجل ولم يفارق ولم تؤد المرأة الحق ولم تفتد وخرجا إلى مالا يحل قولاً وفعلاً، بعث الإمام حكماً من أهله إليه وحكماً من أهلها إليها، رجلين حرين عدلين، ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه، إن رغبته في الاجتماع أو في الفرقة، ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح، فإن رأيا أن يجمعا جمعا وإن رأيا أن يفرقا فرقا، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحًا ﴾ أي: الحكمان، ﴿ يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ أي: بين الزوجين، فيه دليل على الفراق وغيره؛ لأن التوفيق هو إخراج كل واحد منهما من الوزر؛ وذلك يكون بالفراق تارة وبصلاح حالهما أخرى، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ وتقول [٢٠٦/أ] المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي، ويقول كذلك الرجل.

واختلف في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين، أصح القولين أنه لا يجوز إلا برضاهما، وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم الزوجة أن يختلع على مالها إلا بإذنها، وهو قول فقهاء الكوفة.(١)

والقول الثاني: جواز بعث الحكمين بغير رضاهما، فيجوز لحكم الزوج التطليق بغير رضاه ولحكم الزوجة الاختلاع بغير رضاها، إذا رأيا الصلاح فيه، كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك.(٢)

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ أي: وحدوه، ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ أي: براً وعطفاً ﴿ وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ أي: أحسنوا.

قال ﷺ **((أنا وكافل اليتيم كهاتين أو كهذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما))**(٣)

﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ أي: ذي القرابة، ﴿ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾ أي: البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة.

قال ﷺ: **((لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، وإذا طبخت مرقةً فأكثر ماءها واغرف لجيرانك منها))**(١)

---

(١) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ١٥٢} والقرطبي {٥/ ١١٦}.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري {٥٣٠٤- ٦٠٠٥} ومسلم {٢٩٨٣}.

قال ﷺ: **((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))**.[٢]

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ أي: المرأة تكون معه إلى جنبه،[٣] أو الرفيق في السفر،[٤] أو الذي يصحبك رجاء نفعك.[٥] ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر، أو هو الضيف.

قال ﷺ: **((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل أن يثوي عنده حتى يحرجه))**.[٦]

﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ أي: الرقيق أحسنوا إليهم.

قال ﷺ: **((لا يدخل الجنة سيء الملكة))**[٧]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ المختال: المتكبر، والفخور: الذي يفخر على الناس؛ لأن المتكبر يمنع الحقوق تكبراً.

كان كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد وأسامة بن حبيب[٨] وجماعة أخر يأتون رجالاً من الأنصار ويخالطونهم ويقولون: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر، ولا تدرون ما يكون، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾[٩] وهو في كلام العرب منع السائل

=

(١) أخرجه مسلم {٢٦٢٥ح١٤٣- ٢٦٢٦}.

(٢) أخرجه البخاري {٦٠١٤} ومسلم {٢٦٢٤- ٢٦٢٥}.

(٣) قاله علي وعبد الله والنخعي، تفسير البغوي {١/ ٦١٧}.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة، المرجع السابق.

(٥) قاله ابن جريج وابن زيد، المرجع السابق.

(٦) أخرجه البخاري {٦٠١٩- ٦١٣٥- ٦٤٧٦} ومسلم {٤٨}.

(٧) أخرجه الترمذي {١٩٤٦} وابن ماجه {٣٦٩١} في إسناده: فرقد السبخي وهو ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وقد تكلم أيوب السختياني وغير واحد في فرقد السبخي من قبل حفظه. اهـ

(٨) وهؤلاء من اليهود.

(٩) نهاية اللوحة [٢٥٦/ ب] عند الكلمة الثانية من الآية. والأثر أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد وهو مجهول {٨/ ٣٥٣} وذكره الواحدي في أسباب النزول مرسلا عن ابن عباس وابن زيد {١٥٣}.

من فضل ما لديك، وفي الشرع منع الواجب، حمزة والكسائي (بالبَخَل) بفتح الباء والخاء، ومن بقي بضم الباء وسكون الخاء،[١] لغتان، وقرئ: بضم الباء والخاء[٢] وبفتح الباء وسكون الخاء.[٣]

أو نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكتموها،[٤] أو نزلت في كتمان العلم.[٥]

﴿ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ أي المال، أو يبخلون بالصدقة، ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ﴾ نزلت في المنافقين، أو في اليهود، أو في مشركي مكة المتفقين على عداوة رسول الله ﷺ.[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ يُنفِقُونَ في محل نصب، عطف على ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ أو في موضع خفض، عطف على قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ صاحباً، أي: فبئس صاحبا؛ لأنه حملهم على البخل والرياء وكل شر وهو نصب تمييز، ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: أيُّ شيء عليهم، ﴿ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ تقدير الكلام: وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فإن الله لا يظلم، أي: لا يبخس مثقال ذرة، ولا ينقص أحدا من ثواب عمله وزن ذرة، وهي النملة الحمراء الصغيرة، وقرئ: (إن الله لا يظلم مثقال نملة)[٧] أو هي واحدة أجزاء الهباء في الكوة، فكل جزء منها ذرة ولا وزن لها.

فيها دليل على نفي الظلم؛ لأن الظلم بمقدار الذرة، ولا ينتفع به الظالم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ [يونس:٤٤]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١١}.

(٢) قراءة عيسى بن عمر والحسن، وهي شاذة البحر المحيط {٣/ ٣٤٩}.

(٣) قراءة ابن الزبير وقتادة وهي شاذة. المرجع السابق.

(٤) قاله مجاهد وقتادة والسدي زاد المسير {٢/ ٨٢}.

(٥) قاله سعيد بن جبير، تفسير البغوي {١/ ٦٢١}.

(٦) انظر هذه الأقوال في المرجع السابق.

(٧) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن مسعود ﷺ، البحر المحيط {٣/ ٣٥٥}.

قال ﷺ: ((**إذا أدخل المؤمنون الجنة وأمنوا، فيقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا أدخلتهم النار، فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: قد أخرجنا من أمرتنا بإخراجه، ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه مثقال ذرة**، قال أبو سعيد: من [٢٥٧/أ]لم يصدق هذا فليقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾.[١]

وعنه ﷺ أنه قال: ((**إذا كان يوم القيامة نادى: ألا من كان له حق فليجئ إلى حقه فليأخذ، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه، فيأخذ منه**، ومصداقه قوله الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [المؤمنون: ١٠١] الآية، **فيؤتى بالعبد وينادى عليه على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه، ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا، فيقول الله تعالى لملائكته انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقي منها ذرة من حسنة قالت الملائكة: يا رب بقى له مثقال ذرة من حسنة، فيقول: أضعفوها لعبدي وأدخلوه بفضلي ورحمتي الجنة، وإن كان شقياً قالت الملائكة: إلهنا فنيت حسناته وبقي طالبون؟ فيقول تعالى: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار**)).[٢]

فمعنى الآية على هذا: أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم، بل يأخذ له منه ويبقى له ويثيبه عليها ويضعفها له، دليله قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ الحرميان (وإن تك حسنةٌ) بالرفع، جعلاها تامة ومن بقي بالنصب،[٣] أي: وإن تك زنة الذرة حسنةً يضاعفها، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة، ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ أجر الله العظيم لا يقدر قدره أحد من خلقه.

---

(١) أخرجه البخاري {٤٥٨١- ٤٩١٩} ومسلم {١٨٣}.

(٢) أخرجه الطبري {٨/ ٣٦٣} وذكره ابن كثير عن ابن أبي حاتم {٢/ ٢٧٣} موقوفا على ابن مسعود ﷺ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وذكر أنه من المرفوع حكمًا؛ لأن ما ذكره مما لا يُعرف بالرأي، وما كان ليقوله من عند نفسه. وقال ابن كثير رحمه الله: ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح.اهـ

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١١} الحرميان: نافع وابن كثير، وسميا بذلك؛ لأن نافع سكن المدينة، وابن كثير سكن مكة.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ أي: فكيف الصنع أو الحال إذا جئنا من كل أمة بشهيد، أي: من الأمة يشهد عليهم بما عملوا، أو فكيف يكون الظلم مع إلزام الحجة وإحضار الشهود، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ أي: يا محمد شاهدا يشهد على من رآه وعلى من لم يره.

عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**اقرأ علي القرآن**)) فقلت: يا رسول الله، أقرؤه عليك وعليك أنزل؟ قال: ((**نعم، أحب أن أسمعه من غيري**)) فقرأت حتى انتهيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ قال: ((**حسبك الآن**)) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.[1]

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديدِ السين، أي: تتسوى بتائين، فأدغمت [٢٥٧/ب] الثانية في السين، وحمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين، على حذف تاء الفعل، ومن بقي بضم التاء وفتح السين على ما لم يسم فاعله،[2] أي: سويت بهم الأرض فساخوا فيها، أو تخرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا فيها ثم تسوى بهم، أي: عليهم، أو أنهم يودون أنهم لم يبعثوا، أو يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع: كن تراباً فتسوى[3] بهم الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان تراباً كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠]

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: ودوا التسوي بالأرض وأنهم لم يكتموا [من] أمر محمد ﷺ شيئا، أو استأنف الكلام، تقديره: ما عملوه لا يخفى على الله ولا يقدرون على كتمانه، أو لأن جوارحهم تشهد عليهم.

قال رجل لابن عباس: أجد في القرآن أشياء تختلف، قال: هات ما اختلف عليك، قال: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[المؤمنون:١٠١] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[الصافات:٢٧] ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ وقال: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام:٢٣] فقد كتموا، وقال: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[النازعات:٢٧-٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال:

---

(١) أخرجه البخاري {٥٠٥٥} ومسلم {٨٠٠}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٤٩} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٢}.

(٣) في (ب) فتستوي.

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ إلى ﴿ طَائِعِينَ ﴾ [فصلت:٩-١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، وقال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٠] فكأنه كان ثم مضى؟ قال ابن عباس: فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٦٨] فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون، ثم أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، وأما قوله: ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم، فعند ذلك عرفوا أن الله لا يُكتم حديثاً، وعنده يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحيها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فقال: ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: لم يزل كذلك.(١) [٢٥٨/أ]

الحسن: إنها مواطن، في موطن لا يتكلمون، دليله قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:١٠٨] وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون: ما كنا مشركين، وما كنا نعمل من سوء، وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ [الملك: ١١] وفي موضع يتساءلون، وفي موضع يسألون الرجعة، وآخر تلك المواطن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم، وهو قوله: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾(٢)

---

(١) تفسير الطبري {٨/ ٣٧٣} والبغوي {١/ ٦٢٥}.

(٢) المرجع السابق {١/ ٦٢٦}.

صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ، وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا، فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلاً ليصلي بهم، فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) هكذا إلى آخر السورة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ الآية،(١) القراءة بضم السين، وقرئ بفتحها،(٢) وقرئ (سكرى) بغير ألف،(٣) وكانوا يجتنبون السكر بعد نزولها أوقات الصلاة، أو المراد بالسكر غلبة النوم عن الضحاك.(٤) نهوا عن الصلاة عند غلبة النوم،(٥) أو هو الحاقن،(٦) والصحيح الأول.(٧)

﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا﴾ نصب حال، يقال: رجل جنب وامرأة جنب، إذ هو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والمفرد والجمع، كالقرب والبعد،(٨) وقرئ بإسكان نونه.(٩)

وأصل الجنابة: البعد، ومنه قيل للغريب جنب، وسمي الجنب، لاجتنابه الصلاة، أو لمجانبته الناس وبعده عنهم حتى يغتسل. والفعل منه أجنب، ويقال: أيضا جنب بضم النون وكسرها.(١٠)

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾ أي إن كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل، إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيتيمم،(١) أو المراد من الصلاة موضع الصلاة،(٢) كقوله

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن أبي عبد الرحمن السلمي، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط {١٥٣} وللحديث شاهد عند أبي داوود {٣٦٧١} والترمذي {٣٠٢٦} والطبري {٨/ ٣٧٦}عن علي ﷺ. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٢) قراءة عيسى بن عمر، شواذ القراءات لابن خالويه {٢٦٩}.

(٣) بضم السين وسكون الكاف، للأعمش، وبفتح السين للنخعي، وهي شاذة. الدر المصون {٣/ ٦٨٨}.

(٤) تفسير البغوي {١/ ٦٢٦}.

(٥) ذكره الطبري عن الضحاك، {٨/ ٣٧٧}.

(٦) أي الذي يدافع البول. النهاية في غريب الحديث، مادة: حقن.

(٧) قال ابن العربي: وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن المراد بهذا السكر سكر الخمر، وأن ذلك إبان كانت الخمر حلالا، خلا الضحاك..اهـ أحكام القرآن {١/ ٥٥٣}.

(٨) الكشاف {١/ ٢٧٠}.

(٩) رواية المفضل عن عاصم، وهي شاذة البحر المحيط {٣/ ٣٤٧}.

(١٠) لسان العرب، مادة: جنب.

تعالى: ﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ﴾[الحج: ٤٠] أي: لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا مجتازين فيه للخروج منه، كنوم في المسجد فيجنب، أو تصيبه جنابة والماء في المسجد، أو يكون طريقه عليه، فيمر فيه ولا يقيم، عند ابن مسعود وابن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري.[٣]

وأباح بعضهم المرور فيه على الإطلاق، منهم الحسن ومالك والشافعي رحمهم الله.[٤]

ومنع بعضهم المرور فيه على الإطلاق، منهم فقهاء الكوفة،[٥] وقال بعضهم: يتيمم للعبور فيه، أما المكث فيه فلا يجوز عند أكثر أهل العلم لقوله [٢٥٨/ب] ﷺ: **((وجهوا هذه البيوت عن المسجد، فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب))**[٦] [وأحمد جوز المكث فيه][٧] وضُعف الحديث لأن راويه مجهول، وبه قال المزني.[٨] ولا يجوز للجنب الطواف ولا قراءة القرآن كالصلاة.

---

(١) قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ﷺ، تفسير البغوي {١/ ٦٢٧}.

(٢) ذكره الطبري ورجحه {٨/ ٣٨٥} أحكام القرآن للشافعي {١/ ١٠١}.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٣٥}.

(٤) مغني المحتاج {١/ ١٠٢} والمغني {١/ ١٦٦}.

(٥) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ١٦٨}.

(٦) أخرجه أبو داوود {٢٣٢} والبيهقي {٤١٢١} من طريق أفلت بن خليفة عن جسرة بنت دجاجة عن عائشة. وقال الزيلعي: حديث حسن، قال ابن القطان في كتابه: قال أبو محمد عبد الحق في حديث جسرة هذا: إنه لا يثبت من قبل إسناده ولم يبين ضعفه. ولست أقول إنه حديث صحيح، وإنما أقول: إنه حسن. ثم قال: وأما جسرة بنت دجاجة، فقال فيها الكوفي: تابعية، وقول البخاري في تاريخه الكبير: عندها عجائب. لا يكفي في إسقاط ما روت روى عنها أفلت.اهـ نصب الراية {١/ ١٩٤} وقال البيهقي: وهذا إن صح فمحمول في الجنب على المكث فيه دون العبور بدليل الكتاب. {١/ ٤٤٢}. راجع: التاريخ الكبير {٢/ ٧٦} تلخيص الحبير {١/ ١٤٠} نيل الأوطار {١/ ٢٨٧}.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري، تلميذ الشافعي، الإمام العلامة، ولد في السنة التي مات فيها الليث بن سعد، كان رأسا في الفقه، زاهدا عالما مناظرا غواصا على المعاني الدقيقة، اشتهر بمختصره في الفقه، صنف كتبا كثيرة، ت ٢٦٤هـ سير أعلام النبلاء {١٢/ ٤٩٢}.

كان في ابتداء الإسلام أن من جامع امرأته فأكسل لا يجب عليه الغسل، ثم نسخ بقوله ﷺ: **((إذا التقى الختانان، أو مس الختان الختان فقد وجب الغسل))**[١].

﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ جمع مريض، أي: مرض يضره مس الماء، كالجدري، وهذا من تخصيص الكتاب بالقياس، أو به جراحة يخاف من استعمال الماء التلف أو زيادة الألم، فيصلي بتيمم مع وجود الماء، يغسل الصحيح ويتيمم للجرح عند الشافعي للحديث،[٢] وعند فقهاء الكوفة، لا يجمع بين التيمم والغسل، بل إن كان أكثر أعضائه صحيحاً غسل الصحيح ولا يتيمم عليه، وإن كان الأكثر جريحا اقتصر على التيمم.[٣]

﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ قصر السفر أو طال، فإنه يتيمم عند عدم الماء ويصلي ولم يعد، فإن لم يكن الشخص مريضاً ولا في سفر، لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالباً، بأن كان في قرية انقطع ماؤها، فإنه يصلي بالتيمم ثم يعيد إذا قدر على الماء عند الشافعي،[٤] ومالك والأوزاعي لا يعيدان.[٥]

﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ أي: أحدث، كانت العرب عند قضاء الحاجة، تأتي المطمئن من الأرض، وهو الغائط فكني بالحدث عن الغائط وفيه ثلاث لغات: غائط وغيط وغوط.[٦]

﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ حمزة والكسائي (لمستم) هنا وفي المائدة، ومن بقي ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ واللمس والملامسة عند قوم الجماع، منهم ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة،[٧] وعند قوم: التقاء البشرتين بجماع كان أو بغير جماع، منهم ابن مسعود وابن عمر، والشعبي والنخعي.[٨]

---

(١) أخرجه مسلم {٣٤٩}.

(٢) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٦٥}.

(٣) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١١} بدائع الصنائع {١/ ١٧٧}.

(٤) مغني المحتاج {١/ ١٤٨}.

(٥) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٤٣}.

(٦) لسان العرب، مادة: غوط.

(٧) أخرجه الطبري عنهم {٨/ ٣٨٩} وما بعدها.

(٨) المرجع السابق {٨/ ٣٩٣} تفسير الماوردي {١/ ٤٩١}.

فإذا أفضى بشيء من بدنه إلى شيء من بدنها لا حائل بينهما انتقض الطهر عند الأوزاعي والزهري والشافعي،[١] وعند مالك وابن سعد وأحمد وإسحاق: إن كان اللمس بشهوة انتقض الطهور، وإن لم يكن فلا،[٢] وعند ابن عباس والحسن والثوري وأبي حنيفة لا ينتقض إلا إذا أحدث الانتشار،[٣] وعند الشافعي في لمس ذوات المحارم كالأم، قولان،[٤] وكذلك الأجنبية الصغيرة، وعنده أيضا في انتقاض الملموس قولان.[٥]

ولا تصح صلاة بحدث مالم يتوضأ إن وجد الماء، أو تيمم إن عدم الماء؛ لقوله ﷺ[٢٠٩/أ] **((لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ)).**[٦]

والحدث: هو خروج الخارج من الفرجين عيناً كان أو أثراً، وكذلك الغلبة على العقل بجنون أو إغماء، بأي حال كان، إلا النوم قاعدا.[٧] وقوم يوجبون الوضوء بالنوم بكل حال، منهم أبو هريرة وعائشة والحسن وإسحاق والمزني.[٨]

وعند قوم لا يجب الوضوء على من نام على هيئة من هيئات الصلاة حتى ينام مضطجعاً، منهم الثوري وابن المبارك وفقهاء الكوفة.[٩]

ومس الفرج من نفسه أو من غيره ينقض الوضوء، عند عمر وابنه وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة، وابن المسيب وسليمان ابن يسار، والأوزاعي والشافعي، وأحمد وإسحاق.[١٠]

---

(١) المحلى {١/ ٢٤٤-٢٤٥} والمغني {١/ ٢١٩} مغني المحتاج {١/ ٥٢}.

(٢) الاستذكار {١/ ٢٥٤} المغني {١/ ٢١٩} منتهى الإرادات {١/ ٧٢}.

(٣) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٩} المغني {١/ ٢١٩}.

(٤) مغني المحتاج {١/ ٥٢}.

(٥) المرجع السابق.

(٦) أخرجه البخاري {١٣٥} ومسلم {٢٢٥}.

(٧) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٤٣} وتفسير الخازن {٢/ ٨١}.

(٨) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٤٣}.

(٩) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٣٣٣} المغني {١/ ١٩٧}.

(١٠) مغني المحتاج {١/ ٥٤} والمغني {١/ ٢٠٢}.

والمرأة كالرجل في ذلك، فعند الشافعي اللمس معتبر ببطن الكف أو بطون الأصابع.[(١)]
لقوله ﷺ: **((إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ))**.[(٢)]
ولا يجب الوضوء بمس الذكر عند علي وابن مسعود وأبي الدرداء والحسن والثوري وابن المبارك وفقهاء الكوفة،[(٣)] لقوله ﷺ: **((هل هو إلا بضعة أو مضغة منه))**.[(٤)]
فمن أوجب الوضوء جعل هذا منسوخا بحديث أبي هريرة ﷺ الوضوء من مس الذكر. وأبو هريرة ﷺ متأخر الإسلام.

---

(١) مغني المحتاج {١/ ٥٤}.

(٢) أخرجه أبو داوود {١٨١} والترمذي {٨٣} والنسائي {١٦٣- ١٦٤- ٤٤٤} من حديث عروة بن الزبير ﷺ وللحديث شواهد كثيرة منها: ما أخرجه ابن ماجه {٤٨٠} من حديث ثوبان، وأعله البوصيري بالانقطاع، وحديث {٤٨١} من حديث أم حبيبة، وأعله البوصيري بجهالة عقبة بن عبد الرحمن. وحسنه الترمذي، ونقل عن البخاري قوله: حديث بسرة أصح شيء في هذا الباب. وقال أبو داوود: في سؤالاته لأحمد: قال أحمد: ليس بصحيح. قال الحافظ: بل هو صحيح. وصححه ابن معين والبيهقي. وقال الدارقطني: صحيح ثابت. اهـ التلخيص الحبير {١/ ١٢٢- ١٢٤} ونصب الراية {١/ ٥٦}.

(٣) بدائع الصنائع {١/ ١٣٢} والمغني {١/ ٢٠٢}.

(٤) أخرجه أبو داوود {١٨٢} والترمذي {٨٥} والنسائي {١٦٥} وابن ماجه {٤٨٣} قال ابن حبان: خبر طلق بن علي الذي ذكرناه خبر منسوخ؛ لأن طلق بن علي كان قدومه على النبي ﷺ أول سنة من سني الهجرة، حيث كان المسلمون يبنون مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وقد روى أبو هريرة ﷺ إيجاب الوضوء من مس الذكر على حسب ما ذكرناه قبل، وأبو هريرة ﷺ أسلم سنة سبع من الهجرة، فدل ذلك على أن خبر أبي هريرة ﷺ كان بعد خبر طلق بن علي بسبع سنين. اهـ وقال الحافظ في التلخيص: رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني، وصححه عمرو بن علي الفلاس، وقال: هو عندنا أثبت من حديث بسرة. وروى عن بن المديني أنه قال: هو عندنا أحسن من حديث بسرة، والطحاوي وقال: إسناده مستقيم غير مضطرب، بخلاف حديث بسرة. وصححه أيضا ابن حبان والطبراني وابن حزم، وضعفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي، وادعى فيه النسخ ابن حبان والطبراني وابن العربي والحازمي وآخرون... وقال: وقال البيهقي: يكفي في ترجيح حديث بسرة على حديث طلق: أن حديث طلق لم يخرجه الشيخان ولم يحتجا بأحد من رواته، وحديث بسرة قد احتجا بجميع رواته، إلا أنهما لم يخرجاه للاختلاف فيه على عروة وعلى هشام بن عروة.اهـ {١/ ١٢٥}.

وخروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة لا يوجب الوضوء، عند عبد الله بن عمر وابن عباس، والحسن وعطاء وطاووس وابن المسيب ومالك والشافعي.[(١)]

وأوجب الوضوء بالقيء والرعاف والفصد والحجامة الثوري وابن المبارك وفقهاء الكوفة وأحمد وإسحاق.[(٢)] واتفقوا على أن القليل منه غير موجب، وخروج الريح من غير السبيلين لا يوجب الوضوء.

التيمم من خصائص هذه الأمة، لقوله ﷺ: **((فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً)).**[(٣)]

وكان سبب التيمم حديث عائشة رضي الله عنها وتخلف الرسول ﷺ بالناس على غير ماء، بسبب العقد الذي كان لها فقدته فلم تجده فأصبحوا على غير ماء، فأنزل الله: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾.[(٤)]

أو أن رسول الله ﷺ أرسل ناساً من أصحابه في طلب قلادتها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فشكَوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله [٢٥٩/ب] تعالى هذه الآية.[(٥)]

أي: اقصدوا ﴿صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ أي: تراباً طاهراً نظيفاً.

ابن عباس: الصعيد هو التراب. وبه أخذ الشافعي وأنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق بالوجه واليدين منه غبار.[(٦)]

وعند فقهاء الكوفة: بكل ما صعد عن وجه الأرض كالزرنيخ والنورة، وكذا لو ضرب على صخرة لا غبار عليها فمسح بها وجهه ويديه أجزأه تيممه.[(٧)]

---

(١) مغني المحتاج {١/ ٤٩} والمغني {١/ ٢٤٧}.

(٢) بدائع الصنائع {١/ ١١٩} والمغني {١/ ٢٠٨}

(٣) أخرجه مسلم {٥٢٢}.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع {٣٣٤- ٣٦٧٢- ٤٦٠٧} ومسلم {٣٦٧} والمصنف اختصره جدا هنا.

(٥) أخرجه البخاري في مواضع {١٦٤- ٣٣٦- ٣٧٧٣} ومسلم {٣٦٧ح١٠٩}.

(٦) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٦٤} وتفسير الماوردي {١/ ٤٩١}.

(٧) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٢٩}.

وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض كالشجر والنبات.[١]

﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣﴾ مسح الوجه واليدين واجب في التيمم. فذهب جماعة إلى مسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين، ضربة لوجهه، وضربة ليديه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور.[٢]

قال ابن الصمة: أتيت رسول الله ﷺ وهو يبول، فسلمت عليه فلم يرد علي، حتى قام إلى جدار فحته بعصاً كانت معه، ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد عليّ.[٣]

فيه دليل على وجوب مسح اليدين إلى [المرفقين][٤] [كغسلهما في الوضوء، وفيه دليل على أن التيمم لا يصح مالم يعلق باليد غبار التراب، وفيه دليل على أن السلام لا يرد على قضاء الحاجة، والزهري يرى مسح اليدين إلى المنكبين][٥] وعند جماعة التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين، منهم علي والعباس والشعبي وعطاء ومكحول، والأوزاعي وأحمد وإسحاق.[٦]

والجنب إذا لم يجد الماء يصلي بالتيمم، وكذلك الحائض والنفساء إذا طهرتا وعدمتا الماء.

وعند عمر وابن مسعود أن الجنب لا يصلي بالتيمم، بل يؤخر الصلاة إلى أن يجد الماء فيغتسل، وروي أن ابن مسعود ﷺ رجع عن ذلك وجوز التيمم للجنب.[٧]

---

(١) تفسير الخازن {٢/ ٨٥}.

(٢) وهو قول الجمهور أبي حنيفة ومالك والشافعي والثوري والليث وابن أبي سلمة، أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٢٧} والقرطبي {٥/ ١٦٥} ومغني المحتاج {١/ ١٣٩- ١٤٠}.

(٣) أخرجه البغوي في التفسير بهذا اللفظ {١/ ٦٣٧} وورد نحوه عند البخاري {٣٣٧} ومسلم {٣٦٩} وفيه أن الذي سلم على النبي ﷺ، رجل آخر.

(٤) في الأصل: المنكبين، والمثبت من ب. وتفسير البغوي {١/ ٦٣٧}.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) المغني {١/ ٣٢١} وأحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٥٦} والصحيح أن المسح لليدين دون المرفقين؛ لأنه فعل النبي ﷺ. وانظر صحيح مسلم حديث {١١١}.

(٧) تفسير البغوي {١/ ٦٣٩}.

لما روي أن النبي ﷺ أمر رجلا كان جنباً أن يتيمم ثم يصلي فإذا وجد الماء اغتسل.[١]

ولا تجوز صلاتا فرض بتيمم واحد لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إلى أن قال: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾[المائدة:٦] يدل ظاهر الآية على وجوب التيمم أو الوضوء عند كل صلاة، إلا أن النبي ﷺ يوم فتح مكة صلى الصلوات بوضوء واحد،[٢] فقام دليل الوضوء بفعله ﷺ وبقي التيمم على ظاهره، عند ابن عباس وعلي وابن عمر والشعبي والنخعي وقتادة ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق.[٣]

وعند قوم هو كالوضوء، يجوز تقديمه على وقت الصلاة، ويجوز أن يصلي ما شاء من الفرائض [٢٦٠/أ] ما لم يحدث، منهم ابن المسيب والحسن والزهري والثوري وفقهاء الكوفة.[٤]

واتفقوا على جواز صلاة فريضة واحدة وما شاء معها من النوافل، قبلها وبعدها.

وعند الشافعي طلب الماء شرط،[٥] وعند أبي حنيفة: ليس بشرط.[٦]

كان رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم،[٧] إذا كلما رسول الله ﷺ لويا لسانهما وعاباه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾[٨] أي: يستبدلون الضلالة بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤﴾ أي: عن السبيل، قرئ: (تضَلوا) بفتح الضاد من ضللت بالكسر.[٩]

---

(١) إسناده ضعيف، فيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، كذبه المديني ويحيى بن سعيد وابن معين، قال عنه الإمام أحمد: قدري جهمي، كل بلاء فيه، ترك الناس حديثه. وعن البخاري: كان يرى القدر، وكان جهميا. انظر: ميزان الاعتدال {١/ ٥٧}.

(٢) أخرجه مسلم {٢٧٧}.

(٣) مغني المحتاج {١/ ١٤٥} المغني {١/٢٩٩} أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٥٢}.

(٤) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٣٧}.

(٥) مغني المحتاج {١/ ١٢٥}.

(٦) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٥}.

(٧) وهما من اليهود.

(٨) قاله ابن عباس ﵄، تفسير الطبري {٨/ ٤٢٦} والبغوي {١١/ ٦٤٠}.

(٩) إعراب القراءات الشواذ {١/ ٣٩١} وهي شاذة.

﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡ ﴾ أي: منكم، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾ و﴿ وَلِيّٗا ﴾ و ﴿ نَصِيرٗا ﴾ نصب تمييز من ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ هي متصلة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [1] أو مستأنفة ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ من ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ أي يغيرون صفة محمد ﷺ، أو تغييرهم الرجم بوضع الحد بدله، وقال هنا: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ لأنهم أزالوه عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله تعالى وضعه فيها، وفي المائدة: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [آية:٤١] أي: قد كانت له مواضع، حقيق بأن يكون فيها، فحين حرفوه كأنهم تركوه غريبا لا موضع له بعد ما كان له مواضع، وقرئ (يحرفون الكلام)[2]

ابن عباس: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيسألونه عن الأمر، فيخبرهم، فيرى أنهم يأخذون بقوله، فإذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه.[3]

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴾ أي سمعنا قولك وعصينا أمرك، ﴿ وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ ﴾ أي: غير مقبول، أو كانوا يقولون له: اسمع ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، أو اسمع منا ولا نسمع منك، ﴿ وَرَٰعِنَا ﴾ أي: ينسبونه ﷺ إلى الرعونة، [٢٦٠/ب] أو راعنا نكلمك، أي ارقبنا، أو هي كلمة بغير العربية بمعنى السب ﴿ لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ ﴾ أي: تحريفاً ﴿ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِ ﴾ أي: قدحاً في الدين؛ لأن قوله: راعنا من المراعاة، وهم يحرفونه ويريدون به الرعونة ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا ﴾ أي: انظر إلينا وكان قولهم راعنا، أو انتظرنا ﴿ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ ﴾ أي: أصوب من السب والتغيير، ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ أي: عبد الله بن سلام ومن أسلم معه، أو كان الحسن يقول: والله لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا، أو كان يقول: لو ذلك القليل لله لكان كثيرا.[4]

---

(١) معاني القرآن للنحاس {١/ ٢١٥}.

(٢) للنخعي وأبي رجاء، وهي شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٣٩١} البحر المحيط {٣/ ٣٧٢}.

(٣) تفسير البغوي {١/ ١/ ٦٤١}.

(٤) المرجع السابق{١/ ٧١٥}.

قال رسول الله ﷺ لكعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا ولجماعة من اليهود: ((**أسلموا واتقوا الله، فو الله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به حق**)) قالوا: ما نعرف ذلك، وأصروا، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا ﴾[١] أي: القرآن، ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾ أي: التوراة، ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا ﴾ أي: نجعلها كخف البعير،[٢] أو نُعميها،[٣] والمراد بالوجوه العيون، ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ أي: نطمس الوجوه فنردها إلى الغفل، أو نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة،[٤] أو نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب فنجعلها كالأقفاء.[٥]

روي: أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمع هذه الآية جاء إلى رسول الله ﷺ قبل أن يأتي أهله، ويده على وجهه، وأسلم وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي.[٦] وكذلك كعب الأحبار أسلم لما سمع هذه الآية في زمن عمر رضي الله عنه.[٧]

وعدهم بالطمس إن لم يؤمنوا، أو لم يقع ذلك لأنه يكون طمس ومسخ في اليهود [قبل قيام الساعة][٨] أو كان وعيد بشرط، فلما أسلم ابن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقين، أو المراد في القيامة، أو المراد يتركهم في الضلالة،[٩] فعلى هذا المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة.

والطمس أصله: المحو والإفساد والتحويل، وكذلك طسم بمعناه، وقرئ (نطمس) بضم الميم.[١٠]

---

(١) أصل الحديث في صحيح البخاري من دون ذكر الآية مطولا {٣٩١١} والأثر أخرجه الطبري {٩٧٢٤} من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهي طريق ضعيفة كما تقدم.

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير البغوي {١/ ٦٤١}.

(٣) قاله قتادة والضحاك، المرجع السابق.

(٤) قال الفراء، معاني القرآن للفراء {١/ ٢٧٢}.

(٥) قاله ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن {١٢٨}.

(٦) تفسير البغوي {١/ ٦٤٢}.

(٧) أخرجه الطبري {٩٧٢٥}.

(٨) مطموس في الأصل والتصحيح من (ب).

(٩) قاله مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٦٤٢}.

(١٠) قراءة أبي رجاء، وهي شاذة. البحر المحيط {٣/ ٣٧٧}.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ أي: نجعلهم قردة وخنازير ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٤٧﴾﴾

الكلبي: لما قَتل وحشي[1] حمزة ندم على صنيعه؛ لأنه قيل له: إن قتلته نعتقك، فلم يُوفَ له، فكتب هو وأصحابه إلى رسول الله ﷺ: إنا قد ندمنا على الذي صنعناه وإنه ليس يمنعنا عن الإسلام[٢٦١/ب] إلا أنا سمعناك تقول بمكة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨] الآيات، وقد دعونا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا، فنزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحًا﴾ [الفرقان:٧٠] الآيتين، فبعث بهما ﷺ، فكتبوا الجواب: إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملاً صالحاً، فنزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فبعث بها إليهم، فبعثوا: إنا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته فنزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣] فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام، ورجعوا إلى النبي ﷺ فتقبل منهم، ثم قال لوحشي: **((أخبرني كيف قتلت حمزة؟))** فلما أخبره قال: **((ويحك غيب وجهك عني))** فلحق وحشي بالشام وبقي بها إلى أن مات.[2]

أو لما نزلت: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾[الزمر:٥٣] الآية، قام رجل فقال: والشرك يا رسول الله، فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثاً، فنزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآية،[3] أو كان إذا مات الرجل على كبيرة على عهد رسول الله ﷺ شُهد أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية، فأمسكنا عن الشهادات.[4]

عن علي: أنها أرجى آية في القرآن.[5] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

قال ﷺ: **((من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار))**.[6]

---

(١) وحشي بن حرب الحبشي، كان مولى طعيمة بن عدي، وقيل: مولى أخيه، قتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد، قدم على النبي ﷺ مع وفد أهل الطائف، وهو قاتل مسيلمة الكذاب. عاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه. الإصابة {٦/ ٦٠١}.

(٢) أورده البغوي بسنده عنه {١/ ٦٤٢}.

(٣) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع {٨/ ٤٤٩- ٤٥٠} وإسناده ضعيف لجهالة شيخ الطبري، حيث قال: حدثت، وضعف أبي جعفر الرازي، فهو صدوق سيء الحفظ التقريب {١١٢٦} وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري.

(٤) مروي عن ابن عمر رضي الله عنه من طرق، وإسناده جيد، مجمع الزوائد {١٧٤٨٣- ١٧٦٠١}.

(٥) تفسير البغوي {١/ ٦٤٣}.

(٦) أخرجه مسلم {٩٣}.

وقال أيضا ﷺ: ((**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**)) قال أبو ذر: قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال ((**وإن زنى وإن سرق**)) قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: ((**وإن زنى وإن سرق**)) قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: ((**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**)) وكان أبو ذر إذا حدث [بها][1] قال: وإن رغم أنف أبي ذر.[2]

جاء بحري بن عمرو والنعمان بن أوفى ومرحب بن زيد[3] بجماعتهم من اليهود بأطفالهم، فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: ((**لا**)) قالوا: ما نحن إلا مثلهم، ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل، وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ الآية.[4] أو كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم فتلك التزكية.[5]

أو نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة:١١١] [6] أو هو تزكية بعضهم لبعض،[7] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يطهر[٢٦١/ب] ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ وهو اسم لما في شق النواة، أو هو ما يفتل بين الأصبعين من الوسخ،[8] فيه إشارة إلى أنهم لا يظلمون شيئا ما؛ إذ قد ذكر أخس الأشياء.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ انظر يا محمد، كيف يختلقون على الله الكذب في تغييرهم كتابه، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ۝٥٠﴾ أي: الكذب.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ الجبت والطاغوت صنمان كانا يعبدان، أو كل معبود غير الله تعالى، أو الجبت السحر والطاغوت الشيطان، أو الجبت

---

(١) في (ب) بهذا

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع {٢٣٨٨-٣٢٢٢-٥٨٢٧} ومسلم {٩٤ح١٥٤-٣٣}.

(٣) وهؤلاء من اليهود.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول مرسلا عن الكلبي بلا إسناد {١٥٥}.

(٥) قاله مجاهد وعكرمة تفسير الطبري {٨/ ٤٥٤}.

(٦) قاله الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل، المرجع السابق {٨/ ٤٥٢} وتفسير البغوي {١/ ٦٤٤}.

(٧) قول عبد الله بن مسعود ﷺ، تفسير الطبري {٨/ ٤٥٥}.

(٨) القاموس، مادة: فتله.

الأوثان، والطاغوت: شياطين، أو الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر، أو بالعكس بلسان الحبشة، أو الجبت: حيي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف،أو الجبت كل ما حرم الله تعالى، والطاغوت كل ما يطغي الإنسان.(١)

خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب وإن محمدا صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم، فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعل ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ثم قال كعب: ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد ربنا على قتال محمد، ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: أينا أهدى طريقا، نحن أم محمد ؟ فقال له: اعرضوا علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر الكوماء للحجيج ونسقيهم الماء ونقري الضيف، ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم، وديننا القديم ودينه الحديث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾(٢) أي: كعباً وأصحابه ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: الصنمين ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبي سفيان وأصحابه ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝﴾ أي: محمدا ﷺ وأصحابه ﷺ.

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ عند أبي حاتم(٣) ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝﴾

﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ أي: ألهم؟ والميم زائدة ﴿نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ إنكار، أي: ليس لهم من الملك شيء، ولو كان لهم من الملك شيء ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝﴾ هو النقرة تكون في ظهر النواة [٢٦٢/أ] ومنها تنبت النخلة، أو هو نقر الشيء بطرف الأصبع كما ينقر الدرهم.(٤)

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري {٨/ ٤٦١-٤٦٥} البغوي {١/ ٦٤٥} وزاد المسير {٢/ ١٠٧}.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد، وذكره بنحوه عن عكرمة {١٥٦} وكذا الطبري عن ابن عباس ﷺ وعن السدي {٨/ ٤٦٦-٤٦٨}.

(٣) أي: الوقف حسن عند أبي حاتم السجستاني، من علماء الوقف. وتقدم ص {٨٧}

(٤) تفسير الماوردي {١/ ٤٩٦} والقاموس مادة: نقر.

﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: اليهود، يحسدون العرب على ما أكرمهم الله تعالى،[١] أو المراد بالناس رسول ﷺ وحده حسدوه على ما أحل الله تعالى له من النساء، وقالوا: ما له هم إلا النكاح،[٢] أو حسدوه على النبوة وهي قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ وآل إبراهيم: داود وسليمان، والكتاب: ما أنزل عليهما، والحكمة النبوة ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ فمن فسر الفضل بكثرة النساء، فالملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام كثرة النساء أيضا، كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سُرية، وكان لداود مائه امرأة، ولم يكن لرسول الله ﷺ يومئذ إلا تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا، ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ أي: محمد ﷺ، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ والهاء في قوله ﴿ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ و ﴿ صَدَّ عَنۡهُ ﴾ راجعة إلى إبراهيم عليه السلام؛ لأن إبراهيم زرع سنة وزرع الناس، فهلك زرع الناس إلا زرع إبراهيم عليه السلام، فكان يقول: من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه، ومن لم يؤمن به منعه.[٣]

أو هو خبر عن هؤلاء الحاسدين في معنى الاستقبال، أي: فمنهم من يؤمن به، ومنهم من يكفر.

أو فمنهم من آمن به في علم الله تعالى، ومنهم من كفر، فآمن ابن سلام وأصحابه، وكفر كعب وأصحابه، وقرئ: (صُد) بضم الصاد، أي: صرف.[٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا ﴾ وقرئ: (نَصليهم) بفتح النون،[٥] أي: نشويهم. ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾ أي كلما احترقت جلودهم أو لم يرد بالنضج الاحتراق. ابن عباس: يبدلون جلوداً بيضاء كأمثال القراطيس،[٦] أو تبدل في ساعة مائة مرة.[٧]

---

(١) قال قتادة، تفسير البغوي {١/ ٦٤٦}.

(٢) قاله ابن عباس والحسن ومجاهد، المرجع السابق.

(٣) أخرجه الثعلبي {٣/ ٣٢٩} وفي إسناده: أبو حمزة الثمالي ضعيف رافضي. التقريب {١٨٥}

(٤) قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وعكرمة وابن يعمر والجحدري، البحر المحيط {٣/ ٣٨٩} وهي شاذة.

(٥) قراءة حميد، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٣٩٢} المحتسب {١/ ١٩١} وهي شاذة.

(٦) قاله ابن عباس رضي الله عنه، تفسير البغوي {١/ ٦٤٧}.

(٧) قول معاذ بن جبل رضي الله عنه، ذكره ابن كثير في التفسير وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه {٢/ ٣٠٥} وفي إسناده نافع بن هرمز مولى يوسف السلمي، ضعفه أحمد وجماعة، وكذبه ابن معين، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث. ميزان الاعتدال {٤/ ٢٤٣} وانظر تخريج الأحاديث والآثار {١/ ٣٨٢}.

الحسن: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا.[١]

قال ﷺ: **((ضرس الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث)).**[٢]

وقوله تعالى: ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قالوا: لم يرد أن الجلود غير تلك الجلود، إذ تعذيب جلد لم يعص غير جائز، وإنما يريد تغير صفاتها، كقولك: صنعت من خاتمي خاتماً غيره، فالخاتم الثاني هو[٢٦٢/ب] الأول إلا أن الصياغة والصفة تبدلت، وكذا من ترك امرءاً صحيحاً، ثم بعد رآه مريضاً دنفاً فيقول: أنا غير الذي عهدت، وهو عين الأول، أو يبدل جلد آخر من لحم الكافر، ثم يعاد الجلد لحماً، ثم يخرج من لحمه جلد آخر،[٣] أو يعذب الشخص في الجلد لا الجلد، دليله قوله تعالى: ﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ ولم يقل: لتذوق، أو إن الله تعالى يلبس أهل النار جلوداً لا تألم، فتكون زيادة [عقاب][٤] أو كلما احترق جلد بدلهم جلداً غيره، كقوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وهي لا تألم.[٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا ﴾ أي: شديد النقمة ممن عصاه ﴿ حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ أي: حكيم بدوام العذاب على الأعداء كما حكم بدوام النعيم للأولياء.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى ﴾ هذه سين الوعد، كما كانت السين في قوله تعالى: ﴿ سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ للوعيد ﴿ مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ أي: من الحيض، ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

كان عثمان بن طلحة الحجبي،[٦] سادن البيت، فلما دخل النبي ﷺ مكة عام الفتح طلب المفتاح وكان عثمان قد أغلق الباب وصعد السطح، فقيل: هو مع عثمان، وأبى أن يعطيهم، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى علي رضي الله عنه يده وأخذ المفتاح قسرا، فدخل ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، ثم

---

(١) تفسير البغوي {١/ ٦٤٧}.

(٢) أخرجه مسلم {٢٨٥١}.

(٣) قاله السدي، تفسير البغوي {١/ ٦٤٨}.

(٤) مطموس في الأصل والتصحيح من (ب).

(٥) قول عبد العزيز بن يحيى، المرجع السابق.

(٦) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، حاجب البيت الحرام وأحد المهاجرين، أسلم عام الحديبية، هاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص إلى المدينة. ت ٤٢هـ انظر: الإصابة {٤/ ٤٥٠}.

خرج، فسأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ فأمر رسول الله ﷺ برد المفتاح إلى عثمان والاعتذار إليه، فقال عثمان: أشهد أن محمداً رسول الله، فلما مات عثمان دفعه إلى أخيه شيبة،[1] فهو في ولده إلى الآن، فالسدانة والسقاية في أولادهما إلى اليوم.[2]

وهذا عام في كل ما يؤتمن عليه من حق الله أو للآدميين من وديعة أو أمانة أو سرٍّ يُكتم وهذه السورة مدنية والقصة مكية.

قال أنس ﷺ: قلما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: **((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))**.[3]

﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾[4] أي: نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾

---

(١) شيبة بن عثمان وهو الأوقص القرشي العبدري، أسلم يوم الفتح، وكان ممن ثبت يوم حنين بعد أن أراد اغتيال النبي ﷺ فوضع النبي ﷺ يده على صدره فثبت الإيمان في قلبه، ت٥٩هـ انظر: الإصابة {٣/ ٣٧٠}.

(٢) قال ابن حجر: كذا أورده الثعلبي بغير سند جازما به، وتلقاه عنه غير واحد، منهم الواحدي، وفيه زيادات منكرة، منها: أن المحفوظ أن إسلام عثمان بن طلحة كان قبل الفتح بمدة، ومنها: أنه أغلق الباب وصعد السطح، والمعروف في كتب السير أن المفتاح كان عند أمه، وأن النبي ﷺ لما طلب منه المفتاح امتنعت أمه من دفعه فدار بينهما في ذلك كلام كثير، ثم كيف يلتئم قوله: لوى يده مع كونه فوق السطح. اهـ العجاب {٢/ ٨٩٣- ٨٩٤} وما زالت السدانة فيهم إلى اليوم، ومفتاح الكعبة بأيديهم لا يفتحها غيرهم، وقد قال ﷺ: **((خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم))** أي: حجابة الكعبة.

(٣) أخرجه أحمد {١٢٤٠٦- ١٢٥٨٩- ١٣٢٢٢} وابن حبان {١٩٤} وعزاه الهيثمي في المجمع {٣٤١} للبزار والطبراني في الأوسط، وقال: فيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره.اهـ وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على المسند. وللحديث شواهد. انظر: مشكاة المصابيح {١/ ٨}.

(٤) نهاية اللوحة [٢٦٣/ أ] عند قوله تعالى: (نعما)

قال ﷺ: **((إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر)).**[(١)]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ واحدهم ذو على غير قياس كالنساء، وهم الفقهاء والعلماء الذي يعلمون الناس معالم دينهم،[(٢)] لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: ٨٣] أو هم الولاة والأمراء.[(٣)]

قال علي ﷺ: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يطيعوه ويسمعوا.[(٤)]

قال ﷺ: **((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)).**[(٥)]

وقال ﷺ **((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)).**[(٦)]

عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.[(٧)]

ابن عباس ﷺ: أن قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ أنها نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.[(٨)]

---

(١) أخرجه أحمد {١١١٩٠- ١١٥٤٢} والترمذي {١٣٤٤} وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.اهـ وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

(٢) قول ابن عباس وجابر والحسن والضحاك ومجاهد ﷺ، تفسير البغوي {١/ ٦٥٠}.

(٣) قول أبي هريرة ﷺ، المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) أخرجه البخاري {٢٩٥٧- ٧١٣٧} ومسلم {١٨٣٥}.

(٦) أخرجه البخاري {٢٩٥٥- ٧١٤٤} ومسلم {١٨٣٩}.

(٧) أخرجه البخاري في مواضع {٧٠٥٥- ٧٠٥٦- ٧١٩٩} ومسلم {١٨٤٠}.

(٨) أخرجه البخاري {٤٥٤٨} ومسلم {١٨٣٤}.

أو المراد بأولي الأمر أبو بكر وعمر،[١] أو هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان،[٢] أو إن عمارا كان مع خالد في سرية فأجار رجل بعيرا من خالد، فلما قدما رفعاه إلى النبي ﷺ فأمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر.[٣]

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من النزع، كأن المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان،[٤] ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: كتاب الله ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: مادام حياً، وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد، أو الرد إلى الله والرسول أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، وهذه الآية من أوضح دليل على وجوب الاجتهاد [٢٦٣/ب] إذ كل واحد من المتنازعين تعاطى خلاف رأي صاحبه، ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: الرد إلى الله والرسول، ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ أي: مآلاً.

كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، لعلمه أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فاتفقا على إتيان كاهن في بني جهينة فيتحاكما إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾[٥] وكانت الطواغيت واحد في جهينة وواحد في أسلم، وفي كل حي أحد كهان.

---

(١) قاله عكرمة، تفسير البغوي {١/ ٦٥٢}.

(٢) قاله عطاء، المرجع السابق {١/ ٦٥٣} والذي يظهر من أدلة الكتاب والسنة، أن ولاة الأمر هم العلماء والأمراء، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، داخلان في ذلك من باب أولى، والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي مرسلا {٨/ ٤٩٨} وابن مردويه والواحدي في أسباب النزول من طريق الحكم بن ظُهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما {١٥٩} والحكم وأبو صالح وهو باذان ضعيفان، التقريب {١٦٣- ٢٦٢} والمصنف اختصر القصة فصار كلامه غير واضح، وهي أن خالداً أغار على قوم فلم يجد أحدًا غير رجل فأخذه، وكان قد أسلم وأخذ أمانا من عمار، فسمع عمار الخبر، فأتى خالدًا، فقال: خلِّ عن الرجل، فإنه قد أسلم، وهو في أمان. فقال خالد: وفيم أنت تجير؟

(٤) الصحاح، مادة: نزع.

(٥) ذكره الطبري عن الشعبي مرسلا {٥٠٨} والواحدي في أسباب النزول {١٦١}.

قال: المنافق: ننطلق إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت، فأبى اليهودي إلا الإتيان إلى رسول الله ﷺ، فأتيا رسول الله ﷺ فقضى لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق، وقال: انطلق بنا إلى عمر ﷺ، فقال اليهودي لعمر: اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه، وزعم أنه خاصم إليك، فقال عمر ﷺ للمنافق: أكذلك ؟ قال: نعم، قال لهما رويدكما حتى أخرج إليكما، فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه، ثم خرج فضرب المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ، فنزلت هذه الآية، فقال جبريل: إن عمر ﷺ فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق.[1]

ثم أمر الله تعالى بالكفر بالطاغوت بقوله: ﴿ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝ ﴾ هذه أيضا في معنى المنافق واليهودي والمحاكمة.

﴿ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي: كيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم، أي: عقوبة صدودهم، أو هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة.[2]

ثم أخبر تعالى عن فعلهم، فقال: ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ ﴾ [٢٦٤/أ] أي: يجيئونك ويحلفون لك، أو المراد بالمصيبة قتل عمرُ ﷺ المنافقَ، ثم جاؤوا يطلبون ديته، ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ ﴾ أي: ما أردنا المحاكمة إلى عمرﷺ،﴿ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ۝ ﴾ أي: إحساناً في القول، وصواباً، أو حقاً وعدلاً، كقوله تعالى: ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[التوبة:١٠٧] أو هو إحسان بعضهم إلى بعض، أو التوفيق: موافقة الحق، أو: التأليف والجمع بين الخصمين،[3] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: علم ما في قلوبهم من النفاق، وهو خلاف قولهم ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ أي: عن عقوبتهم، أو عن قبول عذرهم ﴿ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول من طريق الكلبي عن ابن عباس ﷺ {١٦٢} وانظر: الدر المنثور {٤/ ٥١٩}.

(٢) انظر: تفسير الخازن {٢/ ١٠٥}.

(٣) تفسير البغوي {١/ ٦٥٦}.

﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝﴾ أي: خوفهم الله، أو توعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، أو القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم،أو فأعرض عنهم وعظهم في الملأ وقل لهم قولاً بليغاً في الخلاء،[1] و هذا منسوخ بآية القتال، والبليغ الذي يدرك بلسانه كنه ما في قلبه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إنَّ طاعته وجبت بأمر الله؛ لأن الله تعالى قد أذن فيه وأمر به، وزعم بعضهم أن قوله: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ كلام تام، ثم يبتدئ، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإذن الله يكون وقوع طاعته، ومعنى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلمه وقضائه، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝﴾

روي أن الزبير: خاصم رجلاً من الأنصار، اسمه حاطب بن أبي بلتعة،[2] شهد بدراً في شراج[3] من الحرة وكانا يسقيان به كلاهما، فقال ﷺ: ((**اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك**)) فقال الأنصاري: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: ((**اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر**)) فاستوعى حينئذ حق الزبير، وكان قبل ذلك قد أشار على الزبير برأي سعة، فنزلت: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[4] أو نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر.[5]

قوله تعالى: ﴿فَلَا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف ﴿وَرَبِّكَ﴾ قسما، أي: لا [٢٦٤/ب] يؤمنون حتى يحكموك: أي تكون حكماً، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلط أو

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو اللخمي، فيه نزلت أول سورة الممتحنة، وكان حليفا للزبير، بعثه رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، ت ٣٠هـ انظر: الإصابة {٢/ ٤}.

(٣) الشِّرَاج جمعُ شرج، والشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. النهاية في غريب الحديث مادة: شرج.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع {٢٣٦١- ٢٧٠٨} ومسلم {٢٣٥٧}.

(٥) تقدم ذكره قريبا في الصفحة السابقة.

تكون ﴿ لَا ﴾ زائدة، كقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ [الواقعة: ٥٦] ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا ﴾ أي: شكاً،[١] أو ضيقاً، أو إثماً، أي: يأثمون بإنكارهم[٢] ﴿ مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: أوجبنا وفرضنا، كما أمرنا بني إسرائيل ﴿ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ أي: كأمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر ﴿ مَّا فَعَلُوهُ ﴾ الهاء عائدة على القتل والخروج، أي: ما أمرتم إلا بالرضا بحكم الرسول وبطاعته، والمعنى: لو كتب عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله ﴿ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ نزلت في ثابت بن قيس بن شماس؛ لأنه كان قد سمع يهوديا يقول للمقداد: قاتل الله هؤلاء، يزعمون أنه نبي ويتهمونه في الحكم بينهم، والله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى عليه السلام، فدعانا إلى التوبة منه وقال: اقتلوا أنفسكم، فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا، وقال اليهودي ذلك لما رأى الأنصاري قد تسخط بحكم رسول الله ﷺ، فقال ابن شماس عند ذلك: والله لو أمرني محمد ﷺ أن أقتل نفسي لفعلت.[٣]

أو لما نزلت هذه الآية، قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل: والله لو أمرنا بذلك لفعلنا، فالحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **((إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي))**[٤]

ابن عامر (إلا قليلا) بالنصب نعت لمصدر محذوف، تقديره إلا إيمانا قليلا، أو استثناء، يحمل النفي على الإيجاب ومن بقي بالرفع،[٥] بدل من الضمير في ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ أي: من طاعة الرسول والرضى بحكمه ﴿ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: تحقيقاً لإيمانهم ﴿ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

---

(١) قاله مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٦٥٨}.

(٢) قاله الضحاك، المرجع السابق.

(٣) ذكره الثعلبي عن الصالحي بلا إسناد، وهو مجهول {٣/ ٣٤٠} ونقله عنه ابن حجر في الفتح وقال: وفي صحة هذا نظر. {٥/ ٤٥} وفي حديث الصحيحين المتقدم غنية عن هذا الأثر الضعيف. والحمد لله.

(٤) ذكره الثعلبي عن الحسن ومقاتل بلا إسناد {٣/ ٣٤١} وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر وابن أبي حاتم {٤/ ٥٢٨- ٥٢٩} وأخرجه بنحوه الطبري عن أبي إسحاق السبيعي {٨/ ٥٢٦}

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٥٠} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٥}.

كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ، شديد الحب لرسول الله ﷺ، فجاءه يوما وقد تغير لونه، يعرف في وجهه أثر الحزن، فقال له ﷺ: **((ما غير لونك؟))** فقال: ما بي مرض ولا وجع، غير أني [٢٦٥/أ] إذا لم أرك استوحش وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك، لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الآية.[١]

أو أن جماعة قالوا يا رسول الله: كيف يكون الحال في الجنة، وأنت في الدرجات العليا ونحن أسفل منك؟ فكيف نراك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٢]

أو أن بدويا أتى النبي ﷺ وهو يقول: متى الساعة؟ فقال: **((ما أعددت لها؟))** قال: ما أعددت لها كثير صيام ولا صلاة، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: ﷺ: **((المرء مع من أحب))**[٣]

ومعنى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: لا تفوتهم مجالسة الأنبياء ورؤيتهم، لا أنهم يرفعون إلى رتبة الأنبياء، والصديق البالغ في الصدق، والشهداء قيل: هم شهداء أحد، أو الذين استشهدوا في سبيل الله، أو النبيون هنا: محمد ﷺ، والصديقون أبو بكر، والشهداء علي وعثمان وعمر، والصالحون سائر الصحابة ﷺ[٤] ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ أي: رفقاء، والواحد قد يوضع موضع الجمع، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الحج: ٥] أي: أطفالاً.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ أي: ثواب الآخرة، وفيه إشارة أنهم إنما نالوا تلك الدرجة بفضل الله لا بطاعتهم.

قال ﷺ: **((سددوا وقاربوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله))** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته))**.[٥]

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي بلا إسناد{١٦٥} وذكر ابن كثير في تفسيره {٢/ ٣٢١} بسنده نحوه، من حديث عائشة رضي الله عنها، وليس فيه ذكر ثوبان، ونقل عن الحافظ المقدسي قوله: لا أرى بإسناده بأسا.

(٢) قاله قتادة، تفسير البغوي {١/ ٦٥٩}.

(٣) أخرجه البخاري في مواضع {٦١٦٧- ٦١٦٨- ٦١٧٠} ومسلم {٢٦٣٩- ٢٦٤٠- ٢٦٤١}.

(٤) قاله عكرمة، تفسير البغوي {١/ ٦٥٩}.

(٥) أخرجه البخاري {٥٦٧٣- ٦٤٦٣} ومسلم {٢٨١٦- ٢٨١٧}.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ لا يغني حذر من قدر، غير أن الاستسلام للهلكة معصية، وقد أمرنا بالأخذ بالحذر وأن نعقل ونتوكل، وكان ﷺ ينصرف من الحائط إذا مال.

﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ ﴾ واحدتها ثُبَة، أي: سرايا متفرقين سرية بعد سرية،[1] ﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾ أي: مجتمعين كلكم مع النبي ﷺ، أو هذا تخيير ولذلك قيل: فرض الجهاد على الكفاية كفرض الجماعة.

﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾[2] أي: ليتأخرن، أو ليتثاقلن عن الجهاد، وهو عبد الله بن أبي المنافق،[3] والتبطئة: التأخر، يقال: ما بطأك؟ أي: ما أخرك؟ ويقال أيضا: أبطأ إبطاءً وبطأ يبطئ تبطئة،[4] واللام في ﴿ لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ للقسم، وقال ﴿ مِنكُمۡ ﴾ وإن كان نزولها في المنافقين؛ لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار الإسلام، لا في حقيقة الإيمان، وقرئ: (لَيُبْطِئِن) خفيفة من أبطأ إذا احتبس بنفسه.[5]

﴿ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾ أي: هزيمة وقتل، ﴿ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ ﴾ أي: حاضراً، ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: فتح وغنيمة، ﴿ لَيَقُولَنَّ ﴾ أي: هذا المنافق، ﴿ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ ﴾ هذا متصل بقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ ﴾ ﴿ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ ﴾ أي: معرفة.

ابن كثير وحفص ﴿ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ ﴾ بالتاء المعجمة، الأعلى ومن بقي بالياء،[6] ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣ ﴾ ﴿ فَأَفُوزَ ﴾ نصب جواب التمني بالفاء، أي: آخذ حظاً وافراً من الغنيمة.

﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ نزلت في المنافقين، أي: يشترون، ومعناه: يختارون الدنيا على الآخرة، ومعناه: آمنوا أيها المنافقون ثم قاتلوا، أو نزلت في المؤمنين المخلصين،[7] أي: فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون، أي: يبيعون الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة،

---

(١) لسان العرب، مادة: ثوب.

(٢) نهاية اللوحة [٢٦٥/ ب] عند قوله (منكم).

(٣) قول مقاتل بن حيان، أخرجه السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم {٤/ ٥٣٥}.

(٤) لسان العرب، مادة: بطأ.

(٥) قراءة مجاهد وهي شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٣٩٥} البحر المحيط {٣/ ٤١٤}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٥٠} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٦}.

(٧) ذكره البغوي بلا إسناد، {١/ ٦٦٢}.

ومعنى البيع الاستبدال والاختيار ﴿ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ ﴾ أي: يستشهد أو يظفر ﴿ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ ﴾ يدغم أبو عمرو وخلاد والكسائي الباء في الفاء حيث حل، وخيَّر خلاد في ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [الحجرات: ١١] ومن بقي بالإظهار.[١]

قال ﷺ: **((مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله تعالى إلى أهله بما يرجعه من غنيمة وأجر، أو يتوفاه الله فيدخله الجنة)).**[٢]

﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعاتبهم على ترك الجهاد[٢٦٦/أ] ﴿ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ ﴾ أي: عن المستضعفين، أو في تخليص المستضعفين من أيدي المشركين ﴿ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ كان بمكة جماعة من الرجال والنساء والولدان يلقون من المشركين أذى كثيراً، أو هم الذين يقولون داعين: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا ﴾ يعني: مكة، أي: المشركوا أهلها وخفض ﴿ ٱلظَّالِمِ ﴾ نعت للقرية، كما يقال مررت برجل حسنةٍ عينُه، ﴿ وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴾ أي: من يلي أمرنا، ﴿ وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ﴾ أي: ناصرا يمنع العدو عنا، فلما فتح الله تعالى مكة، ولى عليهم عتاب بن أسيد[٣] وجعله ينصف المظلومين من الظالمين؛ إجابة لدعائهم، فجعل محمدا ﷺ وليهم وعتابا ناصرهم.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ أي: في طاعة الشيطان، ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ ﴾ أي: حزبه وجنوده، ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ أي: مَكرَه،كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن تأخذه فهرب وخذلهم.

كان عبد الرحمن بن عوف الزهري، والمقداد بن الأسود الكندي،[٤] وقدامة بن مظعون،[١] وسعد بن أبي وقاص، وجماعة، يلقون من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل أن يهاجروا، ويقولون: يا

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٨} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ١٣٦}.

(٢) أخرجه البخاري {٢٧٨٧} ومسلم {١٨٧٨}.

(٣) عتاب بن أسيد الأموي، أسلم يوم الفتح واستعمله النبي ﷺ على مكة، وأقره أبو بكر ﷺ على مكة، كان صالحا فاضلا. مات في آخر خلافة عمر ﷺ. انظر: الإصابة {٤/ ٤٣١}.

(٤) هو المقداد بن عمرو تقدمت ترجمته لوحة [١٦٧/ أ]

رسول الله، ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا، فيقول ﷺ: **((كفوا أيديكم فلم أومر بذلك))** وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، فلما هاجروا إلى المدينة وأمروا بقتال المشركين شق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ ﴾[٢] أي: فرض، ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: يخشون مشركي مكة، ﴿ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: كخشيتهم من الله، ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ أي: أكبر أو وأشد خشية ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: هلا [٢٦٦/ب] تركتنا نموت بآجالنا؟ والذين قالوا ذلك، قوم من المنافقين؛ لأن قوله: ﴿ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾ لا يليق بالمؤمنين، أو قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم، قالوا خوفاً وجبناً لا اعتقاداً، ثم تابوا، أو كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا وتخلفوا عن الجهاد،[٣] ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ أي: منفعتها والاستمتاع بها قليل، ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ أي: ثواب الآخرة أفضل من الشرك ومعصية الرسول ﷺ ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ ابن كثير وأبو جعفر وحمزة والكسائي بالياء، ومن بقي بالتاء خطابا؛[٤] لا ينقص من حسناتهم قدر فتيل، وهو ما يكون في شق النواة أو ما يفتل من الوسخ بين أصابعك.

قال ﷺ: **((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع))**[٥]

=

(١) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، أحد السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، استعمله عمر رضي الله عنه على البحرين ت٣٦هـ انظر: الإصابة {٥/ ٤٢٣}.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول مرسلا عن الكلبي {١٦٦} والبغوي في التفسير {١/ ٦٦٣} ومما يدل على ضعفه أن يقال: كيف يشق ذلك على من هاجر وترك بلده وقومه وتحمل في مكة من الأذى ما تحمل. والله أعلم.

(٣) تفسير البغوي {١/ ٦٦٤}.

(٤) ماعدا خلف العاشر، فهو مع من ذكر أولا، وانظر: النشر {٢/ ٢٥٠} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٦}.

(٥) أخرجه مسلم {٢٨٥٨}.

قال المنافقون في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أي: حصون أو قلاع مرتفعة، أو قصور محصنة[1] والشيد: الجص، والشيد بالكسر وبالفتح الرفع،[2] وقرئ: (مَشيدة) مفتوحة الميم خفيفة الياء[3].

قال المنافقون واليهود لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص علينا في ثمارنا ومزارعنا، منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ [4] أي: خصب وسعة في السعر، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: جدب وغلاء الأسعار، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ أي: من شؤم محمد وأصحابه، أو المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد، وقولهم ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ أي: أنت حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون هذا قول المنافقين، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: الحسنة والسيئة، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ يعيرهم بجهلهم أو الحديث هنا القرآن، أي: لا يفهمون معاني القرآن، أو يعني لا يتفكرون فيما أحدث لهم من ذكر فيعلمون أنهم لما لم يمكنهم تحديد منفعة لم يمكنهم دفع مضرة، وهذا من الدليل الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا في الإيجاب للاجتهاد واستعمال القياس. وقف أبو عمرو على مادون اللام في قوله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ و﴿مَالِ هَٰذَا﴾ [الكهف: ٤٩، الفرقان:٧] و﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المعارج:٣٦] واختلف عن الكسائي في الوقف على (ما) وعلى اللام، [٢٦٧/أ] ومن بقي وقف على اللام منفصلة؛ اتباعا لخط المصحف.[5]

قال الفراء: كثرت – ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: هذه الكلمة – في الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأنهما حرف واحد، ففصلوا اللام مما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والاتصال القراءة، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام جر.[6]

---

(١) في (ب) زيادة [أو مجصصة]

(٢) انظر: تفسير الماوردي {١/ ٥٠٧}.

(٣) قراءة نعيم بن ميسرة، وهي شاذة. البحر المحيط {٣/ ٤٢٦}.

(٤) أورده البغوي {١/ ٦٦٥}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ١٤٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٦}.

(٦) معاني القرآن للفراء {١/ ٢٧٨}.

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ ﴾ أي: خير ونعمة، ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ أي: بلية وأمر تكرهه، ﴿ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ أي: بذنوبك، الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]

قال بعض الناس: إن الله تعالى نفى السيئة عن نفسه، ونسبها إلى العبد احتجاجا بظاهر الآية، وليس كما توهموه؛ إذ ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته في الطاعات والمعاصي، بل المراد ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ ولا يقال في الطاعة والمعصية ما أصابني، إنما يقال: أصبتها، ويقال في النعم والمحن: أصابتني، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ [الأعراف: ١٣١] ولما ذكر حسنات الكسب وسيئاته، وعد عليها الثواب والعقاب، فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] أو ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ ﴾ أي: نصر يوم بدر، فَمِنَ ﴿ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ أي: هزيمة وقتل يوم أحد فبذنب نفسك، أي: بمخالفة الرسول ﷺ؛ لأنك استحققت ذلك، وقرئ: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك)[(١)]

أو تقدير الكلام: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله، وقرئ بها[(٢)] ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ .

﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ أي: شاهدا.

كان ﷺ يقول: **((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني فقد أحب الله))** فقال بعض المنافقين: ما يريد محمدا إلا أن نتخذه رباً، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾[(٣)] أي: عن طاعته ﴿ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: حافظاً، بل كِل أمورهم إلى الله تعالى، أو نسخت بآية السيف، وأُمر[٢٦٧/ب] ﷺ بقتال كل من خالفه.[(٤)]

---

(١) قراءة شاذة، قرأ بها ابن مسعود وابن عباس ﷺ، البحر المحيط {٣/ ٤٢٧}.

(٢) المرجع السابق {٣/ ٤٢٨}.

(٣) أورده الثعلبي بلا إسناد {٣/ ٣٤٨} وعزاه ابن الجوزي لمقاتل، زاد المسير {١/ ١٤١} قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده {٤٩}

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن العربي {٢/ ١٧٧}.

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ لا يوقف عليه؛ لأنه من كلام المنافقين، وكانوا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم؛ لأن هذا اللفظ يوهم أنهم مطيعون، والفائدة، فيما يأتي بعده، فالوصل أحسن؛ لأن تقدير الكلام: كان المنافقون يقولون لرسول ﷺ: أمرنا طاعة، أو وشأننا أنا نطيعك ﴿ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ ﴾ أي: خرجوا، ﴿ بَيَّتَ ﴾ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد فأشبها المتقاربين، ومن بقي بالإظهار وفتح التاء،[1] تقديره: ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ ومعنى بيت: غير وبدل الذي عهده إليهم النبي ﷺ،[2] أو قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهاراً،[3] وكل ما قدر ليلا فهو مبيت، أو كل مقدر مبيت، مشبه ببيت الشعر،[4] ﴿ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ أي: يثبت ما يزورون ويغيرون ويقدرون، ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي لا تعاقبهم أو لا تخبر بأسماء المنافقين، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ ﴾ أي: كفيلا وناصرا.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ التدبر النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: تباينا وتناقضاً، أو﴿ لَوَجَدُواْ فِيهِ ﴾ أي: في الإخبار بالغيب، أي: بما كان وبما يكون اختلافاً كثيراً، أي: أفلا يتفكرون فيعلمون بعدم التناقض، أنه كلام الله تعالى؛ لأن مالا يكون من عند الله لا يخلو من تناقض واختلاف.[5]

كان رسول الله ﷺ يبعث السرايا فإذا غَلبوا أو غُلبوا بادر المنافقون يسألون عن حالهم، فيفشون ذلك ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ، فيضعفون به قلوب المؤمنين، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ ﴾[6] أي: المنافقين، ﴿ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾ أي: ما يسمعون من تلقاء السرايا: ﴿ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ أي: أفشوه، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: سكتوا حتى يحدث به رسول الله ﷺ ﴿ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أي: ذوي الرأي من الصحابة، ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي: يستخرجونه وهم العلماء، يعلمون

---

(١) انظر: النشر {١/ ٣٠٣} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٧}.

(٢) قاله قتادة والكلبي، تفسير البغوي {١/ ٦٦٦}.

(٣) قاله أبو عبيدة والقتيبي، مجاز القرآن {١/ ١٣٢} وتفسير البغوي {١/ ٦٦٦}.

(٤) قول الأخفش، المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق{١/ ٦٦٧}.

(٦) زاد المسير {١/ ١٤٦}.

ما ينبغي أن يكتم فيكتم وما ينبغي أن يفشي فيفشى، والاستنباط: التتبع ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ معناه أذاعوا [٢٦٨/أ] به إلا قليلاً لم يفشه، وعنى بالقليل المؤمنين، أو إن علم السرايا إذا ظهر علِمه المستنبِط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض،[١] أو لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ثم قال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ كلام تام، وفضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً، وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول ﷺ، كزيد بن عمرو بن نفيل،[٢] وورقة بن نوفل.[٣]

وفي هذه الآية دليل على جواز القياس، إذ من المعلوم ما يدرك بالاستنباط، ومنها ما يدرك بالتلاوة والرواية.

كان ﷺ واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة، فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾[٤] أي: لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإنك موعود بالنصر، وقرئ: (لا نكلف إلا نفسك) بالنون،[٥] وقرئ بالجزم على الجواب،[٦] ﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: عاتبهم على ترك القتال ورغبهم في الجهاد، والفاء في قوله: ﴿ فَقَٰتِلْ ﴾ جواب عن قوله: ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ فخرج ﷺ في سبعين راكباً للميعاد فلم يك غزو، فقال الله تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: لعل، وبأس الذين كفروا قتال المشركين، وعسى واجبة من الله

---

(١) اختاره الفراء في معاني القرآن {١/ ٢٧٩}.

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب ﷺ، كان يحيى الموءودة ويعيب على قريش ذبحهم لغير الله، مات قبل البعثة بخمس سنين، الإصابة {٢/ ٦١٣}.

(٣) ورقة بن نوفل القرشي الأسدي، ابن عم خديجة رضي الله عنها، قرأ الكتب السابقة ومات قبل أن يشتهر الإسلام. الإصابة {٦/ ٦٠٧}.

(٤) تقدم في سورة آل عمران لوحة [٢٣٠/ ب]

(٥) البحر المحيط {٣/ ٤٣٨}.

(٦) قراءة عبد الله بن عمر ﷺ، وهي شاذة. المرجع السابق.

تعالى،[١] ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ أي: أشد صولة وأعظم سلطاناً وأشد عقوبة، والتنكيل من النكال وهي العقوبة الفاضحة.

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ أي: نصيب،[٢] أو أجر بلغة الحبشة، أو هو من الأجر الضعف.[٣]

وأصل الكفل أن الراكب إذا لم يجد رحلا كور شملة أو عمامة على سنام البعير ثم ركب، فيقال: جاء فلان متكفلا، فمعنى الكفل ما يتبع الإنسان من صالح عمله أو سيئه.[٤]

والشفاعة الحسنة الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة المشي بالنميمة،[٥] أو الشفاعة الحسنة حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير،[٢٦٨/ب] والسيئة هي: الغيبة، وكِفْلٌ ﴿ مِّنْهَا ﴾ أي: وزرها.

قال ﷺ **((اشفعوا لتؤجروا وليقضي الله على لسان نبيه ما شاء))**.[٦]

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ أي: مجازياً،[٧] أو حفيظاً،[٨] أو على كل حيوان مُقيت أي: يوصل إليه القوت.

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ التحية هنا السلام، وتكون التحية الدعاء بالحياة، وتكون التحية بمعنى الملك، يقول: إذا سلم عليكم فأجيبوه بأحسن مما سلم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد مثله.

عن ابن عباس: إن السلام انتهى إلى البركة.[١]

---

(١) قاله عكرمة، المرجع السابق.

(٢) مجاز القرآن {١/ ١٣٥}.

(٣) قول أبي موسى الأشعري ﷺ انظر: البرهان في علوم القرآن {١/ ٣٨٥}.

(٤) مجاز القرآن {١/ ١٣٥}.

(٥) قول ابن عباس ﷺ، تفسير البغوي {١/ ٦٦٨}.

(٦) أخرجه البخاري {١٤٣١-٦٠٢٦-٦٠٢٨} ومسلم {٢٦٢٧}.

(٧) قول ابن عباس ﷺ، تفسير البغوي {١/ ٦٦٩}.

(٨) قاله مجاهد، المرجع السابق.

والسلام سنة على الكفاية، والرد فرض أيضا على الكفاية، فإن سلم واحد من جماعة كان كافياً في السنة، وإذا سلم على جماعة فرد واحد سقط الفرض عن جميعهم.[٢]

قال ﷺ: **((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))**[٣]

أو﴿ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ ﴾ أي: إذا كان مسلماً ﴿ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾ إذا كان غير مسلم.

قال النبي ﷺ: **((إذا سلم عليكم أحدٌ من اليهود، فإنما يقول: السام عليكم، فقل: وعليك))**[٤]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦ ﴾ أي: من رد السلام بأحسن منه أو بمثله، أي: محاسباً مجازياً، أو حفيظاً،[٥] أو كافياً، يقال: حسبي هذا أي: كفاني.[٦]

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ هذه لام القسم، أي: والله ليجمعنكم، أي: في الموت ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ وسميت قيامةً لقيام الناس من قبورهم، أو لقيامهم إلى الحساب، ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾ أي قولاً، حمزة والكسائي بإشمام كل صاد ساكنة بعدها دال زايا.[٧]

لما رجع المنافقون الذين تخلفوا يوم أحد، قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: اقتلهم فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام، فنزلت: ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ

=

(١) أخرجه مالك في الموطأ، ويوضح كلام ابن عباس رضي الله عنهما، أول الأثر: حيث دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه، وزاد شيئا مع السلام، فسأل ابن عباس رضي الله عنهما –وكان قد ذهب بصره– من هذا؟ فقيل له: هذا اليماني الذي يغشاك، فعرفه، فقال ذلك . {٣٧٥}.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٥٩٢} والقرطبي {٥/ ١٩٢}.

(٣) أخرجه مسلم {٥٤}.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع {٢٩٣٥- ٦٠٢٤- ٦٠٢٨} ومسلم {٢١٦٤- ٢١٦٥}.

(٥) قاله مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٦٧١}.

(٦) قول أبي عبيدة، مجاز القرآن {١/ ١٣٥}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٥٠} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٧}.

﴿ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ [(١)] أي: عكسهم ونكسهم وردهم إلى الكفر بكسبهم، أو هم قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا، [٢٦٩/أ] واستأذنوا رسول الله ﷺ في إتيان مكة ببضائع ليتجروا فخرجوا وأقاموا بمكة، فقائل هم منافقون، وقائل هم مؤمنون.[(٢)] أو نزلت في ناس من قريش أسلموا ثم ندموا على ذلك، فخرجوا متنزهين حتى أبعدوا وكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنا على ما فارقناك عليه من الإيمان؛ ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا إلى أرضنا، ثم إنهم خرجوا في تجارة إلى الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوماً على دينكم إن لم يرتدوا ورسول الله ﷺ ساكت لا ينهى واحداً من الفريقين فنزلت ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ الآية.[(٣)] أو هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا، وكانوا يظاهرون المشركين، فنزلت هذه الآية[(٤)]

﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾ أي: ترشدوا، أو أتقولون إن هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾ أي: يضلله الله، ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ أي: طريقاً إلى الحق.

﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ أي: تمنى الذين رجعوا عن الدين ﴿ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ أي: في الكفر، أي: ودوا لو تكفرون، وودوا لو تكونون سواء، وليس بجواب التمني؛ لأن جواب التمني بالفاء منصوب، وإنما هو نسق، كقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾[القلم: ٩]

﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: معكم، أو هي هجرة أخرى.[(٥)]

---

(١) والحديث في البخاري {٤٠٥- ١٨٨٤- ٤٥٨٩} ومسلم {٢٧٧٦} من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم فنزلت...الحديث.

(٢) أخرجه الطبري بسنده عن مجاهد مرسلا {٩/ ٩} والواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٦٨}. وفي الحديث المتقدم الصحيح غنية عن هذا السبب والآتي بعده. والحمد لله.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول بسنده وفيه محمد بن إسحاق، مدلس، {١٦٨} والطبري عن السدي مرسلا {٩/ ١٢}.

(٤) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما {٩/ ١٠} وهي من الطرق الضعيفة، كما تقدم.

(٥) قول عكرمة، تفسير البغوي {١/ ٦٧٣}.

والهجرة ثلاثة: هجرة المؤمنين في أول الإسلام، بدليل قوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[الحشر: ٨] وهجرة هي خروج المنافقين في سبيل الله تعالى مع رسول الله ﷺ صابراً محتسباً، كما حكي هنا من منع موالاتهم حتى يهاجروا،[١] وهجرة لسائر المؤمنين وهي من هجر ما نهى الله تعالى عنه.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: عن التوحيد ﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ أي: أسارى، يقال للأسير أخيذ ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ أي: في الحل والحرم ﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٨٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ ﴾ هذا الاستثناء راجع إلى القتل لا إلى الموالاة؛ لأن موالاة الكفار لا تجوز بحال، ومعنى ﴿ يَصِلُونَ ﴾ ينتسبون إليهم،[٢] ويدخلون فيهم بالحلف والجوار.

ابن عباس: يلجؤون إلى قوم ﴿ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ أي: عهد، وهم الأسلميون؛ لأن رسول الله ﷺ وادع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على أن لا [٢٦٩/ب] يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم فلهم من الجوار مثل ما لهلال.[٣] أو المراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنو بكر بن زيد بن مناة، كانوا في الصلح والهدنة،[٤] أو هم خزاعة[٥] ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ ﴾ أي: يتصلون بقوم جاؤوكم ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ أي: ضاقت. وقرئ: حصرةً صدورهم[٦] بالنصب لحصرة، أي: الذين عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين، وعاهدوا قريشاً أن لا يقاتلوهم ﴿ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ ﴾ أي: عن قتالكم للعهد الذي بينكم ﴿ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ أي: من آمن منهم، أو إنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم، يعني قريشاً، فصدورهم ضيقة لذلك،[٧] و(أو) بمعنى الواو، أي: قوم بينكم وبينهم ميثاق جاؤوكم حصرت صدورهم، وقد حصرت صدورهم عن قتالكم والقتال معكم، وهم قوم

---

(١) ولعل المصنف يريد الهجرة بمعناها اللغوي، والله أعلم.

(٢) قول ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن {١٣٣}

(٣) أخرجه الطبري عن مجاهد {٩/ ٩} وانظر: تفسير البغوي {١/ ٦٧٤}.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، زاد المسير {٢/ ١٥٨}.

(٥) قاله مقاتل، المرجع السابق.

(٦) وهي قراءة عشرية متواترة عن يعقوب البصري، انظر: النشر {٢/ ٢٥١} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٨}.

(٧) تفسير البغوي {١/ ٦٧٤}.

هلال الأسلميون وبنو بكر، نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين؛ لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدماء.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ أي: مع قومهم ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ ﴾ أي: اعتزلوا قتالكم ﴿ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ أي: الصلح ﴿ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ أي: طريقاً بالقتل.

﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ ﴾ هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام وهم غير مسلمين، وكان الرجل منهم يقوله له قومه: بماذا أسلمت؟ فيقول: آمنت بهذا القرد وبهذه العقرب، وإذا لقوا أصحاب النبي ﷺ قالوا: إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمن من الفريقين.[١]

ابن عباس: هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة[٢] ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ ﴾ فلا تتعرضوا لهم ﴿ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ فلا يتعرضون لهم، ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ ﴾ أي: دعوا إلى الشرك ﴿ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ أي: رجعوا إلى الشرك ﴿ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ ﴾ أي: يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا إلى مكة ﴿ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ أي: ولم يلقوا، والسلم والصلح والمقادة، ﴿ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي: ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم، ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أي: وجدتموهم، ﴿ وَأُولَئِكُمْ ﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾ أي: حجة ظاهرة [٢٧٠/ب] بالقتل.

أتى عياش بن أبي ربيعة[٣] النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة، فأسلم ثم خاف من ظهور إسلامه، فخرج إلى المدينة، وتحصن في أُطُم[٤] من آطامها، فقالت أمه لأخويه منها، وهما أبو جهل والحارث: والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتوني به، فخرجا في طلبه، وخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة[٥] حتى أتوا عياشاً وهو في الأطم، فقالوا له: انزل فإن أمك لم يؤوها سقف، وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع إليها، ولك علينا أن لا نكرهك على شيء، ولا

---

(١) أخرجه البغوي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهي من الطرق الضعيفة {١/ ٦٧٤}.

(٢) رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، زاد المسير {٢/ ١٦٠}.

(٣) عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن مخزوم القرشي، يلقب بذي الرمحين، من السابقين الأولين للإسلام، هاجر الهجرتين. ت ١٥هـ.

(٤) أُطم جمعه: آطام، وهو الحصن المبني من الحجارة، أو هو كل بيت مربع مسطح. لسان العرب، مادة: أطم.

(٥) الحارث بن يزيد بن أنيسة أو بن نبيشة، من بني معيص بن عامر بن لؤي القرشي. الإصابة {١/ ٦٠٩}.

نحول بينك وبين دينك، فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له بالله، نزل فأخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة،[(١)] فجلده كل واحد منهم مائة، ثم قدموا به على أمه، فلما أتاها قالت: والله لا أخليك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به، وتركوه مطروحاً في الشمس ما شاء الله، فأعطاهم الذي أرادوا، فأتاه الحارث بن زيد، فقال: يا عياش لئن كان الذي كنت عليه هدىً فوالله لقد تركت الهدى، وإن كان ضلالة فلقد كنت عليها، فغضب عياش، وقال: والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك، ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر، ثم أسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر إلى رسول الله ﷺ، وليس عياش حاضراً يومئذ ولم يشعر بإسلامه، فبينما عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث فقتله، فقال الناس: ويحك أيَّ شيء صنعت؟ قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، قد كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت، وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾[(٢)] هذا نهى عن قتل كل مؤمن ﴿ إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ هذا استثناء منقطع، أي: ولكن إن وقع خطأ، إذ ليس لأحد قتل مؤمن خطأ ولا عمدا، كأنه قال: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا، اللهم إلا أن يخطئ، أو ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى: ولا، كأنه قال ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا ولا خطأ، وعلى كل تقدير فلا يجوز الوقف على قوله ﴿ مُؤْمِنًا ﴾[(٣)]

الكسائي وغيره قال: في الغلط خطئ خطاء وخطأ، وأخطأ إخطاء وخِطاء.

والخطأ ما لم يتعمده الإنسان، والأصمعي يختار خطئ في العمد وأخطأ في السهو.[(٤)]

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ أي: فعليه[٢٧٠/ب] عتق رقبة مؤمنة أي: كفارة، ﴿ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾ أي: إلى أهل القتيل الذين يرثونه، ﴿ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾ أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا أو

---

(١) النِّسْعُ: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره، وتشد به الرحال. لسان العرب، مادة: نسع.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد عن الكلبي، وأورده بسياق آخر من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه {١٦٩} وأخرجه الطبري عن مجاهد وعكرمة والسدي {٩/ ٣٢- ٣٣}.

(٣) قال أبو جعفر النحاس: قال أبو إسحاق: ومن قال إن {إلا} بمعنى الواو فقوله خطأ من جهتين: إحداهما: لأنه لا يعرف أن تكون {إلا} بمعنى حرف عاطف، والجهة الأخرى: أن الخطأ لا يحصر، لأنه ليس بشيء يقصد، ولو كان يقصد لكان عمدا. معاني القرآن {١/ ٢٣٤}.

(٤) تاج العروس، مادة: خ ط أ.

يتركوا الدية ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ أي: إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً في دار الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وعليه الكفارة،[1] أو المراد إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقرابته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله،[2] وكان الحارث بن زيد المقتول، من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه تحرير رقبة، دون الدية؛ إذ لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد.

﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ أي: إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فيجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة، كان المقتول مسلماً أو معاهداً، رجلاً أو امرأة، حراً أو عبداً، في مال القاتل ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ أي: فعليه إذا لم يجد الرقبة، وإن قدر على تحصيلها أو تحصيل ثمنها بعد نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه، فلا يجزيه الصوم، فإن عجز عن ذلك أجزأه صيام شهرين متتابعين، فإن أفطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين، أو نسي النية أو نوى صوماً آخر استأنف الشهرين، فإن أفطر يوماً بعذر مرض أو سفر انقطع التتابع، عند النخعي وأحد قولي الشافعي؛ لأنه أفطر مختاراً.[3]

وقال ابن المسيب والحسن والشعبي: لا ينقطع وله أن يبني، ولو حاضت المرأة أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع، فإذا طهرت بنت على ما صامت؛ إذ هو مكتوب على النساء لا يمكن الاحتراز عنه؛[4] فإن عجز عن الصوم فهل يخرج عنه بإطعام ستين مسكيناً؟ فيه قولان.[5]

﴿ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: جعل الله تعالى توبةً لقاتل الخطأ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ أي: بمن قتل.

﴿ حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ فيما حكم به.

قتل العمد: أن يقتل إنسانا بما يقتل به غالباً، ففيه القصاص عند وجود التكافؤ.

---

(١) عزاه الماوردي في النكت للشافعي {١/ ٥١٩} وانظر أحكام القرآن للشافعي {١/ ٣٠٠}.

(٢) قول ابن عباس ﷺ والحسن وقتادة وابن زيد، تفسير الطبري {٩/ ٤٠} والماوردي {١/ ٥١٨} والآية على هذا القول مستعملة على حقيقتها وظاهرها، كما ذكر الماوردي.

(٣) مغني المحتاج {٣/ ٤٦٥} وأحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢١١}.

(٤) المرجع السابق.

(٥) تفسير البغوي {١/ ٦٧٦}.

وشبه العمد: أن يضرب به بما لا يموت مثله بمثل ذلك الضرب، فعليه دية مغلظة مؤجلة [٢٧١/أ] على عاقلته في ثلاث سنين.

والخطأ المحض: أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه، فعلى عاقلته دية مؤجلة إلى ثلاث سنين، دون القصاص، والكفارة تجب في ماله في الأنواع كلها. (١)

وعند أبي حنيفة: لا تجب الكفارة في قتل العمد؛ لأنه كبيرة كسائر الكبائر. (٢)

ودية الحر المسلم مائة من الإبل، فإذا عدمت وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير، وفي قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار، أو اثنا عشر ألف درهم، منهم عروة بن الزبير والحسن ومالك وسفيان، (٣) وذهب فقهاء الكوفة إلى أنها مائة من الإبل، أو ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم. (٤)

ودية المرأة نصف دية الرجل، (٥) ودية أهل الذمة والعهد إن كان كتابياً ثلث دية المسلم، وإن كان مجوسياً فخمس الدية، واليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم، والمجوسي ثمانمائة، عن عمر وبه قال ابن المسيب والحسن والشافعي. (٦)

وقال قوم: دية الذمي والمعاهد كدية المسلم، منهم ابن مسعود ﷺ وسفيان [الثوري] (٧) وفقهاء العراق. (٨)

قال ابن عبد العزيز ومالك وأحمد: دية الذمي نصف دية المسلم. (٩)

والتغليظ بالسن عند عمر وزيد بن ثابت وعطاء والشافعي: ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها. (١)

---

(١) القاموس الفقهي {١١٧}.

(٢) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢٢١} وهو المشهور عند الحنابلة. المغني {١٢/ ٢٢٦}.

(٣) زاد المسير {٢/ ١٦٤} أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٠٤}.

(٤) بدائع الصنائع {٦/ ٣٠٤} أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢١٠}.

(٥) وحكى الإجماع على ذلك القرطبي في تفسيره {٥/ ٢٠٩}.

(٦) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٢٩٨} وتفسير الطبري {٩/ ٥٣- ٥٤}.

(٧) في ب والثوري.

(٨) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢١٢} والمغني {؟؟}.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٦٠٣} والقرطبي {٥/ ٢١٠} والمغني {١٢/ ٥١}.

وقال الزهري وربيعة ومالك وأحمد وفقهاء الكوفة: الدية المغلظة أرباع: خمس وعشرون بنت مخاض، وخمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة. [٢]

ودية الخطأ مخففة، أخماس بالاتفاق، وهي عشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة، عند ابن عبد العزيز وابن يسار وربيعة والزهري ومالك والشافعي. [٣] وأبدل قوم بني اللبون ببنتي المخاض، منهم ابن مسعود ﷺ، وأحمد وفقهاء الكوفة، [٤] ودية الأطراف على هذا التقدير، والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة، وهم الذكور من عصبات القاتل، ولا يجب على القاتل منها شيء؛ لأن النبي ﷺ أوجبها على العاقلة. [٥]

وجد مقيس بن صبابة الكناني [٦] أخاه هشاما [٧] قتيلاً في بني النجار، وكانا قد أسلما، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل ﷺ معه رجلاً من فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام أن تدفعوه [٢٧١/ب] إلى مقيس فيقتص منه، وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديته، فقالوا: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، ما نعلم له قاتلاً ولكنا نؤدي ديته، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة، فوسوس الشيطان إلى مقيس، فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فرمى صاحبه بصخرة فشدخه، ثم ركب بعيراً وساق بقيتها

=

(١) مغني المحتاج {٤/ ٦٦} والحق من الإبل: ما دخل في السنة الرابعة، وأمكن ركوبه، والجذع من الإبل: ما استكمل أربعة أعوام، ودخل في الخامس، والخلفة: الناقة الحامل، وبنت لبون: ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية، ودخل الثالثة، وسمي؛ لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبن، وبنت مخاض: ولد الناقة الذي دخل في السنة الثانية. القاموس الفقهي {٥٩- ٩٤- ١٢١- ٣٢٧- ٣٣٧}.

(٢) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢٠٧}.

(٣) مغني المحتاج {٤/ ٦٦} أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٠٥}.

(٤) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢٠٦}.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٦٠٣} والمغني {٩/ ٣٣٨}.

(٦) قتل يوم الفتح حين أهدر النبي ﷺ دمه بعدما قتل قاتل أخيه وارتد. انظر: الإصابة {٦/ ٤٧٣}

(٧) هشام بن حزن، بن سيار بن عبد الله الكناني، وأمه هي صبابة. المرجع السابق {٦/ ٥٣٩}.

راجعاً إلى مكة فنزل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ (١) أي: بارتداده عن الإسلام، وهو الذي أهدر ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

عن ابن عباس: قاتل المؤمن عمداً لا توبة له، فقيل له: أليس قد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات ثم قال ﴿ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٧٠] فقال: كانت هذه في الجاهلية، إذ فعل ذلك جميعه ناس في الشرك، فقالوا للرسول ﷺ: إن الذي تدعو به لحسن، لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة لاتبعناك، فنزل ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى ﴿ مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ [الفرقان: ٧٠] فهذه في أولئك، وأما من عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزاؤه جهنم.(٢)

وقال زيد بن ثابت: لما نزل التي في الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] عجبنا من لينها، فنزلت بعد ستة أشهر الغليظة فنسخت اللينة بالغليظة، وهي هذه.(٣)

وقال ابن عباس: تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شيء.(٤)

ومذهب السنة: قبول توبة قاتل المؤمن المسلم عمداً، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [طه: ٨٢] ولقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ الآية [النساء: ٤٨] وما روي عن ابن عباس فعلى سبيل التشديد.

وعن ابن عيينة: إن لم يقتل يقال له: لا توبة لك، وإن قتل ثم جاء، يقال له: لك توبة، ومثله أيضا عن ابن عباس.(٥)

والآية نزلت في كافر قاتل مؤمنا، وهو مقيس المذكور، فلا حجة فيها لمن يقول بالتخليد بارتكاب الكبائر، أو هو وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم

---

(١) أخرجه الطبري وفيه زيادة، عن عكرمة {٩/ ٦١} والواحدي في أسباب النزول عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما {١٧٠}.

(٢) أخرجه الطبري بنحوه {٩/ ٦٢, ٦٦} وآخر الحديث في الصحيحين تقدم تخريجه ل [٢٦١/ ب].

(٣) المرجع السابق {٩/ ٦٨- ٦٩}.

(٤) انظر: الدر المنثور {٤/ ٥٩٧}.

(٥) انظر: تفسير البغوي {١/ ٦٧٩} والدر المنثور {٤/ ٦٠٥}.

كان كافراً مخلداً،[١] أو ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي: إن جازاه، ولكن إن شاء عذبه بذنبه، وإن شاء عفى عنه بكرمه، فإنه وعد أن يغفر لمن يشاء. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[٢] أبو عمرو بن العلاء: لا تعد العرب الخلف في الوعيد خلفاً وذماً، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً.[٣]

وقال ﷺ: **((من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)).**[٤]

أرسل رسول الله ﷺ بسرية إلى بني مرة وكان على السرية غالب بن فضالة الليثي،[٥] فهربوا وأقام مرداس بن نهيك،[٦] وكان من أهل فدك[٧] ما في قومه مسلمٌ غيره، فلما رأى خيل المسلمين خاف أن لا يكونوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فألجأ غنمه إلى عاقول[٨] من الجبل، وصعد إلى الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فلما سمع التكبير عرف أنهم أصحاب النبي ﷺ، فكبر ونزل وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، وكان قد سبقهم قبل الخبر، فقال ﷺ: **((قتلتموه إرادة ما معه؟))** ثم قرأ على أسامة بن زيد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فقال أسامة: يا رسول الله استغفر لي، فقال: **((فكيف بلا إله إلا الله؟))** ثلاث مرات،

---

(١) وحتى لو استحل قتل المؤمن لا من أجل إيمانه فإنه يكفر.

(٢) نهاية اللوحة [٢٧٢/ ب] عند قوله تعالى: (ولعنه)

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٦٧٩}.

(٤) تقدم تخريجه ل [٢٦١/ ب]

(٥) غالب بن فضالة الكناني، وفي الطبقات لابن سعد: غالب بن عبد الله الليثي، قال ابن الأثير: لا يبعد أن يكون هذا غالب هو ابن عبد الله الليثي الكناني؛ فإن ابن الكلبي ذكر أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله إلى بني مرة بفدك، ويكون قولهم في اسم أبيه فضالة إما: غلط من الكاتب وإما اختلاف فيه، والله أعلم. انظر: الطبقات {٢/ ١٢٦}.

(٦) مرداس بن نهيك الضمري الأسلمي، لم يُختلف في أنه المقتول في هذه القصة. انظر: الإصابة {٦/ ٧٤}.

(٧) فدك: قرية شرقي خيبر، تعرف اليوم بالحائط. معجم المعالم الجغرافية {٢٣٥}.

(٨) عاقول الوادي والرمل: ما اعوج منه، وأرض عاقول لا يهتدى لها. لسان العرب، مادة: عقل.

قال: فما زال يعيدها ﷺ حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم إن رسول الله ﷺ استغفر لي، وقال: ((**اعتق رقبة**)).[١]

وروي أن أسامة ﷺ قال: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: ((**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**)) [٢]

أو مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي ﷺ، ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم، فقتلوه وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ ﴾[٣] أي: سافرتم في سبيل الله، أي: الجهاد، ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ حمزة والكسائي هنا والحجرات بالتاء والثاء من التثبت، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، ومن بقي بالنون والياء من البيان، بمعنى التأمل،[٤] يقال: تبينت الأمر إذا تأملته.

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ نافع وابن عامر [٢٧٢/ب] وحمزة بغير ألف بمعنى المقادة، وهي لا إله إلا الله، ومن بقي بألف بمعنى التحية،[٥] أو السلم والسلام واحد، ﴿ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ أي: لا تقولوا لمن سلم عليكم ﴿ تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: تطلبون الغنيمة والغنم ﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ ﴾ أي: لمن اتقى قتل المؤمن ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ ﴾ تكتمون إيمانكم من المشركين ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: بإظهار الإسلام، أو كنتم ضلالاً من قبل فمن الله عليكم بالإسلام، أو كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم من الأعداء بلا إله إلا الله قبل الهجرة، فلا تخيفوا من قالها فمن عليكم بالهجرة،[٦] ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ ﴾ أي: بأن تقتلوا مؤمناً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ وعلى الغزاة إذ

---

(١) أخرجه البغوي من طريق الكلبي عن أبي صالح {١/ ٦٨٠} وأخرجه الطبري بنحوه عن السدي {٩/ ٧٨} والواحدي في أسباب النزول {١٧٤} والخبر أصله في الصحيحين وانظر الهامش التالي.

(٢) أخرجه البخاري {٤٢٦٩- ٦٨٧٢} ومسلم {٩٦}.

(٣) أخرجه البخاري {٤٥٩١} ومسلم {٣٠٢٥}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥١} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٨}.

(٥) المرجع السابق.

(٦) تفسير البغوي {١/ ٦٨١}.

رأوا شعار الإسلام في بلد أن يكفوا عنهم، كان ﷺ إذا غزا قوماً فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أغار عليهم.[١]

وكان ﷺ إذا بعث سريةً يقول: **((إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلُنَّ أحداً))**.[٢]

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ جاء ابن أم مكتوم[٣] ورسول الله ﷺ يملي هذه الآية علي زيد بن ثابت، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، لو أستطيع لجاهدت، وكان أعمى، قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي حتى خفت أن تُرضَّ فخذي، فأنزل الله تعالى: ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾[٤] أي: لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن الجهاد غير أولي الضرر، نافع وابن عامر والكسائي بنصب (غيرَ) على الاستثناء، ومن بقي بالرفع نعت للقاعدين،[٥] أي: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: الزمانة والضعف في البدن والبصر ﴿ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد بغير عذر والمؤمنون المجاهدون سواء.

قال ﷺ لما رجع من تبوك: **((إن في المدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه))** قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: **((نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر))**.[٦]

أو لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إلى بدر.[٧]

﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [٢٧٣/أ] أي: فضيلة، أو المراد بالقاعدين هنا أولوا الضرر، فضل الله المجاهدين عليهم درجةً؛ إذ المجاهد باشر الجهاد مع النية، وأولو الضرر نية ولا

---

(١) أخرجه البخاري {٦١٠- ٢٩٤٤} ومسلم {٣٨٢-١٤٢٧}.

(٢) أخرجه أبو داوود {٢٦٣٥} والترمذي {١٥٤٩} والنسائي في الكبرى {٨٨٣٨} وقال الترمذي: حديث حسن غريب.وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داوود {٥٦٥}.

(٣) عبد الله ابن أم مكتوم، وقيل: عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي، وأم مكتوم هي أمه عاتكة بنت عبد الله، من المهاجرين الأولين، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ وكان يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس. انظر: الإصابة {٤/ ٦٠٠}.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع {٢٨٣٢- ٤٥٩٢} ومسلم {١٨٩٨}.

(٥) النشر {٢/ ٢٥١} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥١٩}.

(٦) أخرجه البخاري {٢٨٣٩- ٤٤٢٣} ومسلم {١٩١١}.

(٧) قول ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير البغوي {١/ ٦٨٣}.

مباشرة، فنزلوا عنهم درجة، ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، أي: المجاهد والقاعد، أو المجاهد والقاعد المعذور.[(١)]

﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ أي: غير المعذورين ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ لا يوقف عليه.

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

ابن محيريز: في هذه [الآية][(٢)] سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس المضمر سبعين خريفاً. أو الدرجات الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة.

قال ﷺ: **((من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة))** فعجب بها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال: أعدها عليَّ يا رسول الله، ثم قال ﷺ: **((وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض))** قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: **((الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله))**.[(٣)]

تكلم ناس من أهل مكة بالإسلام ولم يهاجروا، منهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما، فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[(٤)] المراد ملك الموت وأعوانه، أو ملك الموت وحده، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: بالشرك، وهو نصب على الحال، أي: في حال ظلمهم، أي: بالمقام في دار الشرك؛ لأن الله تعالى بعد هجرة النبي ﷺ لم يكن يقبل الإسلام إلا بالهجرة، إلا مستضعفا مقهورا، ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة، فقال ﷺ **((لا هجرة بعد الفتح))**[(٥)] فهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وبكتوهم، بأن ﴿ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي: فبماذا كنتم؟ أو في أيِّ الفريقين كنتم؟ أفي

---

(١) المرجع السابق.

(٢) في الأصل: الأمة، والمثبت من (ب) والمصادر. وابن محيريز: عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب، أبو محيريز القرشي الجمحي، قال الذهبي: لا أعلم أحدا ذكر محيريزا في الصحابة، الظاهر أنه من الطلقاء. السير {٤/ ٤٩٤}.

(٣) أخرجه مسلم {١٨٨٤}.

(٤) أخرجه الطبري عن عكرمة {٩/ ١٠٥} والواحدي في أسباب النزول {١٧٧}.

(٥) أخرجه البخاري في مواضع {١٨٣٤- ٢٨٢٥} ومسلم {١٣٥٣}.

المسلمين؟ أم المشركين؟ سؤال توبيخ، فاعتذروا بأن ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرض مكة، أي: عاجزين ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [٢٧٣/ب] أي: إلى المدينة، فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ أي: بئس المصير جهنم، ثم استثنى ذوي الأعذار، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا قوة للخروج منها ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج، أو طريق المدينة»[1] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ أي: يتجاوز، وعسى من الله تعالى واجبة؛ لأنها للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً أوصله إليه بكرمه، والكريم لا يُطمِع إلا فيما يفعله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

قال ابن عباس: كنت أنا وأمي ممن عذر الله تعالى.[2] أي: المستضعفين.

وكان ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.[3]

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [4] ابن عباس: ﴿مُرَٰغَمًا﴾ أي: متحولاً يتحول إليه.[5] أو متزحزحاً عما يكره،[6] أو مهاجرا،[7] سميت المهاجرة مراغمة؛ لأن من يهاجر يراغم قومه، ﴿وَسَعَةً﴾ أي: في الرزق، أو سعة من الضلالة.

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٦٨٥}.

(٢) صحيح البخاري {٤٥٩٧}.

(٣) والحديث في البخاري {٤٥٦٠-٤٥٩٨} ومسلم {٦٧٥}.

(٤) في حاشية الأصل ما نصه: قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف: يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب بالآية التي نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فلما قرأها المسلمون، قال حبيب بن ضمرة الليثي لبنيه: -وكان شيخا كبيرا- احملوني فإني لست من المستضعفين ا.هـ

(٥) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {٩/ ١١٩}.

(٦) قول مجاهد، المرجع السابق {٩/ ١٢٠}.

(٧) قاله أبو عبيدة، مجاز القرآن {١/ ١٣٨}.

ولما سمع هذه الآية جندع بن ضمرة[١] من بني ليث، قال: والله ما أنا ممن استثنى الله بهذه الآية، وإني لأجد حيلة، ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها، والله لا أبيت الليلة بمكة، أخرجوني، فخرجوا به يحملونه على سريره حتى أتوا به التنعيم[٢] فأدركه الموت، فصفق بيمينه على شماله وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك، فمات، فبلغ خبره إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً، وضحك المشركون وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾[٣] أي: قبل بلوغه مهاجره ﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٤] أي: وجب بإيجابه تعالى على نفسه تفضلاً منه تعالى علوا كبيرا، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: سافرتم [٢٧٤/أ] ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج ﴿ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ وقرئ: (تُقْصِروا) من أقصر، وقرئ (تُقَصِّروا) بالتشديد،[٥] أي: من أربع ركعات إلى ركعتين، في صلاة الظهر والعصر والعشاء ﴿ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ أي: وإن خفتم ﴿ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ أي: يقتلكم ويغتالكم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ أي: في الصلاة، ﴿ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

---

(١) جندع بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري أو الليثي قال ابن حجر: اختلف في اسمه واسم أبيه على أكثر من عشرة أوجه، والله أعلم.اهـ الإصابة {١/ ٥١٥، ٣/ ٤٩١} وانظر: زاد المسير {٢/ ١٨٠}.

(٢) التنعيم: واد خارج الحرم المكي من الشمال، يتجه شمالا محاذيا الطريق العام المتجه إلى المدينة، وفيه الآن مسجد عائشة رضي الله عنها، ويبعد عن الحرم ٧ كيلا. معجم المعالم الجغرافية {٦٥}.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٨٧} والطبري {٩/ ١١٦} من طرق باختلاف في اسم من نزلت فيه الآية، وأخرجه الطبراني في الكبير {١١٧٠٩} وفي إسناده أشعث بن سوار، ضعيف، التقريب {١٤٩}.

(٤) في حاشية الأصل ما نصه: وقال أهل العلم في قوله: ﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ المؤمن إذا قصد طاعة ثم أعجزه العذر عن إتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة، كالمريض يعجز عما كان يفعله في حال صحته من الطاعة كتب له ثواب أفضل ما كان يعمله. كذا ورد الخبر عن رسول الله ﷺ. ا.هـ

(٥) الأولى قراءة الضبي، والثانية قراءة الزهري، البحر المحيط {٣/ ٤٨١} وهما شاذتان.

القصر في السفر جائز إجماعا، وذهب بعضهم إلى وجوبه، كعمر وابنه وعلي وجابر وابن عباس والحسن وابن عبد العزيز وقتادة ومالك وفقهاء الكوفة؛[١] لقول عائشة رضي الله عنها: أول ما فرضت الصلاة ركعتان، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر.[٢]

وذهب بعضهم إلى جواز الإتمام، كعثمان وسعد بن أبي وقاص والشافعي، إن شاء قصر وإن شاء أتم، والقصر أفضل؛[٣] لقول عائشة رضي الله عنها: كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قصر وأتم.[٤]

وظاهر القرآن يدل عليه، فإنه قال: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ والجناح إنما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتماً، وظاهر الآية أيضا يوجب أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر على ذلك، إنما نزلت على غالب أسفار النبي ﷺ، وأكثرها لم يخل عن خوف العدو.

والقصر جائز في السفر في حال الأمن عند أكثرهم،[٥] لما روي عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر: إنما قال: ﴿ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ وقد أمن الناس، فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عنه، فقال: **((صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته)).**[٦]

وسافر ﷺ بين مكة والمدينة آمناً لا يخاف إلا الله يصلى ركعتين.[٧]

وبعضهم قال: إن ركعتي المسافر ليستا بقصر، إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة في الخوف، منهم جابر وعطاء وطاووس والحسن ومجاهد، وجعلوا شرط الخوف المذكور في الآية باقيا،وأكثرهم لا يجوز القصر بركعة واحدة بحال.[٨]

يروى عن أنس جواز القصر في السفر الطويل والقصير.

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢٣١} والقرطبي {٥/ ٢٢٥}.

(٢) أخرجه البخاري {٣٥٠- ١٠٩٠- ٣٩٣٥} ومسلم {٦٨٥}.

(٣) أحكام القرآن للشافعي {١/ ١٠٩}.

(٤) أخرجه الدارقطني {٢/ ١٨٩}

(٥) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ١٠١}.

(٦) أخرجه مسلم {٦٨٦}.

(٧) أخرجه الترمذي {٥٤٧} والنسائي {١٤٣٥} وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

(٨) المغني {٢/ ٢٦٤} أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٣١}.

وقال عمرو بن دينار: قال لي جابر بن زيد:[١] اقصر بعرفة.[٢]

وعند الأوزاعي: حد السفر المبيح للقصر مسيرة يوم.[٣]

وكان ابن عمر وابن عباس يفطران ويقصران في أربعة برد، وهي [٢٧٤/ب] ستة عشر فرسخاً،[٤] وبه قال مالك وأحمد وإسحاق.[٥] والحسن والأوزاعي، قالا: مسيرة يومين، وهو قريب من مذهب عمر وابن عباس.[٦]

---

(١) جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي البصري، ثقة فقيه، ت ٩٣ وقيل: ١٠٣هـ التقريب {١٩١}.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة {٢/ ٢٠٢}.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٢٧}.

(٤) ذكره البخاري تعليقا، وانظر البخاري مع الفتح {٢/ ٧٣٠} الفرسخ: من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال.

(٥) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٢٧} المغني {٢/ ٩١}.

(٦) المرجع السابق.

ووافق الشافعي الحسن والأوزاعي، إلا أنه قال: مسيرة ليلتين قاصدتين، وقال في موضع آخر: ستة وأربعون ميلاً بالهاشمي،[1] وعند فقهاء الكوفة وسفيان الثوري: مسيرة ثلاثة أيام.[2]

أو قوله تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ متصل بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله.

وعن أبي أيوب، قال: نزل قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ هذا القدر، ثم بعد حول سألوا رسول الله ﷺ عن صلاة الخوف فنزل: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[3]

لما رأى المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون جميعا، ندم المشركون ألا كانوا أكبُّوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، أي: صلاة العصر، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم، فنزل جبريل فقال: يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ ﴾ أي: شهيدا معهم ﴿ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فعلمه صلاة الخوف وهم بعسفان[4] وعلى المشركين خالد بن الوليد.[5]

وقد يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر، وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ ﴾ وكقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف: ٥١] فإنه إخبار عن امرأة العزيز.[6]

---

(١) مغني المحتاج {١/ ٣٦٣- ٣٦٤} والهاشمي: نسبة إلى بني هاشم؛ لتقديرهم لها وقت خلافتهم بعد تقدير بني أمية لها. المرجع السابق.

(٢) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢٣٥}.

(٣) أخرجه الطبري {٩/ ١٢٦} وابن كثير {٢/ ٣٦٥} وقال: وهذا سياق غريب جدا، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزُّرَقي، واسمه زيد بن الصامت رضي الله عنه عند الإمام أحمد وأهل السنن.

(٤) عسفان: بلدة تبعد عن مكة ٨٠ كيلا شمالا، على طريق المدينة. معجم المعالم الجغرافية {٢٠٨}.

(٥) أخرجه الواحدي من طريق مجاهد عن أبي عياش الأزرقي، وطريق عكرمة عن ابن عباس بنحوه {١٨٠} والطبري بنحوه من طرق {٩/ ١٣١} وقال أحمد شاكر: وهو حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرطهما. اهـ بتصرف.

(٦) انظر: تفسير البغوي {١/ ٦٨٩}.

فإذا كان العدو في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين، فرقة وِجاه العدو تحرسهم، ويشرع مع طائفة في الصلاة، فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى أتموا صلاتهم، ثم ذهبوا إلى وِجاه العدو ثم أتت الطائفة التي في وِجاه العدو فصلى بهم الركعة الثانية، وثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم الصلاة، ثم يسلم بهم، كذا روى سهل بن أبي حثْمة[١] أن النبي ﷺ صلَّى بذات الرقاع كذا.[٢] وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.[٣]

وقال بعضهم: إن الإمام إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة وِجاه العدو، وقعود الطائفة الثانية، فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون إلى وِجاه العدو، وتعود الطائفة الأولى فتُتِم صلاتها، ثم تعود الطائفة الثانية فتُتِم صلاتها، وهذه رواية ابن عمر،[٤][٢٧٥/أ] وهو قول فقهاء الكوفة.[٥]

وروي أنه ﷺ صلَّى بطائفة ركعة، والأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك، وجاءه أولئك فصلى بهم ركعة أخرى ثم سلم بهم، فقام هؤلاء فقضوا ركعتهم، وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم، والروايتان صحيحتان.[٦] قال قوم: هذا من الاختلاف المباح.

﴿ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ ﴾ أي: إذا صلوا، ﴿ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ ﴾ يدل على أن الطائفة قد صلوا ﴿ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ ﴾ مقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة، وظاهره يدل أن كل طائفة تفارق الإمام بعد تمام الصلاة، والاحتياط في الصلاة أن لا يكثر فيها العمل والذهاب والمجيء، ولو صلى الإمام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز؛ لأنه ﷺ صلى بطائفة

---

(١) سهل بن أبي حثمة بن ساعدة الأنصاري الأوسي، ولد سنة ثلاث من الهجرة، قال الواقدي: قبض النبي ﷺ، وهو ابن ثماني سنين، ولكنه حفظ عنه فروى وأتقن. ا.هـ معدود في أهل المدينة وبها كانت وفاته أول أيام معاوية ﷺ . الإصابة {٣/ ١٩٥}.

(٢) والرواية عند البخاري {٤١٣١} ومسلم {٨٤١} واختلف في عام غزوة ذات الرقاع، إلا أنهم اتفقوا على أنها كانت بعد الخندق، انظر: فتح الباري {٧/ ٥٢١}.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٣٤} ومغني المحتاج {١/ ٤٠٩}.

(٤) أخرجه البخاري {٩٤٢- ٤١٣٢- ٤١٣٣} ومسلم {٨٣٩}.

(٥) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٢٣٦}.

(٦) وهي رواية ابن عمر ﷺ السابقة.

ركعتين ثم تأخروا، فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكان لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان.[١]

وروى جابر: أنه ﷺ صلى بطائفة ركعتين ثم سلم، ثم صلى بطائفة ركعتين ثم سلم. هذه ببطن نخل.[٢]

وعن حذيفة: أنه صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا، فكان للنبي ﷺ ركعتان وللقوم ركعة ركعة،[٣] تأوله قوم على صلاة شدة الخوف، وقالوا: الفرض في هذه الحالة واحدة.

وأكثرهم على أن الخوف لا ينقص عن عدد الركعات،[٤] وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا ورأوهم صلى بهم الإمام وحرسوا في السجود.

قال جابر: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصفنا خلفه صفين، والعدو بيننا وبين القبلة فكبر وكبرنا معه ﷺ جميعاً، ثم ركع وركعنا معه ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه، وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي ﷺ السجود وقام الصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر [بالسجود ثم قاموا ثم تقدم الصف المؤخر][٥] وتأخر المقدم ثم ركع النبي ﷺ وركعنا جميعاً، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي ﷺ [٢٧٥/ب] السجود والصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا، ثم سلم النبي ﷺ وسلمنا جميعاً.[٦]

---

(١) أخرجه البخاري معلقا {٤١٣٦} ومسلم {٨٤٣}.

(٢) انظر: الهامش السابق.

(٣) أخرجه أبو داوود {١٢٤٦} والنسائي {١٥٢٩- ١٥٣٠} وابن حبان {١٤٥٢- ٢٤٢٥} والحاكم {١٢٤٥} وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) انظر ل [٢٧٤/ ب]

(٥) زيادة من ب والمصادر.

(٦) أخرجه مسلم {٨٤٠}.

وصلاة الخوف جائزة عند عامتهم، وعند بعضهم عدم الجواز ولا وجه على التخفيف، أو لأنهم قالوا: قال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ وإذا لم يكن معهم فلا يجوز، ولا شك أن الأئمة نوابه ﷺ في كل عصر. فكان الخطاب له ﷺ متناولا لكل إمام.[1]

واختلفوا في قوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فقائل: هم الذين وقفوا مع الإمام يصلون، فعلى هذا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة، ولا يؤذي من بجنبه، كالسيف والخنجر، وقائل: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: الباقون الذين في وجه العدو، فعلى هذا يأخذون ما شاؤوا من السلاح.[2]

﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: هؤلاء الذين أتوا، أو هم الذين صلوا ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ أي: لو وجدوكم غافلين ﴿أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي: يقصدونكم فيحملون عليكم حملةً واحدة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخص الله تعالى في وضع السلاح في المطر والمرض، ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ الحذر ما يتقى به من العدو.

ابن عباس: نزلت في رسول الله ﷺ، لما غزا محارباً وبني أنمار، فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً، فوضع الناس أسلحتهم، وخرج رسول الله ﷺ لحاجة وقد وضع سلاحه، حتى قطع الوادي والسماء ترش، فحال الوادي بينه ﷺ وبين أصحابه، فجلس ﷺ في ظل سمرة، فبصر به غورث بن الحارث المحاربي، فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف، فلم يشعر به ﷺ إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده، فقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ قال ﷺ: **((اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت))** ثم أهوى إلى رسول الله ﷺ ليضربه بالسيف، فأكب لوجهه من زلجة زلجها من بين كتفيه، وندر سيفُه، فقام ﷺ فأخذه، وقال: **((من** [٢٧٦/أ] **يمنعك مني يا غورث الآن؟))** قال: لا أحد، قال: **((تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأعطيك سيفك؟))** قال: لا، ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فقال غورث: والله لأنت خير مني، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا: ويلك ما منعك منه؟ قال: لقد أهويت إليه

---

(١) زاد المسير {٢/ ١٨٥} وذكر الشيخ الشنقيطي: أن صلاة الخوف لا تختص بالنبي ﷺ، بل مشروعيتها باقية إلى يوم القيامة، والاستدلال على خصوصها به ﷺ بالآية استدلال ساقط، وشذ عن الجمهور أبو يوسف والمزني، وقال بقولهما الحسن بن زياد واللؤلؤي وإبراهيم بن عليه، واحتجوا بمفهوم الشرط في الآية. أضواء البيان {١/ ٢٨٠}.

(٢) انظر: تفسير الطبري {٩/ ١٤٢} والبغوي {١/ ٦٩٤}.

بالسيف، فو الله ما أدري من زلجني بين كتفي فخررت لوجهي، وذكر حاله، وسكن الوادي فقطع ﷺ الوادي إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية.(١)

أو إن عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً فنزل فيه: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ الآية.(٢) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ أي: يهانون فيه، والجناح الإثم.

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: فرغتم من صلاة الخوف، ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا ﴾ أي: صلوا قياما أصحاء، وقعودا في حال المرض، ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ عند الحرج والزمانة، أو اذكروه بالتسبيح والتهليل والتمجيد والتحميد، على كل حال.(٣) كان ﷺ يذكر الله تعالى على كل حال.(٤)

﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ أي: سكنتم وأمنتم، ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: أتموها أربعاً ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ أي: واجباً مفروضاً مقدراً، وقته الله تعالى عليهم.

لما رجع أبو سفيان بأصحابه يوم أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم، فشكوا ألم الجراحات، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ ﴾(٥) أي: ولا تضعفوا ﴿ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي: في طلب أبي سفيان وأصحابه ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ ﴾ أي: تتوجعون، أي: تجدون الألم من شدة الجراح، ﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ ﴾ أي: أبا سفيان وأصحابه ﴿ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ أي: من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا،(٦) أو المراد بالرجاء الخوف، أي: وتخافون من عذاب الله ما لا يخافون.(٧)

---

(١) أخرجه البغوي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس {١/ ٦٩٥} وهي من الطرق الضعيفة كما تقدم. وقصة النبي ﷺ مع الرجل من حديث جابر رضي الله عنه عند البخاري {٤١٣٦} ومسلم {٨٤٣}.

(٢) قول ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {٩/ ١٦٣}.

(٣) زاد المسير {٢/ ١٨٧- ١٨٨}.

(٤) أخرجه مسلم {٣٧٢}.

(٥) زاد المسير {٢/ ١٨٨}.

(٦) قاله مقاتل، زاد المسير {٢/ ١٠٤}.

(٧) رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، المرجع السابق.

الفراء: لا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح: ١٣] ولا يجوز رجوتك، بمعنى: خفتك، ولا خفتك و أنت تريد رجوتك[١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٠٤﴾

سرق طعمة بن أبيرق من بني ظفر[٢] [٢٧٦/ب] درعاً من جاره قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق الجراب، حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند زيد السمين من اليهود، فالتُمست الدرع عند طعمة، فحلف: والله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل زيد، فأخذوه، فقال دفعتها إلى طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ، و سألوه أن يجادل عن صاحبهم، لئلا يفتضحوا، فهمَّ ﷺ أن يعاقب زيدا اليهودي.[٣]

وعن ابن عباس: أن طعمة خرق الجراب، وكانت النخالة تتناثر منه، وجاء به إلى باب اليهودي فتركه على بابه، وحمل الدرع إلى بيته، فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد، فأخذه إلى النبي ﷺ، فهمَّ النبي ﷺ أن يقطع يد اليهودي،[٤] أو إن زيداً اليهودي أودع درعاً عند طعمة، فجحدها طعمة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾[٥] بالأمر والنهي والفصل ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: علمك، وأوحى إليك ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ أي: طعمة، ﴿خَصِيمٗا﴾ أي: مدافعاً عنه ومعينا له.

---

(١) معاني القرآن للفراء {١/ ٢٨٦} .

(٢) طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري شهد المشاهد كلها إلا بدرا، الإصابة {٣/ ٥١٨} .

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٨١} والبغوي {١/ ٦٩٨} من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، والطبري بنحوه عن قتادة {٩/ ١٨٢} والترمذي بنحوه مطولا {٣٠٣٦} وقال الترمذي: حديث غريب، لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني. وحسنه الألباني. وانظر تخريج أحاديث الكشاف {٤٩}.

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، زاد المسير {٢/ ١٩٠} .

(٥) قاله السدي ومقاتل، المرجع السابق.

﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ أي: من معاقبة اليهودي إذ هممت بها، أو من جدالك عن طعمة[١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أي: يظلمون أنفسهم بالسرقة والخيانة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره، كقوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [يونس: ٩٤] والاستغفار من الأنبياء بعد النبوة: إما لذنب قبل النبوة أو لذنوب أمته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار، فكان الاستغفار معناه هنا: السمع والطاعة لحكم الشرع.[٢]

﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: بنو ظفر يستحيون ويستترون من الناس، ولا يستحيون من الله تعالى، ﴿ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ ﴾ أي: يؤلفون ويقولون ليلا، والتبييت: تدبر الفعل ليلاً، ﴿ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ لأن قوم طعمة قالوا بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ [٢٧٧/أ] فإنه يسمع قوله ويمينه؛ فإنه مسلم ولا يسمع من اليهودي لكفره، فلم يرض الله تعالى منهم ذلك ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: يا هؤلاء وهم قوم طعمة ﴿ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: خاصمتم عن طعمة، والجدال: شدة المخاصمة، وقرئ: جادلتم عنه،[٣] أو من الجدالة، وهي الأرض، فكأن كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدالة،[٤] ﴿ فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي: عن طعمة، إذا أخذه الله تعالى بعذابه ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ أي: من الذي يذب عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة؟

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ أي: السرقة، ﴿ أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ أي: برميه البريء، أو من يعمل سوءاً، أي: شركاً، أو يظلم نفسه: أي: إثماً دون الشرك ﴿ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ أي: يتب، ﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ في الآية عرض للتوبة على طعمة.

---

(١) قاله مقاتل، تفسير البغوي {١/ ٦٩٩}.

(٢) المرجع السابق، وفي الكلام نظر ولا دليل عليه والله أعلم.

(٣) قراءة عبد الله، البحر المحيط {٤/ ٤٨٩}.

(٤) لسان العرب، مادة: جدل.

﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا ﴾ أي: يمين طعمة بالباطل: أني ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿ فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ أي: بسارق الدرع ﴿ حَكِيمٗا ١١١ ﴾ أي: الحكم على السارق بالقطع.

﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً ﴾ أي: سرقة الدرع ﴿ أَوۡ إِثۡمٗا ﴾ أي: يمينه الكاذبة ﴿ ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا ﴾ أي: نسبة السرقة إلى اليهودي، ﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا ﴾ البهتان: ما يبهت الإنسان من كذب وغيره،[1] ﴿ وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢ ﴾ أي: ذنباً بيناً، وقوله: ﴿ بِهِۦ ﴾ ولم يقل بهما، رد الكناية إلى الإثم، أو جعل الإثم والخطيئة كالشيء الواحد.

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ أي: يا محمد ﷺ ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ أي: لقد همت، أي: أضمرت طائفة، وهم قوم طعمة أن يخطئوك ويلبسوا عليك في الحكم، ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أي: وما وباله إلا راجع عليهم، ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ ﴾ أي: يعود ضرره عليهم، ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ أي: القرآن والقضاء بالوحي، ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ ﴾ أي: من الأحكام، أو من علم الغيب ﴿ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾

﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ ﴾ أي: قوم طعمة، أوهي عامة في جميع الناس،[2] [٢٧٧/ب] والنجوى: التدبير، وسرا أو جهرا كان، بانفراد عن غيرهم،[3] أو هو السرار في التدبير، أو النجوى: الرجال يتناجون، أي: يتحدثون، أي: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ أي: لا خير في النجوى إلا نجوى من أمر بصدقة، أو هذا استثناء منقطع، أي: لكن من أمر بصدقة،[4] أي: حث على الصدقة، ﴿ أَوۡ مَعۡرُوفٍ ﴾ أعمال البر كلها معروف، ﴿ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال ﷺ: **((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة؟))** قال أبو الدرداء: قلنا بلى، قال: **((إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة))**[5] هي التي تحلق الدين لا الشعر.

---

(١) المرجع السابق مادة: بهت.

(٢) قاله مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٧٠٠}.

(٣) معاني القرآن للنحاس {١/ ٢٤٣}.

(٤) المرجع السابق.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد {٣٩١} وأبو داوود {٤٩١٩} والترمذي {٢٥٠٩}. و صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد {٣٠٣}.

وقال ﷺ: ((**ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً**))[(١)]

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأشياء المذكورة ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ أبو عمرو وحمزة ﴿ يُؤْتِيهِ ﴾ بالياء، أي: اللهُ، ومن بقي بالنون.[(٢)]

لما ظهرت على طعمة السرقة فخاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، هرب إلى مكة فارتد، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾[(٣)] أي: يخالفه، ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: من التوحيد والحدود ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: طريق المؤمنين ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي: نكله إلى ما تولى في الدنيا، ﴿ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

وروي: أن طعمة المذكور نزل على رجل بمكة، فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخله ولا أن يخرج حتى أصبح، فأُخذ ليقتل، فقال بعضهم: دعوه فإنه قد لجأ إليكم فتركوه، فأخرجوه من مكة، فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام، فنزلوا منزلاً فسرق بعض متاعهم فهرب، فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فصار قبره تلك الحجارة،[(٤)] أو إنه ركب سفينة إلى جدة، فسرق فيها كيساً فيه دنانير، فأخذ فألقي في البحر،[(٥)] أو إنه نزلت في حرة بني سليم وكان يعبُد صنماً لهم إلى أن مات، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[(٦)] أي: ذهب عن الطريق وحرم كل الخير،[٢٧٨/أ] أو جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني شيخ كبير منهمك في الذنوب، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه ولياً، ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله، وإني لنادم مستغفر فما حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.[(٧)]

---

(١) أخرجه البخاري {٢٦٢٩} ومسلم {٢٦٠٥}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥١} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢٠}.

(٣) تفسير الطبري {٩/ ٢٠٥}.

(٤) المرجع السابق {٩/ ١٨٨}.

(٥) تفسير البغوي {١/ ٧٠٢}.

(٦) زاد المسير {٢/ ٢٠٠}.

(٧) أخرجه البغوي عن الضحاك عن ابن عباس {١/ ٧٠٢} وقال ابن حجر: منقطع. تخريج أحاديث الكشاف: {٤٩}.

﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا ﴾ نزلت في أهل مكة،[١] أي: ما يعبدون، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ ﴾ [غافر:٦٠] أي: اعبدوني، بدليل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ [غافر: ٦٠] وأراد بالإناث الأصنام، لأنهم سموها تسمية الإناث، كاللات والعزى ومناة، ويقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان، وكان في كل واحد منهم شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم، فلذلك قال: ﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ ﴾ وقرئ: وإن تدعون من دونه إلا أُثُناً، جمعُ جمعِ الوثن، فقلبوا الواو همزة،[٢] أو إلا إناثاً مواتاً لا روح فيه؛[٣] لأنها كانت من الجمادات؛ لأنه يخبر عن الموات كما يخبر عن الإناث، ولأن الإناث أدون الجنسين، كما أن الموات أرذل من الحيوان، أو المراد بالإناث الملائكة،[٤] لأنهم كانوا يعبدون الملائكة، والمريد: المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة،[٥] والمراد به: إبليس ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أبعده ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ ﴾ أي: حقاً معلوماً، فما أطيع فيه إبليس فهو من مفروضه.

ونقل: أن من كل ألف واحد لله وتسعمائة وتسعة وتسعين لإبليس.[٦]

وأصل الفرض: القطع، ومنه الفرضة في النهر، وهي الثلمة تكون فيه.[٧]

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ ﴾ يقوله إبليس، أي: لأغوينهم عن الحق، والمراد به التزيين، وإلا فليس إليه من الإضلال شيء، كما قال: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[الحجر: ٣٩] ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ ﴾ أي: أمنيهم ركوب الأهواء،

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٧٠٢}.

(٢) روته عائشة عن النبي ﷺ، المحتسب {١/ ١٩٨}.

(٣) قاله الحسن وقتادة، تفسير البغوي {١/ ٧٠٣}.

(٤) قاله الضحاك، المرجع السابق.

(٥) لسان العرب، مادة: مرد.

(٦) ويشهد له ما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد...)) الحديث.** أخرجه البخاري {٣٣٤٨} ومسلم {٢٢٢}.

(٧) معاني القرآن للزجاج {٢/ ١٠٩}.

أو أمنيهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث، أو أمنينهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ أي: يقطعونها ويشقونها، وهي البحيرة، ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله،[1] كقوله تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] أي: لدين الله، وهو تحليل الحرام وتحريم الحلال، أو تغيير خلق الله تعالى بالخصاء[2] والوشم،[3] فحرم بعضهم الخصاء مطلقا، وجوزه بعضهم في البهائم؛ لأن فيه غرضاً ظاهراً،[4] أو تغيير خلق الله تعالى، وهو أن الله تعالى خلق الأنعام للركوب والأكل فحرموها، وخلق الشمس والقمر والأحجار لمنفعة العباد فعبدوها،[5] [٢٧٨/ب] ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: رباً يطيعه، ﴿فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡ﴾ فوعدُه وتمنيتُه ما يوقعه في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا، وبالتخويف بالفقر، فيمنعه من الإنفاق وصلة الرحم، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ أي: باطلاً،

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١﴾ أي: مفراً ومعدلاً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾

افتخر أهل الكتاب والمسلمون، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[6] أي:

---

(١) قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم، تفسير الطبري {٩/ ٢١٨} وما بعدها.

(٢) مروي عن ابن عباس وأنس ومجاهد، زاد المسير {٢/ ٢٠٥}.

(٣) قول ابن مسعود والحسن في رواية، المرجع السابق.

(٤) أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٥١}.

(٥) قول الزجاج، معاني القرآن {٢/ ١١٠}.

(٦) قول قتادة ومسروق والضحاك والسدي وأبي صالح، تفسير الطبري {٩/ ٢٢٨} وما بعدها، وأسباب النزول للواحدي {١٨٢}.

أيها المسلمون وأهل الكتاب، أو ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ يا مشركي أهل الكتاب؛ لأنهم قالوا: لا بعث ولا حساب،[١] فليس الأمر بالأماني وإنما الأمر بالعمل الصالح.

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ الآية عامة في كل عامل.

أو لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين فقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يعمل سوءاً غيرك، فكيف الجزاء؟ قال: **((منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات، ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر، وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلبت آحاده أعشاره، وأما ما كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته، فيلقى مكان كل سيئة حسنة، وينظر في الفضل، فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله))**.[٢]

﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ أو أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ لأبي بكر: **((ألا أقرئك آية أنزلت علي؟))** فقال: بلى، قال: فأقرأنيها، ولا أعلم إلا أني وجدت انفصاماً في ظهري حتى تمطيت، فقال ﷺ: **((مالك يا أبا بكر؟))** فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وأينا لم يعمل سوءاً؟ وإنا لمجزيون بكل سوء عملنا؟ فقال ﷺ: **((أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا، حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم [حتى][٣] يجزوا يوم القيامة))**[٤].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ أي: مقدار النقير، وهو النقرة في ظهر النواة، ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بضم ياء (يدخلون) وفتح الخاء هنا ومريم والطول، وتفرد أبو عمرو بهذه الترجمة في فاطر، ومن بقي بضم الخاء وفتح الياء.[٥]

---

(١) قول مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٧٠٤}.

(٢) أخرجه البغوي من طريق الكلبي عن أبي صالح، وهي من الطرق الضعيفة كما تقدم، المرجع السابق.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) أخرجه الترمذي {٣٠٤٢} وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال، وموسى بن عبيدة، يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد، وأحمد بن حنبل، ومولى ابن سباع مجهول، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح أيضا، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها. اهـ

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٥٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢١}.

أو لما نزلت: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية، قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [(١)] الآية، ونزل أيضاً: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [(٢)] أي: أخلص لله عمله، أو فوض أمره إلى الله ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: موحد ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي: دين إبراهيم مسلماً خالصاً، ومن دين إبراهيم الصلاة إلى الكعبة، والإتيان بمناسك الحج، وخص إبراهيم بالذكر؛ لأنه كان مقبول الطاعات أجمع؛ أو لأنه بعث ﷺ على ملة إبراهيم وزيدت له أشياء.

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ أي: صفياً، والخلة: صفاء المودة.

ابن عباس: كان إبراهيم أبا الضيفان، فأصاب الناس سنة فحُشروا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام، وكانت الميرة [(٣)] له كل سنة من صديق له بمصر. فبعث غلمانه بالإبل إلى الخليل الذي له بمصر، فقال خليله: لو كان إبراهيم يريده لنفسه لاحتملنا ذلك له، فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة، فرجع رسل إبراهيم ﷺ، فمروا ببطحاء رمل، فملؤوا غرائرهم رملا، ثم جاؤوا إبراهيم، فأعلموه بذلك، وكانت سارة نائمة، فاهتم لذلك فنام، ثم استيقظت سارة، قالت: فما جاء الغلمان؟ قالوا: بلى، قالت: فما جاؤوا بشيء؟ قالوا: بلى، فقامت إلى الغرائر فإذا فيها أجود حواري يكون، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس، فاستيقظ إبراهيم فوجد ريح الطعام، فقال: يا سارة من أين هذا؟ قالت: من عند خليلك المصري، فقال: هذا من عند خليلي الله، قال: فيومئذ اتخذه الله إبراهيم خليلاً. [(٤)]

والخليل الذي ليس في محبته خلل، والخلة: الصداقة، أو خليلا من الخلة، أي: الحاجة، أي: فقيراً إلى الله تعالى وفيه نظر؛ لأنه لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله. [(٥)] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾

---

(١) نهاية اللوحة [٢٧٩/ أ] عند قوله تعالى: ﴿ومن﴾

(٢) ذكره البغوي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق {١/ ٧٠٥}.

(٣) الميرة: الطعام. النهاية في غريب الحديث: مادة مير.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي من الطرق الضعيفة. قال ابن كثير في تفسيره: وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبرا إسرائيليا لا يُصدَّق ولا يُكذَّب، وإنما سُمّي خليل الله لشدة محبة ربه عز وجل له، لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها. {٢/ ٣٨٥}.

(٥) معاني القرآن للزجاج {٢/ ١١٢}.

﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ ﴾ [٢٧٩/ب] نزلت في بنات أم كجة وقد مضت القصة،[1] أو هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال، وإن كانت مرغوبا عنها تركوها؛ لقلة مالها وجمالها، أو اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها أن يتزوجها [لدمامتها][2] ويكره أن يزوجها غيره، فنهوا عن ذلك.[3]

﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ أي: يستخبرونك، ﴿ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: الله يفتيكم فيهن وكتابه، وهو قوله تعالى: ﴿ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ ﴾[4] أي: لا تعطونهن، ﴿ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ أي: من صدقاتهن، ﴿ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ أي: في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن، أو المراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث؛ لأنهم كانوا لا يورثون النساء، وترغبون أن تنكحوهن، أي: عن نكاحهن.

﴿ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ أي: يفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم؛ لأنهم كانوا لا يورثون الصغار، أي: يفتي بإعطاء حقوق الصغار ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: ويفتيكم أن تقوموا لليتامى بالقسط، أي: بالعدل في مهورهن وميراثهن، ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾ ﴾

تزوج سعد بن الربيع أحد النقباء، ويقال: رافع بن خديج[5] عمرةَ، ويقال: خويلة بنت محمد بن مسلمة، وهي شابة، فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة، وآثرها عليها، وجفا ابنة محمد بن مسلمة، فأتت رسول الله ﷺ فشكت إليه، فنزل: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا ﴾[6] أو كان رجل له امرأة قد

---

(١) انظر ل [٢٤٤/ ب]

(٢) في الأصل: لذمامتها، بالذال المعجمة.

(٣) أخرجه البخاري {٤٦٠٠} ومسلم {٣٠١٨}.

(٤) في (ب) بعد قوله: ﴿في يتامى النساء﴾ أي: النساء.

(٥) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي، استصغر يوم بدر، وأجيز يوم أحد، وشهد ما بعدها، سكن المدينة إلى أن مات من الجرح الذي أصابه من الرمح، في زمن معاوية ﷺ، انظر: الإصابة {١/ ٤٩٥}.

(٦) أخرجه الطبري {٩/ ٢٧٥} عن الزهري عن سعيد ابن المسيب، والحاكم {٣٢٠٥} وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

كبرت وله منها أولاد، فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها، [فقالت:][(١)] لا تطلقني ودعني على ولدي، واقسم لي في كل شهرين إن شئت، وإن شئت فلا، فقال: إن كان يصلح ذلك فهو أحب إليَّ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ ﴾[(٢)] أي: علمت من زوجها، ﴿ نُشُوزًا ﴾ أي بغضا، أو ترك مضاجعة ﴿ أَوۡ إِعۡرَاضًا ﴾ أي: بوجهه عنها، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا ﴾ أي: يتصالحا، الكوفيون ﴿ أَن يُصۡلِحَا ﴾ بضم الياء وسكون الصاد وكسر اللام مخففا، ومن بقي بفتح الياء وتشديد الصاد مع فتحها وبعد الصاد ألف بعدها لام مفتوحة،[(٣)] فالأُولى من أصلح ﴿بَيۡنَهُمَا صُلۡحًا﴾ أي: في القسم والنفقة، وهو أن الزوج يقول لها: إنك قد دخلت في السن، [٢٨٠/أ] وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً، فإن رضيت بهذا فأقيمي، وإن كرهت خليت سبيلك، فإن رضيَت كانت هي المحسنة، ولا تُجبر على ذلك، وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيَها حقها من القسم والنفقة، أو يسرحها بإحسان، فإن أمسكها ووفاها حقها مع كراهية فهو المحسن، والقراءة الثانية من التفاعل منهما.

عن ابن يسار عن ابن عباس في هذه الآية: فإن صالحته عن بعض حقها، من القسم والنفقة فذلك جائز ما رضيت، فإن أنكرت بعد الصلح فذلك لها ولها حقها.

أو هو أن الرجل تكون تحته امرأة كبيرة فيتزوج شابة، ويقول للكبيرة: أعطيك من مالي نصيباً على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك، فترضى بما اصطلحا عليه، فإن أبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما في القسمة.[(٤)]

وعن علي: في هذه الآية، قال: تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها، من دمامة[(٥)] أو كبر فرقته، فإن أعطته من مالها فهو له حل، وإن أعطته من أيامها فهو له حل.[(٦)]

---

(١) في الأصل: فقال.

(٢) قول سعيد بن جبير، زاد المسير {٢/ ٢١٤}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢١}.

(٤) القولان في تفسير البغوي {١/٧٠٨}.

(٥) في الأصل: ذمامة، بالذال المعجمة.

(٦) المرجع السابق.

﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ أي: من الفرقة، بعد تخييره إياها على ترك بعض حقها من القسم والنفقة.

لما روي: أنَّ سودة كانت امرأة كبيرة، وأراد النبي ﷺ أن يفارقها، فقالت: لا تطلقني وكفاني أن أبعث في نسائك، وقد جعلت نوبتي لعائشة، فأمسكها ﷺ، وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.(١)

﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ أي: جبلت على الشح، أو أسرعت إلى الشح، من الحصر وهو العدو، وإن الشح جعل حاضراً لها لا يغيب عنها، ولا تنفك عنه، يريد أن المرأة تشح على مكانها من الزوج، والرجل يشح على نفسه من المرأة إذا كان غيرها أحب إليه، والشح: أقبح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، ﴿ وَإِن تُحۡسِنُواْ ﴾ أي: بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن، وقرئ: الشِّح،(٢) بكسر الشين لغة، ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ أي: الظلم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾ أي: فيجازيكم. ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: تطيقوا التسوية بينهم في الحب ﴿ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ ﴾ أي: على العدل ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ ﴾ أي: إلى التي تحبونها في القسم والنفقة، أو على الشيخة [٢٨٠/ب] ﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾ أي: الأخرى، مثل المنوطة لا أيِّما ولا ذات بعل، أو كالمحبوسة، وقرئ: كأنها مسجونة.(٣)

كان ﷺ يقسم بين نسائه، فيعدل ويقول: **((اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)).**(٤) وقال ﷺ: **((من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل))**(٥)

﴿ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ أي: الجور ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ ﴾

احتج بهذه الآية من يقول بتكليف ما لا يستطاع أنه جائز؛ لأنهم أمروا بالعدل على النساء، وأخبروا أنهم لا يستطيعونه، ومن منع ذلك حمله على المحبة والوطء، وقال: الإنصاف في القسمة والبيتوتة مطلقا مستطاع.(١)

---

(١) أخرجه البخاري {٥٢١٢} ومسلم {١٤٦٣}.

(٢) وهي قراءة شاذة قرأ بها أبو السمال العدوي، معجم القراءات القرآنية {١٦٩/٢}.

(٣) وهي قراءة شاذة قرأ بها أبي بن كعب ﷺ، معجم القراءات القرآنية {١٧٠/٢}.

(٤) أخرجه أبو داوود {٢١٣٤} والترمذي {١١٤٠} والنسائي {٣٩٤٣} وابن ماجه {١٩٧١} وقال الترمذي: ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلا أن النبي ﷺ: كان يقسم. وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة.اهـ

(٥) أخرجه أبو داوود {٢١٣٣} والترمذي {١١٤١} والنسائي {٣٩٤٢} وابن ماجه {١٩٦٩}والحاكم وصححه {٢٧٥٩} وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ أي: المرأة والرجل بالطلاق ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ أي: المرأة بزوج غيره، والرجل بزوجة غيرها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ أي: واسع الفضل، حكيماً في أمره ونهيه.

يجب على الرجل التسوية بين نسائه في القسم، فإن لم يفعل عصى الله، وعليه القضاء للمظلومة، والشرط في القسم البيتوتة، أما الجماع فلا؛ لأنه يدور على النشاط، وليس ذلك إليه، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بالبيتوتة عندها سبع ليال بتوال إن كانت بكراً، وللثيب ثلاث ليال، ثم يسوي بعد ذلك بين الكل.[٢]

ولا يجب عليه قضاء هذه الليالي للقديمات،[٣] وإن سافر سفر حاجة فيقرع بين نسائه، إذا أراد أن يصحب واحدة منهن، ولا يجب عليه أن يقضي للباقيات مدة سفره وإن طالت، ما لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين؛ لأنه ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه.[٤] أما إذا كان سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة ﴿ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ أي: أهل القرآن ﴿ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: هو يوصيكم مع ذلك بالتقوى، فاقبلوا وصيته،قال ﷺ: **((الإيمان والإسلام والتقوى ها هنا، وأشار إلى صدره ثلاث مرات))**[٥]

﴿ وَإِن تَكْفُرُواْ ﴾ أي: بما أوصاكم الله به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: فإن لله ملائكة السموات والأرض، وهم أطوع له منكم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا ﴾ أي: عن جميع خلقه [٢٨١/أ] ﴿ حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ أي: محموداً على نعمه، والمعنى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون

---

(١) ورد عن مجاهد نحوه في تفسير القرطبي {٥/ ٢٦١}.

(٢) تفسير البغوي {١/ ٧١٠}.

(٣) يدل له الحديث الصحيح عن أنس ﷺ قال: من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا، ثم قسم، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا، ثم قسم. قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنسا رفعه إلى النبي ﷺ. أخرجه البخاري (٥٢١٣-٥٢١٤) ومسلم {١٤١٦}.

(٤) أخرجه البخاري {٢٥٩٣٠- ٢٦٦١- ٤١٤١} ومسلم {٢٧٧٠}.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، والمحفوظ من قوله: ((التقوى ...)) في صحيح مسلم {٢٥٦٤}.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ أي: شهيداً أن فيها عبيداً، أو دافعاً ومجيراً، أي: له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتكلوا على غيره، ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي: الكفار ﴿ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ أي: بغيركم خيرا منكم وأطوع لله تعالى، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: من كان يريد بعمله شيئا من أغراض الدنيا لا يريد به الله تعالى آتاه الله من عرض الدنيا، أو دفع عنه فيها ما أراد الله، وليس له في الآخرة من ثواب، ومن أراد بعمله الآخرة آتاه الله تعالى من الدنيا ما أحب، وجزاه الجنة في الآخرة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ أي: كونوا قائمين بالشهادة بالقسط، وهو العدل، ابن عباس: كونوا قوامين[1] بالعدل في الشهادة على من كانت،[2] ﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ فأقروا عليها؛ لأن الإقرار بمعنى الشهادة، ويجوز، أنه قدم الأنفس؛ لأنه إذا أقر على نفسه لم يراع غيره؛ ولذا جمعها جمع قلة، لأن الأنفس المعترفة بالحق عليها بالنسبة إلى غيرها قليلة.

﴿ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أي: فأقيموا الشهادة على هؤلاء المذكورين ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ﴾ أي: لا تحابوا غنيا لغناه، ولا ترحموا فقيرا لفقره، أي: وأقيموا الشهادة على المشهود عليه وإن كان غنياً، وللمشهود له وإن كان فقيراً، ﴿ فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ وقرئ: برفع غنيا وفقيرا، على أن كان تامة،[3] وثنى الضمير في بهما ردا إلى ما دل عليه، ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ﴾ وهو جنس الغنى وجنس الفقر، أي: فالله أولى بالأغنياء والفقراء، ويوضح هذا ما قُرئ: فالله أولى بهم جميعا.[4]

وعند الأخفش: أو بمعنى الواو،[5] وتلخيصه كلوا أمرهما إلى الله أو الله أعلم بهما منكم.

﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ أي: تجوروا وتميلوا إلى الباطل من الحق، أو لا تتبعوا الهوى لتعدلوا، أي: لتكونوا عادلين، كما يقال: لا تتبع الهوى لترضي ربك، ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ ﴾ أي: تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق. ﴿

---

(١) في (ب) قوالين

(٢) انظر: تفسير البغوي {١/ ٧١٢}.

(٣) وهي قراءة شاذة، قرأ بها ابن مسعود ﷺ، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤١٢}.

(٤) وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبي بن كعب وابن مسعود ﷺ، المرجع السابق، والكشاف {١/ ؟؟}.

(٥) معاني القرآن للأخفش {١/ ٤٥٤}.

أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ أي: عنها فتكتموها ولا تقيموها، أو ﴿تَلۡوُۥٓاْ﴾ أي: تدافعوا في إقامة الشهادة، من لويته حقه إذا دفعته [٢٨١/ب] أو هو خطاب مع الحكام في ليهم الأشداق، فيكون ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ أي: تميلوا إلى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه، ابن عامر وحمزة: (تَلُوا) بضم اللام،[1] أصله تلووا، فحذفت إحدى الواوين، أو هو من الولاية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾

جاء عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابنا كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة بن أخيه، ويامين بن يامين،[2] إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة والإنجيل، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال لهم ﷺ: **((بل آمنوا بالله ورسوله** – أي: محمد ﷺ، والقرآن– **وبكل كتاب كان قبله))** فأنزل الله تعالى:[3] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: بمحمد ﷺ والقرآن وبموسى والتوراة، ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: التوراة والإنجيل وسائر الكتب.

ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (نزل وأنزل) بضم النون وألف في أنزل، وكسر الزاي فيهما، ومن بقي بفتح في الأولى وتشديد الزاي، وفتح الهمزة في الثانية وإسكان النون مع تخفيف الزاي،[4] أي: نزل الله وأنزل الله تعالى، وقرئ: (والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي نزل من قبل) بفتح النون فيها والتخفيف،[5] ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ فعند نزولها قالوا: نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول وكتاب كان قبل القرآن، والملائكة واليوم الآخر، لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون، أو أراد بهم اليهود والنصارى،[6] يقول: يا أيها الذين آمنوا

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢٢}.

(٢) وهؤلاء من مؤمني أهل الكتاب. وانظر الإصابة {٣/ ١٤٨}.

(٣) هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح ، وهي من الطرق الضعيفة، أسباب النزول للواحدي {١٨٦} وتفسير البغوي {١/ ٧١٢}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٢} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢٢}.

(٥) وهي قراءة شاذة قرأ بها خارجة عن أبي عمرو، معجم القراءات {٢/ ١٧٤}.

(٦) قول الضحاك، تفسير البغوي {١/ ٧١٣}.

بموسى وعيسى آمِنوا بمحمد والقرآن، أو المراد بهم المنافقون،[١] أي: يا أيها الذين آمنوا باللسان آمِنوا بالقلب، أو هذا خطاب للمؤمنين[٢] أي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ أي: أقيموا واثبتوا على الإيمان، كقولك للقائم: قم حتى أرجع إليك، أي: اثبت قائماً، أو المراد أهل الشرك، أي: يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى آمِنوا بالله ورسوله.[٣]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل، ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى ﴿ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا ﴾ أي: بمحمد ﷺ.[٤] أو في جميع أهل الكتاب،[٢٨٢/أ] آمنوا بنبيهم ثم كفروا به، وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به، وكفرهم به: تركهم إياه، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ،[٥] أو في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا.[٦]

عن علي: أنه لا تقبل توبة مثل هذا بل يقتل، لقوله تعالى: ﴿ لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ ﴾[٧] ومعناه: ما أقاموا على ذلك، وأكثرهم على قبول توبته.[٨]

وعند قوم معنى ازدادوا كفراً: أي: ماتوا عليه.[١] ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧﴾ أي: طريقاً إلى الحق، الكافر إذا أسلم أول مرة ودام عليه، يغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر، لا يغفر له كفره السابق الذي كان يغفر له لو دام على الإسلام.

---

(١) قول مجاهد، المرجع السابق.

(٢) قول أبي العالية، المرجع السابق.

(٣) تفسير البغوي {١/ ٧١٣} وهذا من غرائب التفسير وهو خلاف ظاهر الآية.

(٤) قول ابن عباس وقتادة، تفسير الطبري {٩/ ٣١٥} وزاد المسير {٢/ ٢٢٤}.

(٥) رواه شيبان عن قتادة، وهو قول أبي العالية، تفسير الطبري {٩/ ٣١٦} وزاد المسير {٢/ ٢٢٥}.

(٦) قول مجاهد، تفسير الطبري {٩/ ٣١٥}.

(٧) تفسير البغوي {١/ ٧١٣}.

(٨) وهو الأصل الذي يعضده الدليل؛ لأن الإسلام يجب ما قبله. قال الطبري في تفسيره: وفي قيام الحجة بأن المرتد يستتاب المرة الأولى، الدليل الواضح على أن حكم كل مرة ارتد فيها عن الإسلام حكم المرة الأولى، في أن توبته مقبولة، وأن إسلامه حقَن له دمه؛ لأن العلة التي حقَنت دمه في المرة الأولى إسلامه، فغير جائز أن توجد العلة التي من أجلها كان دمه محقونا في الحالة الأولى، ثم يكون دمه مباحا مع وجودها، إلا أن يفرق بين حكم المرة الأولى وسائر المرات غيرها.ا هـ {٩/ ٣١٨}.

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ أي: أخبرهم يا محمد، ﴿ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ والبشارة: كل خبر تتغير به بشرة الوجه ساراً كان أو غير سار، أو اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كقول العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيف، أي: بدلاً من التحية.[٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ هذا وصف للمنافقين أي: يتخذون اليهود والنصارى ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: أنصاراً، أو بطانة ﴿ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ أي: المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه، أو يطلبون عندهم القوة والغلبة ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ أي: الغلبة والقوة. ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ عاصم ويعقوب بفتح نون ﴿ نَزَّلَ ﴾ وزائها، ومن بقي بكسر الزاي وضم النون،[٣] أي: يا معشر المسلمين ﴿ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: القرآن ﴿ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ ﴾ أي: مع المستهزئين، ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ أي: يأخذوا في غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، وقد أشار إلى ذلك تعالى بقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦٨]

ابن عباس: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة.[٤]

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤون ورضيتم، فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨] والأكثرون على الأول،[٢٨٢/ب] والأنعام مكية، وهذه مدنية، والمتأخر أولى، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ أي: المنافقون ينتظرون بكم الدوائر ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ ﴾ أي: ظفر وغنيمة، ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ أي: على دينكم وفي الجهاد، معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة، ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ أي: دولة

﴿ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يقول المنافقون للكفار: ألم نستحوذ، من الاستحواذ: وهو الاستيلاء والغلبة،[٥] ومعناه: ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه ونطلعكم على سره، أو ألم نغلبكم على رأيكم

=

(١) قول مجاهد، تفسير البغوي {١/ ٧١٣}.

(٢) معاني القرآن للزجاج {٢/ ١٢٠}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢٢}.

(٤) انظر: تفسير البغوي {١/ ٧١٤}.

(٥) لسان العرب، مادة: حوذ.

ونمنعكم ونصرفكم عن المؤمنين،[١] أي: عن الدخول في جملتهم، أو ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ﴿ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأمورهم، ومراد المنافقين بقولهم هذا إظهار المنة على الكافرين ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: بين أهل الإيمان وأهل النفاق، ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ ﴾

قال علي: في الآخرة، أو حجة،[٢] أو ظهورا على أصحاب النبي ﷺ بالاستئصال، أو إلا يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم،[٣] أو لا يجعل لهم سبيلا بالشرع، فإن وجد فبخلافه،[٤] واحتج قوم بهذا على أن الكافر لا يملك العبد المسلم.[٥]

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: يعاملونه معاملة الخادعين، ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ أي: يجازيهم على خداعهم؛ لأنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما يعطى المؤمنون، فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: المنافقون ﴿ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ أي: متثاقلون لا يريدون الله بقيامهم فإن رآهم أحد وإلا انصرفوا ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: بفعلهم ولا يفعلونه اتباعاً لأمر الله تعالى، ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ ﴾

ابن عباس والحسن: لأنهم يفعلونها رياءً وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيراً،[٦] وإنما قل ذكر المنافقين؛ لأن الله تعالى لم يقبله،[٢٨٣/أ] وكل ما قبله الله تعالى فهو كثير.[٧]

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: لا يجب لهم ما يجب للمؤمنين إذ ليسوا منهم، ولا يؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار؛ إذ ليسوا منهم، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ ﴾ أي: طريقاً إلى الهدى.

---

(١) قاله المبرد، تفسير البغوي {١/ ٧١٤}.

(٢) قول ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {٩/ ٣٢٨} والبغوي {١/ ٧١٤}.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي {١/ ٦٤١}.

(٤) المرجع السابق.

(٥) قال به الشافعي وأشهب من المالكية، أحكام القرآن للقرطبي {٥/ ٢٧٠}.

(٦) تفسير البغوي {١/ ٧١٥}.

(٧) قول قتادة، المرجع السابق.

قال ﷺ: ((مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة))[(١)]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ نهوا عن موالاة الكفار ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ أي: حجة بينةً في عذابكم ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ الكوفيون بإسكان راء ﴿ ٱلدَّرْكِ ﴾ والباقون بفتحها لغتان.[(٢)]

ابن مسعود: هم في توابيت من حديد مقفلة في النار،[(٣)] أو بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم[(٤)] ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ أي: مانعاً من العذاب.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ أي: من النفاق فآمنوا، ﴿ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: أصلحوا أعمالهم ووثقوا بالله، ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ المراد الإخلاص بالقلب؛ لأن النفاق كفر القلب، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: من المؤمنين، أو مع المؤمنين في السر والعلانية، أو مع المؤمنين في الجنة.

﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ أي: في الآخرة، وحذفت الياء من ﴿ يُؤْتِ ﴾ في الخط اتباعا للفظ، وحذفت في اللفظ لالتقاء الساكنين.[(٥)]

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ تقديره إن آمنتم وشكرتم؛ إذ الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، وهو استفهام بمعنى التقرير،[(٦)] ومعناه: أن عذابه لا يكون للشاكر المؤمن، بل يجازيه على شكره ويزيده ثوابا على ثواب، وقرن الشكر بالتوحيد حتى قال بعضهم: الحمد أعلى درجة من الإيمان؛ لأن ختام أهل الجنة نعيمهم بالحمد لله، والآية دليل على أن موجب العذاب كفر النعمة وكفر التوحيد، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ الشكر من الله تعالى الرضى بالقليل من عباده وإضعاف [٢٨٣/ب] الثواب عليه، ومن العبد: الطاعة، أو اعتقاد العبد النعمة من الله، والاعتراف بها باللسان والثناء عليه.

---

(١) أخرجه مسلم {٢٧٨٤}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢٣}.

(٣) أخرجه الطبري {٩/ ٣٣٨}.

(٤) قول أبي هريرة ﷺ، المرجع السابق.

(٥) البحر المحيط {٣/ ٥٤٠}

(٦) المرجع السابق.

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ولا غير الجهر بالسوء أيضا؛ إلا أنه يشبه أن الحال أوجبت ذلك، ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ لا يحب الجهر بالقول القبيح من القول إلا من ظلم.

ابن عباس: نزلت في الشخص يظلم الشخص، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن ظلم الظالم وأن يدعوا عليه.[1] قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[الشورى: ٤١].

الحسن: دعاؤه عليه، أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي منه، وإن شتم جاز أن يشتم بمثله ولا يزيد عليه.[2]

قال ﷺ: **((المستبان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم)).**[3]

هذا إن كان مؤمنا وإن كان كافرا فأرسل لسانك عليه وادع عليه بالهلكة ما شئت؛ اقتداء برسول الله ﷺ.

وعن مجاهد: أنها نزلت في الضيف إذا نزل بقوم فلم يحسنوا ضيافته، فله أن يشكو ويذكر ما صُنع به، ويدعو عليهم.[4]

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: **((إن نزلتم بقوم فأَمَروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي له))**[5]

وقرئ: (إلا من ظَلَم) بفتح الظاء واللام،[6] أي: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، أو إن الله يجازيه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾ أي: بدعائكم ﴿ عَلِيمًا ١٤٨ ﴾ أي: بعقاب الظالم.

﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا ﴾ أي: حسنةً كتبت له عشراً إن عملها، وإن هم بها من غير عمل كتبت له واحدة،[1] وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ أو الخير المال، أي: إن تبدوا صدقة، أي: تعطوها أو

---

(١) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، تفسير الطبري {٩/ ٣٤٤}.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه مسلم {٢٥٨٧}.

(٤) تفسير الطبري {٩/ ٣٤٥}

(٥) أخرجه البخاري {٢٤٦١- ٦١٣٧- ٧٠٤٥} ومسلم {١٧٢٧}.

(٦) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن عباس وابن جبير والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء بن السائب وابن يسار، المحتسب {١/ ٢٠٣}.

تخفوها، فتعطوها سراً، ﴿ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ ﴾ أي: مظلمة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ أي: إنه تعالى أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة.

آمن اليهود بموسى ﷺ والتوراة وعزيز، وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد والقرآن، فأنزل الله تعالى:[٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ ﴾ أي: ديناً بين اليهودية والإسلام ومذهباً يذهبون إليه، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ [٢٨٤/أ] نصب حال مؤكدة، أو مصدره هذا،[٣] إعلام أن الكفر ببعضهم كفر بجميعهم، ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي: كلهم ﴿ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ ﴾ حفص عن عاصم ﴿ يُؤۡتِيهِمۡ ﴾ بالياء، ومن بقي بالنون[٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢ ﴾

قال كعب بن الأشرف وفنحاص اليهوديان لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى ﷺ، فأنزل الله تعالى:[٥] ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح، لا سؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد، ﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي: أعظم ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ أي: عياناً، وقرئ: (جَهَرَة) بفتح الهاء لغة كزَهَرة،[٦] ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ أي: إلهاً ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ أي: ولم نستأصلهم، وهذا من الاستدعاء إلى التوبة، أي: إن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ ﴾ أي: برهانا بينا من المعجزات، وهي الآيات التسع.

=

(١) ويشهد له أحاديث عدة منها: ما أخرجه مسلم {١٦٢} في حديث الإسراء الطويل عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ **((ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة...))** الخ.

(٢) تفسير البغوي {١/ ٧١٧}.

(٣) البحر المحيط {٣/ ٥٤٦}

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١٨٥٢٤}.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٨٧}.

(٦) وهي قراءة شاذة قرأ بها سهل بن شعيب النهمي، المحتسب {١/ ٨٤}.

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ ورش عن نافع (لا تعَدُّوا) بفتح العين وتشديد الدال، أراد لا يعتدوا، فأدغم وأسكن العين، من بقي، غير أن قالون شدد الدال، وخففها من بقي،[1] أي: لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه.

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ ما زائدة، أي: فبنقضهم ﴿ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ أي: ختم ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ أي: ممن كذب الرسل لا من المطبوع على قلبه؛ لأن من طبع على قلبه لا يؤمن أبداً، والقليل هم عبد الله بن سلام وأصحابه،[2] أو أراد لا يؤمنون قليلاً ولا [٢٨٤/ب] كثيراً.[3]

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ أي: حين رموها بالزنا ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ لأن الله تعالى ألقى شبه عيسى على الذي دل عليه، أو إنهم حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيباً فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى، وقيل غير ذلك، والقصة مذكورة في آل عمران.[4] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ أي: في قتله ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ أي: في قتله، قالت اليهود: نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى: نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ما قتله لا هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إليه، وقالوا ننظر إليه، وكان قد ألقي شبه وجه عيسى على الذي صلب بدل عيسى، ولم يلق على جسده، فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى فقد قتلناه، وقال بعضهم: لم نقتله؛ لأن جسده ليس جسد عيسى، أو اختلافهم قولهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟[5] قال تعالى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ أي: لكنهم يتبعون الظن في

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١٨٥٢٤}.

(٢) قول ابن عباس رضي الله عنهما، زاد المسير {٢/ ٢٤٣}.

(٣) انظر: تفسير البغوي {١/ ٧١٨}.

(٤) انظر: ل [١٨٤/ ب].

(٥) قول السدي، المرجع السابق {١/ ٧١٩}.

قتله. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ أو يكون ﴿قَتَلُوهُ﴾ كلام تام،[١] ويكون ﴿يَقِينًا﴾ راجعا إلى ما بعده، تقديره: بل رفعه الله إليه يقيناً، والهاء في ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عائدة على عيسى، أو عائدة إلى الذي ظن أنه عيسى، قاله الفراء رحمه الله.[٢]

ابن عباس: ما قتلوا ظنهم يقيناً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي: منيعاً بالنقمة من اليهود ﴿حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ أي: حكم باللعنة والغضب عليهم، فسلط عليهم ظطيوس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة.[٣]

﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ﴾ أي: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن بعيسى قبل موته، الهاء كناية عن الكتابي، أي: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته، إذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه، وسواء احترق أو غرق أو على أي حال مات،[٤] أو إن الهاء في موته كناية عن عيسى ﷺ، أي: وإن من أهل الكتاب ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ﷺ، أي: [بعد][٥] نزوله من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد إلا آمن به، حتى تكون الملة ملة واحدة، ملة الإسلام.[٦]

قال ﷺ:[٢٨٥/أ] **((يوشك أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويقتل الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون))** قال أبو هريرة: إن شئتم فاقرؤوا: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ۝١٥٩﴾[٧]

---

(١) المصنف وضع علامة للوقف التام بعد قوله (يقينا) ولذلك ذكر القول الثاني في محل الوقف، وهو قول أحمد بن موسى اللؤلؤي. المكتفى في الوقف والابتدا {٢٣١}.

(٢) معاني القرآن للفراء {١/ ٢٩٤}.

(٣) تاريخ الطبري {١/ ٣٤٢}.

(٤) قول عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، تفسير الطبري {٩/ ٢٨٢}.

(٥) في (ب) عند.

(٦) رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول قتادة وابن زيد، واختاره ابن جرير {٩/ ٣٨٠-٣٨٦}.

(٧) أخرج بعضه البخاري {٢٢٢٢- ٢٤٧٦- ٣٤٤٨} ومسلم {١٥٥} وأخرجه أبو داوود {٤٣٢٤} والترمذي {٢٢٣٣} وابن ماجه {٤٠٧٨}.

أي: عيسى، يشهد عليهم أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه، كما قال تعالى مخبراً عنه: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [المائدة: ١١٧] وكل نبي شاهد على أمته.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ أي: ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق، وكفرهم بآيات الله، وبهتانهم على مريم وغير ذلك، ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ وهي المذكورة في سورة الأنعام، وهي: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾[الأنعام: ١٤٦] ونظم الآية: فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا ﴿ وَبِصَدِّهِمْ ﴾ أنفسهم وغيرهم، ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: دين الله ﴿ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ أي: صداً كثيراً.

﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ أي: في التوراة ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي: الرشا في الحكم، والمآكل التي يصيبونها من عوامِّهم، عاقبناهم بتحريمنا عليهم ما حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، فكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات مما كانت حلالاً لهم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ وهم الذين أسلموا من علماء اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه، والراسخون في العلم البالغون فيه أولوا البصائر ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: المهاجرون والأنصار ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي: جميع الكتب المنزلة ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .
عن عائشة وأبان بن عثمان:[1] أن الكاتب غلط وكان ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة، وكذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ في المائدة [آية:٦٩] و﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه: ٦٣] قالوا: ذلك خطأ من الكاتب.[2] وعن عثمان أنه قال: إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها، فقيل له: ألا تغيره؟ فقال: دعوه فإنه [٢٨٥/ب] لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً.[3]
وفي هذا نظر؛ لأن هذا لم يصح عند أهل النقل، وإنما يقول به من لا يعرف مذاهب العرب وتوسعهم في لغاتهم، وكيف يكون في كتاب الله تعالى لحن مع ديانتهم وتحقيقهم وصيانتهم لكتاب الله تعالى، مثل ذلك لا يظن بهم ﷺ، وعامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح، ونصبه على المديح، أو بإضمار فعل

---

(١) أبان بن عثمان بن عفان الأموي، أبو سعيد، مدني ثقة، ت ١٠٥هـ تقريب التهذيب {١٤٢}.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن {٢٨٧- ٢٨٨} والطبري في التفسير {٩/ ٣٩٤- ٣٩٥}.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن {٢٨٧}.

أعني المقيمين، أو في موضع خفض.[١] أي: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين، أو يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، وقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ رجوع إلى العطف الأول، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ حمزة (سيؤتيهم) بالياء ومن بقي بالنون.[٢] ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ هذا بناء على ما سبق من قوله: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ فلما ذكر عيوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله تعالى، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١][٣] وبدأ بذكر نوح تخصيصا؛ لأنه أبو البشر؛ ولأنه أول الأنبياء شريعة، وأول نذير على الشرك، أهلك الله تعالى الأرض بدعائه، وكان أطول الأنبياء عمراً، وكانت معجزته في نفسه؛ لأنه عمر ألف سنة، ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنتقص له قوة، ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر على طول عمره.[٤]

﴿ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ وهم أولاد يعقوب، يعقوب بن إسحاق، والأسباط في بني إسحاق كالقبائل في بني إسماعيل، وسموا بذلك؛ للفرق بينهما، وكان أولاد يعقوب اثني عشر رجلا، وهم الأسباط، ﴿ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ حمزة والأعمش بضم الزاي حيث حل، جمع جمع؛ لأنك تجمع زبوران زبرا، ثم تجمع الزبر زُبورا، أي: آتينا داوود كتباً وصحفاً مزبورةً، أي: مكتوبة، ومن بقي بالفتح،[٥] وهو اسم الكتاب

---

(١) البحر المحيط {٣/ ٥٥٩} ومن الردود القوية على هذا الكلام، قول الإمام الطبري رحمه الله: فلو كان ذلك خطأً من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أُبيٍّ في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ، مع أن ذلك لو كان خطأً من جهة الخط؛ لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلِّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن؛ ولأصلحوه بألسنتهم ولقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوما أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه. وأن لا صنع في ذلك للكاتب.اهـ {٩/ ٣٩٧-٣٩٨}

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١٨٥٢٤}.

(٣) أخرجه الطبري {٩/ ٤٠١}.

(٤) تفسير البغوي {١/ ٧٢٢} وبعض ما ذكره المصنف من الإسرائيليات لا دليل عليه.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١٨٥٢٤}.

المنزل على داوود، كان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى، وكان يبرز إلى البرية بعلماء بني إسرائيل، فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجن خلف الناس، الأعظم فالأعظم، والشياطين [٢٨٦/أ] خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجباً لما يسمعن منه، والطير ترفرف على رؤوسهم،[١] أو أنه كان يجمد الماء ويقف الهواء لذلك، فلما قارف الذنب لم ير ذلك، فقيل له: ذاك أنس الطاعة، وهذا وحشة المعصية.[٢]

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: قصصنا عليك رسلاً، أو نصب بحذف الخافض، أي: كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل، ﴿ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾

الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأيِّ طريق وصل، فإذا أكد بالمصدر، كان حقيقة لا مجازا؛ لأن المصادر يجاء بها لنفي المجاز.[٣]

أو لما ذكر الله النبيين في هذه الآية ولم يذكر لنا موسى، قالت اليهود: أكلمه الله تعالى أم لا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ وقرئ (وكلم اللهَ) بالنصب على أن الفاعل موسى.[٤]

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي: فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً ولا أنزلت كتاباً، فيه دليل على أنه تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾

جاء رؤساء مكة فقالوا: يا محمد إنا سألنا اليهود عن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود، فقال لهم ﷺ: **((والله إنكم لتعلمون أني رسول الله))** فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله تعالى:[٥] ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ إن جحدوك وكذبوك ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾

---

(١) تفسير البغوي {١/ ٧٢٢}.

(٢) تفسير الثعلبي {٣/ ٤١٥}.

(٣) نقله عنه البغوي في تفسيره {١/ ٧٢٣}.

(٤) وهي قراءة شاذة قرأ بها يحيى بن وثاب والنخعي، المحتسب {١/ ٢٠٤} والدر المصون {٤/ ١٦١}.

(٥) أخرجه الطبري {٩/ ٤٠٩} من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول، والواحدي في أسباب النزول من طريق الكلبي {١٨٧}.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ﴾ إنما قال ظلموا -مع أن ظلمهم بكفرهم- للتأكيد، أو كفروا بالله وظلموا محمداً ﷺ بكتمان نعته[1] ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ أي: دين الإسلام.

﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[2] ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ وهذا في حق من [٢٨٦/ب] سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ أي: محمد ﷺ قد جاءكم بالشرع، وخيرا نصب دعاء، أي: أصبتم، أو على تقدير: يكن خيراً لكم، أو اعملوا خيرا لكم ﴿ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

قالت اليعقوبية:[3] عيسى هو الله، وكذلك الملكانية،[4] وقالت النسطورية:[5] عيسى ابن الله، وقالت: المرقوسية: هو ثالث ثلاثة. وهذه الطوائف كلها من النصارى. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾[6] يقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوبية يقولون: ابن الله، والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة، وعلمهم ذلك بولس اليهودي، وسيذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

الحسن: يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى، فإنهم جميعاً غلوا في أمر عيسى عليه السلام، فاليهود بالتقصير، والنصارى بمجاوزة الحد،[7] وأصل الغلو: مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام.

ومعنى ﴿ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾ لا تشددوا في دينكم فتفتروا على الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ أي: لا تقولوا إن له شريكاً وولداً، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ﴾ وهي

---

(١) انظر: تفسير البغوي {١/ ٧٤٢}.

(٢) في (ب) وهم اليهود.

(٣) من فرق اليهود، وهو القائلون بأن الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده. الملل والنحل {٢٢٤}.

(٤) أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، المرجع السابق {١/ ٢٢١}.

(٥) أتباع نسطور الحكيم، الذي ظهر في زمان المأمون، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة. المرجع السابق {١/ ٢٢٣} وهذه الفرق الثلاث من كبار فرق اليهود.

(٦) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {١٧١}

(٧) انظر: تفسير البغوي {١/ ٧٢٤}.

قوله: كن فكان بشراً من غير أب، ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أي: أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: هو روح كسائر الأرواح، وأضافه تعالى إلى نفسه تشريفاً له.

أو الروح هو نفخة جبريل في درع مريم فحملت بإذن الله تعالى، وسمي النفخ روحاً؛ لأنه ريح تخرج من الروح، أو روح منه، أي: رحمة، وكان رحمةً لمن تبعه وآمن به.[١]

أو الروح: الوحي، أوحى إلى مريم بالبشارة، وإلى جبريل بالنفخ، وإلى عيسى أن كن فكان، أو المراد بالروح جبريل،[٢] معناه: وكلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها إليها أيضاً روح منه، أي: بأمره وهو جبريل، فكأن الإلقاء كان من الله وحيا ومن جبريل كسبا بأمر الله سبحانه وتعالى.

قال ﷺ **((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وعيسى كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)).**[٣] [٢٨٧/أ]

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ أي: هم ثلاثة، وكانت النصارى يقولون: أب وابن وروح قدس ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡ﴾ وانتصاب، ﴿خَيۡرًا﴾ هنا كانتصاب ﴿خَيۡرًا﴾ المقدم[٤] ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ لا يجوز التبني لله تعالى أيضا، إنما يجوز لمن يتصور له التبني، ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾

قال وفد نجران للنبي ﷺ: إنك تعيب صاحبنا فتقول: إنه عبد الله، فقال ﷺ: **((إنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبداً لله))** فأنزل الله تعالى:[٥] ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ أي: يأنف، والاستنكاف: التكبر مع الأنفة والتعظم[٦] ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ أي: حملة العرش، لا يأنفون أن يكونوا عبيداً لله تعالى، وقد يستدل بهذه الآية على تفضيل الملائكة على البشر، إذ ذكر عيسى ثم ارتقى إلى الملائكة، والارتقاء أنما يكون إلى الأعلى، فلا يقال: لا يستنكف زيد من هذا ولا عبده،

---

(١) انظر: المرجع السابق {١/ ٤١٩}.

(٢) انظر: المرجع السابق {١/ ٤١٩}.

(٣) أخرجه البخاري {٣٤٣٥} ومسلم {٢٨}.

(٤) في (ب) المتقدم. أي في الآية السابقة قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا خَيۡرًا لَّكُمۡ﴾.

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد عن الكلبي {١٨٧}.

(٦) لسان العرب، مادة: نكف.

ويجاب عن هذا بأن يقال: لم يذكر الملائكة هنا بعد عيسى تفضيلا على البشر، بل رداً على الذين يقولون الملائكة آلهة، كما رد على النصارى، ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ الاستنكاف التكبر مع الأنفة، والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ أي: من تضعيف الحسنات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ أي: عن عبادته، ﴿ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: محمداً ﷺ، أو هو القرآن، والبرهان: الحجة، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ أي: القرآن.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ ﴾ أي: امتنعوا به من الشيطان ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

قال جابر: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب علي من وضوئه، فعقلت، فقلت: يا رسول الله، لمن الميراث[٢٨٧/ب] إنما يرثني كلالة؟ فنزلت: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾[1] وقد تقدم معنى الكلالة وحكم الآية في أول هذه السورة.[2]

﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ أي: إذا ماتت ولا ولد لها فله جميع الميراث، فإن كان لها ولد فلا شيء للأخ، إن لم يكن الولد أنثى فله الفاضل عن نصيب الأنثى ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ أي: اثنتين فصاعداً، وإن مات هو وله أخوات فلهن الثلثان.

﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ أي: أن لا تضلوا، وقرئ بها،[1] أو لئلا تضلوا، وقد تدخل لا في الكلام على جهة التوكيد: كقوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ﴾ [القيامة: ١]

---

(١) تقدم تخريجه ل[٢٤٤/ ب]

(٢) ل [٢٤٥/ أ]

ولا يجوز: لا أحلف عليك تريد أحلف عليك؛ لأن لا إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النفي، فإذا بنيت الكلام على النفي فقد نقضت الإيجاب، وإنما جاز أن تلغى في أوائل السور؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، أو يبين لكم كراهة أن تضلوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ .

روي: أن آخر سورة نزلت كاملة براءة، وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء، ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ﴾ الآية [٢]

ابن عباس: آخر آية نزلت آية الربا، وآخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] .[٣]

وروي عنه أيضا: أن آخر آية نزلت ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] .[٤]

وروي: أن بعد ما نزلت سورة النصر عاش ﷺ بعدها عاماً، ونزلت بعدها سورة براءة، وهي آخر سورة نزلت كاملةً،[٥] فعاش بعدها ستة أشهر، ثم نزلت في طريق حجة الوداع ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ فسميت آية الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة: ٣]

=

(١) قول الفراء، معاني القرآن للفراء {١/ ٢٩٧}.

(٢) أخرجه البخاري {٤٣٦٤- ٤٦٠٥- ٤٦٥٤} ومسلم {١٦١٨}.

(٣) أخرجه البخاري {٤٥٤٤}.

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن {٣٧٠} وقال ابن حجر رحمه الله في الفتح، في الجمع بين روايتي ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا، إذ هي معطوفة عليهن، وأما ما سيأتي في آخر سورة النساء، من حديث البراء آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ فيجمع بينه وبين قول ابن عباس رضي الله عنهما، بأن الآيتين نزلتا جميعا، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلا، بخلاف آية البقرة، ويحتمل عكسه، والأول أرجح. اهـ {٨/ ٢٥٨}.

(٥) الصحيح والله أعلم أن آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر؛ لأن أول سورة براءة نزل عقب فتح مكة، فيكون المراد بالآخرية معظمها، والله أعلم. وانظر: فتح الباري {٨/ ٤٠٢}.

فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً،[١] ثم نزلت آيات الربا، ثم نزلت: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٨١] فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً.[٢]

---

(١) قول ابن جريج، تفسير الطبري {٩/ ٥١٦}.

(٢) تفسير البغوي {١/ ٧٢٧}.

سورة المائدة

مدنية كلها إلا قوله عز وجل: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [آية:٣] الآية، نزلت بعرفة،[١] وهي مائة وعشرون أو اثنتان أو ثلاث وعشرون آية.[٢]

علقمة:[٣] متى سمعت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [آية:١] فهي مدنية، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ٢١] فهي مكية.[٤] قلت: هذا هو الأكثر.[٥]

[أبو ميسرة][٦] قال: في المائدة ثماني عشرة فريضة، [٢٨٨/أ] أو هي بالألف أشبه، قالوا: ومراد [أبي ميسرة][٥] أن هذه الفرائض غير مذكورة في غيرها.[٧]

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ يقال: وفى بالعهد وأوفى به، والعقود جمع عقد، وهو العهد الموثق، وشبه بعقد الحبل،[٨] وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده وألزمهم إياها، من مواجب الشرع والتكليف، أو هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمبايعات وغير ذلك، ويتحالفون عليه،[٩] والظاهر أنها عقود الله تعالى المقدمة مجملا، ثم عقبه مفصلا، فقال تعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر.

---

(١) قول ابن عباس والضحاك ومقاتل، زاد المسير {٢/ ٢٦٧} وهذا لا ينافي كونها مدنية، فإن الجمهور يرون أن ما كان قبل الهجرة فهو مكي، وما كان بعدها فهو مدني. وانظر: البرهان في علوم القرآن {١/ ٢٧٤}.

(٢) انظر: القول الوجيز {١٨٥}.

(٣) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد، لازم ابن مسعود ﷺ حتى رأس في العلم والعمل، وكان يُشبَّه به في هديه ودله وسمته، توفي بعد الستين، وقيل: بعد السبعين. سير أعلام النبلاء {٤/ ٥٣} تقريب التهذيب {٦٨٩}.

(٤) معاني النحاس {١/ ٢٦٥}.

(٥) وهذا كما قال المؤلف، وانظر: البرهان في علوم القرآن {١/ ٢٧٥- ٢٧٦}.

(٦) في المخطوط: ابن ميسرة، والمثبت من المصادر. وهو عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبو ميسرة الكوفي، ثقة عابد مخضرم، مات في الطاعون. انظر: تقريب التهذيب {٧٣٧}.

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائله {٢٤٠} والسيوطي في الدر المنثور {٥/ ١٥٨}.

(٨) انظر: معاني الزجاج {٢/ ١٣٩}.

(٩) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٤٥٣}.

وبهيمة الأنعام: الظباء والبقر الوحشية والحمر الوحشية،[١] ومن جعل هذه بهيمة الأنعام فكأنه أراد ما يماثل الأنعام ويدانيها في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيف إلى الأنعام لملابسة الشبه.

الزجاج:[٢] كل حي لا يميز فهو بهيمة، وإنما قيل لها بهيمة؛ لأنه أبهم عن أن يميز، فأعلم الله جل ثناؤه أن الذي أحل لنا مما أبهم هذه الأشياء.[٣]

أو بهيمة الأنعام: الأجنة توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت، قال بعضهم بتحليله،[٤] واستدل بقوله ﷺ لما سألوه: إنا ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطونها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: **((كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه))**[٥]

أو سميت بهيمة؛ لأنها لا نطق لها، والأنعام اسم للإبل والبقر والغنم، فكأنه قال: أحلت لكم الإبل والبقر والغنم والوحش وإضافة البهيمة إلى الأنعام للبيان، وهي بمعنى: من، كأنه قال بهيمة من الأنعام.[٦] ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: محرم ما يتلى عليكم في القرآن من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ الآية، إلا ما يتلى عليكم تحريمه، أي: من الميتة والدم والموقوذة والمتردية والنطيحة، ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ أي: أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد، و﴿غَيۡرَ﴾ نصب حال من الضمير في ﴿لَكُم﴾ أو نصب عن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[٧] ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ أي: محرمون، واحد الحرم حرام، ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ حال من ﴿مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾[٨] كأنه قال: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد لئلا نضيق عليكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ أي: يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء لمن يشاء.[٢٨٨/ب]

---

(١) انظر: معاني الزجاج {٢/ ١٤٠} وهي عند العرب: اسم للإبل والبقر والغنم خاصة. ورجحه الطبري {٩/ ٤٥٧}.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أخذ عن ثعلب والمبرد، ت٣١١هـ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة {٢}.

(٣) انظر: معاني الزجاج {٢/ ١٤٠}.

(٤) قول ابن عمر وابن عباس والشعبي، تفسير الطبري {٩/ ٤٥٦} والبغوي {٢/ ٥}.

(٥) أخرجه أبو داوود {٢٨٢٧} والترمذي {١٤٧٦} وابن ماجه {٩٠٠} وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقد روي من غير هذا الوجه عن أبي سعيد، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.اهـ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود {٢٤٥١}.

(٦) تفسير الكشاف {١/ ٣٢٠}.

(٧) مشكل إعراب القرآن {١/ ٢١٧}.

(٨) المرجع السابق.

جاء الحطم واسمه شريح بن ضبيعة،[١] إلى المدينة، وخلف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ، فقال له: إلى ما تدعو الناس يا محمد؟ فقال: **((إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة))** فقال: حسن، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وكان رسول الله ﷺ قال قبل ذاك: **((يدخل عليكم رجل من ربيعة، يتكلم بلسان شيطان))** ثم خرج شريح، فقال ﷺ: **((لقد دخل بوجه كافر وخرج بوجه غادر، وما الرجل بمسلم))** فمر بسرح المدينة [٢] فاستاقه، فتبعوه فلم يدركوه، فلما كان العام القابل خرج حاجا في حُجَّاج بكر بن وائل، ومعه تجارة عظيمة، وقد قلد الهدي، فقال المسلمون للنبي ﷺ: هذا الحطم خرج حاجاً فخل بيننا وبينه، فقال ﷺ: **((قد قلد الهدي))** قالوا يا رسول الله: هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾[٣] أي: في مناسك الحج، وكان المشركون يحجون ويهدون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فنهاهم الله تعالى،[٤] أو شعائر الله تعالى هي الهدايا المشعورة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وإشعارها: إعلامها بما يعرف أنها هدي.[٥]

وهو هنا: أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم، وهي سنة في الهدايا من الإبل؛ لفعله ﷺ.

وقاس الشافعي البقر على الإبل في الإشعار،[٦] وعند أبي حنيفة: لا يشعر الهدي،[٧] والغنم لا تشعر إجماعا بالجرح لضعفها.

ابن عباس رضي الله عنهما: لا تحلوا شعائر الله هي أن تصيد وأنت محرم.[٨]

---

(١) شريح بن ضبيعة البكري، قتل مرتدا في اليمامة. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٣٠}.

(٢) السرح: المال السائم في المرعى. لسان العرب، مادة: سرح.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرسلا بلا إسناد {١٨٩}.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، تفسير الطبري {٩/ ٤٦٣}.

(٥) مجاز القرآن {١/ ١٤٦}.

(٦) الأم {٧/ ١٥٤}.

(٧) وهو مكروه عنده؛ لأنه مُثلة؛ وفيه إيلام للحيوان من غير ضرورة؛ ولحصول مقصود الإعلام بالتقليد. بدائع الصنائع {٢/ ٣٦٨}. وقوله هذا رحمه الله، مخالف للأحاديث الواردة في مشروعيته. والله أعلم.

(٨) رواية عطية العوفي عنه، تفسير الطبري {٩/ ٤٦٤}.

أو المراد ما حرم الله تعالى، أو المراد النهي عن القتل في الحرم،[١] ﴿ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ أي: القتال فيه، أو هو النسيء؛[٢] لأنهم كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاماً ﴿ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ ﴾ وهو كل ما يهدى إلى البيت من الأنعام ﴿ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ أي: الهدايا ذوات القلائد، أو أراد أصحاب القلائد؛ لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم، وإبلهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها،[٣] أو هي القلائد نفسها؛ لأن المشركين كانوا يتقلدون لحاء شجر مكة فنهوا عن نزع شجرها.[٤]

﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ أي: قاصدين ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ أي: يطلبون رزقا بالتجارة، ﴿ وَرِضۡوَٰنٗاۚ ﴾ هو أن يصلح معايشهم في الدنيا، ولا يعجل لهم [٢٨٩/أ] العقوبة، أو ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة؛ لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجون، وهذه الآية إلى هنا منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: ٥] وبقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة: ٢٨] فلا يجوز حج مشرك، ولا أمن كافر بالقلائد والهدي.[٥]

﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ ﴾ أي: من إحرامكم ﴿ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ وهو أمر إباحة،[٦] كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الجمعة: ١٠] ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾ أي: لا يكسبنكم أولا يحملنكم، يقال: جرم، أي: كسب فلان جريمة أهله، أي: كاسبهم، أو لا يدعونّكم ﴿ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴾ أي: بغضهم وعداوتهم، وهو مصدر شنئت، ابن عامر و أبو بكر ﴿ شَنۡـَٔانُ ﴾ بسكون النون الأولى، ومن بقي بفتحها لغتان،[٧] ﴿ أَن صَدُّوكُمۡ ﴾ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على الابتداء؛[٨] لأنهم صدوكم.

---

(١) زاد المسير {٢/ ٢٧٢}.

(٢) قول ابن زيد، تفسير البغوي {٢/ ٨}.

(٣) أخرجه ابن جرير عن عطاء في تفسيره {٩/ ٤٦٨}.

(٤) المرجع السابق {٩/ ٤٦٩}.

(٥) والقول بالنسخ قول قتادة وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، الناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ٢٣٥} ومن قال بالنسخ فعلى اعتبار أنها نزلت في المشركين، ولم يرد في نزوله سبب صحيح، والله أعلم.

(٦) وهذه مسألة مختلف فيها، والراجح أن الأمر يعود إلى ما كان عليه، قبل الحظر، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام {٢/ ١٧٨}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٥٣} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٢٩}.

(٨) انظر المرجعين السابقين.

محمد بن جرير: إن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية، وكان الصد قد تقدم.[١]

﴿ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ أي: عليهم بالقتل وأخذ الأموال ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ البر: متابعة الأمر، والتقوى: مجانبة النهي، أو البر: الإسلام، والتقوى: السنة.[٢]

﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ الإثم: الكفر، والعدوان: **((ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس))**[٣] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ أي: ما ذكر اسم غير الله تعالى على ذبحه ﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ أي: التي تختنق فتموت.

ابن عباس: كانوا يخنقون الشاة في الجاهلية، حتى إذا ماتت أكلوها.[٤]

﴿ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾ أي: المقتولة بالخشب؛ لأنهم كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتت أكلوها، ﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ هي التي تقع من مكان عال، أو في بئر فتموت ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ وهي التي تنطحها أخرى فتموت، وهاء التأنيث تدخل على فعيل بمعنى فاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو عين كحيل وكف خضيب، فإذا حذفوا الاسم وأفردوا الصفة، أدخلوا الهاء فقالوا: رأينا كحيلة، وهنا أدخل الهاء؛ لأنها لم يتقدمها الاسم، فلو أسقط الهاء لم يعلم أنها صفة مذكر أو مؤنث[٥] ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾ [٢٨٩/ب] أي: ما بقي مما أكل السبع، وكانوا أهل الجاهلية يأكلونه ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ أي: إلا ما أدركتم ذكاته، وأصل التذكية الإتمام،[٦] والمراد هنا: فري الأوداج وإنهار الدم بما أنهر الدم بكل محدد ليس السن والظفر، وأقل ذكاتها الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحلقوم، وكماله أن يقطع الودجين معا، وإنما يجوز ذكاة ما أكله السبع إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته، فأما ما صار بجرح السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحته، وكذلك المتردية والنطيحة إذا أدركتها حيةً قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها فهي حلال، ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ جمع نصاب، أو هو واحد وجمعه أنصاب، كعنق وأعناق، وهو الشيء المنصوب.[٧]

---

(١) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٤٨٨}.

(٢) انظر: تفسير البغوي {٢/ ٩}.

(٣) جزء من الحديث الصحيح عند مسلم، وأوله ((**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك ...**)) {٢٥٥٣}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٠}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٤٩٩} ومعاني الأخفش {٢/ ٤٦١}.

(٦) لسان العرب، مادة: ذكا.

(٧) النهاية في غريب الحديث، مادة: نصب.

وكان حول البيت ثلاثمائة حجر منصوبة، تعبد وتعظم في الجاهلية، ويذكون لها، وليست بأصنام، إنما الأصنام المصورة المنقوشة، أو هي الأصنام المنصوبة،(١) والمعنى: وما ذبح على اسم الصنم، أو ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به واحد،(٢) أو: على بمعنى اللام.(٣)

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، وهو طلب القسم والحكم من الأزلام، وهي القداح التي لا ريش لها ولا نصل، واحدها زلم بفتح الزاي وضمها،(٤) وكانت سبعة عند سادن الكعبة، على واحد: لا، وعلى آخر: نعم، وعلى آخر منكم، وعلى آخر: من غيركم، وعلى آخر: ملصق، وعلى آخر: العقل، وعلى آخر: غفل لاشيء عليه، فإذا أرادوا أمراً من سفر أو نكاح وغير ذلك من أمورهم، جاؤوا إلى هبل بمائة درهم أعطوها صاحب القداح حتى يُجيل القداحَ، ويقولون: يا إلهنا إنا أردنا كذا وكذا، فإن خرج نعم، فعلوا، وإن خرج لا، لم يفعلوا ذلك حولاً، ثم عادوا إلى القداح ثانية، فإذا أجالوا على نسب، فإن خرج منكم، كان وسيطاً منهم، وإن خرج من غيركم كان حليفاً، وإن وقع ملصقا كان على منزلته لا نسب ولا حلف، وإن أجالوا على عقل، فمن خرج عليه تحمله، وإن خرج الغفل أجالوا ثانيةً حتى يخرج مكتوب، فنُهوا عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾(٥) ابن جبير: الأزلام حصىً بِيضٌ، كانوا يضربون بها.(٦)

مجاهد: هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، أو الأزلام للعرب، [٢٩٠/أ] والكعاب للعجم.(٧)

سفيان بن وكيع: أن الأزلام الشطرنج.(٨)

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ١٠} والقول الأول عن مجاهد وقتادة.

(٢) قول ابن زيد، المرجع السابق.

(٣) قول قطرب، نقله عنه الثعلبي {٤/ ١٤}.

(٤) لسان العرب، مادة: زلم.

(٥) أخرجه الطبري عن ابن إسحاق {٩/ ٥١٤}.

(٦) الجامع لأحكام القرآن {٦/٤٠}.

(٧) المرجع السابق.

(٨) انظر هذه الأقوال الثلاثة، في تفسير الطبري {٩/ ٥١٢} والبغوي {٢/ ١١}.

قال ﷺ: **((من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره، لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة))**(١)

﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ ﴾ لأن الكفار كانوا يطمعون في عودة المسلمين إلى دينهم، فلما قوي الإسلام أيسوا، ويئس وأيس واحد، ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾

قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، آية تقرؤونها في كتابكم، لو علينا أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ الآية، فقال عمر ﷺ: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ بعرفة يوم جمعة، أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا.(٢)

قال ابن عباس: كان ذلك اليوم خمسة أعياد: جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.(٣)

ولما نزلت هذه الآية بكى عمر، قال النبي ﷺ: **((ما يبكيك؟))** قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: **((صدقت))**(٤) فكانت هذه نعي رسول الله ﷺ، وعاش بعدها أحدا وثمانين يوماً، ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة، أو توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكانت هجرته في الثاني عشر.(٥)

معنى ﴿ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ أي: الفرائض والسنن والأحكام والحدود والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء. عن ابن عباس رضي عنهما.(٦)

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير {٢٦٦٣} قال الحافظ في الفتح: رجاله ثقات، إلا أنني أظن أن فيه انقطاعا، وله شاهد عن عمران بن حصين، وأخرجه البزار في أثناء حديث جيد {١٠/ ٢٦٣} وهو في السلسلة الصحيحة {٢١٦١}.

(٢) أخرجه البخاري {٤٥-٤٤٠٧} ومسلم {٣٠١٧}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ١٢} وليست فضيلة هذا اليوم باجتماع تلك الأعياد غير الشرعية، فيكون قول ابن عباس للبيان. والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبري عن هارون بن عنترة عن أبيه مرسلا {٩/ ٥١٩} وهارون هذا: وثقه أحمد، ويحيى بن معين. وقال ابن حبان: لا يجوز أن يحتج به، منكر الحديث جدا. ميزان الاعتدال {٤/ ٢٨٤}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ١٢} وهذا هو المشهور عند أهل السير.

(٦) انظر: تفسير البغوي {٢/ ١٣}.

وروي أن آية الربا نزلت بعدها، أو ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أي: لم يحج معكم مشرك،[1] أو أظهر دينكم وأمنكم من العدو[2] ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ أي: وأنجزت لكم وعدي، ومن وعدِه تبارك وتعالى دخولهم مكة آمنين، وحجوا مطمئنين، ولم يخالطهم أحد من المشركين ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

قال رسول الله ﷺ: **((قال الله تعالى: هذا دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه))**[3]

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ أي: جهد ومجاعة، والخميص البطن الخاوي الطاوي﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ أي: مائل إلى إثم، وهو الأكل فوق الشبع، أو غير متعرض لمعصية في مقصده فأكله. [٢٩٠/ب]
﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾.

قالوا: يا رسول الله إنا تصيبنا المخمصة، فمتى تحل لنا الميتة؟ فقال: **((ما لم تصطبحوا، أو تغتبقوا، أو تحتفئوا بها بقلاً فشأنكم بها))**[4]

---

(١) عن سعيد بن جبير وقتادة، زاد المسير {٢/ ٢٨٧}.

(٢) عن الشعبي، المرجع السابق.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر وعن عمران بن الحصين {٨٢٨٢} وقال الهيثمي في المجمع: وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر وهو ضعيف. وقال في رواية عمران: وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك. {١٢٦٥٩-١٢٦٦٠} وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة: باطل.

(٤) أخرجه أحمد {٢١٨٩٨- ٢١٩٠١} وقال: محققه الأرناؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده، والطبري {٩/ ٥٣٨} وذكره الهيثمي في المجمع في موضعين {٦٨٢٧- ٨٠٧٤} وقال: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح إلا أن المزي قال: لم يسمع حسان بن عطية من أبي واقد، والله أعلم، وقال في الموضع الثاني: رواه الطبراني ورجاله ثقات.اهـ والغَبوق: شرب اللبن آخر النهار، والصبوح: شرب اللبن أول النهار، وتحتفئوا: تقتلعوا. النهاية في غريب الحديث: مادة غبق، صبح، حفا.
وقال البغوي في معنى الحديث: فإذا اصطبح الرجل لبنا أو تغدى بطعام لم يحل له نهاره ذلك أكل الميتة، وكذلك إذا تعشى أو شرب غبوقا، فلم يحل له ليلته تلك، لأنه يتبلغ بتلك الشربة، وإذا مر المضطر بتمر أو زرع أو ماشية للغير أكل منها، لم يكن لمالكه منعه، فإذا منعه كان في ذمته. اهـ شرح السنة {١١/ ٣٤٨}.

قال زيد الخيل[١] الذي سماه رسول الله ﷺ، زيد الخير، وعدي بن حاتم[٢] الطائيان: يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية،[٣] أو أنه ﷺ لما أمر بقتل الكلاب فقالوا: يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية،[٤] فعند ذلك أذن ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها، ونهى عن إمساك مالا نفع فيها منها. والصحيح الأول.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ أي: الذبائح على اسم الله تعالى، أو كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ أي: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح وهي الكلاب دون غيرها، عند الضحاك والسدي، ولا يحل عندهما ما صاده غيرها إلا أن تدرك ذكاته.[٥]

والصحيح: أن المراد بالجوارح الكواسب كالفهد والنمر والكلب، والبازي والعقاب والصقر، مما يقبل التعليم، فيحل صيد جميعها،[٦] والجارح للقوم الكاسب لهم، يقال: فلان جارح قومه، أي: كاسبهم، ومنه الجارحة،[٧] ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ والمكلِّب مغري الكلاب على الصيد، والمعلم لها أيضاً مكلِّب، والكلاَّب صاحبها والصائد أيضا كلاَّب.[٨]

---

(١) أبو مكنف زيد بن مهلهل بن زيد بن طيء الطائي، وفد على النبي ﷺ سنة تسع، وسماه زيد الخير، وكان شاعرا خطيبا شجاعا كريما، وأحد شعراء الجاهلية وفرسانهم المعدودين. الإصابة {٢/ ٦٢٢}.

(٢) أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله بن امرئ القيس بن عدي الطائي، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع، وقيل: عشر، ثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر ﷺ، أسنَّ حتى مات بعد الستين، المصدر السابق {٤/ ٤٦٩}.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول مرسلا عن سعيد بن جبير {١٩٢} وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم {٢/ ٤٧١}.

(٤) أخرجه الطبري {٩/ ٥٤٥} والواحدي في أسباب النزول {١٩١} والحاكم وصححه عن محمد بن إسحاق {٣٢١٢} من حديث أبي رافع، وقال الهيثمي في المجمع: فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٥) تفسير الطبري {٩/ ٥٤٩}.

(٦) واختاره الطبري؛ لأن الله جل وعلا عم بالآية كل جارحة من طير وسبع بالصفة المذكورة، بلا تخصيص شيء منها فحل أكل صيدها. تفسير الطبري {٩/ ٥٤٩- ٥٥٠}.

(٧) لسان العرب، مادة: جرح.

(٨) المرجع السابق مادة: كلب.

ومكلبين نصب حال، وخص الكلاب بالذكر؛ لأنها أكثر، والمراد جميع جوارح الصيد،[١] ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: تؤدبونهن آداب الصيد و﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ أي: من العلم الذي علمكم الله تعالى، أو كما علمكم الله تعالى، تكون (من) بمعنى الكاف، ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: أن الجارحة إذا خرجت بإرسال صاحبها الصيد فقتلته كان حلالاً إذا كانت معلَّمة، والتعليم يعرف بأنها إذا أُشليت استشلت،[٢] وإذا زجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل، فإذا وجد ذلك منها مراراً، وأقلها ثلاث مرات كانت معلمة.[٣]

قال ﷺ: **((إذا أرسلت كلبك فأمسك فكل، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر عليها اسم الله تعالى فأمسكن وقتلن فلا تأكل، فإنك لا تدري أيها قتل، وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس إلا أثر سهمك، فكُلْ، وإن وقع في الماء فلا تأكل))**[٤]

وإذا [٢٩١/أ] أخذت الصيد فأكلَتْ منه شيئاً فعند أكثرهم هو حرام، منهم ابن عباس، وعطاء و طاووس والشعبي، والثوري[٥] وفقهاء الكوفة،[٦] وهو أصح قولي الشافعي.[٧]

لقوله ﷺ: **((وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه))**[٨]

ورخص بعضهم في أكله، منهم ابن عمر، وسلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، ومالك؛[٩]

لما روي أيضا عنه ﷺ: **((إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى عليه فكل وإن أكل منه))**[١٠].

وغير المعلم إذا أخذ صيداً، أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فأخذ وقتل، فلا يكون حلالاً إلا أن يدركه صاحبه حياً فيذبحه فهو حلال؛ لقوله ﷺ: **((ما صدت بقوسك وذكرت اسم الله عليه**

---

(١) البحر المحيط {٣/ ٦٠٠}.

(٢) أي: إذا دُعيَت أجابت.

(٣) انظر: أحكام القرآن للشافعي {٢/ ٧٩}.

(٤) أخرجه البخاري {١٧٥} ومسلم {١٩٢٩}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٥٥٤- ٥٥٦}.

(٦) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٣١٠}.

(٧) مغني المحتاج {٤/ ٣٤٥-٣٤٦}.

(٨) جزء من الحديث الذي قبله.

(٩) انظر تفسير الطبري {٩/ ٥٦٠- ٢٦٣}.

(١٠) أخرجه أبو داوود {٢٨٥٢} وضعف الألباني اللفظة الأخيرة في ضعيف أبي داوود {٦٠٩} وقال الترمذي: وقد رخص بعض أهل العلم في صيد البازي وإن أكل منه، وقالوا: إنما تعليمه إجابته، وكرهه بعضهم والفقهاء أكثرهم قالوا يأكل وإن أكل منه.اهـ {١٤٦٧}.

فكل، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل))[١]

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ فيه بيان أن ذكر اسم الله تعالى على الذبيحة شرط حالة ما يذبح، وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة أو السهم.

ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين فذبحهما بيده، وهو يقول: ((**بسم الله والله أكبر**))[٢].

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ أي: الذبائح على اسم الله تعالى، ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى، ومن دخل في دينهم من جميع الأمم قبل مبعث النبي ﷺ حلال لكم، ومن دخل في دينهم بعد مبعثه ﷺ فلا يحل لكم ذبائحه، فلو ذبح اليهودي أو النصراني على اسم غير الله تعالى كالمسيح فلا يحل، عند ابن عمر وربيعة،[٣] وعند أكثرهم أنه حلال، منهم الشعبي وعطاء والزهري ومكحول.[٤]

والحسن: إذا ذبح اليهودي أو النصراني على غير اسم الله تعالى و أنت تسمع فلا تأكل، وإن غاب عنك وذبح فكل.[٥]

﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ أي: إن تطعموهم، أو حلال عليكم أن تطعموهم حرام عليكم أن تزوجوهم، ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هذا راجع إلى الأول، منقطع عن قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ الحرائر، فيجوز نكاح كل حرة مؤمنة أو كتابية، فاجرة كانت أو عفيفة، عند مجاهد،[٦] وقال: لا يجوز لمسلم نكاح الأمة الكتابية، لقوله تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [النساء:٢٥][٧]

وجوز أكثرهم نكاح الكتابية الحربية.[٨] [٢٩١/ب]

وقال ابن عباس: لا يجوز، وقرأ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى قوله:

---

(١) أخرجه البخاري {٥٤٧٨} ومسلم {١٩٣٠}.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع {١٥٥١} ومسلم {١٩٦٦}.

(٣) نقله ربيعة عن ابن عمر رضي الله عنه، تفسير الثعلبي {٤/ ٢١} وزاد المسير {٢/ ٢٩٦}.

(٤) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٥٧٤}.

(٥) تفسير الثعلبي {٤/ ٢٢}.

(٦) انظر: تفسير البغوي {٢/ ١٩}.

(٧) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٥٨٢} والبغوي {٢/ ١٩}.

(٨) ورجحه الطبري {٩/ ٥٨٩}.

﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه، ومن لم يعط الجزية لم تحل لنا نساؤه»[١] والمحصنات: العفائف من الفريقين، حرائرَ كن أو إماء، وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات.[٢]

الحسن والشعبي قالا: إحصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة.[٣]

﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: مهورهن ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ حرم الله تعالى الجماع على جهة السفاح، وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحله بالإحصان وهو التزويج.

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ أي: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر، أو يغني عنهن شيئاً، وهي للناس عامة، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي: بالله أو بكلمة التوحيد، أو القرآن، أو من يستحل الحرام ويحرم الحلال[٤] ﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: إذا أردتم القيام، وظاهرها يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة، وإنما علمنا من فعله ﷺ إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر؛ لأنه جمع ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد،[٥] أو إذا قمتم إلى الصلاة من النوم،[٦] أو هو أمر بمعنى الندب، أو هذا إعلام من الله تعالى رسوله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة.[٧]

﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولاً، وما بين الأذنين عرضاً، يجب إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين، وأهداب العينين والشارب والعذار، والعنفقة[٨] وإن كثفت، وأما العارض واللحية فإن كثفا بحيث لا ترى البشرة من مجلس المخاطبة، لا يجب غسل باطنها، بل الواجب غسل ظاهرها. وفي المسترسل عن الوجه من اللحية قولان؟[٩]

---

(١) انظر: تفسير الطبري {٩/ ٥٨٨} وهذا مخالف للدليل.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١٩}.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر هذه الأقوال عند الطبري {٩/ ٥٩٢} والبغوي {٢/ ١٩}.

(٥) رواه الترمذي {١٧٩} والنسائي {٦٢٢- ٦٦٢- ٦٦٣} وأحمد {٣٥٥٥} وقال الترمذي: حديث عبد الله، ليس بإسناده بأس، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله.اهـ والحديث حسن لغيره.

(٦) وهو قول زيد بن أسلم، تفسير البغوي {٢/ ٢٠}.

(٧) تفسير البغوي {٢/ ٢٠}.

(٨) العذار: جانبا اللحية. والعنفقة: الشعيرات التي بين الشفة السفلى والذقن. القاموس، مادة: عذر، عنفق.

(٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٥٧}.

﴿ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ أي: مع المرافق، وأكثرهم على وجوب غسل المرفقين، وفي الرجل غسل الكعبين.

والشعبي و محمد بن جرير: لا يوجبان غسل المرفقين والكعبين في غسل اليدين والرجل؛ لأن حرف ﴿ إِلَى ﴾ للغاية والحد، ولا يدخل [٢٩٢/أ] في المحدود.(١)

قالوا: ﴿ إِلَى ﴾ هنا بمعنى (مع) كقوله: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] أي: مع الله، أو الشيء إذا مد إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا مد إلى غير جنسه لا يدخل فيه الغاية، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ [البقرة: ١٧٨] أو أنهم أوجبوا غسل المرفقين احتياطا؛ لأنه يحمل وجوب الغسل وعدمه.(٢)

﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ يجب عند مالك مسح جميع الرأس، كالوجه في التيمم.(٣)

وعند أبي حنيفة: ربع الرأس،(٤) وعند الشافعي: ما يطلق عليه اسم المسح.(٥)

وأجاز بعضهم المسح على العمامة، منهم الأوزاعي وأحمد و إسحاق.(٦)

﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ الكعب هو العظم الناتئ من طرف الساق عند ملتقى الساق والقدم،(٧) وأنكر الأصمعي قول الناس أنه في ظهر القدم،(٨) ويجوز أنه ثنى الكعبين وجمع المرافق لنفي توهم أن في كل واحد من الرجلين كعبين، إذ لكل كعب طرفان من جانبي الرجل، بخلاف المرافق، فثم أبعد عن التوهم، للإيذان أن غسل الرجلين ليس بواجب في كل وضوء، بدليل لبس الخفين على طهر، جمعه المرافق دليل على شدة العناية بغسل الأيدي في كل وضوء؛ لأن في الجمع زيادة تأكيد؛ فكأنه

---

(١) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٤٧} وهنا يذكر الفقهاء مسألة دخول الغاية في المغيا والراجح أنه إذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل فيه. وانظر تفسير القرطبي {٣/ ٢٠٧}.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ٦٠}.

(٤) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٣٤٤}.

(٥) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٥٩}.

(٦) والإمام أحمد لا يجيز المسح عليها إلا بشروط مذكورة في كتب المذهب، فهي خاصة بالعمامة المحنكة. وانظر: المغني {١/ ٣٤٠}

(٧) معاني القرآن للنحاس {١/ ٢٧٤} وقال الشافعي: ولم أسمع مخالفا في أن الكعبين - اللذين ذكر الله عز وجل في الوضوء- الكعبان الناتئان، وهما مجمع مفصل الساق والقدم وأن عليهما الغسل.اهـ أحكام القرآن {١/ ٥٩} وانظر معجم مقاييس اللغة {٥/ ١٨٦}.

(٨) انظر: لسان العرب، مادة: كعب.

جعل كل جزء على المرفق مرفقا، فجمع لذلك، نافع و ابن عامر وحفص والكسائي ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ نصبا عطفاً على الأيدي، أي: اغسلوا، ومن بقي خفضا عطفا على الرؤوس.(١)

وعن الحسن والحسين: أنهما قرآ بالخفض.(٢)

وعن علي: أنه قرأ بالنصب، وعنه: أنه أنكر على الحسن والحسين ورده.(٣)

وفائدة عطف الأرجل على الرؤوس مع أنها مغسولة: أن الأرجل مظنة الإسراف المنهي عنه شرعا، بخلاف الوجه واليدين، فعطفت على الرؤوس تنبيها على الاقتصاد في صب الماء عليها لا لتمسح، أو جيء بإلى بعدهما وهي غاية، لئلا يتوهم أنها ممسوحة؛ لأن المسح لم تضرب له غاية في الشرع،(٤) وظاهر الآية على إحدى القراءتين يوجب المسح، إلا أن السنة قد صرحت بالغسل؛ ولذلك قال الشعبي: نزل القرآن بالمسح، والغسل سنة،(٥) فلا بد حيئذ من الجمع بين القراءتين والعمل بالسنة، وذلك يحصل بالغسل؛ لأن المسح يستعمل بمعنى الغسل، يقال: تمسحت للصلاة أي: توضأت، وبمعنى خفيف الغسل.

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٠}.

(٢) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٥٥}.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير الكشاف {١/ ٣٢٦}.

(٥) معاني القرآن للنحاس {١/ ٢٧٤}.

أبو زيد: المسح خفيف الغسل،[1] وبمعنى الضرب والقطع، كقوله ﴿ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ ﴾ [ص: ٣٣][2]
وبمعنى المجامعة، مسحها جامعها،[3] وليس كذلك الغسل. [٢٩٢/ب]
وأما السنة فما روى ابن عمر قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته: **((ويل للأعقاب من النار))**[4]
وعن علي وقد رأى فتية يتجوزون في وضوئهم، فقال: ويل للأعقاب من النار، فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا، ويدلكونها دلكا.[5]
وعن عائشة: لأن تقطعا أحب إلي أن أمسح على الكعبين من غير خفين.
وعن عمر أنه رأى رجلا توضأ فترك باطن قدميه، فأمره بإعادة الضوء.
وعن عطاء: والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين.
هذا مذهب عامة أهل العلم، وذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح.
ابن عباس: الوضوء مسحتان وغسلتان، وكذلك يروى عن عكرمة وقتادة.
ابن جرير الطبري: يخير المتوضئ بين المسح على الخفين وغسل الرجلين بلا خفين.[6]
وعن الحسن الجمع بين الأمرين،[7] أو المراد حقيقة المسح إذا كان قد لبس الخفين على طهر،[8] وقرئ: (وأرجلُكم) مبتدأ محذوف الخبر،[9] ويجب غسل الكعبين مع القدمين، كما مر في فصل المرفقين.

---

(١) معاني القرآن للنحاس {١/ ٢٧٤} وزاد المسير {٢/ ٣٠٢}.

(٢) مجاز القرآن {٢/ ١٨٣}.

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة: مسح.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع {٩٦} ومسلم {٢٤٠}.

(٥) انظر: تفسير الكشاف {١/ ٣٢٦}.

(٦) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري {١٠/ ٦٢}.

(٧) المصدر السابق {١٠/ ٦٣}.

(٨) تفسير البغوي {٢/ ٢٤}.

(٩) قرأ بها الحسن، وهي شاذة، المحتسب {١/ ٢٠٨}.

وفرائض الوضوء: غسل الأعضاء الثلاثة المذكورة، ومسح الرأس، والنية عند جماعة منهم الشافعي،[١] وعند جماعة أنها غير واجبة، منهم الثوري وفقهاء الكوفة.[٢]

والترتيب واجب، عند مالك والشافعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله،[٣] وعند غيرهم الترتيب سنة.

﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ أي: اغتسلوا ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ فيه دليل على غسل الوجه واليدين بالصعيد ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم ﴾ أي: بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿ مِّنْ حَرَجٍ ﴾ أي: ضيق، ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ أي: من الأحداث والجنابات والذنوب، ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ ﴾

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ المراد جميع النعم ﴿ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ﴾ أي: عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون.

﴿ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي: حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا،[٤] أو هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم[٥]

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧ ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ أمرهم بالقيام بالعدل [٢٩٣/ب] وبالصدق في الأقوال والأفعال، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ أي: يحملنكم ﴿ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ أي: على ترك العدل فيهم لعداوتهم، ثم ابتدأ ﴿ اعْدِلُوا ﴾ أي: في أوليائكم وأعدائكم، ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي: إلى التقوى، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ ﴾ وهذه الجملة في موضع نصب، يوعد إذا قلت: وعدت الرجل، علم أن المراد الخير، وإذا قلت: أوعدت علم أن المراد الشر، فإذا ذكرت الموعود به كنت مخيرا في الإتيان بأيِّ الفعلين شئت.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: بالدفع عنكم، ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ نزلت هذه الآية ببطن نخل، إذ

---

(١) مغني المحتاج {١/ ٧٠}.

(٢) أحكام القرآن للجصاص {٣/ ٣٣٥}.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ٧٦} ومغني المحتاج {١/ ٧٩} والمغني {١/ ١٥٦} ويشهد له فعل النبي ﷺ.

(٤) وهو في بيعة العقبة وبيعة الرضوان، زاد المسير {٢/ ٣٠٦}.

(٥) قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن زيد، تفسير الطبري {١٠/ ٩٣} وزاد المسير {٢/ ٣٠٦}.

أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله ﷺ لما اشتغلوا بالصلاة، فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك، وأنزل الله صلاة الخوف،[1] وكان محاصراً غطفان بنخل، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وهو متقلد سيفه، فقال: يا محمد أرني سيفك، فأعطاه إياه، وهزه الرجل وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال: **((الله تعالى))** فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف ومضى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[2]

أو أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ لقيا رجلين من بني سليم فانتسبا إلى بني عامر فقتلاهما، وكان بين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة، فجاء قومهما إلى رسول الله ﷺ يطلبان الدية، فخرج ﷺ بجماعة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن ﷺ، حتى دخلوا على ابن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال، وعلى أن يعينوه في الديات، قالوا: نعم يا أبا القاسم، قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة، اجلس نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس ﷺ وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه [٢٩٣/ب] فأمسك الله تعالى أيديهم وجاء جبريل وأخبره، فخرج ﷺ راجعاً إلى المدينة، وقال لعلي: **((لا تبرح مقامك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل: توجه إلى المدينة))** ففعل ذلك علي، حتى تناهوا إليه فتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3] وقال تعالى: ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ⑪ ﴾

وعد موسى قومه أن الله تعالى يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحا[4] من أرض الشام، وهي الأرض المقدسة، قالوا: وكانت لها ألف قرية، في كل قرية ألف بستان، وقال: يا موسى إني كتبتها لكم داراً وقراراً، فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم، وخذ اثني عشر نقيباً[5] من قومك، من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بألف فآمَنُهم على ما أُمروا به،

---

(١) أخرجه الطبري مرسلا عن قتادة {١٠/ ١٠٥}.

(٢) انظر لوحة [٢٧٦/ أ-ب]

(٣) أخرجه الطبري {١٠/ ١٠٣} والواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {١٩٢} والبغوي عن مجاهد وعكرمة والكلبي {٢/ ٢٩}.

(٤) أريحا: مدينة الجبارين في أرض الأردن، معجم البلدان {١/ ١٦٥}.

(٥) النقيب: العريف على القوم المقدم عليهم، يفتش عن أخبارهم وأحوالهم. النهاية في غريب الحديث، مادة: نقب.

فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى دنوا من أريحا، فبعث النقباء يتجسسون الأخبار ويعلمون علمها، فلقيهم رجل من الجبارين، يقال: عوج بن عنق،[١] قالوا: وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع، ويروى: أن الماء طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج، وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى، لأنه جاء وقوَّرَ[٢] حجراً من جبل على قدْر عسكر موسى، وكان فرسخاً في فرسخ، وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد، فقوَّر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعتْه، فقتله موسى وهو مصروع، وكانت عنق أمُّه إحدى بنات آدم، كان مجلسها جريباً[٣] من الأرض، فلما لقي عَوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب، أخذهم وجعلهم في جرته وأتى بهم زوجته، وقال: انظري هؤلاء يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، أو أنه جعلهم في كمه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه، فقال لهم الملك: أخبروا بما رأيتم، قالوا وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس في خشبة بينهم، وبقية فاكهتهم على هذه النسبة، فتعرف النقباء أحوالهم، وقالوا يا قوم: إن أخبرتم [٢٩٤/أ] بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله تعالى ولكن اكتموا، وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما، وتعاهدوا وأخذوا المواثيق على أن لا يخبروا بذلك، ثم إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهي سبطه عن قتالهم، ويخبر بما رأى، إلا رجلان، فذلك قوله:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾[٤] أي: ناصركم على عدوكم، ثم استأنف فقال: ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: يا بني إسرائيل، ﴿ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ أي: نصرتموهم، أو وقرتموهم وعظمتموهم، ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ أي:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخبارا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، ثم قال: وهذا شيء يستحيى من ذكره. وذكر أنه مخالف لما ثبت في الصحيحين أن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا. وقال: وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر، والله أعلم. {٢/ ٥١٢} وقال ابن القيم رحمه الله: وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، وكذب على الله، وإنما العجب من يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره....المنار المنيف {٦٦} . وانظر: البداية والنهاية {١/١٢٩} الإسرائيليات لأبي شهبة {٢٦١}.

(٢) قطع وفرق، النهاية في غريب الحديث، مادة: قور.

(٣) الجريب: قطعة معلومة من الأرض، يختلف مقدارها بحسب اصطلاح أهل الأقاليم. القاموس الفقهي {١/ ١١٥}.

(٤) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٣٠}

أخرجتم الزكاة، أو نفقتم على الأهل، ﴿ لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ أي: أخطأ طريق الحق، وسواء كل شيء: وسطه.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ (ما) زائدة، ونقضهم ميثاقهم تكذيبهم الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه[1] ﴿ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ أي: أبعدناهم من رحمتنا، أو عذبناهم بالمسخ،[2] ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ حمزة والكسائي بتشديد الياء من غير ألف، ومن بقي بالألف لغتان.[3]

ابن عباس: قاسية أي: يابسة، أو غليظة لا تلين، أو إن إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القسية، أي: المغشوشة.[4] ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ أي: يبدلون نعت محمد ﷺ، أو هو تحريفهم بسوء التأويل، ﴿ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: لا تزال يا محمد تظهر على خيانة، فاعل، بمعنى مفعول، كالكاذبة، أو هو بمعنى المبالغة مثل: راوية، أو على تقدير: فرقة خائنة.[5] ابن عباس: أي: على معصية.[6]

وخيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ، وما أرادوا من قتله وسمه، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: لم يحرفوا ولم ينقضوا العهد، وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[7] نسخت هذه بآية السيف.[8]

---

(١) قول قتادة، تفسير البغوي {٢/ ٣١}.

(٢) القول الأول: لعطاء، والثاني: للحسن ومقاتل، المرجع السابق.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣١}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ٣١}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ١٣٢}.

(٦) تفسير البغوي {٢/ ٣١}.

(٧) نهاية اللوحة [٢٩٤/ ب] بعد حرف التوكيد في الآية.

(٨) قول قتادة، وقيل ليست بمنسوخة؛ لأنها نزلت في اليهود الذي أرادوا الغدر بالنبي ﷺ وقتله، فأُمر بالصفح عنهم. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ٢٧٣}.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ هي في النصارى خاصة؛ إذ قد تقدم ذكر اليهود.
الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله عز وجل، وأراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما،[1] ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا ﴾ أي: أوقعنا ﴿ بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: بالأهواء المختلفة، كاليعقوبية والملكانية، وكل فرقة تكفر الأخرى، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: التوراة والإنجيل، إذ المراد أهل الكتابين، أخفوا صفة محمد ﷺ وغير ذلك. ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ أي: فلا يتعرض لكم ولا يؤاخذكم بإخفائكم صفته ﷺ. ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ أي: محمد ﷺ، أو الإسلام ﴿ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ بين وهو القرآن.

﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ أي: دين الله الذي شرع لعباده، أو السلام السلامة، أي: طرق الخير ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان ﴿ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ وبإذنه أي: بتوفيقه وهدايته.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ هو اليعقوبية، يقولون: المسيح هو الله، ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ أي: يدفع شيئاً من قضاء الله تعالى، ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ أي: هو كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، أو إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أحباري، فبدلوا يا أبناء أبكاري، فمن ثم قالوا: نحن أبناء الله،[2] أو نحن أبناء رسل الله تعالى.

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾[3] أي: على زعمكم، فإن الأب لا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ أو فلم يعذبكم بمعنى لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخوا خنازير وقردة؟

﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ أي: كسائر بني آدم، ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي: يبين لكم أعلام الهدى وشرائع الدين، على انقطاع من الرسل، وكانت الفترة بين محمد ﷺ وعيسى ستمائة سنة،

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ٣١}.

(٢) قول النخعي، تفسير البغوي {٢/ ٣٣}.

(٣) نهاية اللوحة [٢٩٥/ أ] عند قوله {يعذبكم}.

أو خمسمائة وستون سنة، أو خمسمائة وأربعون سنة، وسميت فترة؛ لأن الرسل كانت تترا بعد موسى إلى زمن عيسى، ولم يكن بعد عيسى سوى محمد ﷺ،[1] ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ أي: كي لا تقولوا، ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ﴾ أي: منكم ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ ابن عباس: أي: أصحاب خدم وحشم، وكانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم.

عن النبي ﷺ أنه قال: **((إذا كان لأحد من بني إسرائيل خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً))**.[2]

قال رجل لعبد الله بن العاص: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك زوجة تأوي إليها؟ قال: نعم . قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.[3] أو كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية، ومن كان كذلك فهو ملك،[4] أو الملك من ملك نفسه عند الغضب.[5] ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾ أي: عالمي زمانكم، أو المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام.[6]

---

(١) تاريخ الطبري {١/ ٤٩٥}.

(٢) عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم قال: ذُكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري...الخ {٢/ ٥١٠} وقال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وأخرج نحوه الطبري مرسلا {١٠/ ١٦١} والسيوطي في الدر {٥/ ٢٤٢} عن زيد بن أسلم، قال عنه ابن كثير: مرسل غريب.

(٣) أخرجه مسلم {٢٩٧٩}.

(٤) قول الضحاك، تفسير البغوي {٢/ ٣٣}.

(٥) وهذا من التفسير الإشاري.

(٦) قاله مجاهد، تفسير البغوي {٢/ ٣٣}.

﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ وهو الطور وما حوله،(١) أو إيليا وبيت المقدس،(٢) أو هي أريحاء،(٣) أو هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن،(٤) أو هي الشام كلها(٥) قال كعب: وجدت في كتاب الله تعالى أن الشام كنز الله من أرضه[٢٩٥/ب] وبها كنزه من عباده.(٦)

وقوله ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ أي: في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن، أو جعل الله لكم، أو أمركم بدخولها، أمروا بدخولها كما أمروا بالصلاة، أو جعلها ميراثا لكم من أبيكم إبراهيم تسكنونها.(٧)

﴿ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ ﴾ أي: ترجعوا على أعقابكم بخلاف أمر الله ﴿ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: مغبونين بالعقوبة.

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ لأن النقباء أخبروا قومهم بما رأوا، بعد إخبارهم موسى ﷺ، وقوله لهم: اكتموا شأن الجبارين، إلا يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف فتى موسى، وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران، وهو من سبط يهوذا وهو من النقباء فلما علم جمع من بني إسرائيل ذلك، ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وقالوا: يا ليتنا متنا في أرض مصر، وجعل بعضهم يقول لبعض: تعالوا نجعل علينا رأسا وننصرف إلى مصر، أو سمي أولئك الجبارون؛ لامتناعهم بقوتهم وطول أجسادهم، وهم من العمالقة وبقية قوم عاد،(٨) أوهم الروم من ولد عيص ابن إسحاق، وملكهم جالوت المذكور في سورة البقرة، وكانوا غلبوا على أرض فلسطين وأمروا بقتالهم فجبنوا،(٩) فلما قال بنوا إسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف إلى مصر خر موسى وهارون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما، وهما اللذان قال الله تعالى في حقهما: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أي: يخافون مخالفة أمر الله، أو يخافون أي:

---

(١) رواه مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري {١٠/ ١٦٧}.

(٢) قول الضحاك، تفسير البغوي {٢/ ٣٤}.

(٣) قول عكرمة والسدي وابن زيد، تفسير الطبري {١٠/ ١٦٨} وقال ابن كثير رحمه الله: وفي هذا نظر؛ لأن أريحاء ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس، وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوهم فرعون، إلا أن يكون المراد بأريحاء أرض بيت المقدس... لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة. ا.هـ {٢/ ٥١١}

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال به مجاهد والكلبي، المرجع السابق وزاد المسير {٢/ ٣٢٣}.

(٥) قول قتادة، المرجع السابق.

(٦) تفسير البغوي {٢/ ٣٤}.

(٧) المرجع السابق.

(٨) تفسير البغوي {٢/ ٣٤}.

(٩) تفسير الشوكاني {٢/ ٣٦}.

يعلمون خورا لقومهم وضعفهم، وضعف أجسادهم وتخاذلهم عن قتال الجبارين،[(١)] وقرئ (يُخافون) بضم الياء عن ابن جبير وحمزة.[(٢)] قال كان الرجلان من الجبارين فأسلما وتبعا موسى ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: بالعصمة ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ أي: قرية الجبارين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فهمَّ بنو إسرائيل برجمهما بالحجارة وعصوهما.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: عن القتال، لم يرد القعود ضد القيام، وكذلك ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ لم يرد المشي، أو أن القوم[٢٩٦/أ] كفروا حيث أجازوا الذهاب على الرب تعالى علواً كبيراً، إذ مفهومه التنقل والزوال،[(٣)] أو ﴿أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ أي: هارون؛ لأنه كان أكبر منه سنا،[(٤)] فلما فعل بنوا إسرائيل ما فعلوا من مخالفتهم أمر ربهم واهتمامهم برجم الرجلين، دعا عليهم موسى ثم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أي: وأخي لا يملك إلا نفسه، أو لا يطيعني إلا نفسي وأخي ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: فافصل أو فاقض، وقرئ (فافرِق) بكسر الراء.[(٥)]

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تلك البلدة محرمة عليهم أبداً، ولم يرد تحريم تعبد، وإنما أراد تحريم منع، فأوحى الله تعالى إلى موسى: بي حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة، مكان كل يوم تحبسوا فيها سنة، ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر يدخلونها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يتحيرون، ومنهم من يقول: الوقف على قوله: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ويبتدئ ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ومن وقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لا يقف على ﴿سَنَةً﴾ ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: لا تحزن على مثل هؤلاء القوم، فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ، وهم ستمائة ألف مقاتل،[(٦)] وكانوا يسيرون في كل يوم جادين، فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه، أو أن موسى وهارون عليهما السلام لم يكونا فيهم، والأصح أنهما كانا فيهم ولكن لم يكن لهما عقوبة، إنما العقوبة كانت لأولئك القوم، ومات في التيه كل من دخلها ممن بلغ العشرين سنة غير يوشع وكالب،

---

(١) انظر القصة بطولها في تاريخ الطبري {١/ ٢٥٣}.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب {١/ ٢٠٨}.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب {١١/ ١٩٩} والبحر المحيط {٣/ ٦٣٤}

(٤) المرجع السابق.

(٥) وهي شاذة، قرأ بها عبيد بن عمير ويوسف بن داود، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٣٣} الدر المصون {٤/ ٢٣٦}.

(٦) وهذا من الإسرائليات، وانظر ما نقله أبو شهبة عن ابن خلدون في الإسرائيليات {٢٦٢}.

ولن يدخل القرية أحد ممن قالوا: إنا لن ندخلها أبداً فلما هلكوا، ونشأت ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين، ففتح أريحا موسى وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى إليهم بمن بقي من بني إسرائيل، فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة، ثم دخلها موسى فأقام فيها ما شاء الله تعالى، ثم قبضه الله تعالى، ولا يعلم قبره أحد، وهذا هو الصحيح؛ لاتفاق العلماء أن موسى هو الذي قتل عوج بن عنق، أو إن يوشع قاتل الجبارين ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى، وقالوا: مات موسى وهارون جميعاً في التيه، وأوحى الله تعالى إلى موسى أني متوفٍ هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فإذا بشجرة لم يُر مثلُها[٢٩٦/ب] وإذا ببيت مبني وعليه سرير عليه فرش و إذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه، وقال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال: فنم عليه، قال: فإني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي، فقال موسى: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فنم، قال: يا موسى نم أنت معي، فإن جاء رب البيت غضب علي و عليك جميعاً، فلما ناما أخذ هارون الموت، فلما وجد منيته، قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى وليس معه هارون، قالوا: أنت قتلته، وآذوه، فرفع الله تعالى سريره ونزل بنو إسرائيل إليه وعرفوه، وتكلمت الملائكة، وكانت الملائكة تحمل سريره، ثم إن الملائكة دفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم،[١] قالوا فلذلك جعله الله تعالى أصم أبكم، أو ماتا في التيه، فمات هارون أولا، فقال بنو إسرائيل: أنت قتلته لحبنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل، فتضرع موسى، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعثه، فجاء قبره فناد: يا هارون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه، فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا ولكني مت، قال: فعد إلى مضجعك، وأما موت موسى، قالوا: كان موسى قد كره الموت فأراد الله تعالى أن يحبب إلى موسى الموت، فنُبأ يوشع فكان يغدو ويروح عليه، فيقول موسى: يا نبي الله ما أحدث الله إليك؟ فيقول يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل سألتك عن شيء حتى تكون أنت الذي تبتدئ به وتذكره؟ ولا يذكر له شيئاً فأحب موسى الموت.

وعن رسول الله ﷺ: **((أن ملك الموت جاء إلى موسى ففقأ عينه، فرجع الملك، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت، فرد الله تعالى إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي وقل له: إن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك فإنك تعيش بكل شعرة سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية الحجر، قال ﷺ: ولو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق إلى الكثيب الأحمر))**[٢]

---

(١) نوع من أنواع الطيور. معجم مقاييس اللغة، مادة رخم.

(٢) أخرجه البخاري {١٣٣٩- ٣٤٠٧} ومسلم {٢٣٧٣}.

أو أنه مر بملائكة يحفرون قبراً فأحبه وأعجبه، فنام فيه فقبض فيه،[١] أو إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبضه الله تعالى، وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة، ثم إن يوشع بعث نبياً بعد موسى وانقضاء أربعين سنة، وتوجه إلى[٢٩٧/أ] أريحاء ومعه تابوت الميثاق إلى قتال الجبابرة، فأحاط بها ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون، وضج الشعب ضجة واحدة وسقط سور المدينة، ودخلوا المدينة وقاتلوا الجبابرة وهزموهم وهجموا عليهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق رجل يضربونها لا يقطعونها، وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال يوشع: اللهم اردد الشمس، أنت في طاعة الله وأنا في طاعة الله، فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وقتل من ملوك الشام أحداً وثلاثين ملكاً، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، وجمع الغنائم، فلم تنزل النار، فأوحى الله تعالى إلى يوشع أن فيها غلولاً فمُرْهم فليبايعوك، فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده، فقال: هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر قد غله، فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان، ثم مات يوشع في جبل أفرائيم، وعمره مائة وستة وعشرون سنة، وتدبيره بني إسرائيل بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.[٢]

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ هما هابيل وقابيل ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ وسبب قربانهما أن حواء كانت تلد في كل بطن غلاماً وجاريةً، وجميع ما ولدته أربعون ولداً في عشرين بطناً، أولهم قابيل وتوأمته إقليما، وآخرهم عبد المغيث، وتوأمته أمة المغيث.

ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً. قالوا: غشي آدم حواء بعد مهبطهما بمائة سنة، فولدت قابيل وتوأمته إقليما،[٣] أو إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت فيها بقابيل وتوأمته، فلم تجد عليهما وصباً ولا طلقاً حين ولدتهما، ولم تر دماً فلما هبط إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت ما تجده المرأة، وكان آدم يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى، وكان الرجل منهم يتزوج أيَّ امرأة شاء إلا توأمته التي ولدت معه، وأمر الله تعالى آدم أن ينكح قابيل لبودا أخت هابيل، وينكح هابيل إقليما أخت قابيل، فكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل، وقال: هي[٢٩٧/ب] أختي وأنا أحق بها، ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض، فقال له أبوه: إنها لا تحل لك، فأبى أن

---

(١) ذكره وهب بن منبه، تفسير البغوي {٢/ ٣٧}.

(٢) انظر القصة في تاريخ الطبري {١/ ٢٥٨} وخبر قتال يوشع ثابت عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ {١٧٤٧}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ٣٨}.

يقبل ذلك، وقال: لن أسلم بأمره هذا وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم عليه السلام: فقربا قرباناً فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها، فخرجا ليقربا قرباناً، وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه، وأضمر في نفسه: ما أبالي أيقبل مني أم لا، لا يتزوج أختي أبداً، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش في غنمه، وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل، فوضعا قربانهما، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل،[1] فذلك قوله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ وقرئ: (فتقبَّل) بفتح التاء والباء (ولم يَتقبَّل) بفتح الياء والباء،[2] فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه، إلى أن ذهب آدم مكة لزيارة البيت، وأتى قابيل هابيل وهو في غنمه، ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى تقبل قربانك ورد قرباني، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الذميمة، فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ وليس لي ذنب.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ أي: مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾

قال ابن عمر: وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه الحرج أن يبسط إلى أخيه يده.[3]

قالوا: وهذا في الشرع جائز من أريد قتله أن يستسلم طلباً للأجر، كفعل عثمان رضي الله عنه، كتب عليهم في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.[4]

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ أي: ترجع أو تتحمل ﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ أي: بإثم قتلي إلى إثم معاصيك، لما علم أنه لابد أن يقتله، ووطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكأنه صار مريداً للقتل، فلذلك قال إني أريد، أو إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة؛ لأنها موافقة لحكم الله تعالى، فلا تكون إرادة للقتل، بل لموجب القتل من العقاب والإثم.[5] ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق {١٠/ ٢٠٥} وهذا من الأخبار الإسرائيلية كما صرح ابن إسحاق، حيث قال: عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول.

(٢) وهي قراءة شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٣٤}.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره {١٠/ ٢٠٢}.

(٤) قاله مجاهد، تفسير البغوي {٢/ ٣٩}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ٣٩}.

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ أي: شجعت أو سهلت أو صورت إن قتل أخيه طوع له سهل عليه[٢٩٨/ب] فلما قصد قتله لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إبليس فأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وقابيل ينظر، فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين،[١] وهو مستسلم، أو فعل ذلك به وهو نائم اغتيالا ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ وكان لهابيل عشرون سنة يوم قتل. قيل: بجبل نوذاه عند عقبة حراء، فلما قتله لم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت في الأرض، وحمله في جراب على ظهره أربعين يوماً، حتى أرْوَح، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله تعالى غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له بمنقاره ورجله، مكانا ثم ألقاه في الحفرة وواراه، و قابيل ينظر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾ فعند ذلك قال: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾ أي: جيفته، أو عورته؛ لأنه كان قد سلب ثيابه ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ على حمله، أو على فراق أخيه، أو ندم لقلة النفع بقتله، ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب على ما قالوا، أو لما قتله رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما تشرب الماء، فناداه الله تعالى أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيباً، فقال تعالى: إن دم أخيك يناديني من الأرض، فقال: فأين دمه؟ فحرم الله تعالى على الأرض أن تشرب دماً بعده.[٢]

ابن عباس: لما قتل ولد آدم ﷺ وهو بمكة اشتاك الشجر، وحمضت الفواكه، واغبرت الأرض، وقال آدم ﷺ: قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فقال:[٣]

تغـيرت البلاد ومـن عليهـا ... فوجـه الأرض مغـبر قبـيح
تغـير كـل ذي طعـم ولـون ... وقـل بشاشـة الوجـه الصـبيح

ابن عباس: من قال إن آدم قال شعراً فقد كذب، إن محمداً ﷺ والأنبياء عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء، بل رثا آدم ولده بالسريانية، وقال مرثيته إلى أن وصلت إلى يعرب بن

---

(١) قاله ابن جريج، تفسير الطبري {١٠/ ٢٢٢}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٣٩}.

(٣) ذكره الثعلبي بزيادة أبيات كثيرة، عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا الأثر الذي بعده {٤/ ٥١} وهذا باطل، لضعف مقاتل والضحاك، وهو من الإسرائيليات، وانظر: الإسرائيليات لأبي شهبة {٢٥٦}.

قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية، وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم [٢٩٨/ب] إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم، فوزنه شعراً وزيدت فيها أبيات:[١]

ومالي لا أجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح

أرى طول الحياة علي غما فهل أنا من حياتي مستريح

فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة، بعد مقتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثاً، ومعناه: هبة الله، أي: خلف من هابيل، علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعبادة الخلق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة، وصار وصي آدم وولي عهده، قالوا وإن قابيل ذهب شريداً فزعاً، فأخذ بيد أخته إقليما وأتى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليس وقال: إنما قبل قربان أخيك؛ لأنه كان يعبد النار، فانصب ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت النار، فهو أول من عبد النار، وكان لا يمر به أحد إلا رماه فيها، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له، فقال للأعمى ابنه: هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلت أباك؟ فرفع يده فلطم ابنه، فمات، فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي، واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير، وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقوا بالطوفان، وبقي نسل شيث.

قال ﷺ: **((لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل))**[٢]

﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من أجل جناية ذلك ﴿ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ أي: قتلها لا على سبيل القَوَد ﴿ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من غير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحوه ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾.

---

(١) قال الزمخشري: وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون. اهـ الكشاف {١/ ٣٣٤} وقال الرازي: وصدق صاحب الكشاف فيما قال، فإن ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق بالحمقى من المعلمين، فكيف ينسب إلى من جعل الله علمه حجة على الملائكة. مفاتيح الغيب {١١/ ٢٠٨}.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع {٣٣٣٥- ٦٨٦٧- ٧٣٢١} ومسلم {١٦٧٧}.

ابن عباس: من قتل نبياً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شد على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً.(١)

أو من قتل نفساً محرمة فإنه يصلى النار بقتلها، كما لو قتل الناس جميعاً،(٢) ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أي: من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً، أو من استحل قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، أي: في الإثم؛(٣) لأنهم لا يسلمون من قتله، ومن تورع عن قتلها ﴿ فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أي: في الثواب لسلامتهم، أو لأنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه أن لو قتل جميع الناس، ومن أحياها: أي: عفى عمن وجب [٢٩٩/أ] عليه القصاص له فلم يقتله، فكأنما أحيا الناس جميعاً.(٤)

قيل للحسن: هذه الآية لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي لا إله غيره ما كان دماء بني إسرائيل أكرم على الله تعالى من دمائنا.(٥)

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بني إسرائيل بالأمر والنهي والعلامات، ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي: مشركون.

كان بين رسول الله ﷺ وبين طائفة من أهل الكتاب عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٦)

أو إن رسول الله ﷺ وادع هلال بن عويمر، أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن مر بهلال بن عامر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج، فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من أسلم من قوم هلال، ولم يكن هلال شاهداً، فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل بالقضية،(٧) أو نزلت في ناس من عرينة وعكل فأسلموا أو بايعوا النبي ﷺ فبعثهم إلى إبل الصدقة، فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا

---

(١) أخرجه الطبري بسنده {١٠/ ٢٣٣}.

(٢) أخرجه الطبري عن مجاهد وهو قول عطاء. المرجع السابق {٢٣٤} وزاد المسير {٢/ ٣٤٠}.

(٣) قول الحسن المرجع السابق.

(٤) قول الحسن وابن زيد وابن قتيبة، زاد المسير {٢/ ٣٤٢} تفسير غريب القرآن {١٤٣} وأما ما ذكره من العفو، فيُنظرُ فيه إلى المصلحة، فإن كانت المصلحة في قتله قتل وإلا فلا. والله أعلم.

(٥) أخرجه الطبري {١٠/ ٢٣٩}.

(٦) أخرجه الطبري عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومن طريق جويبر عن الضحاك وجويبر متروك، {١٠/ ٢٤٣}.

(٧) قاله الكلبي، تفسير البغوي {٢/ ٤٣}.

الإبل، فأرسل ﷺ في إثرهم، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم يحسمهم حتى ماتوا.[١]

ورواه أبو أيوب:[٢] ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يُسقون حتى ماتوا.

أبو قلابة:[٣] قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله.[٤]

﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ أي: وسعوا، قال بعضهم: هي منسوخة؛ إذ المثلة غير جائزة، وبعضهم قال: ليست بمنسوخة إلا السمل والمثلة.[٥]

روي: أنه ﷺ لما فعل بهم ذلك نزلت الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد.[٦]

قالوا وإنما سمل أعينهم؛ لأنهم سملوا أعين الرعاة.[٧]

قال الليث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليماً منه إياه عقوبتهم، وقال: إنما جزاؤهم هذا لا المثلة، ولذلك قام النبي ﷺ وقال: **((ألا نُهي عن المثلة))**.[٨]

والذين يستحقون هذا الحد، أعني حد المحاربين، قال قوم: هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح، والمكابرون في الأمصار، وهو قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي.[٩]

وعند قوم: المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق الحد، منهم أبو حنيفة.[١٠]

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع {١٥٠١} ومسلم {١٦١٧}. وسبب النزول الصحيح هذا يغني عن الأثرين الماضيين؛ لأنه إذا تعددت المرويات في سبب النزول، أخذ بالثابت الصحيح منها.

(٢) أبو أيوب خالد بن زيد بن النجار الأنصاري، من السابقين إلى الإسلام، أقام عنده النبي ﷺ لما قدم المدينة حتى بنى بيوته ومسجده، آخى النبي ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير، توفي في غزوة القسطنطينية سنة ٥٢هـ الإصابة {٢/ ٢٣٤}.

(٣) أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، أحد الأعلام، فقيه ثقة كثير الحديث، ت ١٠٤هـ تهذيب التهذيب {٥/ ٩٧-٩٨}.

(٤) أخرجه البخاري {٢٣٣} وقال النحاس في الناسخ والمنسوخ: وهذا من أحسن حديث يروى في هذا الباب وأغربه وأصحه. اهـ {٢/ ٢٧٦}.

(٥) انظر: المرجع السابق {٢٧٤- ٢٧٧} وفَعَل النبي ﷺ بهم ذلك؛ قصاصا كما فعلوا بالراعي، ويدل له حديث أنس ﷺ، انظر الهامش بعد التالي، ورجحه الشنقيطي في أضواء البيان {٢/ ٧٥}.

(٦) أخرجه أبو داوود من طريق أبي الزناد {٤٣٧٠} والبيهقي {١٧٠٨٧} وقال: قول قتادة وأبي الزناد وغيرهما: نزول الآية فيهم مرسل. اهـ

(٧) أخرجه مسلم عن أنس ﷺ {١٦٧١}.

(٨) أخرجه الطبري عن الوليد بن مسلم {١٠/ ٢٥٣}.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ٩٤} وتفسير الماوردي {٢/ ٣٣}.

وعقوبة المحاربين ما جاء من قوله تعالى: [٢٩٩/ب] ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وقرئ: بالتخفيف في الثلاثة الأفعال[٢] ﴿وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فعند قوم: الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي، منهم ابن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد،[٣] وعند الأكثرين هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير.[٤]

ابن عباس: في قطاع الطريق إذا أخذوا المال وقتلوا، قتلوا وصلبوا.[٥]

وكيفية الصلب على ظاهر مذهب الشافعي: أن يقتل ثم يصلب،[٦] أو يصلب حياً ثم يطعن حتى يموت مصلوباً، وهو قول الليث بن سعد،[٧] أو يصلب ثلاثة أيام حياً ثم ينزل فيقتل، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا صلبوا وقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض، وكذا قال قتادة والأوزاعي والشافعي وفقهاء الكوفة.[٨]

وإذا قتل في قطع الطريق يقتل حتما، حتى لا يسقط بعفو ولي الدم، وإذا أخذ نصابا من المال وهو ربع دينار، تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، والنفي عند قوم: أن يطلبه الإمام، فأيُّ بلد يوجد فيه ينفى عنه، منهم ابن جبير وابن عبد العزيز،[٩] أو ويطلبوا لتقام عليه الحدود، عند ابن عباس و الليث بن سعد، والشافعي.[١٠]

وقال الكوفيون: هو الحبس، وهو نفي من الأرض، أو ينفي من بلده ثم يحبس في السجن في البلد الذي نفي إليه حتى تظهر توبته. قاله ابن جرير.[١١]

---

(١) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٦٠}.

(٢) قراءة الحسن وابن محيصن، وهي شاذة، إعراب القراءات الشواذ {٤٣٨/١} والدر المصون {٢٥١/٤}.

(٣) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٢٦٢- ٢٦٣}.

(٤) رجحه الطبري {١٠/ ٢٦٤} وهو مذهب الإمام أحمد رحمه الله، زاد المسير {٢/ ٣٤٥}.

(٥) تفسير الطبري {١٠/ ٢٥٧}.

(٦) الأم للشافعي {٦/ ١٦٤}.

(٧) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٩٩}.

(٨) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٥٤} الأم للشافعي {٦/ ١٦٤} وأحكام القرآن للشافعي {١/ ٣٢٤}.

(٩) زاد المسير {٢/ ٣٤٦}.

(١٠) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٣٢٤}.

(١١) انظر: أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٥٨} وتفسير الطبري {١٠/ ٢٧٤}.

قال مكحول: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس في السجون، وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيه.[1]

﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي: الحد المذكور، ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فمن قال إنها نزلت في حق الكفار فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه، أي: قبل أن يُظفر به، تسقط عنه كلُّ عقوبة وجبت حقاً لله تعالى، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد، وهذا عند الشافعي،[2] وقال قوم: إذا جاء تائباً قبل القدرة لا يكون لأحد عليه تبعةٌ من دم ولا مال، إلا أن يوجد معه بعينه، ومن تاب بعد القدرة فلا يَسقط عنه شيء منها، أو كل عقوبة تجب حقاً لله تعالى من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا و الشرب تسقط بالتوبة بكل حال، والأكثرون على عدم الإسقاط.[3]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي: اطلبوا القربة، من التوسل، التقرب والجمع وسائل، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] أي: يقصدون الخروج منها، كقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة:٢٠] أو أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ في مصحف ابن مسعود (أيمانهما) وهو الحكم،[5] فمن سرق من حرز نصابا لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الكوع، ولا تقطع بسرقة دون النصاب.

وعن ابن الزبير: أنه كان يقطع في الشيء القليل،[6] والأكثرون على خلافه.

والنصاب عند قوم ربع دينار، أو ما قيمته ربع دينار، منهم أبو بكر و عمر وعثمان وعلي وابن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي.[1]

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٠٠}.

(٢) أحكام القرآن للشافعي {١/ ٣٢٤}.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٠٢-١٠٣}.

(٤) نهاية اللوحة [٣٠٠/ أ] بعد الآية: ٣٦.

(٥) الدر المصون {٢٦٢/٤} وهذه شاذة؛ لمخالفتها الرسم، ولكن يعمل بها إذا صح سندها؛ تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد.

(٦) تفسير الطبري {١٠/ ٢٩٦}.

قال ﷺ: **((القطع في ربع دينار فصاعداً))**[٢]

وعند قوم لا تقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم، منهم ابن مسعود، والثوري وأصحاب الرأي، ولا يقطع في أقل من خمسة دراهم.[٣]

وإن سرق من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له، أو حيوان في برية لا حافظ له، أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه.[٤]

قال ﷺ: **((لا قطع في ثمر معلق، ولا في حريسة جبل، فإذا آواه المُراح أو الجَرين، فالقطع))**[٥]

وإذا سرق مالاً له فيه شبهة كالعبد من مال سيده والولد من والده وبالعكس وكأحد الشريكين من المشترك بينهما: فلا قطع.[٦]

فتقطع يد السارق اليمنى بأول مرة من الكوع، وبالثانية رجله اليسرى من مفصل القدم، ويده اليسرى بالثالثة، ورجله اليمنى بالرابعة عند قوم، ثم إذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته، منهم أبو بكر رضي الله عنه ومالك والشافعي.[٧]

وعند قوم: لا يقطع بالثالثة والرابعة لا يقطع بعد إذ قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى، بل يحبس، منهم علي والشعبي والنخعي والأوزاعي وأحمد وفقهاء الكوفة،[١] ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ نصب حال، أو مصدر، وكذلك ﴿ نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ أي: عقوبة ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾

=

(١) الأم للشافعي {٤/ ٣١٠} وأحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٠٥}.

(٢) أخرجه البخاري {٦٧٩٠} ومسلم {١٦٨٤}.

(٣) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٦٤}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ٤٨}.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، وهو مرسل {٢٧٣} وآخره ((**فالقطع فيما بلغ ثمن المجن**)) وأخرجه النسائي بلفظ نحوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده {٤٩٥٨-٤٩٥٩} وحسنه الشيخ الألباني.

الثمر المعلق: ما كان في رؤوس الأشجار من ضروب الثمار. حريسة جبل: لها تفسيران، الأول: فبعضهم يجعلها السرقة نفسها، تقول: حرست أحرس حرسا، إذا سرقت. والتفسير الثاني: أن تكون الحريسة هي المحروسة، فالمعنى: ليس فيما يُحرس بالجبل قطع؛ لأنه ليس بموضع حرز وإن حُرس. والمراح: موضع مبيت الغنم، الذي تروح إليه وتجتمع فيه ليلا. انظر: التمهيد لابن عبد البر {١٩/ ٢١٢- ٢١٣} الجرين : موضع تجفيف التمر وتطييب القمح من سنبله. النهاية مادة: جرن.

(٦) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٠٩}.

(٧) المرجع السابق {٦/ ١١٢} ومغني المحتاج {٤/ ٢٢٠}

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ أي: عن سرقته، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ هذا عند الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثرهم.[٢]

الشعبي وعطاء: إذا رد السرقة قبل القدرة، لم تقطع يده لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾[٣]

مجاهد: قطع السارق توبته، والمختار[٣٠٠/ب] أن القطع للجزاء على الجناية، كما قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ فلا بد من التوبة بعده، والتوبة: الندم على ما مضى، والعزم على تركه في المستقبل.[٤]

وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق، عند أكثر أهل العلم.[٥]

وعند الكوفيين والثوري: لا غرم عليه، وإن كان المسروق قائماً عنده يرد إجماعا،[٦] وتقطع يده؛ لأن القطع حق الله تعالى، والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كرد العين.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ و المراد به الجمع، أو ألم تعلم أيها الإنسان يريد الجنس ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: من تاب من كفره، أو يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء الكبيرة.[٧] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي: في موالاة الكفار ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي: بألسنتهم ﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ وهم المنافقون، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ أي: قوم قائلون للكذب، كقولك: سمع الله لمن حمده، أي: قَبِل الله، أو سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، واللام بمعنى إلى، أي: إلى الكذب، أو هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا،[٨] واللام في قوله تعالى ﴿لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: من أجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر، وسيتضح إن شاء الله تعالى.

=

(١) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٧١} والمغني {١٠٢٦٧}.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١١٤}.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ٥٠}.

(٥) المرجع السابق.

(٦) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٨٣} وتفسير البغوي {٢/ ٥٠}.

(٧) قول ابن عباس رضي الله عنهما، المرجع السابق.

(٨) انظر: زاد المسير {٢/ ٣٥٧} ومعاني الزجاج {٢/ ١٧٤}.

﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ ﴾ أي: هم جواسيس، وذلك: أنه زنى رجل وامرأة من خيبر وكانا محصنين، وكان حدهما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمهما، فأرسلوا إلى إخوانهم من قريظة والنضير ليسألوه عن ذلك، وقالوا لهم: إن أمَرَكم بالجلد فاقبلوا منه، وإن أمَرَكم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه، فقالت لهم قريظة والنضير: والله إذاً يأمركم بما تكرهون، ثم انطلق معهما جماعة من اليهود إلى رسول الله ﷺ، منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسعية بن عمرو وغيرهم، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك؟ فقال: **((هل ترضون بقضائي؟))** قالوا: نعم، فنزل جبريل بالرجم، فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال جبريل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، فقال ﷺ: **((هل تعرفون شاباً أبيض أمرد أعور يسكن فدك** [٣٠١/أ] **يقال له ابن صوريا؟))** قالوا: نعم، قال: **((فأيُّ رجل هو فيكم؟))** قالوا: هو أعلم يهوديٍّ بما أنزل الله على موسى في التوراة، فطلبوه فأتاهم، فقال: له ﷺ: **((أنت ابن صوريا؟))** قال: نعم، قال: **((أنت أعلم اليهود؟))** قال: كذا يزعمون، قال: **((أتجعلونه بيني وبينكم؟))** قالوا: نعم، فأنشده ﷺ **((بالله الذي أنزل التوراة، و أخرجكم من مصر، وفلق لكم البحر وأغرق فرعون وآله، وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن و السلوى، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟))** قال: نعم، ولولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبت وغيرت ما اعترفت، ولكن كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال: **((إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم))** فقال ابن صوريا: والذي أنزل التوراة على موسى، هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة، قال ﷺ له: **((فلماذا ترخصتم؟))** قال: كنا إذا زنى فينا الشريف تركناه وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فكثر الزنى، فزنى ابن عم ملكٍ لنا فلم نرجمْه، ثم زنى رجل له أُسرة من الناس، فأراد الملك رجمه، فقالوا: لا والله لا ترجمه حتى ترجم ابن عمك، قالوا: إنا نضع شيئاً يكون على الشريف والوضيع، فوضعوا الجلد والتحميم، وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار، ثم تسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين مستدبرين ويطاف بهما، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب المسجد، وقال: **((اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه))** فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ﴾ الآية.(١)

أو إنهم جاؤوا بالتوراة بعد إنكارهم الرجم، واعتراف عبد الله بن سلام بأن الرجم فيها فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله: ارفع يدك، فرفع فإذا تحتها آية الرجم، فرجمهما ﷺ، قال الراوي: فرأيته يَجْنَأُ(٢) على المرأة يقيها الحجارة.(١)

---

(١) تقدم تخريجه في سورة آل عمران ص {٨٤}

(٢) يجنأ: أي: يُكِبُّ ويَمِيلُ عليها لِيَقِيَها الحجارةَ، النهاية في غريب الحديث، مادة: جنأ.

أو إن بني قريظة قالوا: يا محمد، إخواننا بنو النضير وأبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً لم يقيدونا وأعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر، وإن كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا، وبالرجل منهم الرجلين منا، فاحكم بيننا، فأنزل الله تعالى هذه الآية،(٢) والأصح أنها نزلت في الرجم. ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ أي: من بعد وضعه ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ أي: الجلد والتحميم فاقبلوه ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ ﴾(٣) أي: كفره وضلاله، أو عذابه،(٤) ﴿ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ أي: فلن تقدر على دفع أمر الله تعالى فيه.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ فيه رد على من ينكر القدر ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ أي: المنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزيُ اليهود الجزية أو القتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ أي: الخلود في النار.

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر(٥) بضم الحاء، ومن بقي بسكونها، لغتان،(٦) وهو الحرام، وأصله الشدة والهلاك،(٧) نزلت في كعب بن الأشرف وأمثاله من حكام اليهود، كانوا يرتشون ويقضون.(١)

=

(١) أورده المصنف هنا مختصرا، والحديث رواه البخاري في مواضع {١٣٢٩- ٣٦٣٥} ومسلم {١٦٩٩}.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي {٤/ ٦٥} وأصله عند أبي داوود {٣٥٧٦} وأحمد {٣٤٣٤} عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود. قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: وقد يكون اجتمع هذان السببان -أي هذا وقصة اليهوديين الذين زنيا- في وقت واحد فنزلت الآيات في ذلك كله، والله أعلم، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ إلى آخرها، وهذا يقوي أن سبب النزول قضية القصاص، والله سبحانه وتعالى أعلم.اهـ {٢/ ٥٥٠}.

(٣) نهاية اللوحة [٣٠١/ ب] عند الكلمة الثانية من الآية.

(٤) قول قتادة، تفسير البغوي {٢/ ٥٢}

(٥) ويعقوب الحضرمي.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢١٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٥}.

(٧) النهاية في غريب الحديث، مادة: سحت.

الحسن: كان الحاكم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه، فيريها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة. وعنه: أن الرشوة كل ما أعطيته ليحق لك باطلاً أو يبطل عنك حقاً.[٢]

فأما إذا أعطي الوالي يخاف ظلمه، فلا بأس عنده، فالسحت الرشوة في الحكم عند الحسن ومقاتل والضحاك وقتادة.[٣]

ابن مسعود: الرشوة في كل شيء، من شفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدي له فقبل فهو سحت، فقيل: يا أبا عبد الرحمن، ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، فقال: الأخذ على الحكم كفر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤][٤]

أو السحت كل كسب لا يحل.[٥] **((لعن ﷺ الراشي و المرتشي))**[٦]

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ ﴾ خير الله تعالى نبيه ﷺ في الحكم بينهم، وهل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا؟ فقال أكثرهم: نعم؛ إذ ليس في سورة المائدة منسوخ، فإن شاء حاكم المسلمين حكم بينهم وإن شاء لم يحكم، وإن حكَم حكَم بالعدل، منهم النخعي والشعبي وعطاء و قتادة.[٧]

وقال بعضهم: يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم، والآية منسوخة بقوله تعالى:﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩] منهم مجاهد وعكرمة، وروي كذلك عن ابن عباس،[٣٠٢/أ] وقال: ما نسخ

=

(١) ذكره الثعلبي {٤/ ٦٦}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٥٣}.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أخرجه الطبري {١٠/ ٣٢١}.

(٥) قاله أبو عبيدة، مجاز القرآن {١/ ١٦٦}.

(٦) أخرجه أبو داوود {٣٥٨٠} والترمذي {١٣٣٦-١٣٣٧} وابن ماجه {٢٣١٣} وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٧) ورجحه الطبري وابن الجوزي، وقال: لا تنافي بين الآيتين؛ لأن إحداهما: خيرت بين الحكم وتركه، والثانية: بينت كيفية الحكم إذا كان.اهـ تفسير الطبري {١٠/ ٣٣٣} وزاد المسير {٢/ ٤٢} وأحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٢٠}.

من المائدة إلا آيتان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾[آية:٢] نسخها قوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥] والأخرى ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ نسخها ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [١] فأما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب الحكم بينهما إجماعا؛ إذ لا يجوز لمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة.[٢]

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: العادلين.

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ أي: وكيف يجعلونك حكماً بينهم-على سبيل التعجب-فيرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها حكم الله؟ وهو الرجم ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: بمصدقين لك.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾ أي: انقادوا لأمر الله تعالى وسلموا، والمراد النبيون الذين بعثوا بعد موسى عليهم السلام أجمعين؛ ليحكموا بها في التوراة، أو أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة كعيسى، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أو المراد محمداً ﷺ؛ إذ حكم عليهم بالرجم،[٣] وذكر بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾[النحل: ١٢٠] ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا.

ثم قال: يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، أو يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا، من غير تقديم ولا تأخير، أو فيه حذف، كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً.

﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ أي: العلماء، واحدهم حبر، بفتح الحاء وكسرها، والحبر الجمال.[٤]

وفي الحديث: **((يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره))**[١] أي: حسنه وهيئته، وسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه، أو الربانيون هنا من النصارى، والأحبار من اليهود، أو كلاهما من اليهود.[٢]

---

(١) وهو قول الكوفيين وأبي حنيفة، والصحيح من قول الشافعي، ورجحه النحاس، أحكام القرآن للجصاص {٤/ ٨٧-٨٩} والأم للشافعي {٤/ ٢٢٢} والناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ٢٩٤- ٢٩٦}. وأثر ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أبو داوود من طريق عكرمة {٣٥٩٠} وحسن إسناده الألباني.

(٢) حكى الإجماع القرطبي {٦/ ١٢٠}.

(٣) قاله الحسن والسدي، تفسير البغوي {٢/ ٥٤}.

(٤) قول قطرب، تفسير الثعلبي {٤/ ٧٠}.

﴿ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: استودعوا ﴿ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ ﴾ أي: على الرجم ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ جمع شهيد أي: أن الحكم كذلك. ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: في إظهار صفة محمد ونعته وآية الرجم وغير ذلك، ﴿ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [٣٠٢/ب] أي: في كتمانها ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ ﴾ أي: بكتمان صفة محمد ﷺ عرضا يسيرا من المآكل، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ قالوا: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون غيرهم من مسيئي هذه الأمة.[٣]

البراء بن عازب: في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ والظالمون والفاسقون كلها في الكفار،[٤] أو في الناس عامة.[٥]

ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الله، بل إذا فعل فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر،[٦] أو هو كفر دون كفر،[٧] أو معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق،[٨] أو إن هذه الآيات تقع على جميع ما أنزل الله، فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، ومن حكم بما أنزل الله تعالى من التوحيد ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله تعالى من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات،[٩] أو هذا إذا رد نص حكم الله تعالى عياناً عمدا، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا.[١٠]

=

(١) حديث لا أصل له، وليس له إسناد، يذكره أهل اللغة والغريب والمعاجم، وانظر: المفردات للراغب، ولسان العرب، والنهاية في غريب الحديث، مادة: حبر.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٥٥}.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أخرجه مسلم {١٧٠٠}.

(٥) انظر: تفسير البغوي {٢/ ٥٥}.

(٦) قول ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبري {١٠/ ٣٥٦} وروى نحوه الحاكم وصححه {٣٢١٩}.

(٧) قول عطاء، المصدر السابق {١٠/ ٣٥٥} وقوله بمعنى قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {١٠/ ٣٥٧}.

(٩) قول عبد العزيز بن يحيى الكناني، تفسير البغوي {٢/ ٥٥}.

(١٠) المرجع السابق.

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ على قراءة الكسائي،[1] فإنه رفع ما بعدها وهي أربعة أعضاء، ومن بقي بالنصب في الكل،[2] أي: أوجبنا قتل نفس القاتل بنفس المقتول ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ أي: تُفقأ ﴿ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ ﴾ أي: يُجدَعان.

ابن عباس: أخبر هذا الحكم أنه كذا في التوراة، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين.[3]

﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ هذا تعميم لما فصَّله أولا، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ أي: فيما يمكن، كاليد والرجل وغيرهما، وما لا يمكن فلا قصاص فيه، ككسر عظم أو جرح لحم ورضِّه، ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر برفع (الجروح) على الابتداء فقط، ومن بقي بالنصب عطفا على النفس.[4] ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ أي: بالقصاص ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ أي: للمتصدق، عن ابن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة.[5]

قال ﷺ: **((من تصدَّق من جسده بشيء، كفَّر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه))**[6] والهاء كناية عن الجارح والقاتل، إذا عفا المجني عليه عن الجاني، فعفوه كفارةٌ لذنب الجاني لا يؤاخذه به في الآخرة، فأما أجرُ العافي فعلى الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠] عند ابن عباس وإبراهيم ومجاهد [٣٠٣/أ] وزيد بن أسلم.[7]

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ أي: آثار النبيين الذي أسلموا، ﴿ بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ ﴾ أي: في الإنجيل، ﴿ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ ﴾ حمزة والأعمش ﴿ وَلِيَحْكُمَ ﴾ بكسر اللام ونصب الميم، أي: لكي، ومن بقي بسكون اللام وجزم الميم على الأمر.[1]

---

(١) أي: أن الوقف هنا حسن على قراءة الكسائي.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٦}.

(٣) أخرجه الطبري {١٠/ ٣٦٠}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٦}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٣٦٢-٣٦٥} والدر المنثور {٥/ ٣٣٥}.

(٦) أخرجه أحمد {٢٢٧٩٤} وأخرجه بنحوه الترمذي {١٣٩٣} وابن ماجه {٢٦٩٣} عن أبي الدرداء ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ولا أعرف لأبي السفر سماعا من أبي الدرداء. وضعفه الشيخ الألباني.

(٧) تفسير الطبري {١٠/ ٣٦٦} والبغوي {٢/ ٥٧}.

ابن حيان: أُمر الربَّانيون والأحبار أن يحكموا بما في التوراة، وأُمر القِسِّيسون أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزيرٌ ابن الله والمسيح ابن الله.[٢] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآن، ﴿ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: الكتب، ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أي: شاهداً، أو دالاً، أو مؤتمناً عليه، أو أميناً، وأصله مؤيمن، مفيعل، فقلبت الهمزة هاءً،[٣] والقرآن أمين على الكتب فما أخبروا عن كتبهم، فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا، أو قاضياً، أو رقيباً أو حافظاً[٤] ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ أي: يا محمد بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم.

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أي: سبيلاً وسنةً، وهما الطريق الواضح وكل ما شرعت فيه فهو شرعة وشريعة، ومنه شرائع الإسلام.[٥]

قتادة: الخطاب للأمم الثلاثة أمة موسى وعيسى وأمة محمد صلى الله تعالى عليهم أجمعين، فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة، والدين واحد وهو التوحيد،[٦] وقرئ: (شَرعة) بفتح الشين.[٧] ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: ملة واحدة، ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾أي: من الكتب وبين من الشرائع فيتبين المطيع من العاصي، ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: بادروا، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

=

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٦}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٥٧}.

(٣) لسان العرب، مادة: أمن.

(٤) انظر فيما سبق من الأقوال في الطبري {١٠/ ٣٧٨- ٣٨٠} والبغوي {٢/ ٥٧} وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملَها وأعظمَها وأكملَها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها. اهـ {٢/ ٥٥٧}.

(٥) لسان العرب، مادة: شرع.

(٦) تفسير البغوي {٢/ ٥٩}.

(٧) قرأ بها النخعي ويحيى بن وثاب، وهي شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٤١} الدر المصون {٤/ ٢٩١}.

جاء كعب بن أسد وابن صوريا وشاس بن قيس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنَّا أحبارُ اليهود [٣٠٣/ب] وأشرافُهم، وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وبيننا وبين الناس خصومات، فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا، ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما قصدهم التلبيس، وفتنته بالميل في الحكم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾[1] أي: أعرضوا عن الإيمان بحكم القرآن، ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ أي: يجعل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: اليهود ﴿ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ ابن عامر بالتاء، ومن بقي بالياء،[2] أي: يطلبون، وقرئ: (أفحَكَم الجاهلية) بفتح الحاء والكاف،[3] كقوله تعالى: ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ ﴾ [النساء:٣٥] وقرئ بفتح الحاء والكاف وضم الميم،[4] أي: أفحَكَمُ الجاهلية يبغونه، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قال عبادة بن الصامت لعبد الله بن أبيّ بن سلول: إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود، ولا مولى إلا الله و رسوله، فقال عبد الله: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود، لأني أخاف الدوائر، فقال له ﷺ: **((ما نفست به من ولاية اليهود على عُبادة، فهو لك دونه))** قال: إذاً أقبل، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾[5] أو لما اشتدت وقعة أحد وخاف ناس من المسلمين أن يُدال عليهم، فقال رجل منهم: أنا ألحق بفلان اليهودي فآخذ منه أماناً، وقال آخر: أما أنا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أماناً، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهما،[6] أو في أبي لبابة بن عبد المنذر؛[7] إذ بعثه ﷺ إلى بني قريظة حين حاصرهم، فاستشاروه في النزول، وقالوا: ما يصنع بنا إذا نزلنا، فجعل أصبعه على حلقه أنه الذبح،

---

(١) أخرجه الطبري {١٠/ ٣٩٣} عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق محمد بن إسحاق، وفيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٧}.

(٣) وهي شاذة قرأ بها الأعمش، المحتسب {١/ ٢١١}.

(٤) وهي شاذة، قرأ بها المطوعي ويحيى والسلمي، المرجع السابق {١/ ٢١٠} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٧}.

(٥) أخرجه الطبري مرسلا عن الزهري، وعن عطية العوفي مرسلا، وعن عبادة بن الوليد مرسلا {١٠/ ٣٩٥- ٣٩٧} وانظر: أسباب النزول للواحدي {١٩٨}.

(٦) أخرجه الطبري عن السدي مرسلا {١٠/ ٣٩٧}.

(٧) أبو لبابة بن عبد المنذر الأوسي الأنصاري، مختلف في اسمه، قيل: بشير، وقيل: رفاعة، كان أحد النقباء ليلة العقبة، وكانت راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح معه. الإصابة {٧/ ٣٤٩}.

أي: يقتلكم، فنزلت هذه الآية.[١] وحكمها عام لجميع المؤمنين ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ أي: في النصرة ويدهم واحدة على المسلمين ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ ﴾ أي: فيعينهم ويوافقهم، ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [٣٠٤/أ] أي: إلى الثواب والجنة.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: نفاق عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود، ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ ﴾ أي: في معونتهم، ﴿ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ أي: لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، أو نخشى أن يدور الدهر علينا من جدب فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ أي: بالقضاء للفصل من نصر محمد ﷺ أو فتح مكة،[٢] أو فتح قرى اليهود خيبر وفدك،[٣] ﴿ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾ أي: قبل إتمام أمر محمد ﷺ، أو عذاب لهم، أو إجلاء بني النضير،[٤] ﴿ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: من موالاة اليهود ﴿ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ على قراءة من رفع ﴿ وَيَقُولُ ﴾[٥] سواء أثبت الواو أو حذفها، إذ هي مع الرفع للاستئناف، ومن نصب ﴿ وَيَقُولُ ﴾ كان الوقف على ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾ صالح؛ لأنه رأس آية، ولبعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه يتسامح للواقف فعند ذلك، ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾. أهل العراق[٦] ﴿ وَيَقُولُ ﴾ بواو ورفع اللام، ومن بقي بالواو، ونصب اللام أبو عمرو وحده،[٧] عطفاً على ﴿ أَن ﴾[٨] أي: وعسى أن يقولَ الذين آمنوا، أو هي في مصاحف أهل العالية بلا واو ورفع اللام، استغناء عن حرف العطف لملابسة هذه الآية بما قبلها،[٩] أي: يقول الذين آمنوا، أي: وقت ظهور نفاق المنافقين، ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ أي: حلفوا بأغلظ أيمانهم، ﴿ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ ﴾ أي: إنهم مؤمنون، فالمؤمنون يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل، ﴿ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: بطل ما عملوه من الخير وخسروا الدنيا بالفضيحة، والآخرة بالعقاب.[١٠]

---

(١) أخرجه الطبري عن عكرمة مرسلا، {١٠/ ٣٩٨}.

(٢) قاله قتادة ومقاتل، تفسير البغوي {٢/ ٥٩}.

(٣) قول الضحاك، المرجع السابق.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) أي: أن الوقف حسن.

(٦) وهم: عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر، يقرؤون بإثبات الواو ورفع اللام.

(٧) ومعه يعقوب الحضرمي، بإثبات الواو ونصب اللام.

(٨) انظر: النشر {٢/ ٢٥٤} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٧-٥٣٨}.

(٩) مختصر التبيين لهجاء التنزيل {٣/ ٤٤٨}.

(١٠) السقط في النسخة الثانية (ب) إلى هنا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾ نافع وابن عامر (يرتدد) بدالين الأولى مكسورة والثانية مجزومة، على فك التضعيف، ومن بقي بواحدة مشددة مفتوحة،[1] أي: فيرجع إلى الكفر.

الحسن: علم الله تعالى برجوع قوم بعد موت النبي ﷺ عن الإسلام، فلذلك قال: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وهم الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة.[2]

قال أنس: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، فتقلَّد أبو بكر سيفه ثم خرج وحده، فلم يجدوا بداً من [٣٠٤/ب] متابعته.[3]

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه في الانتهاء.[4]

قال ابن حصين: لقد قام أبو بكر مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة،والذين ارتدوا في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق: بنو مَذحِج،ورئيسهم عبهلة العنسي، ويلقب بالأسود، وكان كاهناً مشعبذاً تنبأ باليمن واستولى على بلادها، [فكتب][5] ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين، وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم، وعلى النهوض إلى قتال الأسود العنسي، فقتله فيروز الديلمي[6] على فراشه، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ من ليلته، فقال ﷺ لأصحابه: **((لقد قتل الأسود البارحة رجل مبارك اسمه فيروز))** ثم قبض ﷺ من الغد.

والثانية: بنو حنيفة باليمامة،[7] ورئيسهم مسيلمة الكذاب، واسمه ثمامة بن قيس، تنبأ في حياة النبي ﷺ آخر سنة عشر، زعم أنه أشرك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي، ونصفها لك، وبعث بذلك رجلين من أصحابه، فقال ﷺ: **((لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما))** ثم أجاب: **((من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين))** وتوفي رسول الله ﷺ،

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٨}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٦٠}.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) في (ب) فبعث.

(٦) فيروز الديلمي، أبو الضحاك، اليماني الكناني، من أبناء الأساورة من فارس، من بعثه كسرى إلى قتال الحبشة، سكن مصر، ومات في خلافة عثمان، وقيل في خلافة معاوية ﷺ. الإصابة {٥/ ٣٧٩}.

(٧) بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقيل: حنيفة أمهم، وقيل: سمي لحنف في رجليه، وهم أهل اليمامة. سيرة ابن هشام {١/ ٤٢٤}.

فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة في جيش كثير، حتى أهلكه الله على يدي وحشي- قاتل حمزة، بعد حرب شديد، وكان وحشي يقول: قتلت خيرَ الناس في الجاهلية، وشرَّ الناس في الإسلام.

وبنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد،(١) كان آخر من ارتد، وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وأول من قوتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد، فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمر على وجهه نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

وبعد وفاته ﷺ ارتد خلق كثير في خلافة أبي بكر، فكفى الله تعالى المسلمين أمرهم في نصر- دينه على يدي أبي بكر.

قالت عائشة: ارتدت العرب واشرأبَّ النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الرواسي لهاضها.(٢)

أو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الأشعريون، قال عياض بن غنم الأشعري:لما نزلت: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال ﷺ: **((هم قوم هذا))** وأشار إلى أبي موسى الأشعري.(٣)

أو هم أحياء[٣٠٥/أ] من اليمن، ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة،(٤) وثلاثة آلاف من الناس، فجاهَدوا في سبيل الله تعالى يوم القادسية في أيام عمر.(٥)

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن جانبهم ليّن على المؤمنين، أو هم متواضعون ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: أشداء أو ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: كالولد لوالده وكالعبد لسيده ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: كالسبع على فريسته، كقوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ أي: كالمنافقين؛ لأن المنافقين كانوا يخافون الكفار ويخافون لومهم.

---

(١) طليحة بن خويلد ابن نوفل الأسدي الفقعسي، شهد الخندق مشركا، ثم أسلم سنة تسع ووفد على الرسول ﷺ إلى المدينة، ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ وادعى النبوة، ثم أسلم وحسن إسلامه، استشهد بنهاوند عام ٢١ هـ البداية والنهاية {٧/ ١٣٣}.

(٢) قول عائشة رضي الله عنها بنحوه في سيرة ابن هشام {٤/ ٦٦٥} وهاضها كسرها كما في القاموس.

(٣) أخرجه الطبري {١٠/ ٤١٤} والحاكم {٣٢٢٠} والطبراني {١٠١٦} وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة {٣٣٦٨} ورجح الطبري هذا القول؛ لهذا الحديث.

(٤) النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن سبأ، وكندة: وهو ثور بن عفير، وهم أرهاط وبطون وأفخاذ كثيرة. وبجيلة بن أنمار بن نزار بن معد بن عدنان، وقيل: إن بجيلة امرأة نسبوا إليها وعرفوا بها. الإنباه على قبائل الرواة {٩٢,١٢١، ١١١}.

(٥) قاله الكلبي، تفسير البغوي {٢/ ٦٢}.

قال ابن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع و الطاعة، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.[١]

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ﴾ أي: لين جانبهم ومحبتهم لله، وشدتهم على الكافرين ﴿مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ من فضل الله عليهم.

تبرأ عبادة بن الصامت من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وقال: ابن أبيّ بن سلول: أما أنا فلا أتبرأ منهم، فنزل فيهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: عبادة بن الصامت.[٢]

أو أن عبد الله بن سلام أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إخواننا قريظة والنضير قد أقسموا أن لا يجالسونا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقرأها عليه ﷺ، فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء،[٣] أو هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض،[٤] أو لما أراد ﷺ قتل يهود بني قينقاع، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وسعد بن عبادة الأنصاري، عَظُم على عبد الله، فقال: ثلاثمائة دارع وأربعمائة حاسر منعوني من الأسود والحمر، أفأدعك تحصدهم في غداة واحدة؟ فقال ابن عبادة: أنا بريء إلى الله ورسوله من حلفهم وعهدهم، فنزلت الآية.[٥]

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ مرَّ سائلٌ بعليٍّ في المسجد وهو راكع فأعطاه خاتمه.[٦]

وعن الباقر:[١] أنه قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أنها نزلت في المؤمنين، فقيل له: إن أناساً يقولون: إنها في علي، فقال: هو من المؤمنين.[٢]

---

(١) تقدم تخريجه ل ٢٦٣/ ب.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٩ السابقة.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن جابر بلا إسناد. {١٩٩}

(٤) رواه جويبر عن الضحاك، تفسير البغوي {٢/ ٦٤}.

(٥) ذكره الثعلبي عن بعض المفسرين {٤/ ٨٠}.

(٦) قاله السدي ومجاهد، تفسير الطبري {١٠/ ٤٢٥- ٤٢٦} وأخرجه الواحدي من طريق السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وكما ترى فإن الإسناد ساقط. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك؛ لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى. اهـ {٢/ ٥٦٦}.

أو لما قرأ رسول الله ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قالوا: كلنا يقيم الصلاة، فلما قرأ ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ قالوا: كلنا يؤتي الزكاة، فلما قرأ ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ علموا أنه خاص [٣٠٥/ب] لعلي، أو أن السائل كان ملكا تصور لهم.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾

ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار،(٣) وحزب الله، أي: أنصار دين الله.

كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام، ثم نافقا، وناس من المسلمين يآذونهما، فأنزل تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾(٤) أي: اليهود، ولا يوقف على من قبلكم؛ لأن الكفار معطوف على ما قبله، نصب أو خفض ﴿ وَٱلْكُفَّارَ ﴾ أبو عمرو والكسائي بخفض الراء، أي: ومن الكفار، وقرئ بها،(٥) ومن بقي بالنصب(٦) أي: لا تتخذوا الكفار ﴿ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى للصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، وصلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾(٧) أو نزلت في رجل من نصارى بالمدينة، كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: حُرِقَ الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام، فتطايرت منها شرارة، فأحرقت البيت واحترق هو وأهله،(٨) أو لما سمع الكفار الأذان حسدوا المسلمين، فدخلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: لقد أبدعت شيئاً لم يُسمع به فيما مضى من الأمم، فإن ادَّعيت النبوة فقد خالفت الأنبياء بما أحدثتَ، ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح

=

(١) أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، ولد سنة٥٦هـ. سير أعلام النبلاء {٤/ ٤٠١}.

(٢) أخرجه الطبري {١٠/ ٤٢٦}.

(٣) زاد المسير {٢/ ٣٨٤}.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت {١٠/ ٦٦} والواحدي {٢٠٠}.

(٥) قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه، وهي شاذة، الدر المصون {٤/ ٣١٦}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٩}.

(٧) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي بلا إسناد {٢٠٠} والبغوي في التفسير {٢/ ٦٥}.

(٨) أخرجه الطبري مرسلا عن السدي {١٠/ ٤٣٢} والواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {٢٠١}.

كصياح العنز؟ فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية،[١] ونزل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٣] الآية.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما من اليهود، يسألانه عمن يؤمن به من الرسل، فقال ﷺ: **((أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل))** إلى **((ونحن له مسلمون))** فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴾[٢] أي: تكرهون ﴿ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ أي: إنما كرهتم وأنتم تعلمون أنَّا على حق؛ لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة ولحب الأموال، ثم أمر نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ أي: قولهم: لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، وديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شراً كقوله: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ﴾ [الحج: ٧٢]

﴿ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: ثواباً وجزاءاً، ونصبها على التفسير ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ أي: هو من لعنه الله ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ أي: اليهود ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ فالقردة أصحاب السبت، والخنازير أصحاب مائدة عيسى.[٣]

ابن عباس: أن الممسخين كلاهما من أصحاب السبت، مسخ مشايخهم خنازير، وشبانهم قردة.[٤]

﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ أي: أطاع الشيطان فيما سول له، وتصديقها ما قرئ: (ومن عبدوا الطاغوت)[٥] حمزة بضم الباء من ﴿عَبَد﴾ وجر تاء ﴿ٱلطَّٰغُوت﴾ للإضافة؛ لأن عبد اسم، كيقظ ونَدُس،[٦] وليس بجمع؛ لأنه ليس من أبنية الجموع، ومن بقي بفتح الباء والتاء،[٧] جعل عبد فعلا ماضيا، وقرئ

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول بلا إسناد {٢٠١}

(٢) أخرجه الطبري من طريق محمد بن أبي محمد {١٠/ ٤٣٤} والواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس رضي الله عنهما بلا إسناد {٢٠١} ونهاية اللوحة [٣٠٦/ أ] عند قوله: (تنقمون).

(٣) وهذا لا دليل عليه.

(٤) رواه علي بن أبي طلحة عنه، تفسير البغوي {٢/ ٦٦}.

(٥) قراءة ابن مسعود ﷺ، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٤٧} والدر المصون {٤/ ٣٣٧} وهي شاذة.

(٦) النَّدْسُ: الفَهِم، السريع السمع، الكيِّس، اللسان مادة: ندس.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٣٩}.

بسكون الباء، وضم الباء وسكونها لغتان،[1] كسبع وسبع ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: طريق الحق.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ ﴾ أي: المنافقون، أو هم الذين ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ أي: بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴿ وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴾ أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين؛ لأنهم دخلوا عليه ﷺ وقالوا: آمنا بك وصدقناك فيما قلت، وهم يُسرُّون الكفر ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: اليهود ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ الإثم المعاصي والعدوان الظلم، أو الإثم ما كتموا من التوراة، والعدوان الزيادة فيها ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ هو كل حرام يلزِم آكلَه العار، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾

بسط الله تعالى لليهود حتى كانوا أكثر الناس مالاً[٣٠٦/ب] فلما عصوا الله تعالى في محمد ﷺ وكذبوا به، كف الله تعالى عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[2] أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق نسبوه إلى البخل، فلما قال فنحاص مقالته، ولم ينهه عنها الآخرون، ورضوا بقوله أشركهم الله تعالى فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أو إنها مكفوفة عن عذابنا فلا يعذبنا إلا بما يبر به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل.[3]

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: أمسكت عن الخيرات، وأجابهم الله تعالى: أنا الجواد وهم البخلاء، وأيديهم هي المغلولة.[4] أو هو من الغل في الدنيا، بأن يؤسروا وفي الآخرة بأن يعذبوا، أو هم في الأغلال في النار يوم القيامة. ﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ أي: عذبوا ومسخوا قردة وخنازير ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وهذا رد على القائل المتقدم الذكر فيما توهموه وقالوه، وهي صفة من صفاته تعالى، أو غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود؛ إذ حقيقة الجارحة المتعلقة المتركبة ممتنعة في حقه تعالى علاؤه وشأنه، بل لابد من إخراج هذا وما جرى مجراه على ما هو اللائق بعظمته وجلاله، وكل ما خطر بالبال أو توهم بالخيال، فالرب ﷻ على خلافه، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ولو ثبتت معرفة هذا وما شاكله بالقلب

---

(١) السكون قراءة الحسن وأبي مجلز وأبي نهيك (وعَبْد)، والضم قراءة الشنبوذي، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٤٧} والدر المصون {٤/٣٣٢}.

(٢) قول ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة، تفسير البغوي {٢/ ٦٦}.

(٣) قول الحسن، المرجع السابق {٢/ ٦٧}.

(٤) قاله الزجاج، نقله عنه البغوي، المرجع السابق.

لكَلَّ اللسان عن العبارة عنها، وكان جماعة من أئمة السلف يُمِرُّون آيات الصفات كما جاءت بلا كيف.

قلت: هذا ما لم يتعلق بالذهن ما يفضي إلى التشبيه أو التعطيل، ومتى حصل في الذهن شيء لا يليق بجلاله فلا بد من كشفه وزواله، وليلجأ الإنسان إلى الله تعالى في كشف ما عرض له؛ إذ لا هادي إلا هو تقدست أسماؤه وجل جلاله وبهاؤه.

قال ﷺ **((كلتا يديه يمين))**[١] وفي هذا إشارة إلى أن ليس المراد حقيقة الجارحة.[٢]

﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ أي: إن شاء وسع وإن شاء قتر ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ أي: ويزدادون عند نزول القرآن تماديا وجحودا ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ أي: بين اليهود والنصارى،[٣] أو بين فرق اليهود جعلهم الله تعالى مختلفين في دينهم متباغضين[٣٠٧/أ] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي: اليهود أفسدوا وخالفوا التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث عليهم فطرس الرومي، أو سابور ذا الأكتاف،[٤] ثم أفسدوا فأرسل عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث عليهم المسلمين.[٥] أو كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله تعالى، وقهرهم ونصر نبيه،[٦] أو هذا عام في كل حرب طلبته اليهود، فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس[٧] ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي: يعملون المعاصي بتعويق الناس عن دين محمد ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ ﴾ أي: بمحمد ﷺ، ﴿ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ أي: تابوا ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ أي: واتقوا الكفر ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ أي: أقاموا

---

(١) أخرجه مسلم {١٨٢٧}.

(٢) من معتقد أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ومن ذلك صفة اليد، فيجب على المسلم أن يثبتها لله جل وعلا على الحقيقة، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ولفظ (الجارحة) لم يرد نفيه وإثباته في الكتاب ولا في السنة، فإن أريد به يداً تليق بجلال الله تعالى وعظمته، لا تشابه صفات المخلوقين، فهو حق، وإن أريد به يدا مثل صفات المخلوقين فهذا باطل. وانظر: شرح الطحاوية {}

(٣) قاله الحسن ومجاهد، تفسير البغوي {٢/ ٦٧}.

(٤) سابور ذو الأكتاف بن هرمز، من ملوك الفرس، وسمي بذلك؛ لأنه كان يخلع أكتاف العرب. تاريخ الطبري {١/ ٣٩٩}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٤٥٩}.

(٦) قول الحسن، تفسير البغوي {٢/ ٦٧}.

(٧) قاله قتادة، تفسير الطبري {١٠/ ٤٥٩}.

حدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ أي: القرآن، أو كتب أنبياء بني إسرائيل ﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ ﴾ أي: المطر ﴿ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ ﴾ أي: نبات الأرض، أو المراد توسعة الرزق، كقولهم: فلان في الخير من قرنه إلى قدمه.[(١)]

وروي: **((إن العبد ليحرم الرزق بذنب يصيبه))**[(٢)]

﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ ﴾ أي: من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿ مُّقۡتَصِدَةٞ ﴾ أي: عادلة مؤمنة غير الغالية ولا المقصرة في الدين، وأصل الاقتصاد في الشيء: الاعتدال فيه ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦ ﴾ أي: بئس شيئاً عملهم، وهو كعب بن الأشرف وأصحابه.

ابن عباس: عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.[(٣)]

لما بعث الله تعالى رسوله ﷺ ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾[(٤)] أو أنه لما دعا اليهود إلى الإسلام قالوا: أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فلما سمع ذلك منهم ﷺ سكت عنهم فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقرأ عليهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ الآية.[(٥)] أو بلغ ما أنزل إليك من ربك من الرجم والقصاص.

---

(١) معاني القرآن للفراء {١/ ٣١٥}.

(٢) أخرجه ابن ماجه {٩٠- ٤٠٢٢} وأحمد {٢٢٣٨٦} وضعفه الألباني في ضعيف الجامع {١٤٥٢}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ٦٨}.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول مرسلا عن الحسن {٢٠٢} والبغوي في التفسير {٢/ ٦٨}.

(٥) قاله مقاتل، زاد المسير {٢/ ٣٩٦} وذكره الثعلبي {٤/ ٩١} بلا إسناد.

نزلت في قصة اليهود،[١] أو في أمر زينب بنت جحش ونكاحها، أو نزلت في الجهاد؛ لأن [٣٠٧/ب] المنافقين كرهوه، وكرهه بعض المؤمنين وكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحايين[٢] عن الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل تعالى هذه الآية، أو كان ﷺ يجاهر ببعض القرآن أيام مكة ويخفي بعضه؛ إشفاقا من تسرع المشركين إليه، إلى أن أعز الله الإسلام، فنزلت هذه الآية،[٣] ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ نافع وابن عامر وأبو بكر (رسالاته) بالجمع وكسر التاء، ومن بقي بالتوحيد وفتح التاء.[٤] والمعنى: إن تركت شيئاً مما أرسلت به فما بلغت شيئا، أي: إن ذنبك، في ترك تبليغ البعض كذنبك في ترك تبليغ الكل، أو ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: أظهر تبليغه أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهراً محتسباً صابراً غير خائف، فإن أخفيت منه شيئاً لخوف يلحقك فما بلغت رسالته.

قالت عائشة: من زعم أن محمدا كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ الآية.[٥]

﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: يحفظك من القتل؛ لأنه ﷺ شج في رأسه وكسرت رباعيته، أو نزلت هذه الآية بعد ما شج،[٦] أو والله يخصك بالعصمة من بين الناس ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وروي أن أعرابيا سل سيفه على رسول الله ﷺ وهو منفرد تحت سمرة وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال: **((الله))** فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده، وجعل يضرب رأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٧]

قالت عائشة: قال ﷺ لما قدم المدينة: **((ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة))** إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: **((من هذا؟))** فقال: أنا سعد بن أبي وقاص، جئت لأحرسك، فنام النبي ﷺ.[٨]

---

(١) تقدم ذكر القصة ل [٣٠١/ أ] في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾

(٢) في ب زيادة: عن الحث.

(٣) هذه الأسباب ذكرها الثعلبي بلا إسناد {٤/ ٩١} ونقلها عنه البغوي {٢/ ٦٨}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٠}.

(٥) أخرجه البخاري {٤٦١٢} ومسلم {١٧٧}.

(٦) تفسير البغوي {٢/ ٦٩}.

(٧) انظر لوحة [٢٧٦/ أ-ب] في سورة النساء، وليس فيه: أنه ضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه.

(٨) أخرجه البخاري {٢٨٨٥- ٧٢٣١} ومسلم {٢٤١٠} وهذا يرد قول من قال إنها مكية.

عائشة: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فأخرج ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: **((يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى))** [١]

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: تقيموا أحكامها وما يجب عليكم فيها، ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ سيبويه: فيه تقديم وتأخير، تقديره عنده: الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخرها، والصابئون كذلك، وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة،[٢] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: باللسان، أو المراد حقيقة الإيمان ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ أي: ثبت على الإيمان، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: في التوحيد والنبوة ﴿ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ ﴾ لا يوقف على أنفسهم؛ لأن فريقا كذبوا جواب كلما، ومعناه: كلما جاءهم رسول كذبوا فريقا وقتلوا فريقا ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ ﴾ أي: محمدا وعيسى ﴿ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ كزكريا ويحيى.

﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: عذاب أو ابتلاء واختبار، أو ألا تفسد قلوبهم، أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿ تَكُونَ ﴾ بالرفع أي: أنه لا تكون، ومن بقي بالنصب بأن [٣] ﴿ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ﴾ أي: عن الحق فلم يسمعوه، أي: بعد موسى ﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ببعث عيسى ﴿ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: بالكفر بمحمد ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ أي: الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي {٣٠٤٦} والحاكم {٣٢٢١} وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق، قال: كان النبي ﷺ يُحرس. ولم يذكروا فيه عن عائشة. اهـ وقال ابن حجر في الفتح: وإسناده حسن واختلف في وصله وإرساله.اهـ {٦/ ١٠٠} وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي. وللحديث شواهد انظر تفسير ابن كثير {٢/ ٥٧٩}.

(٢) انظر في معنى الآية رسالة الدكتور: عبد الله العمري، عند الآية {٦٢} ص ٢٩٨ وما بعدها.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤١}.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ أي: المرقوسية، معناه: ثالث ثلاثة آلهة؛ لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى، فكل واحد من هؤلاء إله.

ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلهية لم يكفر، لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] وقال ﷺ: **((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))**[(١)]

﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ هذا رد عليهم ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تخصيصا لعلمه أن بعضهم قد يؤمن.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ﴾ أمر بلفظ الاستفهام وحث على الاستغفار من الذنب العظيم. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: مضت، أي: إنما هو كالرسل الذين مضوا ولم يكونوا آلهة، فهو بمعنى كما مضوا، ولو كان إلها كما زعمتم لكان دائما، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ بناء مبالغة؛ لأنها صدقت بآيات الله تعالى، ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ أي: يعيشان بالغذاء كسائر الآدميين، فلا يجوز أن يكون إلها من لا يقيمه إلا الغذاء؟ أو هو كناية عن الحدث، إذ كل من أكل وشرب فلا بد له من الحدث البول والغائط، ثم قال: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق.

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: في دينكم المخالف للحق؛ لأنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه، أي: تجاوزوا الحد بالإصرار عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ أي: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، نهى المؤمنين عن اتِّباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ أي: من اتبعهم على أهوائهم، ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ أي: قصد الطريق، فالضلال الأول من الضلالة لهم، والثاني بإضلالهم من اتبعهم.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ هم أهل أيلة[(٣)] لما اعتدوا في السبت، قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردةً، ولما شارك عيسى داود عليهما السلام في تبليغ الرسالة والدعاء على الكفار عطفه عليه فقال: ﴿وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ أي: وعلى لسان عيسى بن مريم،

---

(١) أخرجه البخاري {٢٦٥٣- ٣٩٢٢} ومسلم {٢٣٨١}.

(٢) نهاية اللوحة [٣٠٨/ ب] في الآية عند الكلمة (ينتهوا).

(٣) أَيْلَة: ميناء المملكة الأردنية الهاشمية على رأس خليج العقبة، وهي مدينة عامرة كثيرة التجارة ميناؤها يزدحم بالسفن. معجم المعالم الجغرافية {٣٥}.

أي: الكفار من أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم اجعلهم آية، فمسخوا خنازير، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

قال ﷺ: **((كان فيمن كان من قبلكم من بني إسرائيل، إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي**[٣٠٩/أ] **تعذيراً، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم، ضرب قلوب بعضهم على بعض، وجعل منهم القردة والخنازير، ولعنهم الله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذُنَّ على يد السفيه، ولتأطرُنَّه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم)).**[١]

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: مشركي مكة يستجيشونهم على النبي ﷺ، أو ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ يعني المنافقين يتولون اليهود[٢] ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: بئس ما قدموا من العمل لمعادهم ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ أي: القرآن ﴿ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ هذا خاص في النجاشي ووفده؛[٣] لأن وفد النجاشي أسلموا لما قدموا على النبي ﷺ، وكانوا اثنين وثلاثين رجلا، أو أربعون رجلا،[٤] أو سبعون أو ثمانون،[٥] أو نزلت هذه الآية في طائفة كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما جاء محمد ﷺ صدقوه وآمنوا به،

---

(١) أخرجه أبو داوود {٤٣٣٦- ٤٣٣٧} والترمذي {٣٠٤٧} وابن ماجه {٤٠٠٦} والطبري {١٠/ ٤٩١-٤٩٣} وفيه إرسال، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، {١٢١٥٣} وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه {٨٧٦}.

(٢) قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن، تفسير البغوي {٢/ ٧٣}.

(٣) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولكن قرب مودة النصارى للمؤمنين مقيدة بما ذكر في الآية.

(٤) قاله مقاتل والكلبي، تفسير البغوي {٢/ ٧٥}.

(٥) قاله عطاء، المرجع السابق.

[١] فأثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا ﴾ القسيس العالم بلغة الروم، والرهبان جمع راهب، وهو العابد وصاحب صومعة، وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، كقربان وقرابين[٢] ﴿ وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

ولما هاجر المسلمون إلى الحبشة إلى النجاشي، كما تقدم من ذكر القصة في آل عمران،[٣] كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري، يخطب أم حبيبة بنت أبي سفيان –وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها فتوفي [٣٠٩/ب] زوجها– ويبعث إليه من عنده من المسلمين، وأنفذ صداقها أربعمائة دينار، وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي، أرسل إليه جاريته أبرهة بالذهب المذكور، فأعطتها خمسين ديناراً فأبت من أخذها وقالت: أنا صاحبة دهن الملك، وقد صدَّقت محمداً ﷺ وآمنت به، وحاجتي منك أن تقرئيه مني السلام، قالت أم حبيبة: فخرجنا إلى المدينة، فأقمت بها حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي، فقرأت عليه من أبرهة السلام، فرد ﷺ السلام، وأنزل الله عز وجل :﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة: ٧] أي: بتزويج أم حبيبة، ولما جاء أبا سفيان تزويج الرسول ﷺ أم حبيبة، قال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه. وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر، أزهى ابنه في ستين رجلاً، وكتب إليه: يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وقد بايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر، حتى إذا توسطوا البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى.[٤]

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ ابن عباس: قرأ عليهم جعفر (كهيعص) فما زالوا يبكون حتى فرغ منها.[٥]

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي: أمة محمد ﷺ.

---

(١) قاله قتادة، انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٥٠١}.

(٢) القاموس المحيط، مادة: رهب.

(٣) انظر لوحة [١٨٨/ ب]

(٤) انظر القصة في تفسير الطبري {١٠/ ٥٠١} والدر المنثور {٥/ ٤٠٥-٤٠٧} وأسباب النزول للواحدي {٣٠٢}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ٧٦}.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ لأن اليهود عيَّروهم وقالوا لهم: لم آمنتم؟ فأجابوهم بهذا ﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ أي: في أمة محمد ﷺ.

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي: أعطاهم ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ علق الثواب بالقول؛ لاقترانه بالإخلاص، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ أي: الموحدين[٣١٠/أ] المؤمنين، في قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ دليل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

ذكر ﷺ يوم القيامة، فرقَّ له الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي،[١] وهم أبو بكر وعلي، وابن مسعود وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو ذر وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرن،[٢] واتفقوا وحلفوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى دار ابن مظعون فلم يصادفه، وصادف أم حكيم امرأته الخولاء،[٣] فقال: **((أحق ما بلغني من زوجك وأصحابه؟))** فكرهت الكذب وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق. فانصرف ﷺ، فلما أتى عثمان أخبرته بذلك، فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال ﷺ: **((ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟))** قالوا: بلى، وما أردنا إلا الخير، فقال ﷺ: **((إني لم أؤمر بذلك))** ثم قال: **((إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))** ثم خطب الناس، فقال: **((ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا؟ أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم**

---

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن جمح الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ودفن بالبقيع. الإصابة {٤/ ٤٦١}.

(٢) أبو عمرة معقل بن مقرن المزني، قال ابن حبان: له صحبة. وكان بنو مقرن سبعة كلهم صحب النبي ﷺ، وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم. المصدر السابق {٦/ ١٨٣}.

(٣) أم حكيم بنت أبي أمية بن حارثة السلمية، زوج عثمان بن مظعون ﷺ. المصدر السابق {٨/ ١٩٢}.

بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم)) فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[1]

قال ﷺ: **((إن خصاء أمتي الصيام، وإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله،**[١٠٣/ب] **وإن رهبانيتهم الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة)).**[2]

أو أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني نشوة، فحرمت اللحم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3]

وقوله تعالى: ﴿ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ أي: الملذات التي تشتهيها النفوس، من الحلال، من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ أي: لا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، أو: هو جب المذاكير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾ الحلال ما أخذته من وجهه، والطيب ما غذى ونمّى، فأما الجوامد كالطين والتراب، وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي[4] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

لما [نزلت][5] ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ الآية، قالوا: يا رسول الله ما نصنع بأيماننا التي حلفناها؟ فأنزل الله تعالى:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾[6] ابن ذكوان، ﴿عاقدتم﴾ بألف وأبو بكر وحمزة والكسائي ﴿ عَقَدتُّم ﴾ مخففا، ومن بقي بالتشديد، مبالغة من العقد ضد الحل،[7] والمعنى ما قصدتم وتعمدتم، وعقدتم من الأيمان إذا حنثتم فيها

---

(١) أخرجه الطبري {٥١٤- ٥١٦} والواحدي في أسباب النزول {٢٠٥} وأصله عند البخاري {٥٠٦٣} ومسلم {١٤٠١} بدون ذكر أسماء الصحابة.

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره {٢/ ٧٧} وفي شرح السنة {٢/ ٣٧٠} وفي إسناده رِشدين بن سعد، وابن أنعم عبد الرحمن بن زياد، ضعفهما ابن حجر في التقريب {٣٢٦- ٥٧٨} ولبعض ما ورد في الحديث شاهد.

(٣) أخرجه الترمذي {٣٠٥٤} والواحدي في أسباب النزول {٢٠٥} والسيوطي في الدر وزاد نسبته لابن أبي حاتم وابن عدي والطبراني وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه بعضهم عن عثمان بن سعد مرسلا ليس فيه عن ابن عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلا.اهـ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٤) قاله عبد الله بن المبارك، تفسير البغوي {٢/ ٧٨}.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما {١٠/ ٥٢٣}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٢}.

﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾ وهو لكل مسكين مد من طعام بمد رسول الله ﷺ، وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، وكذلك في جميع الكفارات، عند ابن ثابت وابن عباس وابن عمر، وابن المسيب وابن يسار وعطاء والحسن، أو عند قوم لكل مسكين مدان، منهم عمر وعلي رضي الله عنهما،[١] وأبو حنيفة: يطعم من الحنطة نصف صاع، ومن غيرها صاعا، وكذلك الشعبي والنخعي وابن جبير ومجاهد،[٢] ولو غداهم وعشاهم عند الشافعي لا يجوز، وعند أبي حنيفة يجوز،[٣] وكذلك لو صرف الكل إلى مسكين واحد لا يجوز عند الشافعي، ويجوز عند أبي حنيفة صرفه إلى مسكين واحد في عشرة أيام،[٤] ولا يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجوز،[٥] وجوز أبو حنيفة صرفه إلى أهل الذمة.[٦] واتفقوا على عدم جواز صرف الزكاة إلى أهل الذمة.[٧] ﴿ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ﴾ أي: من خير قوت عيالكم.

عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم.[٨]

﴿ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ ﴾ هو مخير في كفارة اليمين [٣١١/ب] بين إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة، فإن اختار الكسوة فيكسو كل مسكين ثوباً واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة، كسراويل أو قميص أو عمامة أو نحو ذلك، عند ابن عباس ومجاهد وعطاء وطاووس، والشافعي.[٩]

ومالك أوجب لكل إنسان ما تجوز فيه صلاته، فللرجل ثوب واحد، وللمرأة درع وخمار.[١٠]

---

(١) انظر: أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٧٩}.

(٢) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١١٧}.

(٣) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١١٧}.

(٤) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١١٨}.

(٥) الأم للشافعي {٧/ ٦٨}.

(٦) أحكام القرآن للجصاص {٢/ ١٨٠}.

(٧) نقل الإجماع على ذلك ابن المنذر، أحكام القرآن للقرطبي {٢/ ٣٣}.

(٨) تفسير البغوي {٧٩/٢}.

(٩) الأم للشافعي {٧/ ٦٨- ٩٦} وتفسير الطبري {١٠/ ٥٤٥- ٥٤٦}.

(١٠) أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ١٦٠}.

وابن المسيب: لكل مسكين ثوبين،[1] وإن اختار العتق أعتق رقبة مؤمنة، وكذلك جميع الكفارات كالظهار وكفارة القتل وجماع رمضان،[2] والثوري وأبو حنيفة يجوزان الرقبة الكافرة في الجميع إلا كفارة القتل،[3] وعتق المرتد بالاتفاق غير جائز.[4]

ويشترط أن يكون العبد المعتق في الكفارة سليم الرق، لا كالمكاتب وأم الولد، وجوزه أبو حنيفة في المكاتب،[5] وأن يكون سليما من كل عيب يضر بالعمل، فلا يجوز بمقطوع إحدى اليدين، وإحدى الرجلين، عند الشافعي.[6]

وأبو حنيفة: كل عيب يفوت جنساً من المنفعة على الكمال يمنع الجواز، حتى جوز بمقطوع إحدى اليدين، ولم يجوز بمقطوع إبهامي اليدين.[7]

﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ﴾ أي: إذا عجز في كفارة اليمين عن الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق، فيصوم ثلاثة أيام.

والحسن وابن جبير قالا: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام،[8] ولا يجب التتابع عند قوم في الصيام، بل إن شاء تابع وإن شاء فرق، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي.[9]

وأوجب قوم التتابع ككفارة القتل والظهار، منهم الثوري و أبو حنيفة.[10]

---

(١) تفسير الطبري {١٠/ ٥٤٧}.

(٢) الأم للشافعي {٧/ ٩٦}

(٣) بدائع الصنائع {٤/ ٢٧١-٢٧٢}.

(٤) تفسير البغوي {٧٩/٢} أحكام القرآن للقرطبي {١٨١/٦}.

(٥) إذا لم يؤد شيئا من كتابته، وإلا فلا. أحكام القرآن للجصاص {٥/ ٣١٢} بدائع الصنائع {٤/ ٢٦٨}.

(٦) الأم للشافعي {٧/ ٦٩}.

(٧) بدائع الصنائع {٤/ ٢٧٠}.

(٨) أخرجه الطبري {١٠/ ٥٥٨}.

(٩) انظر: الأم للشافعي {٧/ ٦٩}.

(١٠) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٢١} والقرطبي {٦/ ١٨٣}.

وقرئ: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[١] ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ ﴾ أي: المذكور، ولا تجب الكفارة إلا بعد الحنث. وتَقدُّمُ الكفارة على الحنث يجوز عند قوم؛ لقوله ﷺ **((من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير))**[٢] منهم عمر[٣] وابن عباس وعائشة والحسن وابن سيرين، ومالك والأوزاعي والشافعي، بل يقول الشافعي: إن كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز؛ إذ هو بدني.[٤] وعند أبي حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث.[٥]

﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [٣١١/ب] أي: إذا حلفتم فلا تحنثوا، إن لم يكن اليمين على ترك مندوب أو فعل مكروه، فالأفضل في هذين أن يحنث نفسه، ويكفر لما تقدم من الحديث، أو المراد ترك الحلف، ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ وهو القمار ﴿ وَٱلۡأَنصَابُ ﴾ هي الأوثان، لنصبهم إياها للعبادة، جمع نَصب بفتح النون وسكون الصاد، وبضمها ومخفف الصاد، ويقال: هو النصب، وهو حجر تصب عليه دماء الذبائح، ﴿ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ ﴾ هي القداح المستقسم بها واحدها زلم، بفتح الزاء وبضمها،[٦] ﴿ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: خبيث مستقذر من تزيينه ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ أما العداوة في الخمر فإن الشاربين إذا سكروا عربدوا، كفعل الأنصاري الذي شج رأس سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل،[٧] وأما في الميسر، فكان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزيناً مغتاظاً على حرفائه.[٨] ﴿ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ ﴾ لأن من اشتغل بشرب الخمر والقمار اشتغل عن ذكر الله تعالى، وتخبط في صلاته ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ أمر بلفظ الاستفهام، أي: انتهوا.

---

(١) قرأ بها ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري {١٠/ ٥٥٩- ٥٦٠} وهي شاذة.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع {٦٦٢٢- ٦٧٢٢} ومسلم {١٦٥٢}.

(٣) في (ب) ابن عمر، والصحيح ما في الأصل، كما في المصادر.

(٤) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ١٧٨} والأم للشافعي {٧/ ٦٦- ٦٧} وتفسير البغوي {٢/ ٨٠}.

(٥) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١١٥}.

(٦) انظر ما ذكره المصنف في معنى الآية رقم {٣} من هذه السورة.

(٧) والقصة في صحيح مسلم {١٧٤٨ح ٤٣، ٤٤}.

(٨) قاله قتادة، تفسير البغوي {٢/ ٨١}.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ ﴾ أي: المحارم، ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٩٢ ﴾

قال ﷺ **((كل مسكر حرام ، إن حتماً على الله أن لا يشربه عبد في الدنيا، إلا سقاه الله يوم القيامة من طينة الخبال، هل تدرون ما طينة الخبال؟ قال عرق أهل النار)).**[(١)]

وعنه ﷺ **((لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها))**[(٢)]

وعنه ﷺ: **((كل مسكر خمر وكل خمر حرام)).**[(٣)]

لما نزل تحريم الخمر قال الصحابة: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾[(٤)] أي: أكلوا[٣١٢/أ] من مال القمار وشربوا من الخمر، ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ أي: الشرك ﴿ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ﴾ أي: اتقوا الخمر والميسر بعد تحريمهما ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ ﴾ أي: محارم الله تعالى، ﴿ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٣ ﴾ أو المعنى الأول إذا ما اتقوا الشرك، وآمنوا صدقوا، ثم اتقوا أي: داموا على ذلك ﴿ وَّءَامَنُواْ ﴾ ازدادوا إيماناً، ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، أو اتقوا بالإحسان وكل محسن متق.[(٥)]

لما كان المسلمون بالحديبية وهم محرمون ابتلوا بمجيء الصيد؛ ليختبروا، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴾[(٦)] وفائدة البلوى ظهور الطائع من العاصي له، وقال: ﴿

---

(١) الحديث أصله عند مسلم {٢٠٠٢}.

(٢) أخرجه أبو داوود {٣٦٧٤} وابن ماجه {٣٣٨٠} وأحمد {٥٧١٦} وفيه: عبد الرحمن الغافقي، قال المنذري: سئل عنه ابن معين، فقال: لا أعرفه، وذكره ابن يونس في تاريخه، وقال: روى عن ابن عمر، وأبي طعمة: رواه مكحول بالكذب. قال ابن حجر رحمه الله: صححه ابن السكن، وفي الباب عن أنس بن مالك، رواه الترمذي وابن ماجه، ورواته ثقات، وعن ابن عباس، رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وعن ابن مسعود، ذكره ابن أبي حاتم في العلل، وعن أبي هريرة مرفوعا: ((إن الله حرم الخمر وثمنها، وحرم الميتة وثمنها، وحرم الخنزير وثمنه)) ورواه أبو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص. اهـ التلخيص الحبير {٤/ ٧٣} والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داوود.

(٣) أخرجه مسلم {٢٠٠٣}.

(٤) أخرجه الترمذي {٣٠٥٠} والطبري {١٠/ ٥٧٧- ٥٧٩} والواحدي {٢١٠} وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. اهـ وأصح منه حديث أنس ﷺ عند البخاري {٢٤٦٤} ومسلم {١٩٨٠}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ٨٣}.

(٦) قاله مقاتل، الدر المنثور {٥/ ٥٠٩} وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

بِشَىۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴾ على التبعيض، أي: ابتلوا بصيد البر خاصةً، ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ أي: كصغاره وبيضه، ﴿ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾ أي: كباره [1]

﴿ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ أي: يخاف الله ولم يره فلا يصيد وهو محرم، ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: صاد بعد الإحرام، ﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾

ابن عباس: يوسع ظهره وبطنه جلداً، ويسلب ثيابه. [2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ﴾ أي: بحج أو عمرة، جمع حرام، رجل حرام وامرأة حرام، يقال: أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم دخل الحرم. نزلت في أبي اليَسَر؛ [3] إذ قتل حمار وحش وهو محرم. [4] ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا ﴾ العمد قتل الصيد مع نسيان الإحرام، فلو قتله عمداً ذاكرا للإحرام فلاحكم عليه؛ إذ أمره أعظم من أن يكون له كفارة، وأمره إلى الله تعالى عند مجاهد والحسن، أو أن يعمد إلى قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه كفارة. [5]

وقتل الخطأ كالعمد في قتل الصيد للمحرم ولزوم الكفارة عند أكثرهم، قال الزهري: الكفارة تثبت في العمد بالكتاب والخطأ بالسنة، وابن جبير: لا يوجب بقتل الخطأ الكفارة. [6]

﴿ فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ ﴾ الكوفيون ﴿ فَجَزَآءٞ ﴾ منون مرفوع ﴿ مِّثۡلُ ﴾ مرفوع أيضا، بدل من الجزاء، ومن بقي برفع جزاء من غير تنوين وجر (مثل) على الإضافة؛ [7] لأنهم يستعملون في إضافة الشيء مثله، يقولون: إني أريد أن أكرم مثلك، أي: أكرمك، كقوله: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: بما آمنتم به. ﴿ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ [٣١٢/ب] أي: يجب عليه ما يقرب من الصيد المقتول ﴿ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ أي: ما يشبهه من حيث الخلقة دون القيمة، ﴿ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ أي: يحكم بالجزاء عدلان، فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به، وإلى إيجاب المثل ذهب عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس، وغيرهم من الصحابة، [8] حُكِم في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل،

---

(١) قاله مجاهد، تفسير الطبري {١٠/ ٥٨٣}.

(٢) الدر المنثور {٥/ ٥٠٩}.

(٣) أبو اليَسَر بفتحتين، كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السَّلَمي، مشهور باسمه وكنيته، قال ابن إسحاق: كان من آخر من مات من الصحابة. أي من أهل بدر. ت ٥٥هـ الإصابة {٧/ ٤٦٨}.

(٤) ذكره البغوي {٢/ ٨٤} ونسبه الحافظ ابن حجر في الفتح {٤/ ٢٨} لمقاتل في تفسيره.

(٥) انظر: تفسير الطبري {١١/ ٨، ٩، ١١} وزاد المسير {٢/ ٤٢٣}.

(٦) أحكام القرآن للقرطبي {١٩٨/٦}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٥٥} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٢}.

(٨) تفسير البغوي {٢/ ٨٤}.

فحكم حاكمهم في النعامة ببدنه وهي لا تساوي بدنه، وفي حمار الوحش ببقرة وهو [لا تساوي][(١)] بقرة، وفي الضبع بكبش، وهو لا يساوي كبشاً، فدل أن نظرهم إلى ما هو الأشبه من حيث الخلقة، وفي الحمام شاة، وهو كل ما عبَّ وهدر، كالفواخت والقمري والدبسي.[(٢)]

عن عمر وعثمان وابن عباس، أنهم قضوا في حمام مكة بشاة.[(٣)]

وقضى عمر في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة.[(٤)]

﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ أي: الكفارة يبلغ بها إلى الكعبة، فيذبحها بمكة لمساكين الحرم، وهديا نصب حال من الضمير في به، أو تفسير أو مصدر،[(٥)] و(بالغ) نعت لـ (هديا) والتنوين فيه مقدر، فلذلك جاز نعت النكرة به ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾

الفراء: العِدل بكسر العين: المثل من جنسه، وبفتحها: المثل من غير جنسه.[(٦)]

والمراد: أن الجاني مخير بين أن يذبح المثل من النعم، فيتصدق به، وبين أن يقِّوم المثَل دراهم، والدراهم طعاماً، فيتصدق به على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مد يوماً، ويصوم حيث شاء؛ إذ لاحظ للفقراء فيه.

قال مالك: إن لم يخرج المثل يقوم الصيد دراهم، ثم يجعلها طعاماً ثم يتصدق به، أو يصوم. [(٧)]

وأبو حنيفة: لا يوجب المثل من النعم، بل يقوم الصيد، فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع بر أو صاع[(٨)] من غيره يوماً.[(١)] والشعبي والنخعي جزاء الصيد عندهما على الترتيب.[(٢)]

---

(١) في (ب) ولا تساوي.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٢٠٠} والفواخت واحده فاختة، وهي ضرب من الحمام المطوق. اللسان: فخت. والقمري: نوع من الحمام. والدبسي: طائر أدكن يقرقر. القاموس، مادة: قمر، ودبس.

(٣) الاستذكار {٤/ ٣٨٢}.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، والبغوي بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ، {٢/ ٨٤} وإسناده صحيح كما في التلخيص الحبير {٢/ ٢٨٤} العناق: من أولاد المعز ما لم يَتِمَّ له سنة. والجفرة: الأنثى من أولاد المعز، إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمّه وأخَذ في الرعي. النهاية في غريب الحديث، مادة: عنق، جفر. واليربوع: دويبة فوق الجرذ، طويل الرجلين قصير اليدين جدا، ذيله كذيل الجرذ. اللسان، مادة: ربع.

(٥) معاني الزجاج {٢/ ٢٠٨}.

(٦) معاني الفراء {١/ ٣٢٠}.

(٧) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٢٠٣}.

(٨) في (ب) وصاع.

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: جزاء معصيته، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ أي: قبل نزول الآية، أو في الجاهلية، ﴿وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾ أي: في الآخرة. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾

ابن عباس: إذا قتل المحرم صيداً متعمداً يسأل، هل قتلت شيئاً من الصيد قبله؟ [٣١٣/أ] فإن قال: نعم لم يحكم عليه، وقيل له: اذهب فينتقم الله منك، وإن قال لم أقتل شيئاً حكم عليه، فإن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه، ولكن يملأ ظهره وصدره ضرباً وجيعاً،[٣] وكذلك حكم رسول الله ﷺ في وج واد بالطائف.[٤]

ولا يجوز أكل لحم الصيد للمحرم بحال، عند ابن عباس، وطاووس والثوري،[٥] واحتجوا بأن ابن جثَّامة الليثي[٦] أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً، وهو بالأبواء أو بودَّان،[٧] فرده عليه، قال فلما ما في وجهه، قال ﷺ: ((**إنا لم نردَّه عليك إلا أنا حرم**))[٨]

وأجازه الأكثرون إذا لم يصد بنفسه ولا لأجله ولا بإشارته، منهم عمر وعثمان وأبو هريرة، وعطاء ومجاهد وابن جبير، ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق وفقهاء الكوفة.[٩]

وإنما رد ﷺ على الصعب بن جثامة؛ لأنه ظن أنه صيد من أجله. والدليل عليه أن[أبا قتادة بن ربعي][١] كان مع رسول الله ﷺ في سفر، حتى إذا كان ببعض الطريق، تخلف مع أصحاب له محرمين

=

(١) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٤٠- ١٤١}.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٢٠٣}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ٨٥}.

(٤) والحديث أخرجه أبو داوود {٢٠٣٢} وأحمد {١٤١٦} والبيهقي في الكبرى {٩٧٥٧} والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير {١٨٧٥}.

(٥) انظر: تفسير الطبري {١١/ ٧٧- ٧٨}.

(٦) هو الصعب بن جثامة بن قيس الليثي، حليف قريش، كان يعيش بودَّان، آخى الرسول بينه وبين عوف بن مالك، الإصابة {٣/ ٤٢٦}.

(٧) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة،وهي واد من أودية الحجاز التهامية، ويسمى اليوم وادي الخريبة. معجم البلدان {١/ ٧٩} ودان: اندثرت من زمن بعيد، ومكانها الآن شرق مستورة إلى الجنوب، والمسافة بينهما قريبا من اثني عشر كيلا. معجم المعالم الجغرافية {٣٣٢}.

(٨) أخرجه البخاري في مواضع {١٨٢٥- ٢٥٧٣} ومسلم {١١٩٣- ١١٩٤}.

(٩) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٤٧- ١٤٩} والقرطبي {٦/ ٢٠٧}.

وهو غير محرم، فرأى حماراً وحشياً فاستوى على فرسه، فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا، فسألهم رمحه، فأبوا، فأخذه ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ، وهم حرم، فلما[٢] أدركوا رسول الله ﷺ، فقال: ((**إنما هي طعمة أطعمكموها الله**)).[٣]

ورخص قوم في قتل الجراد للمحرم، وقالوا هو من صيد البحر، عن كعب الأحبار،[٤] والأكثرون على خلافه، فإن قتل جرادة، قال عمر: عليه تمرة، وعنه أيضا وابن عباس قبضة من طعام.[٥]

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ المراد ها هنا بالبحر جميع المياه.

قال عمر: صيده ما اصطيد وطعامه ما رمى لكم.[٦]

﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ أي: منفعة لكم وللمارة، وحيوان الماء قسمان: سمك وغيره، فالسمك حلال ميتته بكل حال مع اختلاف أنواعه؛ لقوله ﷺ: ((**أحلت لنا ميتتان: السمك والجراد**))[٧]

وسواء مات بسبب أو بغير سبب، وأبو حنيفة لا يجيزه إلا أن يموت بسبب، كانحسار الماء عنه أو وقوع حجر ونحوه.[٨] وغيره أيضا قسمان: قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان، فلا يحل أكله، وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش [٣١٣/ب] المذبوح، فلم يجوز أبو حنيفة[٩] إلا السمك،[٧] وعند غيره ميت الكل حلال، لأنها كلها سمك، وإن اختلفت صورها، كالجِرِّيث، يقال له: حية الماء، إذ هو على شكل الحية وهو مباح اتفاقا، منهم أبو بكر وعمر وابنه وابن عباس وابن ثابت وأبو هريرة وعطاء ومالك وظاهر مذهب الشافعي.[١٠]

=

(١) في النسختين [ربعيا] والمثبت من الصحيحين. وهو أبو قتادة بن ربعي بن سلمة الخزرجي السلمي الأنصاري، فارس رسول الله ﷺ، مات بين الخمسين والستين. الإصابة {٧/ ٣٢٧}.

(٢) في ب زيادة [ذكروا ذلك]

(٣) أخرجه البخاري {٢٩١٤} ومسلم {١١٩٦}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ٧٧}.

(٥) تفسير البغوي {٨٧/٢}.

(٦) أخرجه الطبري بنحوه {١١/ ٦١}.

(٧) أخرجه ابن ماجه {٣٣١٤} وأحمد {٥٧١٦} والبيهقي موقوفا، وقال: هذا إسناد صحيح. {١/ ٢٥٤} وعزاه الزيلعي في نصب الراية، للشافعي وعبد بن حميد وابن حبان في الضعفاء وابن عدي، وقال: له طريق آخر. {٤/ ٢٠٢}

(٨) بدائع الصنائع {٤/ ١٤٥}.

(٩) في ب زيادة: [منه]

(١٠) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٢٠٦}.

الأوزاعي: كل شيء عيشه في الماء فهو حلال، قيل له: فالتمساح؟ قال نعم.[١]

وقال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم،[٢] وقال الثوري: لا بأس بالسرطان.[٣]

وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر، وكذلك الحديث.

قال ﷺ لما سئل عن الوضوء بماء البحر: **((هو الطهور ماؤه الحل ميتته))**[٤]

﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ القراءة ﴿ دُمْتُمْ ﴾ بضم الدال، وقرئ بكسرها، من دام يدام كخاف يخاف،[٥] وصيد البحر على المُحرِم حلال، كما هو على غير المُحرِم، والمحرَّم على المحرِم إنما هو صيد البر، وهو كل حيوان وحشي يحل أكله، وما لا يحل أكله فليس بحرام، فيحل قتله في الحرم والإحرام، بلا جزاء على من قتله، والمتولد بين ما يؤكل وما لا يؤكل، كالمتولد بين الذئب والضبع، يقتل ولا يحل أكله، وفيه الجزاء على المحرم؛ لأن فيه جزءا من الصيد.

قال ﷺ: **(((خمس قتلهن حلال في الحرم: الحية، والعقرب، والحدأة، والفأرة، والكلب العقور))**[٦]

قال سفيان بن عيينة: الكلب العقور كل سبع عاد.[٧]

وقال ﷺ **((خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن[٨] جناح: الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور))**[٩] وقال ﷺ **((يقتل المحرم السبع العادي))**[١٠]

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ٨٧}.

(٢) ويردُّ هذا نهيُ النبي ﷺ عن قتل الضفادع، أخرجه أبو داوود {٣٨٧١} وصححه الألباني في صحيح الجامع {٦٩٧٠}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ٨٧}.

(٤) أخرجه أبو داوود {٨٣} والترمذي {٦٩} والنسائي {٣٣٢} وابن ماجه {٣٨٦-٣٨٨- ٣٢٤٦} وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو قول أكثر الفقهاء.اهـ وصححه الشيخ الألباني.

(٥) قراءة يحي بن وثاب، وهي شاذة، الدر المصون {٤/ ٤٣٠}.

(٦) أخرجه أبو داوود {١٨٤٧} وأصل الخبر في الصحيحين كما سيأتي بعد قليل.

(٧) تفسير البغوي {٢/ ٩٠}.

(٨) في (ب) بالتقديم والتأخير. (ليس في قتلهن على المحرم)

(٩) أخرجه البخاري {١٨٢٦- ٣٣١٥} ومسلم {١١٩٩}.

(١٠) أخرجه أبو داوود {١٨٤٨} والترمذي {٨٣٨} وابن ماجه {٣٠٨٩} وقال الترمذي : حديث حسن، والعمل على هذا عند أهل العلم، قالوا: المحرم يقتل السبع العادي.

وفقهاء الكوفة أوجبوا الجزاء فيما لا يؤكل لحمه إذا قتله المحرم، كالفهد والنمر والخنزير، إلا الأعيان المذكورة في الخبر، فقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة،(١) وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه؛ إذ بعضها سباع ضارية وهوام قاتلة وطير، وإن المجموع(٢) حيوان مستخبث اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل.(٣)

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ سميت كعبة لتربيعها، وكل بيت مربع كعبةً، أو لانفرادها من البناء، أو لارتفاعها من الأرض، وأصلها الخروج، ومنه الكعب لخروجه[٣١٤/أ] من جانبي القدم، ومنه تكعبت ثديا الجارية، وسمي البيت الحرام؛ لأن الله تعالى حرمه وعظم حرمته،(٤) ﴿ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴾ ابن عامر بغير ألف ومن بقي بالألف،(٥) أي: قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم، أما الدين فلأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فما يجبى إليه من الثمرات، وكانوا لا يتعرض إليهم أحد في الحرم بسوء، ﴿ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ المراد الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ومعنى: ﴿ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴾ بالألف وهي قراءة من بقي، أي: يأمنون فيها القتال ﴿ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ﴾ المراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي وبسوقه، فذلك القوام فيه.

﴿ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ قد سبق الإخبار عن العيوب والكشف عن الأسرار، بقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ ﴾ [المائدة:٤١] ومثله إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فلذلك قال ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ ﴾ الآية؛ إذ هو راجع إليه، أو المراد جعل الله تعالى الكعبة قياماً للناس؛ لأنه يعلم صلاح الناس كما يعلم ما في السموات وما في الأرض.(٦) ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ أي: التبليغ ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ أي: الحرام والحلال، ﴿ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ ﴾ أي: سرَّك، نزلت في ضبيعة البكري، وحُجَّاجِ ابن

---

(١) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٣١- ١٣٢}.

(٢) في (ب) الجميع.

(٣) الأم للشافعي {٢/ ٢٢٩}.

(٤) اللسان، مادة: كعب، وانظر الأقوال في تفسير البغوي {٢/ ٩٠}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٤٧} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٠٣}.

(٦) تفسير البغوي {٢/ ٩٠}.

بكر بن وائل، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين، والقصة مذكورة في أول السورة،(١) ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠ ﴾

أنس: سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة، فصعد المنبر فقال: **((لا تسألوني عن شيء اليوم إلا بينته))** فنظرت يميناً وشمالاً، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحى رجلا يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: **((حذافة))** ثم قال عمر: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: **((ما رأيت [في الخير](٢) والشر كاليوم قط، إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتها وراء الحائط))**(٣)

وكان قتادة إذ ذكر هذا الحديث يقرأ:[٣١٤/ب] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ أصل أشياء: شيئاءا وزن فعلاء، فنقلت الهمزة إلى أول الكلمة طلبا للخفة فصارت أفعاء،(٤) كأنيق، وإنما هو أنوق، وقسي وإنما هو قووس، فلما صرفت عن وجهها منعت الصرف، وجمعها أشاوي وأشايا عند الخليل،(٥) وغيره يخالفه في أصلها، والقول قول الخليل.(٦)

﴿ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ أي: إن تظهر لكم تسؤكم، فقالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله: ما سمعت بابن قط أعق منك، آمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟ فقال عبد الله: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته.(٧)

وروي أن عمر قال: يا رسول الله، إنا حديث عهد بجاهلية، فاعف عنا يعف الله عنك، فسكن غضبه.(٨)

أو كان قوم يسألونه استهزاءً، ويقول الرجل منهم: من أبي؟ ثم يقول هذا الرجل تضل ناقته فيقول: أين ناقتي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.(٩)

---

(١) بل هو: الحطم، واسمه: شريح بن ضبيعة البكري، وتقدمت القصة والترجمة في الآية الثانية من السورة.

(٢) في الأصل كالخير. والمثبت من البخاري.

(٣) أخرجه البخاري {٦٣٦٢} ومسلم {٢٣٥٩} واللفظ للبخاري.

(٤) في (ب) لفعاء.

(٥) الكتاب لسيبويه.

(٦) وانظر في تفصيلها: اللسان، مادة: شَيَأَ، والدر المصون {٤/ ٤٣٤}.

(٧) أخرجه مسلم {٢٣٥٩ح ١٣٦}.

(٨) أخرجه الطبري بسنده عن أبي هريرة ﷺ، وإسناده هالك، كما قال المحقق شاكر؛ لأن فيه عبد العزيز بن أبان، كذاب. {١١/ ١٠٣}.

(٩) أخرجه البخاري {٤٦٢٢}.

أو لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله، فأعرض عنه، ثم عاد مرتين أو ثلاثاً، فأعرض عنه، فقال: ((**وما يؤمنك أن أقول نعم؟ ولو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**)) فأنزل الله تعالى هذه الآية،[1] أو نزلت حين سألوه ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ألا تراه ذكرها بعدها؟[2]

﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ أي: إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتم عنها حينئذ تبد لكم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ أي: صاروا كافرين بها فأهلكوا.

الخشني[3] ((**إن الله فرض فرائض فلا تسبقوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**)).[4]

---

(١) أخرجه الترمذي {٨١٤- ١٢٦٩٥} وابن ماجه {٢٨٨٤} وقال الترمذي: حديث علي حديث حسن غريب.اهـ

(٢) قول مجاهد، انظر: تفسير الطبري {١١/ ١١١}.

(٣) هو أبو ثعلبة الخشني ﷺ، معروف بكنيته، واختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، أرسله النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا، ت٧٥هـ الإصابة {٧/ ٥٩}.

(٤) أخرجه الدارقطني {٤/ ١٨٣- ١٨٤} والطبراني {٥٨٩} والحاكم {٧١١٤} مرفوعا، من طريق مكحول، ولم يصح له السماع من أبي ثعلبة، واختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة. وحسنه النووي في الأربعين مرفوعا، وللحديث شواهد، ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم {٥٢٠}.

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ ﴾ أي: ما أمر الله تعالى[٣١٥/أ] بشيء من ذلك.

ابن عباس: البحيرة هي الناقة إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها. أي: شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها، ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ، ثم إن جاء خامس ولدها ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذنها، وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها، وتكون منافعها للرجال، فإذا ماتت حلت للرجال والنساء.(١)

أو كانت الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة إناثاً سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف، وما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الإبل، كأمها، فعلى هذا البحيرة بنت السائبة.(٢)

[أبو عبيدة:](٣) السائبة ما كان ينذره الرجل إذا مرض أو غاب له قريب، فقال إن شفاني الله تعالى أو شفي مريضي أو رد غائبي فبعيري هذا أو ناقتي هذه سائبة، ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد كالبحيرة،أو هو العبد يسيب على أن لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث.(٤)

قال ﷺ: **((إنما الولاء لمن أعتق))**.(٥)

والسائبة فاعلة بمعنى مفعولة، أي: مسيَّبَة، كـ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[الحاقة: ٢١]والوصيلة: هي من الغنم إذا ولدت الشاة سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكرا ذبحوه فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى تركوها في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا.(٦)

والحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، أو إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا لقد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلأ ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء.(٧)

---

(١) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي، وهي طريق ضعيفة {١١/ ١٢٩}.

(٢) تفسير الماوردي {٢/ ٧٣}.

(٣) في النسختين: أبو عبيد، والكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة {١/ ١٨٠} ونقله عنه البغوي {٢/ ٩٣}.

(٤) القول الثاني ذكره أبو عبيدة في مجازه عن الحسن الأثرم {١/ ١٧٩} والبغوي عن علقمة {٢/ ٩٣}.

(٥) أخرجه البخاري في مواضع {٤٥٦- ٢١٥٥} ومسلم {١٥٠٤- ١٠٧٥}.

(٦) قاله عكرمة، تفسير الماوردي {٢/ ٧٤} وأما قول المصنف: هي من الغنم. يوهم أنه لا يكون من غيرها من بهيمة الأنعام؛ مع أنه نقل عن ابن المسيب ومسروق أن الوصيلة تكون من الإبل. والطبري قال: وأما الوصيلة من نعمهم...اهـ فجعله عاما في بهيمة الأنعام. انظر: صحيح البخاري {٤٦٢٣} وتفسير الطبري {١١/ ١٢٤، ١٢٦}.

(٧) انظر: تفسير الطبري {١١/ ١٢٩}.

ابن المسيب: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.[١]

قال ﷺ: **((رأيت عمرو بن [لحي]**[٢] **يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب، وأول من غير دين إسماعيل، ونصب الأوثان وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه، وهو أشبه الناس بأكثم بن جون الخزاعي،**[٣] **فقال أكثم: أيضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال: لا إنك مؤمن وهو كافر))**[٤]

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾[٥] أي: في قولهم أمرنا الله بها﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣ ﴾ أي: أمر الله تعالى وتحليله وتحريمه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: في القرآن من بيان الشرائع، ﴿ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ أي: من الدين، ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾ أي: لا يعلمون شيئا من التوحيد ولا سنة نبي، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ نصب إغراء، أي: الزموا أنفسكم واصنعوا بها خيرا ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ .

قال ﷺ: **((إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه، يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه))**.[٦]

وقال **((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لكم))**[٧]

أبو بكر الصديق: والذي أذن في الإمساك عن تغييره هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صولحوا عليه، ولا يدخل فيه الفسوق من أهل الإسلام.[٨]

---

(١) أخرجه البخاري {٤٦٢٣}.

(٢) في الأصل [قصي] والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) أكثم بن الجون أو ابن أبي الجون، واسمه عبد العزى بن منقذ بن ربيعة الخزاعي. الإصابة {١/ ١٠٦}.

(٤) أخرجه البخاري {٤٦٢٣} ومسلم {٢٨٥٦ح٥٠ و٥١}.

(٥) نهاية اللوحة [٣١٥/ ب] في الآية عند الكلمة: (كفروا).

(٦) أخرجه أبو داوود {٤٣٣٨} والترمذي {٢١٦٨- ٣٠٥٧} وابن ماجه {٤٠٠٥} وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٧) أخرجه الطبري مرسلا عن السدي {١١/ ١٤٩} ورواه الطبراني في الأوسط {١٤٠١} وقال في مجمع الزوائد: وفيه حبان بن علي، وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في غيرها. اهـ {١٢١٣٤}.

(٨) كلام أبي عبيد يشرح قول الصديق ﷺ، تفسير البغوي {٩٥/٢} وقوله: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: -ثم قرأ الآية- وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكر الحديث..

مجاهد وابن جبير: هي في اليهود والنصارى،[١] أي: لا يضر-كم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم.

ابن مسعود: مروا بالمعروف [وانهوا عن المنكر ما قبل منكم، فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم.[٢]

وسئل ﷺ عن هذه الآية فقال: ((**مروا بالمعروف]**[٣] **وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وأمرا لا بد لك منه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام، فإن ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قَبض على الجمر**))[٤] الحديث.

أو نزلت في أصحاب [الأهواء][٥] وسئل ابن مسعود عن تأويلها، فقال: ليس هذا بزمان تأويلها، قال قائل: فمتى؟ قال: إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن.[٦] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

خرج تميم بن أوس الداري[٧] وعدي بن بداء[٨] في تجارة إلى الشام، وهما نصرانيان، ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص،[٩] وكان مسلما، فمرض بديل، فكتب كتابا فيه جميع متاعه وألقاه في جوالقه[١٠] ولم يخبرهما، فلما اشتد مرضه أوصى إليهما أن يدفعا متاعه إلى أهله، ومات بديل، ففتشا متاعه، فأخذا منه إناءاً من فضة منقوشاً بالذهب، فيه ثلاثمائة مثقال من فضة فغيباه، ودفعا المتاع إلى أهله، فأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه، فجاؤوا تميما وعديا، فقالوا: هل باع صاحبنا شيئا من متاعه، قالوا: لا، قالوا: إنا قد وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية [٣١٦/أ] ما معه، وقد فقدنا منها إناء من

---

(١) انظر: تفسير الطبري {١١/ ١٥٢} وزاد المسير {٢/ ٤٤٣}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٩٦}.

(٣) مابين المعكوفين ساقط في الأصل، والتصحيح من (ب).

(٤) أخرجه أبو داوود {٤٣٤١} والترمذي {٣٠٥٨} وابن ماجه {٤٠١٤} وقال الترمذي: حديث حسن غريب. ولبعض الحديث شواهد، عند أبي داوود {٤٣٤٢-٤٣٤٣} وابن ماجه {٣٩٥٧} وغيرهما.

(٥) في النسختين: الآية. والمثبت من تفسير البغوي {٢/ ٩٦}.

(٦) أخرجه السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد، {٥/ ٥٦٦}.

(٧) تميم بن أوس بن الدار أبو رقية الداري، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع هو وأخوه، وحدث النبي ﷺ عنه على المنبر قصة الجساسة والدجال، وعُدَّ ذلك من مناقبه، مات بالشام. الإصابة {١/ ٣٦٨}.

(٨) عدي بن بداء، لا يعرف له إسلام، وقال ابن عطية: لا يصح لعدي عندي صحبة. المرجع السابق {٤/ ٤٦٨}.

(٩) بديل بن أبي مريم السهمي، مولى عمرو بن العاص. من المهاجرين. المرجع السابق {١/ ٢٧٤}.

(١٠) الجوالق وعاء من الأوعية، اللسان، مادة: جوالق.

فضة مموَّهًا بالذهب، فيه ثلاثمائة مثقال فضة، قالا: ما ندري، [ما وصى][(١)] لنا بشيء وأمرنا بدفعه إليكم فدفعناه، وما لنا بالإناء من علم، فاختصموا إلى النبي ﷺ وأصرا على الإنكار، وحلفا، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ﴾[(٢)] أي: ليشهد اثنان، معناه أمر ولفظه خبر، أو المراد أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان،[(٣)] والاثنان هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي، أو هما الوصيان، لأن الآية فيهما نزلت، وقال تعالى: ﴿ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ والشاهد لا يلزمه يمين، وجعل الوصي تأكيدا، فعلى هذا، الشهادة بمعنى الحضور، كقوله تعالى: ﴿ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ٢] ﴿ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ أي: صاحبا أمانة وعقل، من أهل دينكم أيها المؤمنون، ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ أي: من غير ملتكم ودينكم، والآية منسوخة عند جماعة،[(٤)] أو كانت شهادة أهل الذمة في الابتداء مقبولة ثم نسخت، وعند جماعة هي ثابتة، وقالوا: إن لم نجد مسلمين فنشهد كافرين.[(٥)]

شريح: من كان في أرض غربة، ولم يجد مسلما يُشهِده على وصيته، فأشهَدَ كافرين على أيِّ دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم، إلا في وصية في سفر.[(٦)]

---

(١) في (ب) إنما أوصى.

(٢) أخرجه الترمذي {٣٠٥٩} وذكر الترمذي: أن الحديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وفيه أبو النضر محمد بن السائب الكلبي، وقد تركه أهل الحديث، ولا يعرف لسالم أبي النضر المدني رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ، وأصل الخبر عند البخاري {٢٧٨٠}.

(٣) انظر: معاني الفراء {١/ ٣٢٣}.

(٤) وهو قول زيد بن أسلم والنخعي وأبي حنيفة ومالك والشافعي، انظر: تفسير الطبري {١١/ ١٩٠} وأحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٢٢٦} أحكام القرآن للشافعي {٢/ ١٣٧، ١٤١} أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٦١}.

(٥) قول أبي موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد ابن المسيب وابن جبير وشريح وابن سيرين والشعبي ويحيى بن يعمر وقتادة والسدي، والثوري وأبي عبيدة وهو قول الحنابلة، الناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ٣٠٣- ٣٠٤} وزاد المسير {٢/ ٤٤٦}.

(٦) انظر: تفسير الطبري {١١/ ١٦٢- ١٦٣}.

الشعبي: إن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء،[1] ولم يجد مسلما يشهده على وصيته، فأخرج كافرين من أهل الكتاب، فأتيا الأشعري بالكوفة، فقال: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ فأحلفهما، وأمضى شهادتهما.[2]

أو ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: من حي الموصي، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي: من غير حيكم وعشيرتكم، قاله الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام،[3] ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: سافرتم ﴿ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي: فأوصيتم إليهما ودفعتم مالكم إليهما، فاتهمهما بعض الورثة، وادعوا عليهما خيانة عليهما، فالحكم فيهما أن ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: توقفونهما بعد صلاة العصر للحلف و ﴿ مِنۢ ﴾ زائدة، هذا عند الشعبي والنخعي وابن جبير وقتادة وغيرهم؛ لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون الحلف الكاذب فيه،[4] أو بعد صلاة الظهر،[5] أو بعد صلاة أهل دينهما[٣١٦/ب] وملتهما؛ لأنهما لا يباليان بصلاة العصر[6] ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ أي: يحلفان ﴿ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ أي: شككتم في قول الشاهدين وصدقهما، أي: الشاهدين اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ أي: لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه أو حق نجحده ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة لنا ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ وأضيفت الشهادة إلى الله تعالى؛ لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرئ (شهادةً) بالتنوين (آللهُ) ممدود، جعل الاستفهام عوضا من حرف القسم،[7] وروي ﴿ شهادةً ﴾ منونة ﴿ ألله ﴾ بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام، على ابتداء اليمين، أي: والله،[8] ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾أي: نكون من الآثمين إن كتمناها، فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ العصر، ودعا تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو، أنهما لم يختانا شيئا مما دفع إليهما فحلفا، وخلى ﷺ سبيلهما، ثم بعد ذلك ظهر الإناء، فأتاهما بنو سهم، فقالا: إنا كنا قد اشتريناه منه، فقالوا: ألم تزعما أن

---

(١) دقوقاء: مدينة بين إربل وبغداد، لها ذكر في الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للخوارج. معجم البلدان {٢/ ٤٥٩}.

(٢) أخرجه أبو داوود {٣٦٠٥} والطبري {١١/ ١٦٥} وصححه الشيخ الألباني.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي {٦/ ٢٢٦}.

(٤) انظر: تفسير الطبري {١١/ ١٧٤- ١٧٥}.

(٥) قاله الحسن، أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ٢٤٢}.

(٦) رواه السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {١١/ ١٧٥}.

(٧) قراءة علي والشعبي ونعيم بن ميسرة، وهي شاذة. المحتسب {١/ ١٢١}.

(٨) قراءة الشعبي، وهي شاذة. المرجع السابق.

صاحبنا لم يبع شيئا؟ قالا: لم تكن لنا بينة، فكرهنا أن نقر لكم، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾[١] أي: اطلع على خيانتهما، وأصل العثور: الوقوع في الشيء ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ المراد الوصيان استوجبا إثما بخيانتهما وبحلفهما الكاذب ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ أي: فآخران من أولياء الميت، يقومان مقام الوصيين ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ بضم التاء على المجهول قرأ القراء إلا حفصا،[٢] ومعنى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ أي: فيهم ولأجلهم وتكون (على) بمعنى في، أو اللام، وهم ورثة الميت، استحقا الحالفان بسببها الاثم، وحفص فتح التاء والحاء، أي: وجب عليهم الإثم، حق واستحق بمعنى واحد، ﴿ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ رفع على البدل مما في ﴿ يَقُومَانِ ﴾ أي: فليقم الأوليان بالميت، مقام هذين الخائنين، ويشبه أن يكون نعتا لـ (آخرين) في المعنى، إلا أن الأول نكرة وهو معرفة، فمن جعل ﴿ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ نعتا للآخرين، قال: لما وصف الآخرين في المعنى، فقال (من الذين) قارب المعرفة، والأول أولى، والأوليان تثنية الأولى، وهو الأقرب، حمزة وأبو بكر عن عاصم (الأولين)[٣] بالجمع بدلا من (الذين)، وهم أيضا أولياء الميت، والمعنى: إذا ظهرت خيانة الحالفين[٣١٧/أ] يقوم اثنان آخران من قرابة الميت ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾ أي: يميننا أحق من يمينهما، كقوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾[النور: ٦] أي: يمين، ويقال: أشهد بالله، كما يقال: أقسم بالله.

ابن عباس: القسم يمين.[٤] أبو العالية وإبراهيم: إذا قال: أقسمت فهو يمين.[٥]

عطاء والشعبي: إذا قال: أقسمت فليس بشيء حتى يقول بالله.[٦]

الحسن: إذا قال: أقسم وأحلف وأشهد، فليس بيمين حتى يقول بالله فعليه كفارة.[٧]

﴿ وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ﴾ أي: في قولنا إن شهادتنا أحق من شهادتهما؛ إذ المراد بالشهادة ها هنا اليمين، ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري {١١/ ١٨٨}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٣}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٣}.

(٤) الدر المنثور {٦/ ١٧١}.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة {٣/ ٨٣}.

(٦) المرجع السابق {٣/ ٨٤}.

(٧) المرجع السابق.

فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان،[١] فحلفا بالله بعد صلاة العصر، ودفعا الإناء إليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعدما أسلم يقول: صدق الله ورسوله، أنا أخذت الإناء، فأتوب إلى الله تعالى وأستغفره، وإنما انتقلت اليمين إلى الأولياء؛ لأن الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه، والوصي إذا أخذ شيئا من مال الميت، وقال: قد أوصى لي حلف الوارث، إذا أنكر ذلك، ومثله لو ادعى رجل سلعته في يد رجل، فاعترف الرجل ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبعها منه.

ابن عباس عن تميم قال: كنا بعنا الإناء بألف درهم، أخذت نصفها وعدي نصفها، فلما أسلمت تأثمت، فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، وسلمت الخمسمائة درهم، فأتوا بصاحبي رسول الله ﷺ، فحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي،[٢] فذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ﴾ أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين، أحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها، وكذلك جميع الناس في الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ ﴾ أي: أقرب أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين؛ خوفا من هذا الحكم ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: في كل شيء كذب وخيانة ﴿ وَٱسۡمَعُواْۗ ﴾ أي: الوعظ.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨ ﴾

﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ هو يوم القيامة، ﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ ﴾ أي: ما الذي أجابتكم أمتكم؟ وما الذي ردوا عليكم حين دعوتموهم إليَّ؟ ﴿ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ ﴾ أي: يقولون [٣١٧/ب] فعل ماض بمعنى الاستقبال.

ابن عباس: لا علم لنا إلا علما أنت أعلم به منا، وقرئ بها،[٣] أو لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا،[٤] أو لا علم لنا بما أحدثوا من بعد.[٥]

﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩ ﴾ أي: إنك تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

---

(١) المطلب بن أبي وداعة بن سهم القرشي السهمي، أسلم عام الفتح. الإصابة {٦/ ١٣٢}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ٩٩}.

(٣) انظر: تفسير الطبري {١١/ ٢١١}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٠٠}.

(٥) قول ابن جريج، تفسير الطبري {١١/ ٢١١}.

ابن عباس والحسن ومجاهد: إن للقيامة أهوالاً وزلازل تزول بها القلوب عن مواضعها، يفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب، ثم بعدما ثابت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم.(١)

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى ﴾ ذكر النعمة شكرها، والنعمة واحدة هنا وهي في المعنى جمع، ﴿ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ هو جبريل ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أي: وتكلم الناس صبيا ونبياً، نبئ وهو ابن ثلاثين،(٢) ومكث في الرسالة ثلاثين شهراً ثم رفع، ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي: الخط والعلم والفهم، ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ ﴾ أي: تصور وتجعل، ﴿ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا ﴾ أي: طيرا حيا يطير، ﴿ بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ﴾ أي: تصحح ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ أي: من قبورهم أحياء، ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ أي: منعت اليهود حين هموا بقتلك ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: المعجزات الدالة على نبوتك وقد ذُكِرت ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: المعجزات، حمزة والكسائي ﴿سَٰحِرٌ﴾ هنا وهود والصف،(٣) فيكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يرجع إلى محمد ﷺ.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ أي: ألهمت أو أمرت، والحواريون خواص عيسى، ﴿ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الكسائي (هل تَّستطيعَ) بالتاء وإدغام اللام فيها (ربَّك) نصبا، أي: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ ومن بقي بالياء ورفع (ربك)(٤) لم يشكُّوا في قدرة الله تعالى، إنما قالوا هل يفعل؟ كما تقول لصاحبك هل تستطيع أن تقوم معي؟ وأنت تعلم أنه يقدر على النهوض، وإنما تريد هل تفعل؟ أو يستطيع [٣١٨/أ] بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع، كأجاب واستجاب بمعنى واحد، ومعناه: هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟ في الآثار: من أطاع الله تعالى أطاعه الله. أو أن القوم غلطوا وقالوا ذلك قبل استحكام المعرفة.(٥)

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ١٠٠}.

(٢) وهذا لا دليل عليه.

(٣) وأول سورة يونس، انظر: النشر {٢/ ٢٥٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٥}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٥}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ١٠١}.

والمائدة الخوان عليه الطعام، من مادة: يميد إذا أطعم،[١] كأنها تطعم الآكلين الطعام، ويسمي الطعام أيضاً مائدة على المجاز، إذ يؤكل على المائدة، وهي فاعلة بمعنى مفعولة، ولقد شوهدت المائدة بطور زينا أشف من القامة بشبر لها درجات، وهي صخرة لا تؤثر فيها المعاول، ومن الناس من يقول مسخت صخرة إذ مسخ أربابها قردة، والصحيح أنها قطعة من الأرض للمائدة النازلة من السماء، قالوا وقد نحتت عندها في الحجر الصلب بيوت، أبوابها ومجالسها وخباياها منها، وقد صورت البيوت من الحجر كما تصور من الطين والخشب، فإذا دخلت قصرا من قصورها ورددت الباب وجعلت [خلفه][٢] صخرة الثمانية دراهم لم يفتحه أهل الأرض للصوقه بالأرض، فإذا هبت الريح وحثت التراب لم يفتح إلا بعد صب الماء تحته، والإكثار منه حتى يصل الماء بالتراب، ولقد هلك فيها خلق كثير لهذه العلة، والله أعلم.[٣]

﴿ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ نهاهم عيسى عن الشك في قدرة الله تعالى،[٤] أو نهاهم أن يسألوا الله تعالى شيئاً لم تسأله الأمم قبلهم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.[٥]

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا ﴾ أي: أكل تبرك لا أكل حاجة، ﴿ وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ أي: وتسكن، ﴿ وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا ﴾ أي: بأنك رسول الله، ونزداد بذلك إيماناً ويقيناً، أو أن عيسى أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً، فإذا أفطروا لا يسألون الله تعالى شيئاً إلا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ في ذلك، أي: إنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى إلا أعطانا ﴿ وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ أي: لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، أو من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا، فعند ذلك:

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ أي: عائدة من الله تعالى وحجة علينا، وسمي العيد عيدا [٣١٨/ب] لعوده ورجوعه، أو أنا نتخذ ذلك اليوم الذي أنزلت فيه عيداً لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، أو نصلي فيه نحن ومن بعدنا، ابن عباس: أي: يأكل منه آخر الناس كما أكل أولهم.[٦]

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة: ميد.

(٢) في (ب) وراءه.

(٣) هذا من كلام ابن العربي في أحكام القرآن، يصف فيها مكان المائدة التي شاهدها {٢/ ٤} والله أعلم بصحته.

(٤) وهذا يناقض ما ذكره قبل قليل أنهم لم يشكوا.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ١٠٢}.

(٦) المرجع السابق.

﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ۖ ﴾ أي: حجة ودلالة ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ فأجيبوا بقوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ ابن عامر و عاصم وأهل المدينة بتشديد الزاء للتكثير والتكرير؛ لأنها نزلت مرات، مرة بعد أخرى، ومن بقي بالتخفيف[1] ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ أي: بعد نزول المائدة ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ أي: عالمي زمانهم، فجحد القوم وكفروا بعد النزول، فمسخوا قردة وخنازير.

أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. قاله عبد الله بن عمر.[2]

مجاهد والحسن: لم تنزل المائدة؛ لأن الله تعالى لما أوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم، وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل،[3] قوله تعالى: ﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ أي: إن شئتم. والأكثرون: أنها نزلت، لقوله تعالى: ﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا ﴾ ولا خُلف في خبره.

روي: أنها نزلت خبزاً ولحماً، وقيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تخونوا أو تخبؤوا، فما مضى يومهم حتى خبؤوا وخانوا، فمُسخوا قردة وخنازير.[4]

ابن عباس: قال لهم عيسى: صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم، فصاموا فلما فرغوا، قالوا: يا عيسى لو أنا عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا، وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

أو نزلت مائدة، عليها كل طعام إلا اللحم، أو عليها كل شيء إلا الخبز واللحم، أو كان عليها من ثمار الجنة، أو نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء، أو كان عليها خبز ورز وبقل، أو أقرصة من شعير وحيتان، وكان يأكل كل قوم فيخرجون ويجيء آخرون حتى أكلوا جميعهم وفضل، أو نزلت سمكاً وخمسة أرغفة، فأكلوا ما شاء الله، وكانوا ألفا ونيفا فلما رجعوا إلى قراهم، ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد، وقالوا: ويحكم إنما سحر أعينكم، فمن أراد الله تعالى به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة، فمكثوا بذلك [٣١٩/أ]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٦} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٥٤٥}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١٠٢}.

(٣) تفسير الطبري {١١/ ٢٣١} وهو قول مخالف لظاهر الآية؛ لأن الله تعالى لا يكون منه خلاف ما يخبر. وانظر ما قاله الطبري.

(٤) أخرجه الترمذي {٣٠٦١} والطبري {١١/ ٢٢٩} موقوفا على عمار ﷺ. وذكر الترمذي أن الحديث رواه غير واحد عن سعيد بن أبي عروبة موقوفا، ولا يُعلَم للحديث المرفوع أصلا. وقال الطبري رحمه الله عن المائدة: وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل.اهـ وانظر الإسرائيليات، لأبي شهبة {٢٦٦}.

ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا، وكذلك كل ممسوخ، أو كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً، حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل،[١] أو لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفاً وبكى، وقال: اللهم أنزل علينا مائدة، الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها وتحتها، وهم ينظرون وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، واليهود ينظرون لم يروا مثله قط من طيب ريحه، ثم قال عيسى: ليقم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال له شمعون: أنت أولى بذلك منا فقام عيسى، فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيراً، ثم كشف المنديل عنها، وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها[٢] ولا شوك، تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، والثالث سمن، والرابع جبن، والخامس قديد، فقال شمعون: أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة،كلوا مما سألتم يمددكم ويرزقكم من فضله، قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل، فقال: معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها، فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة والمرضى، وقال: كلوا من رزق الله ولكم المهنأ ولغيركم البلاء، فأكلوا وصدروا، وكانوا ألفا وثلاثمائة، من رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى، وإذا السمكة كهيئتها حين نزلت، ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون حتى توارت، ما أكل منها مريض إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى، فيأكل منها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء، حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها، وكانت تنزل غباً كناقة ثمود في الحلب، فأوحى الله تعالى إلى عيسى: أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها، قالوا: أترون المائدة حقاً تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى: إني شرطت أن من كفر[٣١٩/ب] بعد نزولها عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾ الآية، فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاث وثلاثون رجلا، أصبحوا خنازير في ليلتهم، فلما رأى الناس ذلك بكوا ورغبوا إلى عيسى، فلما

---

(١) انظر هذه الأخبار وقائليها في تفسير البغوي {٢/ ١٠٣}.

(٢) وهو: حرشف السمك الذي على ظهرها، اللسان: مادة: حرشف.

أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطيف به، وعيسى يدعو بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام، ثم هلكوا أجمعون.(١)

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قيل له هذا القول حين رفع إلى السماء عند بعضهم، وأكثرهم على أن هذا القول إنما يقال له يوم القيامة،(٢) فهذا سؤال توبيخ لقوم عيسى، قالوا: إذا سمع عيسى هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة عين دم.(٣) ثم ينزه الله تعالى في جوابه: ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ أي: يقول عيسى ننزهك، ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ﴾

ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك،(٤) أو تعلم سري ولا أعلم سرك، أو تعلم ما كان مني في الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة.(٤)

الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته،(٥) ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ أي: ما كان وما يكون.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾ أي: وحدوه ولا تشركوا به شيئاً.

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ أي: قبضتني ورفعتني إليك، ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: الحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ وإنما سأل لهم المغفرة وهم كفار، أي: إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم بعد الإيمان، وهذا على قول من يقول: إن السؤال كان قبل يوم القيامة.(٦) أو هذا في فريقين، أي: إن تعذب من كفر منهم، أو تغفر لمن آمن منهم، أو هذا على طلب المغفرة، ولو كان كذلك لقال: إنك أنت الغفور الرحيم، وقرئ: وإن تغفر

---

(١) قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الخبر من طريق وهب بن منبه: هذا أثر غريب جدا، قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل، والله سبحانه وتعالى أعلم.اهـ والخبر على كل حال من رواية وهب بن منبه، وهو يتلقى عن الأقدمين.

(٢) الأول قول السدي، والثاني قول ابن جريج وميسرة وقتادة، تفسير الطبري {١١/ ٢٣٤}.

(٣) وهذا كلام غير معقول. وهو من الإسرائيليات.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٠٥}.

(٥) معاني القرآن {٢/ ٢٢٢}.

(٦) وهو قول السدي، كما تقدم.

لهم فإنك أنت الغفور الرحيم،(1) وتقديره على القراءة المشهورة: [٣٢٠/أ] إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز في الملك، الحكيم في القضاء، ولا ينقص من عزك شيء.(2)

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ نافع بنصب الميم، على الظرف، ومن بقي بالرفع خبره: ﴿ هَٰذَا ﴾(3) ولو وجد منهم الكذب لختم على أفواههم ونطقت جوارحهم فافتضحوا، أو المراد بالصادقين النبيين، أو المؤمنون.(4)

قتادة: متكلمان يخطبان يوم القيامة عيسى، بما قص الله تعالى من قوله: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ ﴾ وإبليس، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾[إبراهيم:٢٢] الآية، فصدق عدو الله يومئذ، فلم ينفعه صدقه إذ ذاك؛ إذ كان كاذباً قبل، وعيسى ﷺ، كان صادقاً في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه.(5)

﴿ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠ ﴾

---

(١) قراءة ابن مسعود ﷺ، تفسير البغوي {١٠٨/٢} وهي مخالفة لرسم المصحف.

(٢) تفسير البغوي {١٠٦/٢}.

(٣) انظر: النشر {٢٥٦/٢} وإتحاف فضلاء البشر {٥٤٧/١}.

(٤) تفسير البغوي {١٠٦/٢}.

(٥) تفسير البغوي {١٠٧/٢}.

سورة الأنعام

مكية إلا ست آيات وهي قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [٩١] إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥١- ١٥٣](١)

وهي مائة وخمس، أو ست وستون آية،(٢) نزلت ومعها سبعون ألف ملك يسبحون ويحمدون.(٣)

روي: من قرأها يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره.(٤)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: احمدوا الله الذي خلق السموات والأرض، وخصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وفيهما من المنافع والعبر ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ هذا عام في كل ضياء وظلمة، في هذا دليل على إحداث النور والظلمة، ورد على الثنوية (٥) الذين يقولون تقدمهما، ولم يُجمع النور في القرآن؛ لأنه جنس، والأجناس لا تثنى ولا تجمع، إلا إذا اختلفت أنواعها، والظلمات جمع ظلمة، وليست بجنس فلذلك جمعت.(٦)

الواقدي:(٧) كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا هنا، فإنه يريد بهما الليل والنهار.(١)

---

(١) رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير البغوي {٢/ ١٠٧} والإسناد ضعيف، كما تقدم غير مرة، وإذا ثبت أنها مكية، فلا يثبت أن فيها شيئا مدنيا إلا بدليل.

(٢) انظر: القول الوجيز {١٨٩}.

(٣) أخرجه أبو عبيد بنحوه في فضائله {٢٤٠} وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الصغير، وفيه يوسف بن عطية الصفار، وهو ضعيف. {١٠٩٩١}

(٤) أخرجه الواحدي في الوسيط {٢/ ٢٥١} وابن الجوزي في الموضوعات وحكم بوضعه {١/ ٢٤٠}.

(٥) الثنوية: من فرق المجوس، يرون أن للكون إلهين أحدهما للخير والآخر للشر، وأن الخير من الله، والشر من الشيطان، شرح العقيدة الطحاوية {١/ ٧٧}.

(٦) تفسير الكشاف {٢/ ٢}.

(٧) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي، المدني القاضي، نزيل بغداد، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم، على ضعفه المتفق عليه، سمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز والشام، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة وأخبارهم. ت ٢٠٧هـ سير أعلام النبلاء {٩/ ٤٥٤}.

أو المراد [٣٢٠/ب] بالظلمات الجهل وبالنور العلم، أو الجنة والنار، أو خلق السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور؛ لأنه خلق الظلمات والنور قبل خلق السموات والأرض، أو السموات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار.[٢]

وروي عنه ﷺ أنه قال: **((إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل))**[٣]

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ أي: يشركون، وأصله من عدلت الشيء بالشيء، إذا ساويت بينهما،[٤] أي: يعدلون بالله غير الله، أو الباء بمعنى عن، أي: ينحرفون ويميلون، أو تحت قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ معنى لطيف، وهو كقول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضلت بكذا، ثم تكفرون نعمتي.

كعب الأحبار: أول آية في التوراة هذه، وآخر آية فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية [الإسراء: ١١١].[٥]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ أي [من][٦] آدم، لما بعث الله تعالى جبريل إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئا، فرجع ولم يأخذ منها، وقال: يا رب إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل، فاستعاذت فرجع، فبعث ملك الموت فاستعاذت، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، فاختلفت أخلاقهم لذلك،

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ١٠٨}.

(٢) هذا قول قتادة، أخرجه الطبري {١١/ ٢٥٠}.

(٣) أخرجه الترمذي {٢٦٤٢} والحاكم مطولا، وقال: حديث صحيح قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته، ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة. {٨٣} وابن أبي عاصم في السنة {٢٤١} وقال الترمذي: حديث حسن. وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة {١٠٧}.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: عدل.

(٥) أخرجه الطبري {١١/ ٢٥٢}.

(٦) في تفسير البغوي {٢/ ١٠٩} بدون هذا الحرف.

فقال الله لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها أنت، لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك.[١]

عن رسول الله ﷺ **((إن الله خلق آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمأً مسنوناً، ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالفخار، ثم نفخ فيه روحه)).**[٢]

﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ الأجل الأول: من الولادة إلى الموت، والثاني: من الموت إلى المبعث، وهو البرزخ.[٣] عن ابن عباس: وقال: لكل أحد أجلان، أجل إلى الموت، وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان براً تقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان ضد ذلك نقص من العمر وزيد في أجل البعث،[٤] أو الأجل الأول الدنيا، والثاني الآخرة،[٥] أو ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ﴾ أي: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ أجل الموت،[٦] أو هما واحد، أو ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ﴾ أي: جعل لأعماركم مدة [٣٢١/أ] تنتهون إليها ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ أي: لا يعلمه غيره ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ أي تشكون في البعث.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: إله السموات والأرض، أو هو المعبود في السموات والأرض،[٧] أو هو المتفرد بالتدبير في السموات والأرض.[٨]

الزجاج: لو قلت: هو زيد في البيت والدار، لم يجز إلا أن يكون في الكلام دليل على أن زيدا يدبر أمر البيت والدار، فيكون المعنى: هو المدبر في الدار والبيت.[٩]

---

(١) قاله السدي، تفسير البغوي {٢/ ١٠٩} وهذا لادليل عليه.

(٢) رواه أبو يعلى {٦٥٨٠} وقال في مجمع الزوائد: وفيه إسماعيل بن رافع، قال البخاري: ثقة مقارب الحديث. وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح {١٣٧٤٧}.

(٣) قول الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل وابن المسيب، وروي عن ابن عباس، تفسير الطبري {١١/ ٢٥٦}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٠٩}.

(٥) قول مجاهد وسعيد بن جبير، تفسير الطبري {١١/ ٢٥٧}.

(٦) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي من الطرق الضعيفة كما تقدم {١١/ ٢٥٩}.

(٧) معاني القرآن للنحاس {١/ ٣٢٤}.

(٨) قاله الزجاج في معاني القرآن {٢/ ٢٢٨}.

(٩) المرجع السابق.

قلت: وقولهم: هو الخليفة في الشرق والغرب، أي خلافته[١] في الشرق والغرب، أو هو الذي يدبر الشرق والغرب.[٢]

الزجاج: وهو الله، ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ أي: في السموات والأرض،[٣] ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ أي: تعملون.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾ أي: أهل مكة، ما تأتيهم آية كانشقاق القمر وغيره، أو من آيات القرآن،[٤] ومعنى ﴿ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ أي: لها تاركين وبها مكذبين.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن، أو بمحمد ﷺ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ ﴾ الأنباء الأخبار، والجزاء، مخبر عما فعله المجازي عليه، فلذلك سمي الجزاء نبأً، ﴿ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ القرن ثمانون سنة، أو ستون، أو ثلاثون، أو مائة، ومعناه من أهل قرن،[٥] ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ أي: أعطيناهم ما لم نعطكم، أو أمهلناهم كقوم نوح وعاد وثمود،[٦] مكنته ومكنت له، واحدا[٧] ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ السماء المطر. ابن عباس: متتابعاً، أي: في أوقات الحاجات.[٨] رجع من الخبر إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الخبر، كقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢]

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ أي: بساتينهم وزروعهم ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: بتكذيب الأنبياء، ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

---

(١) في ب زيادة: معروفة.

(٢) معاني القرآن للزجاج {٢/ ٢٢٨}.

(٣) أي: أن فيه تقديم وتأخير، معاني القرآن {٢/ ٢٢٨}.

(٤) قول عطاء، تفسير البغوي {٢/ ١٠٩}.

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي {٢/ ١١٠} والراجح أن القرن مائة سنة، لقول النبي ﷺ لعبد الله بن بسر المازني: **((إنك تعيش قرنا))** فعاش مائة سنة. ذكره البخاري في التاريخ الكبير {٣٢٣/١} والصغير {١/ ١٨٦} وهذا هو المشهور عند أهل العلم.

(٦) قول ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير البغوي {٢/ ١١٠}.

(٧) أي: أن المعنيين واحد.

(٨) المرجع السابق.

قال النضر بن الحارث،[1] وعبد الله بن [أبي أمية][2] ونوفل بن خويلد:[3] يا محمد، لن نؤمن لك حتى تأتنا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة أملاك يشهدون أن هذا من عند الله، وأنك رسوله، فنزلت: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ﴾[4] أي: مكتوباً ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: عاينوه ومسُّوه، واكتفى بالمسِّ عن المعاينة؛ إذ هو أبلغ، ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾[5] أي: لا ينفع فيهم شيء لما سبق فيهم من علمي.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي: على محمد ﷺ ﴿مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: لوجب العذاب، وسنة الله أنه متى اقترح الكفار آية فنزلت، ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ أي: لا يُمهلون، أو لقضي الأمر، أي: لقامت القيامة،[6] أو لو أتاهم ملك في صورته لماتوا؛[7] لأن أعين الخلق تحار عند رؤية الملائكة، إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة؛ إذ لو نظر إليه ناظر وهو على أصل خلقته لصُعق، إلا من ثبَّته الله تعالى، كالأنبياء عليهم السلام، مع أن الملائكة كانت تأتيهم في صورة الإنسي.

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ أي: لو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل آدمي؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ أي: خلطنا عليهم ما يخلطون فلا يدرون أملك هو أم آدمي.

---

(١) النضر بن الحارث بن علقمة العبدري القرشي، من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، قال ابن الأثير: النضر قُتل كافرا بإجماع أهل السير.اهـ وقيل: هو الذي أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ بقتله في الصفراء، بعد رجوعه من بدر.اهـ سيرة ابن هشام {١/ ٣٠٠-٦٤٤}.

(٢) في النسختين: [بن أمية] والتصحيح من مصادر الترجمة، وهو عبد الله بن أبي أمية، واسمه حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة المخزومي، صهر النبي ﷺ وابن عمته، وأخو أم سلمة، كان شديد العداوة على المسلمين، فهداه الله إلى الإسلام، أسلم هو وأبو سفيان عام الفتح، وشهد الفتح وحنينا والطائف واستشهد بها. الإصابة {٤/ ١١}.

(٣) نوفل بن خويلد بن أسد، وهو الذي قرن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، حين أسلما في حبل، فكانا يسميان بالقرينين، وكان من شياطين قريش، قتله علي بن أبي طالب ﷺ في بدر. سيرة ابن هشام {١/ ٢٨٢}.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي وليس فيه ذكر أسماء {٢١٤} والبغوي عن مقاتل {٢/ ١١٠}.

(٥) نهاية اللوحة [٣٢١/ ب] بعد قوله (الذين)

(٦) قاله قتادة، المرجع السابق.

(٧) أخرجه الطبري عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، {١١/ ٢٦٨}.

ابن عباس: هم أهل الكتاب، فرقوا دينهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فلبَّس الله تعالى عليهم ما لبَّسوا على أنفسهم.[١]

أو أنهم شبَّهوا على ضعفائهم فشُبِّه عليهم، وقرئ: (للبَّسنا) بالتشديد، للتكثير والتأكيد،[٢] والقراءة ﴿يَلْبِسُونَ﴾ بكسر الباء، قالوا: وقرئ بفتحها، إن صحت القراءة فمن لبس الثياب.[٣]

قتادة: ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم.[٤]

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كما استهزئ بك يا محمد، وفيه تعزية له ﷺ ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾ أي: فنزل أو حل، أو أحاط، أو دار بهم ﴿مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾ أي: جزاء استهزائهم من نقمة وعذاب.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ إن جعلت السير هنا بالفكر والعقل جاز، وإن جعلته بسير بالأقدام، جاز، حذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يا محمد فإن أجابوك وإلا ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ أي: أجب أنت، فيكون جوابك عقيب سؤالك أبلغ في التأبين،[٥] وآكد في الحجة ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: قضى، أو أوجب، وفيه استعطاف للمتولين عنه، إلى الإقبال عليه، وإخباره بأنه رحيم يقبل الإنابة والتوبة، ولا يعجل العقوبة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: **((إن رحمتي سبقت غضبي)).**[٦]

قال ﷺ: **((إن لله تعالى مائة رحمة، جعل منها واحدة بين جميع خلقه، بها يتراحمون وبها يتعاطفون، وأخَّرَ تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة))**[٧]

---

(١) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما {١١/ ٢٧١} وهي طريق ضعيفة.

(٢) قرأ بها الزهري، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٦٨} الدر المصون {٤/ ٥٤٤} وهي شاذة.

(٣) أي: قرئ: (ولَبَسْنا) وهي قراءة ابن محيصن، انظر: إتحاف فضلاء البشر {٢/ ٦} وهي شاذة.

(٤) أخرجه الطبري {١١/ ٢٧٠}.

(٥) التأبين: الثناء على الشخص بعد موته. لسان العرب، مادة: أبن.

(٦) أخرجه البخاري {٣١٩٤- ٧٤٢٢} ومسلم {٢٧١٥}.

(٧) أخرجه البخاري {٦٠٠٠- ٦٤٦٩} ومسلم {٢٧٥٢}.

﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ اللام [لام][1] القسم والنون تأكيده، ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي: في يوم القيامة، أو ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: غبنوا ما أعد لهم في الجنة ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ أي: استقر، أو المراد ما سكن وتحرك، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد، أو إنما خص السكون بالذكر؛ لأن النعمة فيه أكثر، أو له جميع ما يمر عليه الليل والنهار،[2] ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي: يسمع أصواتهم، ويعلم أسرارهم.

يا محمد ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ﴾ أي: ربا وذلك حين دعي إلى دين آبائه، ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: خالقها ﴿ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ﴾ أي: يَرزق ولا يُرزق؛ لأنه صمد، أو يُبلي ولا يَبلى، وقرئ: (يُطعم ولا يَطعم) بفتح ياء الثاني، أي: لا يأكل.[3] ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ ﴾ أي: من هذه الأمة، و﴿أَسۡلَمَ﴾ استسلم لأمر الله تعالى، أو أخلص ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي: وقيل لي ولا تكونن من المشركين.

﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ﴾ أي: فعبدت غيره، ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ ﴾ أي: العذاب، حمزة و الكسائي وأبو بكر عن عاصم، بفتح الياء وكسر الراء، من يَصرِفُ الله تعالى عنه العذاب، ومن بقي بِضم الياء وفتح الراء،[4] لما لم يسم فاعله، وقرئ: (من يصرفه الله عنه)[5] ﴿ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ أي: النجاة الظاهرة.

---

(١) محذوف في (ب)

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١١٣}.

(٣) قراءة ابن جبير ومجاهد وعكرمة والأعمش وأبي حيوة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٧٠} والدر المصون {٤/٥٥٧}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٧}.

(٥) قراءة أبي بن كعب (من يصرف الله) وهي شاذة، الدر المصون {٤/ ٥٥٩}.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ أي: شدة وبلية، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: فلا رافع له، إلا هو، ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾[٣٢٢/ب] أي: من[1] الخير والشر.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ أي: الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره عن بلوغ مراده، أو هو المتفرد بالتدبير فوق عباده ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾

أتى أهل مكة رسول الله ﷺ، وقالوا: أرنا من يشهد لك أنك رسول الله، فإنا لا نرى أحداً يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر، فنزلت: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾[2] أي: أعظم؟ فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ أي: على قولي، يشهد لي بالحق، وعليكم بالباطل، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ القراءة بضم همزة ﴿أُوحِيَ﴾ ورفع نون ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ وقرئ بفتح الهمزة ونصب نون (القرآن)[3] ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أي: ومن بلغه القرآن من جميع بني آدم والجن، إلى يوم القيامة.

قال ﷺ **((بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار))**.[4]

---

(١) في (ب) زيادة: أمر.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي {٢١٤} والبغوي في التفسير {٢/ ١١٥} والكلبي متروك متهم بالكذب كما تقدم.

(٣) قراءة أبي نهيك والجحدري وعكرمة وابن السَّميفَع، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٧١} الجامع لأحكام القرآن للقرطبي {٦/٢٥٧}.

(٤) أخرجه البخاري {٣٤٦١}.

ومن بلغه القرآن فهو نذير له، أو من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ وسمع منه.[١]

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ وقال ﴿أُخْرَىٰ﴾ لأن الجمع قد يلحقه التأنيث،[٢] كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ أي: إن شهدتم أنتم، أن معه آلهةً أخرى فأنا لا أشهد أن معه إلها، يا محمد ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: اليهود والنصارى، يعرفون محمداً ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: غبنوها، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ لأن الله تعالى جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، ففي يوم القيامة يجعل الله للمؤمنين منازل أهل النار من الجنة، ولأهل النار منازل المؤمنين من النار، وذلك الخسران المبين.[٣]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق وأشرك ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ وآياته القرآن.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: يوم القيامة، نحشر من عُبِد وما عُبد ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنها تشفع لكم، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾[٣٢٣/أ] حمزة و الكسائي (يكن) بالياء المعجمة الأسفل؛ إذ الفتنة بمعنى الافتتان، ومن بقي بالتاء؛ لتأنيث الفتنة، وابن كثير وحفص وابن عامر ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالرفع اسم كان، ومن بقي بالنصب، جعلوا الاسم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ عكس القراءة الأولى،[٤] ومعنى قوله: ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ أي: قولهم وجوابهم.

ابن عباس: أي: معذرتهم،[٥] والفتنة التجربة، ولما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة، ومن فُتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال له: لم تكن فتنته إلا هذا، كذلك الكفار فُتنوا بمحبة الأصنام فلما رأوا العذاب تبرؤوا منها فقالوا:

---

(١) قاله مقاتل، تفسير البغوي {٢/ ١٦٦}.

(٢) معاني القرآن للفراء {١/ ٣٢٩}.

(٣) المرجع السابق، ويشهد له حديث البراء بن عازب في المسند وغيره، وفيه: بعدما ذكر إعادة روح المؤمن إلى جسده: ((**ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا..**)) الحديث.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج {٢/ ٢٣٥- ٢٣٦} والنشر {٢/ ٢٥٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٨}.

(٥) تفسير الطبري {١١/ ٢٩٩} والبغوي {٢/ ١١٧}.

﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [(١)] حمزة و الكسائي ﴿رَبَّنَا﴾ نصب على النداء، ومن بقي بالخفض نعتا لـ ﴿وَٱللَّهِ﴾ [(٢)] أو أنهم إذا رأوا مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن عباده، قالوا: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر، فقال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ أي: [باعتذارهم] [(٣)] وتبرئهم من الشرك، ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ أي: وذهب ما كانوا يرجون من شفاعة الأصنام اليوم.

اجتمع أبو سفيان بن حرب، وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأمية ابنا خلف، والحارث بن عامر، يستمعون القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول، إلا أنه يحرك لسانه، ويقول مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثيرا يحدث عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا، لا نُقِرُّ بشيء من هذا، وروي أنه قال: للموت علينا أهون من هذا، فنزل: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ [(٤)] أي: إلى كلامك، ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ جمع كنان وهي أغطية، كعنان وأعنة [(٥)] ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ أي: يعلموه، أو أن لا يفقهوه، أو كراهة أن يفقهوه، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ أي: صمماً وثقلاً، القراءة بفتح واو ﴿وَقۡرٗا﴾ وقرئ بكسرها، زعموا بالفتح الحِمل، وبالكسر الصمم، والأول أشهر، [(٦)] وفي هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تؤمن، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ [٣٢٣/ب] أي: المعجزات ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ أي: أحاديثهم والأساطير جمع: إسطارة وأسطورة، كأحدوثة وأكذوبة، أو هي الترهات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كتبت. [(٧)]

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج {٢/ ٢٣٦}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٨}.

(٣) مطموس في الأصل والتصحيح من (ب).

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما {٢١٤} والبغوي في التفسير عن الكلبي {٢/ ١١٧} والكلبي متروك، وأبو صالح ضعيف، كما تقدم.

(٥) معاني القرآن للزجاج {٢/ ٢٣٦}.

(٦) الدر المصون {٤/ ٥٧٨}.

(٧) انظر: تفسير البغوي {٢/ ١١٨} ولسان العرب، مادة: سطر ومجاز القرآن {١/ ١٨٩}.

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ أي: ينهون الناس عن اتِّباع محمد ﷺ ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ أي: يتباعدون، نأى ونأي لغتان،[1] وقرئ: ينون، بطرح الهمزة وفتح النون الأولى،[2] نزلت في كفار مكة،[3] أو ينهون عن محمد ﷺ والقرآن ويتباعدون عنه.[4]

ابن عباس: نزلت في أبي طالب، كان ينهى الناس عن أذى رسول الله ﷺ، وينأى عن الإيمان،[5] أي: يبعد، واجتمع إليه جماعة من المشركين، فقالوا: خذ منا شاباً أصبح وجهاً، وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني، أدفع إليكم ولدي لتقتلوه، وآخذ ولدكم لأغذوه؟ أو أنه دعاه ﷺ إلى الإيمان، فقال: لولا أن تعيرني قريش، لأقررت عينَك، ولكن أذبُّ عنك ما حييت، وقال في ذلك أبياتاً منها:[6]

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقِرَّ منه عيونا
ودعوتني وعرفتُ أنك ناصحي ... ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينا
وعرضتَ ديناً قد علمتُ بأنه ... من خير أديانِ البريةِ دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مسبةٍ ... لوجدتني سمْحاً بذاك متينا[7]

﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: ما يرجع وبال فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم. ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ أي: وما يعلمون أن أوزار الذين يصدونهم عنه عليهم.

---

(١) انظر: الدر المصون {٤/ ٥٨١- ٥٨٢}.

(٢) قراءة الحسن البصري، الدر المصون {٤/ ٥٨١} وهي شاذة.

(٣) قاله محمد ابن الحنفية وقتادة والضحاك، تفسير الطبري {١١/ ٣١١} وأسباب النزول للواحدي {٢١٥}.

(٤) قاله قتادة، المرجع السابق.

(٥) أخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول {٢١٥} وأخرجه الحاكم {٣٢٢٨} والطبراني {١٢٦٨٢}وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه الواحدي عن مقاتل {٢١٥}.

(٧) في تفسير القرطبي {٦/ ٢٦٢} يقينا، بدل: متينا.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [وقرئ][1] وَقفوا، بفتح الواو، أي: في النار، أو الوقوف بمعنى العروض، وجواب لو، محذوف، أي: لرأيت أمرا عظيما، ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ أي: إلى الدنيا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ العامة بالرفع، أي: ونحن لا نكذب، ونكون من المؤمنين، ما خلا حمزة وحفصاً، فإنهما ينصبان الباء والنون،[2] على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكون، وابن عامر برفع الباء ونصب النون،[3] لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم إن ردوا إلى الدنيا.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾[4] أي: ليس الأمر على ما قالوا: إنهم لو ردوا لآمنوا. وبدا: ظهر لهم ما كانوا يُسرون في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم ﴿مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: من الكفر، أو بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون[5] ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: في قولهم: لو رددنا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أخبر عنهم أنهم ينكرون البعث، أو هذا من قولهم لو رددنا إلى دار الدنيا لقالوه،[6] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ أي: عرضوا، أو وقفوا على حكمه وقضائه ومسألته، ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي: يقول هو تعالى علاؤه وشأنه، أو تقول خزنته بإذنه، أي: أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ أي: إنه حق، ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين في موقف، وللقيامة مواقف، ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون.[7] ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) زيادة من ب، وهي قراءة ابن السميفع وزيد بن علي، إعراب القراءات الشواذ {٤٧٦/١} والدر المصون {٥٨٤/٤}.

(٢) أي ينصبان كلمتي: نكذب، ونكون. والإعراب يكون في الكلم لا في الحرف.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٨}.

(٤) نهاية اللوحة [٣٢٤/ أ] بعد قوله: (كانوا).

(٥) قاله المبرد، زاد المسير {٣/ ٢٣}.

(٦) اللفظ في تفسير الطبري: أنهم لو ردوا إلى الدنيا لقالوا.. وهو قول عبد الرحمن بن زيد {١١/ ٣٢٣}.

(٧) تفسير البغوي {٢/ ١١٩}.

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: خسروا أنفسهم بتكذيبهم بالبعث الذي فيه جزاء الله تعالى الأعمال، ولقاء ثوابه وعقابه، أو بتكذيبهم بالمصير إلى الله تعالى، وبالبعث بعد الموت، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ أي: القيامة فجأة ﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ أي: في الصفقة، ولم يذكرها اكتفاءً بقوله: ﴿قَدۡ خَسِرَ﴾ إذ الخسران إنما يكون في الصفقة، والحسرة شدة الندم، ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ أي: آثامهم، أو أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح، طالما قد ركبتك في الدنيا فاركبني، فذلك قوله: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم: ٨٥] أي: ركباناً، وأما الكافر فيستقبله أقبحُ شيءٍ صورةً وأنْتَنَه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الخبيث، طالما ركبتني في الدنيا، فأنا أركبك الآن.[1] ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾ أي: يكسبون. ابن عباس: بئس الحمل حملوا.[2]

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ أي: باطل وغرور سريعة الزوال ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ ابن عامر[٣٢٤/ب] ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بلام واحدة، وخفض الآخرة على الإضافة، ومن بقي بلامين، الثانية منها مدغمة في الدال، ورفع الآخرة[3] وسميت الآخرة، لتأخرها عن الدنيا، ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ أي: أن الآخرة أفضل من الدنيا، نافع وابن عامر وحفص ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بالتاء المعجمة الأعلى هنا والأعراف ويوسف، وافقهما أبو بكر في يوسف، ومن بقي بالياء في ثلاثتهن.[4]

لقي الأخنس بن شريق[5] أبا جهل، فقال يا أبا الحكم: أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال: إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة، فما يكون لسائر قريش؟

---

(١) أخرجه الطبري عن عمرو بن قيس الملائي، وعن السدي {١١/ ٣٢٧-٣٢٨}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١٢٠}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٩}.

(٤) انظر المرجعين السابقين.

(٥) الأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة، سمي بذلك؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر فلم يشهدها زهري واحد، وكان من أشراف قريش، وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويرد عليه، سيرة ابن هشام {١/ ٣٦٠}.

فنزل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾[1] أو قال أبو جهل: يا محمد، إنا لا نتَّهمُك وما نكذبك، ولكنا نكذب الذي جئت به، فنزل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾[2] أي: أنك كاذب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ نافع و الكسائي بالتخفيف، ومن بقي بالتشديد من التكذيب،[3] وهو أن ينسبه إلى الكذب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: إنهم لا يكذِّبونك في السر؛ لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، إنما يكَذبون وحيي وآياتي.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كما كذبت، ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ أي: بتعذيب من كذبهم، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿مِن﴾ زائدة كما تقول: جاءنا من مطر، والمعنى لا مبدل لحكمه إذا حَكم وقد حكم بنصر الأنبياء بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١] أو بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣] ولا خلف لعِداته، تعالى علوا كبيرا.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: عظم وشق عليك أن أعرضوا عن الإيمان، لأنه كان ﷺ شديد الحرص على إيمان قومه، وكانوا إذا سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ما سألوا، طمعاً في إيمانهم، فقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تتخذ سرباً وقرئ: (نافقاً)[4] والنافقاء والنفق، من جحرة اليربوع ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مصعداً فتصعد فيه، ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾[٣٢٦/أ] أي: فافعل، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: فآمنوا أجمعون، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أو أنه يؤمن بعضهم دون بعض.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: الذكرَ فينتفعون به دون من ختم الله على سمعه، ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: الكفار يبعثهم الله تعالى فيجازيهم بأعمالهم.

---

(١) أخرجه الطبري عن السدي مرسلا {١١/ ٣٣٣} والواحدي في الأسباب {٢١٦}.

(٢) أخرجه الترمذي {٣٠٦٤} من طريق ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب ﷺ، وأخرجه كذلك عن ناجية مرسلا، وقال الترمذي: وهذا أصح. وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي {٣٢٣٠}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٥٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٠}.

(٤) وهي قراءة شاذة، قرأ بها: نبيح الغنوي، معجم القراءات القرآنية {٨٢/٢} والنفق: هو السرَب النافذ في الأرض، ومنه: النافقاء والقاصعاء، لجحرة اليربوع؛ لأنه يحفر في الأرض سربا ويجعل له بابين، وقيل: ثلاثة: النافقاء والقاصعاء والدابقاء، ويجعل مخرجه رقيقا؛ فإذا ما أحس بالخطر هرب من أحدها. الدر المصون {٤/ ٦٠٩}.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: قال كفار قريش هلا أنزل عليه، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: ما عليهم في ذلك، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ ذكر الجناحين تأكيداً.

مجاهد: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أصناف مصنفة كل جنس من الحيوان أمة.[1]

فالطير أمة، والسباع أمة، تعرف بأسمائها كبني آدم، يعرفون بأسمائهم، أو ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلق والموت والبعث، أو في الغذاء وابتغاء الرزق،[2] أو في التوحيد والمعرفة،[3] ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ابن عباس: حشرُها موتُها.[4]

أبو هريرة: يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيامة الدواب والبهائم والطير، وكل شيء، فيأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فحينئذ يتمنى الكافر، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ١٠][5]

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ أي: لا يسمعون خيرا ولا يتكلمون به، ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الضلالات ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ أي: يميته على الكفر ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ أي: يميته على الإسلام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الفراء: العرب تقول أرأيتك تفعل كذا، أي: أخبرنا هل تفعل،[6] نافع بتليين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها.[7]

ابن عباس: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: قبل الموت،[8] ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: القيامة، ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: في صرف العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري {١١/ ٣٤٥}.

(٢) قاله ابن قتيبة، نقله عنه البغوي {٢/ ١٢٢}.

(٣) هذا قول عطاء، المرجع السابق.

(٤) انظر: تفسير الطبري {١١/ ٣٤٦}.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عن أبي هريرة ﷺ موقوفا {١١/ ٣٤٧} والحاكم وصححه ووافقه الذهبي {٣٢٣١} وقال ابن كثير: وقد روي هذا مرفوعا في حديث الصور. {٣/ ١٩} والقصاص بين البهائم يوم القيامة ثابت في أحاديث، منها حديث هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء...))** الحديث أخرجه أحمد {٧٢٠٤} وصححه الأرناؤوط.

(٦) معاني القرآن {١/ ٣٣٣}.

(٧) أي: أن نافع قرأ بالتسهيل بين بين، وانظر: النشر {٢/ ١١} وإتحاف فضلاء البشر {١/ ٢٠٦}.

(٨) تفسير البغوي {٢/ ١٢٣}.

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ۝٤١ ﴾ قيد الإجابة بالمشيئة؛ إذ لا مُكرِه له تعالى علاؤه وشأنه، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾[1] أي: فكفروا ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ أي: بالشدة والجوع، والمرض والزمانة، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ ﴾ أي: يتوبون، وأصل التضرع السؤال.

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا ﴾ فهلا إذ جاءهم عذابنا، ﴿ تَضَرَّعُواْ ﴾ أي: فآمنوا، أخبر الله تعالى أنه أرسل إلى قوم فأُخِذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ أي: تركوا ما وعظوا به، ﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ ابن عامر ﴿ فَتَّحۡنَا ﴾ بالتشديد، إذا كان عقيبه جمع، ومن بقي بالتخفيف،[2] وهذا فتح استدراج، أي: بدلناهم بالبلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ ﴾ أي: فجأةً آمَنَ ما كانوا، وأعجب ما كانت الدنيا إليهم ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤ ﴾ أي: آيسون من كل خير، وأصل الإبلاس: الإطراق من الحزن والندم.[3]

قال ﷺ ((إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب، وهو مقيم على معصيته، فإنما ذلك استدراج)) ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ الآية.[4]

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ ﴾ أي: آخرهم الذي يدبرهم، والمعنى استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٥ ﴾ حمد تعالى نفسه على قطع دابرهم؛ تعليماً للرسل أن يحمدوه على نعمته عليهم بنصرهم على أعدائهم، ولمن آمن بالرسل أن يحمدوا الله تعالى على أمنهم من شر الكفار.

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ ﴾ أيها المشركون إن أخذ أسماعكم فلا تسمعون، وأبصاركم فلا تبصرون ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ أي: فلا تفقهون شيئاً ﴿ مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ﴾ أي: ما أخذ منكم

---

(١) نهاية اللوحة [٣٢٦/ ب] بعد قوله: (أرسلنا)

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٨} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٢}.

(٣) انظر: مجاز القرآن {١/ ١٩٢} ولسان العرب، مادة: بلس.

(٤) أخرجه أحمد {١٧٣٤٩} والطبراني في الكبير {٩١٣} والطبري {١١/ ٣٦١} من طريق حرملة بن عمران عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر. وأخرجه الطبري من طريق ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم {٣٦١- ٣٦٢} وقال في تخريج الأحياء: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: نبين لهم الدلالات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ٤٦﴾ أي: يعرضون بالتكذيب، ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً﴾ أي: معاينة.

ابن عباس: ليلاً ونهاراً[1] ﴿هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٧﴾ أي: المشركون.

﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ﴾ أي: العمل، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ إذا خاف أهل النار ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨﴾ أي: إذا حزنوا، والمعنى: إذا حزن أهل النار وخافوا، فإن أهل الجنة آمنون مسرورون.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾ أي: يصيبهم ﴿ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٤٩﴾ أي: يكفرون.

لما اقترحوا الآيات أمره أن يقول لهم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: رزقه فأعطيكموه، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ أي: فأخبركم بما كان وما يكون، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ أي: إن الملك يقدر على مالا يقدر عليه الآدمي، ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، فتنكرون قولي وتجحدون أمري، ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ أي: أن جميع ما آتيكم به من عند ربي، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ أي: الكافر والمؤمن،[2] أو الضال والمهتدي،[3] أو الجاهل والعالم، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ أي: في عدم استوائهما، ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: وخوِّف بالقرآن، ويُحشروا يُجمعوا، أو يخافون، أي: يعلمون؛ لأن خوفهم إنما كان من علمهم ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله تعالى ﴿وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾ الولي القريب، والشفيع الشافع.

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ١٢٥}.

(٢) قاله قتادة، تفسير الطبري {١١/ ٣٧٢}.

(٣) قاله مجاهد، المصدر السابق.

جاء الأقرع بن حابس،[1] وعيينة بن حصن[2] ومن معهم من المؤلفة إلى رسول الله ﷺ، فوجدوه قاعداً مع بلال وصهيب وخباب في ثلاثين من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم، وقالوا: يا رسول الله، لو جلستَ في صدر المجلس، ونفيت عنا هؤلاء وأرواحَ جبابهم – وكان عليهم جبابُ صوفٍ، ليس عليهم غيرها- لجالسناك وأخذنا عنك، فقال: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تَعرف به العربُ فضلنا، ولا نجلس مع هؤلاء عُبُدٌ، فإذا نحن جئنا فأقِمْهم، فإذا نحن قمنا، فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا بذلك كتاباً، فدعا عليا بالصحيفة ليكتب، فنزل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ﴾[3]

ابن عامر﴿بِالْغَدَوٰةِ﴾ بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها، هنا وفي الكهف، وفيها نظر؛ لأن غدوة معرفة، فلا تدخل عليها الألف واللام، قالوا: وإنما رآها مكتوبة بالواو فأخذها، ومن بقي بفتح الغين والدال وألف بعدها،[4] ﴿وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فألقى ﷺ الصحيفة من يده،[٣٢٧/ب] فدعاهم فأتوه، وهو يقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فكانوا يقعدون معه، فإذا أراد القيام قام وتركهم، فنزل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾[الكهف: ٢٨] الآية،

---

(١) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدرامي، من المؤلفة قلوبهم، وفد على النبي ﷺ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام، قتل في معركة اليرموك ومعه عشرة من بنيه. الإصابة {١/ ١٠١}.

(٢) عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري، من المؤلفة، أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنينا والطائف، بعثه النبي ﷺ لبني تميم، كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ﷺ ومال إلى طلحة فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام، عاش إلى خلافة عثمان ﷺ. الإصابة {٤/ ٧٦٧}.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره {١١/ ٣٧٦} وقد ذكر أبو شهبة رحمه الله أن هذا غير صحيح؛ لأن الآية مكية، والسورة نزلت جملة واحدة، والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الفتح، وهو من المؤلفة قلوبهم، فكيف يعقل نزول الآية بسبب مقالتهم؟ والصحيح أن القائل هم المشركون. انظر: الإسرائيليات {٤٣٩}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٥٨} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٢} وأما قول المصنف: (وفيها نظر... وإنما رآها مكتوبة بالواو فأخذها). فمثل هذا الطعن ورد عن أبي عبيد وبعض النحاة، وربما خفي عليه أنها لغة ثانية، وهذا قول لا يلتفت إليه؛ لأن القراءة متواترة، وابن عامر عربي لا يعرف اللحن، وإذا ثبتت القراءة لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة، كما أن هذه اللغة حكاها سيبويه والخليل. وانظر: الدر المصون {٤/ ٦٤٤} وقواعد التفسير {١/ ٩٤}.

فكان بعد ذلك يقعدون معه، ويدنون منه، حتى كادت تمس ركبهم ركبته، فإذا أراد القيام قاموا وتركوه.(١)

أو قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمداً، فنزلت هذه الآية،(٢) والمراد بدعائهم بالغداة والعشي، صلاة الصبح وصلاة العصر، أو الصلوات الخمس،(٣) أو يذكرون ربهم،(٤) أو المراد حقيقة الدعاء، أو يريدون بطاعتهم وجه الله تعالى، أو ثواب الله تعالى.(٥)

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ليس رزقهم عليك فتملهم، ولا رزقك عليهم ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب لقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أو لا تكلف أمرهم ولا يكلفون أمرك، وقوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ جواب لقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا الغني بالفقير، والشريف بالوضيع، فإذا نظر الشرفاء والأغنياء الفقراء والضعفاء قد سبقوهم إلى الإيمان، امتنعوا من الإسلام، فذلك قوله تعالى: ﴿لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ فأجيبوا ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ هذا استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر.

وروي: أنه ﷺ مر بقوم ينصتون إلى قارئ يقرأ، وهم جلوس مع القارئ، فلما قام ﷺ عليهم، سكت القارئ، فسلم ﷺ عليهم، وقال: **((ما كنتم تصنعون؟))** قالوا: كان قارئ يقرأ ونحن نستمع إليه، فقال: **((الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم))** ثم

---

(١) أخرجه الواحدي بنحوه في أسباب النزول {٢١٧} وابن ماجه {٤١٢٧} والطبري {١١/ ٢٧٦} وأصح منه حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال: ((كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل...)) الحديث، أخرجه مسلم {٢٤١٣} والقاعدة: أن المرويات إذا تعددت في سبب النزول، اقتصر على الصحيح منها. والله أعلم.

(٢) قول مجاهد، ذكره البغوي بلا إسناد {٢/ ١٢٦} ويغني عنه حديث مسلم السابق.

(٣) القولان عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مجاهد وقتادة الأول، تفسير الطبري {١١/ ٣٨١- ٣٨٢}.

(٤) قول إبراهيم النخعي، المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

جلس وسطنا، ثم أشار بيده أن تحلَّقوا؛ ليرى وجوههم، فتحلَّقوا، ثم قال: **((أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام))** [(١)]

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ نزلت في نهي النبي ﷺ عن طردهم، وكان ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام.[(٢)] أو في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم ومصعب بن عمير، وجماعة أخر.[(٣)] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: قضى.[٣٢٨/أ] ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ أي: لا يعلم حراما من حلال،[(٤)] أو هو جاهل بوزر ذلك الذنب، أو جهالته من حيث إنه آثر المعصية على الطاعة، ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ أي: رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ أي: بعد عمله، أو أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ ابن عامر وعاصم ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بفتح الهمزة فيهما، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً من الأولى، وفُتِحت الأولى وكُسِرت الثانية على الاستئناف عند نافع، وكسرتا على الاستئناف عند من بقي.[(٥)]

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ لا يوقف عليه لأن اللام في ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ متعلقة بما قبلها، أي: مثل ما بينا في هذه السورة، نبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ حمزة و الكسائي و أبو بكر بالياء المعجمة الأسفل، ومن بقي بالتاء، ونافع بنصب لام ﴿سَبِيلُ﴾ ومن بقي برفعها؛[(٥)] إذ السبيل يذكر ويؤنث، أي: ليتضح لك طريق المجرمين، أو لتعرف يا محمد سبيل المجرمين، بان الشيء وأبان واستبان وتبين واحد، بمعنى ظهر.[(٦)]

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ أي: في طرد هؤلاء وعبادة الأوثان، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أي: إن فعلت.

---

(١) أخرجه أبو داوود {٣٦٦٦} والإسناد ضعيف، فيه: العلاء بن بشير المازني، مجهول، كما في التقريب {٧٥٩}وضعف الحديث الشيخ الألباني. وللجملة الأخيرة في دخول الجنة، شاهد وانظر مجمع الزوائد {١٠/ ٤٥٧- ٤٥٩} .

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {٢١٨} والبغوي في التفسير عن عكرمة بلا إسناد {٢/ ١٢٧}.

(٣) ذكره البغوي عن عطاء بلا إسناد {٢/ ١٢٨}.

(٤) قول مجاهد، المرجع السابق.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٥٨} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٣}.

(٦) المفردات، مادة: بان.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على بصيرة، ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: بما جئت ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: العذاب أو القيامة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ الحرميان وعاصم، بصاد مشددة مهملة، أي: يقول الحق، ومن بقي بضاد مكسورة ساكنة القاف،[1] من قضيت، أي: يحكم بالحق، وقرئ: يقضي بالياء، وقرئ أيضا: يقضي بالحق.[2]

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ أي: الحاكمين، وحذفت ياء يقضي فصلا؛ لالتقاء الساكنين، وحمل الوقف على الوصل، تقديره: يقضي القضاء الحق، وبالصاد المهملة هي في جميع المصاحف قالوا.[3]

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لفرغ من العذاب وأُهلكتم، ولعجَّلته لكم لأتخلص منكم، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: خزائنه، جمع مفتح،[4] وهي خمس، ما تغيض الأرحام، وما في غد، ومتى يأتي المطر، وما تدري نفس بأيِّ أرض تموت، ومتى قيام الساعة، لا يعلمها إلا الله تعالى.[5] [٣٢٨/ب] أو مفاتح الغيب خزائن الأرض،[6] ونزول العذاب، أو ما غاب من الثواب والعقاب، أو انقضاء الآجال، أو أحوال العباد، من الشقاوة والسعادة، أو خواتيم الأعمال، أو ما لم يكن بعد وما يكون كيف يكون؟[7]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٥٨} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٤} والحرميان: نافع وابن كثير.

(٢) قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ويحيى بن وثاب والنخعي والأعمش، مختصر التبيين لهجاء التنزيل {٣/ ٤٨٧}. وهي شاذة.

(٣) المرجع السابق {٣/ ٤٨٦}.

(٤) لسان العرب، مادة: فتح.

(٥) والدليل من الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] وأما السنة: فحديث ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **((مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر))** أخرجه البخاري {١٠٣٩}.

(٦) قول السدي، قال عنه ابن العربي: مجاز بعيد، وأما قول ابن عباس فعلم سديد من فك شديد.اهـ أحكام القرآن {٢/ ٢٥٨}.

(٧) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي {٢/ ١٢٩} وكلها من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وتندرج تحت الخمسة المذكورة في الآية، وانظر أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ٢٥٦}.

ابن مسعود: أوتي نبيكم علم كل شيء إلا مفاتيح الغيب.[١]
﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ﴾ أي: في البر المفاوز، والبحر القرى، أي: لا يحدث فيهما شيء إلا يعلمه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: وغير الساقطة أيضا، أو يعلم تقلبها ظهراً لبطن ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ هو الحب المعروف، أو يعلمها إذا كانت تحت الصخرة في أسفل الأرضين[٢] ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ أي: الماء، والبادية،[٣] أو ما ينبت ومالا ينبت، أو ولا حي ولا ميت، أو هو عبارة عن كل شيء، أو الرطب الناس، والجامد اليابس.[٤] ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ أي: الكل محفوظ في اللوح المحفوظ.

روي: أن بعض الخلفاء رأى ملك الموت، فقال كم بقي من عمري، فأشار خمس أصابع، فسأل جماعة عن ذلك فلم يأتوا بالجواب، فقال مقاتل بن سليمان: أراد مفاتح الغيب الخمسة، ثم قرأ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ الآية.[٥]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: يقبض أرواحكم إذا نمتم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ أي: كسبتم ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوقظكم في النهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ﴾ هو استيفاء أجل الحياة إلى الممات، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦٠﴾ أي: فيخبركم في الآخرة.

---

(١) قول ابن مسعود ﷺ، في تفسير الطبري {١١/ ٤٠١} وأخرجه أحمد {٣٦٥٩} وحسنه ابن كثير {٥/ ١٢٢} قال السندي: يريد علم كل شيء، والظاهر أن المراد به الخصوص، وإن كان مقتضى الاستثناء العموم، وإلا للزم أن يكون علمه ﷺ غير متناه، وأن يكون عالما بالغيب، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] فليتأمل. هامش مسند الإمام أحمد {١٧٣/٦}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١٣٠}.

(٣) أي الرطب: الماء، واليابس: البادية. قول ابن عباس رضي الله عنهما. المرجع السابق.

(٤) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي {٢/ ١٣٠}.

(٥) وهي رؤية منامية لهارون الرشيد، تذكر في كتب تفسير الأحلام.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: الغالب الظاهر على عباده،[1] ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ جمع حافظ، وهم الملائكة، ملكين بالليل وملكين بالنهار، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ حمزة ﴿تَوفَّىٰهُ﴾ و ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ بالياء الممالة من الألف فيهما، على لفظ التذكير، ومن بقي بالتاء فيهما على لفظ التأنيث،[2] ﴿رُسُلُنَا﴾ هم أعوان ملك الموت، يتوفونهم بأمره، فكأن ملك الموت هو الذي توفاه، أو المراد ملك الموت وحده، أو الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة، فيقبض من هنا ومن هنا، فإذا كثرت الأرواح يدعوها فتجيب.[3] ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: لا يقصرون فيما يؤمرون به.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الملائكة، أو العباد يردون بالموت إلى الله تعالى،[5] قال الله تعالى: [٢٢٩/أ] ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد ﷺ: ١١] قلت: المولى ثَمَّ، بمعنى الناصر، والمولى هنا: المالك الذي يتولى أمورهم، أو المراد المؤمنون هنا على سبيل التغليب، والكفار تبع لهم[4] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: القضاء، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: لا يحتاج إلى فكرة ورَوية.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: شدائدهما، كانوا إذا سافروا فخافوا الهلاك، دعوا الله مخلصين له الدين ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أبو بكر بكسر الخاء هنا والأعراف، و من بقي بالضم لغتان،[5] أي: علانية وسرا ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ أي: يقولون لئن أنجيتنا، وأهل الكوفة (أنجانا)[6] أي: الله تعالى، ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: الظلمات.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ الكوفيون وهشام بالتشديد، ومن بقي بالتخفيف.[7]

---

(١) والفوقية تشمل كل معاني الفوقية بالذات والصفات.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٥٨} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٤}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ١٣٠}.

(٤) أجاب المصنف هنا رحمه الله، عن سؤال يتبادر إلى الذهن، وهو أن الآية هنا في المؤمنين والكفار، وفي آية سورة محمد ﷺ، أخبر أن الكافرين لا مولى لهم؟ فأجاب بهذه الأوجه التي ذكرها رحمه الله.

(٥) انظر: النشر{٢/ ٢٥٩} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٦} والموضع بالأعراف قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ آية [٥٥].

(٦) أهل الكوفة: حمزة والكسائي بالإمالة، وعاصم بلا إمالة، انظر المرجعين السابقين.

(٧) النشر {٢/ ٢٥٩} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٥}.

﴿مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ الكرب غاية الغم الذي يأخذ بالنفس،[1] ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾ أي: تشركون معه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع؛ لأنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ أي: كالصيحة والريح والحجارة والطوفان،كعاد وثمود ونوح وقوم لوط، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ أي: الرجفة والخسف، كقوم شعيب وقارون، نزلت هذه الآية في أهل الإيمان أو المشركين.[2]

ابن عباس: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ السلاطين، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ عبيد السوء،[3] أو ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ كباركم ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ صغاركم،[4] ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ أي: يخلطكم فرقا، ويبث فيكم الأهواء المختلفة،﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضا.

لما نزلت هذه الآية ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ قال ﷺ: **((أعوذ بوجهك))** قال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قال: **((أعوذ بوجهك))** قال: ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ قال: **((هذا أيسر))**.[5]

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: القرآن بأخبار الأمم الماضية ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ أي: لكي يفقهوا أمر الله وتوحيده.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾ أي: بالقرآن، أو بالعذاب،[6] وقرئ: كذبت به قومك[7] ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦﴾ أي: بمسلط ألزمكم الإسلام، أو برقيب. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾ أي: لكل خبر منتهى، فيبين الصدق عن الكذب [٢٢٩/ب] والحق من الباطل، أو لكل خبر يخبر به الله تعالى وقت ومكان يقع فيه من غير خلف،[8] أو لكل قول وفعل حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة.[9]

---

(١) المفردات مادة: كرب.

(٢) قاله الحسن وقتادة، تفسير البغوي {٢/ ١٣١}.

(٣) تفسير الطبري {١١/ ٤١٨}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٣١}.

(٥) أخرجه البخاري {٧٤٠٦}.

(٦) تفسير البغوي {٢/ ١٣١}.

(٧) قرأ بها ابن أبي عبلة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٧٨} والدر المصون {٤/ ٦٧٢} وهي قراءة شاذة.

(٨) قاله مقاتل، تفسير البغوي {٢/ ١٣٣}.

(٩) قاله الكلبي، المرجع السابق.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: ما كان في الدنيا فتستغفرونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدوا لكم.[١]

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: يخوضون في القرآن بالاستهزاء فلا تجالسهم، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ ابن عامر بالتشديد للسين وفتح النون، ومن بقي بسكون النون وتخفيف السين،[٢] ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ إذا جلست ناسياً معهم فقم من عندهم بعدما ذكرت.

ولما نزلت: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد، ونطوف بالبيت، وهم يخوضون أبداً؟ وقال المسلمون: إنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فنزل: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[٣] أي: الخوض ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: من آثام الخائضين ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ أي: عظوهم وذكروهم، فيكون ﴿ذِكْرَىٰ ﴾ على هذا منصوب المحل،[٤] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وهذا رخصة في مجالستهم لأجل الوعظ، أو لعلهم يستحيون.

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ هذا منسوخ بآية السيف،[٥] أي: الكفار إذا سمعوا آيات الله تعالى استهزؤوا بها، وتلاعبوا عند ذكرها،[٦] أو﴿ دِينَهُمْ ﴾ أي: عيدهم، وذلك أن الله تعالى جعل لكل قوم عيدا، فاتخذ كل قوم عيدهم لعبا ولهوا، أي: فصحا وقنزجا، فالفصح عيد النصارى والقنزج لعب، وعيد المسلمين بالصلاة والتكبير وفعل الخير كالجمعة والفطر والنحر.[٧] ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي: وعظ بالقرآن، ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي: لأن لا، وتبسل تهلك، أو تسلم للهلاك،[٨] أو تحرق.[٩]

(١) قول مجاهد، تفسير الطبري {١١/ ٤٣٥}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ١٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٥٩}.

(٣) أورده البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، {٢/ ١٣٣} و ابن الجوزي في زاد المسير {٣/ ٦٢} بلا إسناد.

(٤) معاني الزجاج {٢/ ٢٦١}.

(٥) وهو قول قتادة، تفسير الطبري {١١/ ٤٤٢} الناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ٣٢١}.

(٦) قاله علي بن عيسى، تفسير الماوردي {٢/ ١٣٠}.

(٧) معاني القرآن للفراء {١/ ٣٣٩}.

(٨) قاله مجاهد وعكرمة والحسن، تفسير الطبري {١١/ ٤٤٣}.

(٩) قاله الضحاك، تفسير البغوي {٢/ ١٣٣}.

والمعنى: ذكرهم لكيلا تهلك نفس بكسبها، أو تفضح، أو ترتهن،[1] والإبسال أصله التحريم، والبسل الحرام، ثم تنعت به كل شديدة[2] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي: تُفدِ كل فداءٍ، ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟﴾ أي: أهلكوا، ﴿بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [٣٣٠/أ] هي الأصنام، أي: لا ضر فيها ولا نفع، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي: إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: مثل الذي أضلته الشياطين، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ ابن عباس: كالذي استهوته الغيلان في المهامه فأضلوه فهو حائر بائر،[3] والحيران: المتردد في الأمر، لا يهتدي إليه مخرجا[4] ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعى إلى الآلهة ولمن يدعى إلى الله تعالى، فمثله كمثل رجل في رفقة، ضل به الغول عن الطريق، ويدعوه أصحابه إلى الطريق، فإن تبع الغول انطلق به حتى ألقاه في الهلاك، وإن أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى.[5]

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ﴾ لا هدى غير هدى الله تعالى، وهذا نفي عام، وفيه نهي عن الركون إلى غير لله تعالى، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ﴾ أي: وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: تجمعون في الموقف للحساب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ الباء بمعنى اللام، أي: جعل صنعته دليلاً على وحدانيته، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ﴾ هو راجع إلى السموات والأرض، أو يرجع إلى القيامة، يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه يقول للخلق: موتوا فيموتون، وقوموا فيقومون،[6] ﴿

(١) قاله الفراء في معانيه {١/ ٣٣٩}.

(٢) انظر المرجع السابق، ولسان العرب، مادة: بسل.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ١٣٤}.

(٤) المرجع السابق، مادة: حير.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {١١/ ٤٥٢}.

(٦) معاني الزجاج {٢/ ٢٦٣- ٢٦٤}.

﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ أي: الواقع لا محالة، ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ أي: أن مُلْكَ الملوك يومئذ زائل، كما قال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] أي: لا أمر في ذلك اليوم لأحد فيما يظهر، إلا الله تعالى، والصور: قرن ينفخ فيه،[١] أو هو كهيئة البوق،[٢] أو الصور: هو الصُّوَر جمع الصورة.[٣]

قال ﷺ: **((كيف أنعم؟ وصاحب الصور قد الْتقمه، وأصغى سمعه، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر؟))** قالوا: يا رسول الله وما أمرنا؟ قال: **((قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل))**.[٤]

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، وهو تارخ، مثل: إسرائيل ويعقوب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف، أو آزر لقب، وكان من كُوثى [٣٣٠/ب] قرية من سواد الكوفة،[٥] أو آزر سب وعيب،[٦] أو هو المعوج، أو الشيخ الهِمُّ،[٧] أو هو اسم صنم،[٨] فعلى هذا هو في محل نصب،

---

(١) وهو قول جمهور المفسرين، تفسير الطبري {١١/ ٤٦٣} وزاد المسير {٣/ ٦٩} وابن كثير {٣/ }. واستدلوا بقول النبي ﷺ، لما سأله الأعرابي عن الصور؟ فقال: **((هو قرن ينفخ فيه))** أخرجه أبوداوود {٤٧٤٢} والترمذي {٢٤٣٠- ٣٢٤٤} والنسائي في الكبرى في مواضع {١١٣١٢} وقال الترمذي: حديث حسن.اهـ وصححه الشيخ الألباني.

(٢) قول مجاهد، زاد المسير {٣/ ٦٨}.

(٣) قاله قتادة، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن {١/ ١٩٦} والفراء في معانيه {١/ ٣٤٠} والطبري {١١/ ٤٦٣} وهذا مرجوح، والحديث الذي بعده يرده.

(٤) أخرجه الترمذي {٢٤٣١- ٣٢٤٣} وأحمد في مواضع {٣٠١٠} وقال الترمذي: حديث حسن، وقد روي من غير وجه هذا الحديث، عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه. اهـ وصححه الشيخ الألباني. وهو حديث حسن لغيره.

(٥) قول محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي، تفسير البغوي {٢/ ١٣٦}.

(٦) قول سليمان التيمي، المرجع السابق. وقد ورد هذا الاسم صريحا في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة...))** الحديث {٣٣٥٠} وذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: أن هذا النص حجة قاطعة في نفي التأويلات، ودال على أنه اسمٌ علمٌ لأبي إبراهيم عليه السلام، ولا يحتمل التأويل ولا التحريف. وانظر بحثا له في آخر كتاب المعرّب للجواليقي {٤١٢}.

(٧) الهِمُّ: هو الشيخ الكبير البالي، كما في اللسان: مادة: همم. ووقع في المطبوع عند البغوي: الهرم.

(٨) قاله ابن المسيب ومجاهد، تفسير الطبري {١١/ ٤٦٦} والمرجع السابق.

تقديره: ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ آزرَ إلهاً من دون الله تعالى، وقرئ: آزرُ بالضم[١] ﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: أتتخذها معبودة من دون الله تعالى، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: كما أريناه البصيرة في دينه نريه، ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق السموات والأرض.[٢]

أو آيات السموات والأرض،[٣] روي: أنه وقف على صخرة وكشف له عن السموات والأرض، حتى العرش وأسفل السفل، وعرف مكانه في الجنة.[٤]

وروي: أنه لما كشف له عن ملكوت السموات والأرض رأى رجلاً على معصية فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر فأراد أن يدعوا فقال له الرب تعالى: إنك مستجاب الدعوة، فلا تدعونَّ على عبادي، فإنما أنا من عبدي بين ثلاث خلال، إما أن يتوب إلي فأتوب عليه، وإما أن أُخرج من ظهره نسمة تعبدني، وإما أن يُبعث إلي، فإن شئتُ عفوت عنه، وإن شئتُ عاقبته، وإما أن يتولى فإن جهنم من ورائه.[٥]

أو ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هي السموات وجميع ما فيها من شمس وقمر وغيرهما، وملكوت الأرض هي الأرض وجميع ما فيها من بحار وغيرها، والتاء في ملكوت زيدت للمبالغة، كالرهبوت والرحموت،[٦] أو أنه قيل له: لو أطعتك في عبادي لأهلكتهم، أو ما علمت أن من أسمائي الصبور؟[٧]

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ عطف على المعنى، أي: نريه ملكوت السموات ليستدل ويكون من الموقنين.

كان نمروذ أول من وضع التاج على رأسه، ودعا الناس إلى عبادته، فرأى في النوم كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر، حتى لم يبق لها ضوء، فسأل عن ذلك كهانه ومنجميه،

---

(١) وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد، المحتسب {١/ ٢٢٣}.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، تفسير الطبري {١١/ ٤٧٠}.

(٣) قول مجاهد وسعيد بن جبير، المصدر السابق {١١/ ٤٧١}.

(٤) قاله السدي، تفسير الطبري {١١/ ٤٧٢}.

(٥) أخرجه الطبري {١١/ ٤٧٣} والبغوي {٢/ ١٦٣} وقال ابن كثير: وقد روى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين، عن معاذ، وعلي بن أبي طالب ولكن لا يصح إسنادهما، والله أعلم.اهـ {٣/ ٤٩}.

(٦) معاني الزجاج {٢/ ٢٦٥} والنحاس {١/ ٣٤١}.

(٧) انظر: تفسير القرطبي {٧/ ١٧}.

فقالوا: هو مولود، يولد في هذه السنة، هو يكون سبب هلاكك وهلاك أهلك ومالك، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وعزل النساء عن الرجال، وإذا حاضت المرأة تركها مع زوجها، فجاء آزر فوجد امرأته طاهرا فغشيها.(١)

أو خرج بالرجال إلى خارج المدينة فعرضت لنمروذ حاجة، فلم يجد بدا من الإنفاذ في طلبها ولم يجد أحدا يثق إليه إلا آزر، فأرسله بعدما أقسم عليه ألا يقرب أهله، فدخل المدينة وقضى حاجته، ثم قال: انظر إلى أهلي فلما نظر إلى أهله [٣٣١/أ] لم يتمالك أن غشيها، أو أن نمروذ أنفذ إلى كل حبلى في بلده، فحبسها عنده، إلا ما كان من أم إبراهيم، فإن حبلها لم يظهر؛ لأنها كانت حديثة السن.

ابن عباس رضي الله عنهما: ولما حملت بإبراهيم أمه، قال الكهان لنمروذ: إن الغلام الذي ذكرناه لك قد حملت به أمه الليلة، فأمر بذبح الغلمان، فلما أخذها الطلق هربت، فوضعته في نهر يابس ولفته في خرقة، ثم أخبرت آزر بذلك، فحفر له سرباً عند النهر، وسد عليه بابه، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه.(٢)

أو هي فعلت ذلك من غير إعلام آزر، وكانت تأتيه لتنظر ما فعل فتجده حياً يمص إبهامه، فقالت: لأنظرن إلى أصابعه، فوجدته يمص من أصبع ماءً، و أصبع لبناً، وأصبع عسلاً، وأصبع تمراً، وأصبع سمناً،وكان يشب في اليوم كالشهر، والشهر كالسنة، فلم يلبث في السرب إلا خمسة عشر شهراً، أو سبع سنين، أو ثلاث عشرة سنة، أو سبع عشرة سنة، فلما شبَّ قال لأمه: من ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت: اسكت، فأخبرت أباه بذلك، فأتاه أبوه، فقال: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك، قال: ومن رب أمي؟ قال: أنا قال: ومن ربك؟ قال: نمروذ قال: ومن رب نمروذ؟ فلطمه وقال: اسكت.(٣)

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي: دنا الليل ودخل، يقال: جنَّ الليل وأجنَّ وجنَّه الليل وأجنه وجن عليه الليل يجن جُنونا وجنانا، إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده،(٤) ﴿رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾

---

(١) انظر: تاريخ الطبري {١/ ١٤٣} وتفسيره {١١/ ٤٨١}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١٣٧}.

(٣) تاريخ الطبري {١/ ١٤٣} وهذا كله من الإسرائيليات التي لا تثبت.

(٤) انظر: مجاز القرآن {١/ ١٩٩} ولسان العرب، مادة: جنن.

قالوا هي الزهرة،أبو عمرو بفتح الراء وإمالة الهمزة في هذا الحرف ونحوه، وبإمالتهما حمزة والكسائي وابن ذكوان وأبو بكر، وورش بين اللفظين في الراء والهمزة، ومن بقي بالفتح فيهما،[١] والمعنى: ولما عاين الكوكب، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ قال ذلك مسترشداً حتى فقُه، وآتاه الله تعالى رشده فلم يضره؛ إذ كان في حال الاستدلال، أو في حال طفوليته، ورُدَّ هذا بأنه لا يجوز أن يكون لله رسول، ويأتي عليه وقت من الأوقات، إلا وهو لله تعالى موحد، وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وإنما قال إبراهيم ذلك ليستدرج قومه ويعرفهم خطأهم فيما عظموه، وكانوا يعظمون النجوم ويرون أن الأمور كلها إليها.[٢]

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي: غاب، أراهم النقص الداخل على النجوم، كالحواري الذي جاء إلى قوم يعبدون صنما، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا [٣٣١/ب] عن رأيه، ثم دهمهم عدو شديد البأس، فشاوروه في أمره، فقال: نجتمع وندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أضلنا، ففعلوا وتضرعوا حوله، فلم ينفعهم شيء، فقال: فلندع الله تعالى، فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون، فأسلموا، أو قال إبراهيم ذلك على وجه الاستفهام والتوبيخ لهم، أي: ومثل هذا يكون ربا؟ أو قال هذا ربي بزعمكم؟ أو تقديره يقولون هذا ربي[٣] ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: لا أحب ربا لا يدوم.

﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ أي: طالعاً حمزة وأبو بكر ﴿رَءَا الْقَمَرَ﴾ وشبهه إذا لقيت الياء ساكنا منفصلا بإمالة فتحة الراء فقط، ومن بقي بفتحها، هذا في حال الوصل، وإن انفصلت من الساكن في الوقف كان الاختلاف كما تقدم في ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ وعن أبي شعيب بإمالة فتحة الراء والهمزة في ذلك كالأول[٤] ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ أي: عن الهدى.

﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ أي: طالعة ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ أي: من الكواكب والقمر، ولم يقل هذه؛ لأنه أراد الطالع،[٥] أو ذكَّره على معنى، وهو الضياء والنور، إذ رآه أضوأ من الكوكب

---

(١) النشر {٢/ ٤٥} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٩}.

(٢) تفسير الطبري {١١/ ٤٨٣- ٤٨٤} وهذا هو الصواب، والله أعلم ؛ لأن الله جل وعلا نفى عن الخليل الشرك بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] ومن زعم أنه قد أشرك فعليه الدليل، والأصل أنه مولود على الفطرة.

(٣) ذكر هذه الأوجه البغوي في التفسير {٢/ ١٣٩}.

(٤) النشر {٢/ ٤٥} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ١٩}.

(٥) معاني القرآن للأخفش {٢/ ٤٩٦}.

والقمر، أو كان يدعوه ربا فلم يؤنثه،[١] ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ أي: بالله من الأصنام وغيرها، قالوا لإبراهيم من تعبد قال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ أي: أخلصت ديني وعملي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ ولما رجع إبراهيم إلى أبيه، بعد أن صار من الشباب، ضمَّه آزر إليه، وجعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها، فيذهب بها وينادي: من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا باتت عليه، ذهب بها إلى نهر فضرب فيه رؤوسها، وقال: اشربي، استهزاءً بقومه، وبما هم فيه من الضلالة، حتى فشا ذلك في قومه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ أي: خاصمه وجادله في دينه ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون، ومن بقي بتشديدها على سبيل الإدغام،[٢] أي: أتجادلونني في وحدانية الله تعالى ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ أي: للحق؟ [٣٢٣/أ] ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام؛ لأن قومه حذروه منها أن تصيبه بسوء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي: لكن إن شاء ربي شيئاً، أي: سوءاً، فيكون ما شاء، وهذا استثناء منقطع ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ أي: أحاط علمه جميع الأشياء، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ أي: بالله من الأصنام، ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾ أي: حجة. وهو قادر على كل شيء؛ لأنهم كانوا يُخوِّفونهم بآلهتهم، فلذلك قال: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾ أي: أحرى بالأمن؟ أنا وأهل ديني، أو أنتم؟ أجيبوا! ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾

فقال تعالى قاضيا بينهما: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أي: لم يُخلطوه بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾

ولما نزلت هذه الآية، قالوا يا رسول الله: فأيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: **((إنما هو الشرك))**[٣]

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ أي: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أو هي مجادلته مع نمروذ، على ما سبق في البقرة.[٤] ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ الكوفيون ﴿دَرَجَٰتٖ﴾

---

(١) تفسير القرطبي {٧/ ٢٠}.

(٢) النشر {٢/ ٢٥٩} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٠}.

(٣) أخرجه البخاري {٣٤٢٩} ومسلم {١٢٤}.

(٤) عند الآية {٢٥٨}.

بالتنوين هنا وفي سورة يوسف، أي: نرفع من نشاء درجاتٍ بالعلم والعقل، ومن بقي على الإضافة.[1] ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بإلهام الحجة لأوليائه ﴿عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ أي: بنصر أوليائه وقهر أعدائه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: وفقناه من قبل إبراهيم. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي: من ذرية نوح؛ لأنه ذكر من جملتهم يونس ولوطاً، ولم يكونا من ذرية إبراهيم ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ هما المشهوران ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي: ابن أموص بن رازخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ﴿وَيُوسُفَ﴾ هو ابن يعقوب بن إسحاق ﴿وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ هما ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وكان هارون أكبر من موسى بسنة[2] ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٤﴾ أي: كجزائنا إبراهيم على توحيده، ولم يذكروا عليهم السلام على ترتيب أزمانهم.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ زكريا هو ابن آذن [٣٢٣/ب] ويحيى ابنه ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ هو إدريس، وله اسمان كيعقوب وإسرائيل، الصحيح أنه غيره[3] ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٥﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ وهو ابن أخطوب بن العجوز، حمزة والكسائي، بتشديد اللام وسكون الياء هنا و ص، ومن بقي بسكون اللام وفتح الياء لغتان.[4]

﴿وَيُونُسَ﴾ هو ابن متَّى، وأمه عالياء، أو صفراء، قالوا: ومن علم اسم أمه عمل به ماشاء من الرقى،[5] ﴿وَلُوطًا ۚ﴾ هو ابن ماهان، ابن أخي إبراهيم، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾ أي: عالمي زمانهم.

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٠}.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٠} وموضع ص قوله: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ [٤٨].

(٥) بل الرقية أن يدعو المؤمن ربه عز وجل بدعاء يونس عليه السلام لقوله ﷺ: **((دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استجاب الله له))** أخرجه الترمذي {٣٥٠٥} والنسائي {١٠٤٩١- ١٠٤٩٢} وصححه الألباني في صحيح الترمذي {٢٧٨٥}.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أي: ذرية بعضهم؛ لأن يحيى وعيسى لم يكن لهما ولد، وكان في ذريتهم من هو كافر، ﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ أي: اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ أي: أرشدناهم.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: المذكورون ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الكتب ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الفقه والعلم ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ أي: الأنصار وأهل المدينة.(١) ابن عباس: مع جماعة هم الأنبياء المذكورون في هذه السورة،(٢) أو المراد أهل السماء ليسوا بها بكافرين،(٣) أو هم العجم، أو هم الفرس.(٤)

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: هداهم الله تعالى ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي: فبسنتهم اقتد، والهاء للوقف، وحذفها حمزة و الكسائي في الوصل، وأثبتها الباقون في الحالين، ووصلها بياء وصلا ابن ذكوان، وكسرها من غير صلة بياء هشام، كأنه لم يرد هاء السكت، ولكن جعلها كناية عن الهدى، أي: فبهداهم اقتد الهدى،(٥) أو فبهداهم اقتدي، الاقتداء الذي هو مصدر اقتد اقتديت به، واقتديت عليه واقتديته، واحد، أي: اتبعته وفعلت مثل فعله،(٦) ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: عظة وتذكرة.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما وصفوه حق وصفه،(٧) أو ما عرفوه حق معرفته،(٨) أو ما عظموه حق تعظيمه.(٩)

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد، تفسير الطبري {١١/ ٥١٦}.

(٢) المصدر السابق {١١/ ٥١٧}.

(٣) وهم الملائكة، قاله أبو رجاء العطاردي، المصدر السابق {١١/ ٥١٧}.

(٤) قاله مجاهد: الكشاف {٢/ ٢٦}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ١٤٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢١- ٢٢}.

(٦) انظر: لسان العرب، مادة: قدا.

(٧) قاله أبو العالية واختاره الخليل، زاد المسير {٣/ ٨٣}.

(٨) قول أبي عبيدة، مجاز القرآن {١/ ٢٠٠}.

(٩) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن والفراء وثعلب والزجاج والطبري، انظر: معاني الفراء {١/ ٣٤٣} والزجاج {٢/ ٢٧١} وزاد المسير {٣/ ٨٣} وتفسير الطبري {١١/ ٥٢١}.

خاصم مالك بن الصيف رسول الله ﷺ، فقال له: **((أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة:** [٣٣٣/أ] **إن الله يبغض الحَبرَ السَّمينَ))** وكان مالك حبراً سميناً، فغضب وأنكر، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فقالت له اليهود: أليس أن الله قد أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت ذلك؟ قال إن محمدا أغضبني فقلت ذلك، فقالوا له: وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية.[١]

أو نزلت في فنحاص بن عازوراء، وهو القائل تلك المقالة،[٢] أو قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: **((نعم))** قالوا: والله ما أنزل الله تعالى من السماء كتاباً، فنزل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآية[٣] فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: التوراة، ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ أي: دفاتر مقطعة وكتباً مبددة ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: تُظهرون ما تحبون، وتخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ، ابن كثير وأبو عمرو ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾ و ﴿تُبْدُونَهَا﴾ ﴿وَتُخْفُونَ﴾ في الثلاثة بالياء غيبةً، ومن بقي بالتاء خطاباً،[٤] ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ هذا خطاب لليهود، أي: عُلِّمتم على لسان محمد ﷺ ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الحسن: جعل لهم علم ما جاء به ﷺ فضيعوه.[٥]
أو هو خطاب للمسلمين يذكرهم نعمة الله تعالى عليهم،[٦] أي: فاتل يا محمد عليهم ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى ﴿وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ فإن أجابوك وإلا أجبهم أنت بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: قل الله أنزله، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ أي: القرآن، ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ﴾ أي: يا محمد، وبها قرأ الجماعة، إلا أبا بكر عن عاصم ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالياء[١] أي: الكتاب ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: أهل أم القرى، وهي

---

(١) أخرجه الطبري بسنده مرسلا عن سعيد بن جبير بنحوه {١١/ ٥٢١} والواحدي في الأسباب عن سعيد أيضا بلا إسناد {٢٢٠} وانظر: تفسير البغوي {٢/ ١٤٢} فتبقى هذه الآية مكية مع السورة كلها.

(٢) أخرجه الطبري بسنده عن السدي {١١/ ٥٢٢}.

(٣) رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورجح الطبري أن المعني بهم في الآية هم مشركوا قريش، تفسير الطبري {١١/ ٥٢٣}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٢}.

(٥) انظر: تفسير البغوي {٢/ ١٤٣}.

(٦) قول مجاهد، زاد المسير {٣/ ٨٤} الدر المنثور {٦/ }.

مكة ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ أي: أهل الأرض شرقها وغربها[٢] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ أي: بالكتاب، ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾ أي: المؤمنون يداومون على الصلوات الخمس.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق فزعم أنه نبي مبعوث، ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٌ﴾ [٣٣٣/ب] نزلت في مسيلمة الكذاب،[٣] ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ نزلت في المستهزئين، وهو جواب لقوله: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٢}.

(٢) لأن النبي ﷺ قال: ((**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين**..)) الحديث. السلسلة الصحيحة {٣} ومن بلغته رسالة الإسلام فقد أنذره النبي ﷺ؛ لقوله جل وعلا: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] ويحتمل أن ما حولها هم القريبون منها، وهم الذين دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام في حياته. والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبري عن عكرمة وقتادة مرسلا {١١/ ٥٣٣- ٥٣٥} وذكره الواحدي في الأسباب {٢٢٠} وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، ومسيلمة في آخر عهد النبوة، ولكنه يدخل في عمومها. والله أعلم.

أو نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح[(١)] وكان مسلما يكتب الوحي، فإذا أملي عليه: سميعاً بصيراً، كتب: عليماً حكيماً، فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] فأملاها عليه ﷺ، فعجب عبد الله من خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال له النبي ﷺ: ((**اكتبها فهكذا أنزلت**)) فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقاً، لقد أوحى إلي كما أوحي إليه، فارتد ولحق بالمشركين، ثم أسلم قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمرِّ الظهران.[(٢)]

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ جمع غمرة، وهي سكراته، وأصلها: الذي يغمر الأشياء، أي: يغطيها، ثم وُضِعت موضع الشدائد والمكاره،[(٣)] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب، أو بقبض الأرواح، ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي: يقولون أخرجوا أنفسكم؛ لأن نفس المؤمن تَنشَط للقاء ربها، وروح الكافر تكره ذلك، والجواب محذوف، تقديره: لرأيت عجباً، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ والهون والهوان، والمعنى: إنكم كنتم تتعظمون عن الإيمان، ولا تصدقون القرآن.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ أي: وحداناً، جمع فردان، كسكران، أي: لا مال معكم ولا شافع لكم.[(٤)] وقرئ: فردى، مثل سكرى،[(٥)] ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: عراةً حفاةً غرلاً، ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: في الدنيا، ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام وهي عندهم، وفي زعمهم شركاء لله تعالى وشفعاؤهم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ نافع والكسائي وحفص بنصب النون، أي: تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع في بينكم، ومن بقي برفع

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري، أخو عثمان ﷺ من الرضاعة، كان يكتب الوحي للنبي ﷺ، فارتد ولحق بالكفار، فأمر النبي ﷺ بقتله يوم الفتح، فاستجار له عثمان فأجاره النبي ﷺ، ثم أسلم وحسن إسلامه، وقاد فتوحات كثيرة، توفي في آخر عهد معاوية ﷺ. الإصابة {٤/ ١٠٩}.

(٢) أخرجه الطبري عن عكرمة والسدي مرسلا {١١/ ٥٣٣- ٥٣٤} والواحدي عن طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما {٢٢٠}. ومر الظهران: واد من أودية الحجاز، يمر شمال مكة على ٢٢ كيلا، ويصب في البحر جنوب جدة بقرابة عشرين كيلا، ويبعد من مكة ٧٠ كيلا.معجم المعالم الجغرافية {٢٨٨}.

(٣) معاني القرآن للزجاج {٢/ ٢٧٢} ولسان العرب مادة: غمر.

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن {١٥٧} تفسير الطبري {١١/ ٥٤٣}.

(٥) رواية خارجة عن نافع وأبي عمرو، وهي قراءة شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٩٤} الدر المصون {٥/ ٤٥}.

النون[١] فاعل تقطع، ومعناه: تقطع وصلكم، والبين من الأضداد ويكون وصلاً ويكون هجراً،[٢] ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الفلق: الشق الذي يشق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة،[٣] أو يشق الحبة اليابسة وكذلك النواة [٣٣٤/أ] فيخرج منها ورقاً أخضرا وبالعكس،[٤] والحب جمع الحبة، اسم لجميع الحبوب كالبر والذرة، وكل ما لا حب له، والنوى جمع نواة، وهي كل ما لم يكن حباً، كالتمر والمشمش.[٥] أو ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أي: خالق ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: تصرفون عن الحق.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: خالقُ النَّهار، أو شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل،[٦] والإصباح مصدر، كالإقبال والإدبار، وهو الإضاءة وهو الصبح،[٧] وهو أول ما يبدو من النهار، وقرئ: فالقَ، نصبا مدحا[٨] ومنادى أي: يا مبدي الصبح وموضحه، (وجاعل) الكوفيون ﴿وَجَعَلَ﴾ على وزن فعل ونصب ﴿ٱلَّيْلَ﴾ ومن بقي (وجاعل) على وزن فاعل، وجر ﴿ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾[٩] أي: مسكنا للخلق، وقرئ: جاعلَ، نصبا مدحا أيضا.[١٠]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٢}.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة: بين.

(٣) قول الحسن وقتادة والسدي، تفسير الطبري {١١/ ٥٥١} البغوي {٢/ ١٤٦}.

(٤) قاله الزجاج في معانيه، {٢/ ٢٧٣}.

(٥) انظر تفسير البغوي {٢/ ١٤٦}.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي {٤/ ١٧٢}.

(٧) قول الضحاك، تفسير البغوي {٢/ ١٤٦}.

(٨) وهي شاذة، الدر المصون {٥/ ٦٠}

(٩) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٣}.

(١٠) وهي شاذة، الدر المصون {٥/ ٦٠}

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم، لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، والحسبان مصدر كالحساب، وقرئ: فلق الإصباح وجعل الليل سكنا.[1] ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: خلقكم من آدم، ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، أي: فمنكم مستقِر ومنكم مستودِع، ومن بقي بفتحهما،[2] أي: فلكم مستقر ومستودع.

أي: مستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث،[3] أو مستقر في الأرحام ومستودع في أصلاب الآباء،[4] أو مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، أو مستقر على وجه الأرض ومستودع عند الله تعالى في الآخرة،[5] أو المستقر في القبر والمستودع في الدنيا،[6] أو المستقر القبر والمستودع الجنة والنار، ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ﴾ أي: من الماء، أو من النبات ﴿خَضِرٗا﴾ أي: أخضر، مما ينبت كالشعير وغيره، ﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ أي: بعضه على بعض، كسنابل الحنطة[٣٣٤/ب] والشعير وغيرهما من الحبوب، ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا﴾ الطلع: أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ جمع قنو، كصنوان وصنو، والقنو العذق، ولا نظير لهذين المثالين، أعني: قنوان وصنوان، ودانية: قريبة ينالها القائم والقاعد والنائم،[7] أو متدلية، أو ملتصقة بالأرض، وتقدير الكلام: ومن النخل ما قنوانها دانية وما هي بعيدة، فاكتفى بذكر القريب عن البعيد ﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ﴾ أي: فأخرجنا منه جنات من أعناب، وقرئ: جناتٌ،

---

(١) قراءة يحيى والنخعي وأبي حيوة، وهي شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٩٦} الدر المصون {٥/ ٥٩}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٦٠} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٣}.

(٣) قول ابن مسعود ﷺ، انظر: تفسير الطبري {١١/ ٥٦٣}.

(٤) قول سعيد بن جبير وعطاء، المصدر السابق، وتفسير البغوي {٢/ ١٤٦}.

(٥) قول مجاهد، المصدر السابق {١١/ ٥٦٥}.

(٦) قول الحسن، المصدر السابق {١١/ ٥٧١}.

(٧) انظر: مجاز القرآن {١/ ٢٠٣} معاني الزجاج {٢/ ٢٧٥}.

بالرفع[1] ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أي: وشجر الزيتون والرمان، ﴿مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ أي: مشتبهاً ورقها مختلفاً ثمرها؛ لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان،[2] أو مشتبه في النظر مختلف في المطعم، ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم هنا، ويس، جمع الثمار، والثمار جمع ثمر، والثمر جمع ثمرة، فيكون ثمر جمعَ جمعِ جمعٍ، ومن بقي بفتحهما جمع ثَمرة، كبقرة وبقر،[3] ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ أي: إدراكه ونضجه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ أي: الكافرون جعلوا لله شركاء، ﴿وَخَلَقَهُمۡۖ﴾ أي: وهو خلق الجن فكيف يكونون شركاؤه تعالى علوا كبيرا.

القراءة بنصب الجن، مفعولا أولاً لجعل، الثاني شركاء،[4] واللام في ﴿لِلَّهِ﴾ متعلقة بشركاء، وفائدة تقديم اسم الله تعالى: استعظام اتخاذ الشريك له تعالى، وقرئ: برفع الجن [على تقديرهم الجن، وقرئ: بجر الجن إضافة تبيين، ويجوز أنه أضاف الشركاء إلى الجن، لأن الجن كانوا يدخلون الأصنام فيعبدون بعبادتها، فيشركون في العبادة، فأضيف الأصنام إلى الجن لاشتراكهما][5] في العبادة،وقرئ: (وخلْقهم) بسكون اللام وفتح القاف،[6] أي: إفكهم افتراؤهم وما اختلقوه من الأصنام، وقرئ بسكون اللام وكسر القاف،[7] أراد المصدر فعطف الخلق على الله تعالى، أي: جعلوا الجن شركاء لله ولخلقهم، المعنى أشركوهم مع الله في خلقه إياهم، أو نزلت في الزنادقة، أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق، فقالوا: الله خالق النور والناس والدواب

---

(١) قراءة محمد بن أبي ليلى والأعمش وأبي بكر في رواية عنه عن عاصم والمطوعي والحسن، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٤٩٩} والدر المصون{٥/ ٧٥} وهي شاذة.

(٢) قول قتادة، تفسير الطبري {١١/ ٥٧٨}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٦١} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٥}.

(٤) أي: المفعول الثاني لجعل. وانظر معاني الزجاج {٢/ ٢٧٧}.

(٥) مابين المعكوفين زيادة من ب: وقراءة الرفع: قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب، وهي شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٥٠١} الدر المصون {٥/٨٥}.

(٦) قراءة يحيى بن يعمر، انظر: المحتسب {١/٢٢٤}.

(٧) انظر البحر المحيط، وهي شاذة، {٤/ ٢٤٩}.

والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب،[1] كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] أو إبليس من الجِنَّة،[2] ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ نافع بتشديد الراء على التكثير، ومن بقي بالتخفيف،[3] أي: اختلقوا له، وقرئ: وحرفوا، من التحريف[4] ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ يقال: خلق الإفك واختلقه وخرقه، واخترقه بمعنى،[5] كانت العرب إذا كذب الرجل كذبة نادى بعضهم لبعض: قد خرقها والله، أو هي من خرق الثوب، أي: اشتقوا له بنين وبنات، كقول اليهود عزير ابن الله، والنصارى المسيح ابن الله، وكفار العرب الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾ هذا تنزيه لعظمته وجلاله.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ أي: مبدعها من غير مثال سبق، وقرئ: بديعِ السموات، بالجر نعتا لله وفعله أبدع.[6] ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ﴾ أي: وكيف يكون له ولد؟ والصاحبة الزوجة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ﴾ أي: من الخلق، وهذا عام في اللفظ خاص في المعنى؛ لأنه لم يخلق ذاته ولا صفاته تعالى علاؤه وشأنه، وبكل شيء عليم، عام في اللفظ والمعنى، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ أي: شهيد، أو كفيل بأرزاقهم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي مرسلا بلا إسناد {٢٢١} والبغوي في التفسير {٢/ ١٤٧}.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٦١} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٥}.

(٤) وهي شاذة، قرأ بها ابن عباس وابن عمر ﷺ، المحتسب {١/ ٢٢٤}.

(٥) معاني الفراء {١/٣٤٨}.

(٦) قراءة المنصور، انظر: الدر المصون {٥/٨٨} وهي قراءة شاذة.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الإدراك الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته،[1] وقد توجد الرؤية ولا إدراك معها، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾ [الشعراء] فنفى الإدراك مع ثبوت الرؤية، وقد يكون الإدراك اللحوق،[2] كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠] والمنازعة في الرؤية بالعضو الباصر عند أهل التحقيق إنما هو في الدار الأخرى، وأما من يدعيه في دار الدنيا فلا اعتداد بقوله، ولا يضيَّع الوقت بجوابه.[3]

الزجاج: ليس في الآية دليل على دفع الرؤية، إذ الإدراك ههنا بمعنى الإحاطة.[4]

قلت: والأحاديث الصحيحة الواردة بثبوت الرؤية مشهورة، ويمكن الجمع بين هذه الآية وتلك الأحاديث بما تقدم.

ابن كيسان: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أخبر أن خلقه لا يدركون الأبصار، فكيف يدركونه وهو يدرك الأبصار؟ أي: لا يخفى عليه شيء،[5] أو يبصر مالا يبصر خلقه، ولا يبصر خلقه ما يبصر تعالى علاؤه وشأنه.

---

(١) انظر: البحر المحيط {٤/ ٢٥٢}.

(٢) الصحاح للجوهري، مادة:

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة إثبات رؤية الله عز وجل بالعضو الباصر يوم القيامة، ونفي الإدراك في الآية لا يقتضي نفي مطلق الرؤية، إذ ثمت فرق بين الرؤية والإدراك، والأدلة في ثبوت الرؤية، صريحة في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، كقوله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ سورة القيامة. وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] حيث فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الرب جلاله، وفي البخاري {٥٥٤} ومسلم {٦٣٣} عن النبي ﷺ ((**إنكم سترون ربكم عيانا**)) وغيرها من الأدلة الواردة في هذه المسألة. وانظر: تفسير ابن كثير {٣/ ٦٥} وأضواء البيان {٢/ ١٥٦}.

(٤) معاني القرآن {٢/ ٢٧٩}.

(٥) في (ب) زيادة [ولا يفوته شيء]

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ أي: اللطيف بأوليائه الخبير بهم،[1] أو اللطيف الرفيق بعباده،[2] أو الموصل إليك الشيء برفق وسهولة،[3] أو اللطيف الذي يُنسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء، يقال لطف الشيء يلطف لطفا، ولطف الله به، بضم الطاء[4] وفتحها. [٣٣٥/ب]

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ جمع بصيرة فعيلة بمعنى فاعلة و[فعيلة][5] وهي الحجج والبراهين، أو البصيرة الطريقة من الدم،[6] أو البصيرة: اسم لما اعتقد من الدين وتحقيق الأمر، أو ما يلبس من السلاح[7] ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي: من عرفها وآمن بها ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: عمل، ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فلم يعرفها ولم يصدقها فنفسه ضر، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤﴾ أي: إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي، والله الحفيظ عليكم أي: الرقيب الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: نفصلها ونبينها ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ أي: ولئلا يقولوا،[8] أو هذه اللام لام العاقبة أي: كان عاقبة أمرهم أن يقولوا، ابن كثير وأبو عمرو (دارست) بالألف، أي: قارأت أهل الكتاب، من المدارسة بين اثنين، أي: قرأت عليهم وقرؤوا عليك، وابن عامر (دَرَسَتْ) بفتح السين وسكون التاء أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت، من قولهم: دَرَسَ الأثر يدرُس دروسا، ومن بقي (دَرسْتَ) بسكون السين وفتح التاء من غير ألف،[9] ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥﴾ أي: نبين القرآن، أو تصريف الآيات ليشقى به قوم ويسعد به آخرون.

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير البغوي {٢/ ١٤٩}.

(٢) الصحاح، مادة: درك.

(٣) انظر لسان العرب، مادة: لطف.

(٤) في الأصل: التاء.

(٥) في الأصل: مفعيلة.

(٦) مجاز القرآن {١/ ٢٣٨} ومعاني القرآن للزجاج {٢/ ٣٩٧} وهي خطوط الدم وبقعه.

(٧) لسان العرب، مادة: بصر.

(٨) إعراب القرآن للنحاس {٢/ ٨٩}.

(٩) انظر: النشر {٢/ ٢٦١} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٥}.

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ أي: القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾ أي: فلا تجادلهم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ لما نزلت: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قال المشركون: يا محمد لتنتهينَّ عن سب آلهتنا أو لنسبنَّ ربك، فنزل: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (١)

أو لما حضرت أبا طالب الوفاة، قال أبو جهل لأصحابه: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فلينْهَ ابنَ أخيه عنا؛ فإنَّا نخاف إن قتلناه بعد موته تسبنا العرب، فجاؤوا إليه، وقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآلهتنا، فادعه وانهَه عن ذلك، وليدعْنَا وآلهتنا، وندعه وإلهه، فدعاه وقال: يا محمد، إن قومك يقولون: نريد أن تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك، فقد أنصفك القوم فاقبل منهم، فقال ﷺ: ((**أرأيتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها دانت لكم العجم؟**)) فقال أبو جهل: نعم، لنعطينَّكها [٣٣٦/أ] وعشرةً أمثالها، فما هي؟ فقال: ((**قولوا لا إله إلا الله**)) فأبوا، فقال أبو طالب: قل غيرها يابن أخي، فقال: ((**ما أقول غيرها، ولو أعطوني الشمس فوضعوها في يدي**)) فقالوا: لتكفَّنَّ عن آلهتنا، أو لنشتُمَنَّك ومن يأمرك بذلك، فنزل: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأوثان، ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ أي: اعتداء وظلماً، فلما نزلت هذه الآية قال ﷺ لأصحابه: ((**لا تسبوا ربكم**)) فأمسكوا عن سب آلهتهم.(٢) ولما كان سب الأصنام يؤدي إلى سب الله تعالى، قال ﷺ: ((**لا تسبوا ربكم**)).

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ أي: كتزييننا لهؤلاء المشركين، من عبادة الأوثان وغيرها، من الخير والشر ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ أي: فيجازيهم.

قالت قريش: يا محمد، إن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر، فتنفجر منه الأنهار، وكان عيسى يحيي الموتى، فأْتنا بشيء من الآيات حتى نصدقَك، فقال ﷺ: ((**أي شيء تحبون؟**)) قالوا: تجعل الصفا ذهباً، وتبعث لنا بعض موتانا حتى نسأله، أحق قولك أم باطل، أو أرنا الملائكة عيانا يشهدون لك، قال: ((**إنْ فعلت أتصدقونني؟**)) قالوا: نعم، والله لئن فعلت

---

(١) أخرجه الطبري عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، {١٢/ ٣٣} والواحدي في الأسباب {٢٢١}.

(٢) أخرجه الطبري عن السدي، {١٢/ ٣٤} والواحدي في الأسباب مرسلا {٢٢٢}.

لنتبعنَّك أجمعون، فقام ﷺ يدعوا الله بذلك، فجاءه جبريل فقال له: ما شئت، إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال ﷺ: ((**بل حتى يتوب تائبهم**)) فنزل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [1] أي: حلفوا أَوْكد ما قدروا عليه من الأيمان، وإذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه.

﴿لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ يا محمد ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يدريكم، والخطاب للمشركين؛ لأنهم هم الذين أقسموا، أو للمؤمنين. ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (إنها) بكسر الهمزة على الابتداء، إذ قد تم الكلام على ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ فمعناها عند من جعل الخطاب للمشركين: وما يشعركم أيها المشركون أنها لو جاءت آمنتم؟

ومن جعل الخطاب للمؤمنين فمعناه: وما يشعركم أيها المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ [٣٣٦/ب] أن يدعو حتى يريَهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا، فخاطبهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا في قوم مخصوصين، حُكم عليهم بأن لا يؤمنوا، ومن بقي فتح الهمزة وجعلوا الخطاب للمؤمنين.[2]

والمعنى: وما يشعركم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت المشركين يؤمنون؟ ولا زائدة، أو أنها بمعنى لعلها، وقرئ بها،[3] ومنه قولهم: اذهب إلى السوق إنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك، أو معناها: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟[4]

ابن عامر و حمزة (تؤمنون) بالتاء، على خطاب الكفار؛ اعتبارا بما قرئ: إذا جاءتكم لا تؤمنون، ومن بقي بالياء على الخبر.[5]

---

(١) أخرجه الطبري عن محمد بن كعب القرظي مرسلا {٣٨/١٢} والواحدي في الأسباب بسنده عنه أيضا، {٢٢٢}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٦١} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٦}.

(٣) وهي قراءة أبي بن كعب ﷺ، وهي قراءة شاذة، إتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٦}.

(٤) انظر في معنى الآية: تفسير البغوي {٢/ ١٥١}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٦١} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٦}.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: نَحُول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات لما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات،[1] أو ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: معجزات موسى، وتقدير الكلام: فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، أو المرة الأولى الدنيا،[2] أي: لو ردوا إلى الدنيا لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في دار الدنيا قبل الموت، أو أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون.[3] ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠﴾ أي: في كفرهم وضلالتهم يمضون عمهة لا يبصرون.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: كما أرادوا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ أي: وجمعنا، نافع وابن عامر ﴿قُبُلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينةً، يقال: لقيته قِبلا وقبالا ومقابلة، أي: عيانا، وقرئ: قُبْلاً، بضم القاف وسكون الباء،[4] ومن بقي بضم القاف والباء جمع قبيل،[5] أي: فوجا فوجاً، أو بمعنى المقابلة والمواجهة،[6] يأمرونهم بالتوحيد، ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١﴾ أي: أنه الحق من الله تعالى.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ أي: أعداء، والمعنى: كما أرسلناك لهؤلاء، فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا، وفيه تعزية لرسوله ﷺ، ثم فسر الأعداء بقوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أي: التي مع الجن والإنس؛ لأن إبليس فرق جنده فريقين، فبعث فريقاً في الجن، وفريقاً في الإنس، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ [٢٣٧/ب] ولأولياء الله تعالى، فهم يلتقون في كل حين، فيقول شياطين الإنس لشياطين الجن: أضللت صاحبي بكذا، فأضل صاحبك بمثله، وتقول شياطين

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {١٢/ ٤٤}.

(٢) أخرجه الطبري من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، {١٢/ ٤٥}.

(٣) قاله عطاء، تفسير البغوي {٢/ ١٥٢}.

(٤) قراءة شاذة، إعراب القراءات الشواذ {١/ ٥٠٩}.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٧}.

(٦) معاني القرآن للفراء {١/ ٣٥٠} وتفسير الطبري {١٢/ ٤٨}.

الجن لشياطين الإنس أيضا كذلك،[١] أو من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، وكل عات مارد يسمى شيطانا.[٢]

وري أنه ﷺ قال لأبي ذر: **((هل تعوذت بالله من شيطان الإنس؟))** قال: وللإنس شيطان؟ قال ﷺ: **((هم شر من شيطان الجن)).**[٣]

مجاهد: إن شيطان الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه، ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه.[٤]

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يلقي، ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ أي: مموها من القول مزين بالباطل، وكل شيء زينته وحسنته، فهو زخرف،[٥] أي: الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ما ألقاه الشيطان من الوسوسة في القلوب. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ هذا منسوخ.[٦]

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: تميل، والصغو: الميل، يقال: صغى يصغي، صغاً، مثل عصا بفتح عين المستقبل وكسر عين ماضيه وبفتح عينهما معا، ويقال أيضا: صغى يصغو صغواً وصغى وأصغى واحد،[٧] وقرئ: ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾ بضم التاء والإمالة على المجهول،[٨] والهاء عائدة إلى الزخرف، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أي: ليكتسبوا، أو ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون، والقرف التهمة، يقال قرفه بفاحشة اتهمه.[٩]

---

(١) قاله عكرمة والضحاك والسدي والكلبي، تفسير الطبري {١٢/ ٥٢} والبغوي {٢/ ١٥٢}.

(٢) قاله قتادة ومجاهد والحسن، المرجع السابق.

(٣) أخرجه أحمد {٢١٥٤٦- ٢١٥٥٢} والنسائي {٥٥٠٧} الطبري {١٢/ ٥٣} من حديث أبي ذر ﷺ، وبطرق الحديث، ومجموعها يتقوى الحديث، كما قال ابن كثير، والله أعلم. تفسير ابن كثير {٣/ ٧٤}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٥٢}.

(٥) مجاز القرآن {١/ ٢٠٥}.

(٦) عند من يرى نسخها بآية السيف، والصحيح أنها أحوال تختلف، والله أعلم.

(٧) انظر: لسان العرب، والمفردات، مادة: صغا.

(٨) قراءة النخعي والجراح بن عبد الله، الدر المصون {٥/ ١٢٠} وهي قراءة شاذة.

(٩) مجاز القرآن {١/ ٢٠٥}.

قل يا محمد ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ أي: أطلب قاضياً؛ لأنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً فأجابهم بهذا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ أي: القرآن مبيَّناً ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: علماء اليهود والنصارى، أو هم مؤمنو أهل الكتاب، أو هم رؤساء أصحاب النبي ﷺ،[1] والمراد بالكتاب القرآن على هذا، ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ﴾ أي: القرآن، ابن عامر وحفص﴿مُنَزَّلٞ﴾ بالتشديد من التنزيل؛ لأنه نزل نجوماً متفرقة، ومن بقي بالتخفيف.[2]

﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤﴾[3] أي: الشاكين.

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ الكوفيون ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير ألف على التوحيد، ومن بقي بالجمع،[4] والمراد بالكلمات: أمره ونهيه ووعده ووعيده، ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ أي: صدقاً في الوعد والوعيد، وعدلاً في الأمر والنهي، أو صدقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم،[5] ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ ﴾ أي: لا راد لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ أو المراد بالكلمات القرآن لا يزاد فيه ولا ينقص منه.

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: عن دين الله تعالى، أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، أو أنهم جادلوا رسول الله ﷺ في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله تعالى؟[6] أي: وإن تطعهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله تعالى، أو هم رؤساء أهل مكة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ أي: أن دينهم إنما هو ظن لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ أي: يكذبون في قولهم إن ما ذبح لله تعالى خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم.

---

(١) قاله عطاء، تفسير البغوي {٢/ ١٥٣}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٨}.

(٣) نهاية اللوحة[٣٣٧/ ب] عند قوله تعالى: (الحق).

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٨}.

(٥) قاله قتادة ومقاتل، تفسير الطبري {١٢/ } البغوي {٢/ ١٥٣}.

(٦) معاني الفراء {١/ ٣٥٢}.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ موضع من، رفع بالابتداء، ولفظها استفهام، معناه: إن ربك هو أعلم، أي: الناس يضل عن سبيله.[1]

أو نصب بنزع حرف الجر،[2] وقرئ: يُضل، بضم الياء، من أضل يضل.[3]

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾ أي: بالمهتدين والضالين، فيجازي كلاً بما يستحقون.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: مما ذبح على اسم الله، ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ لأنهم كانوا يُحَرِّمون أصنافاً من النعم ويُحِلُّون الأموات، فقيل لهم: أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله تعالى.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾ أي: وما يمنعكم من أن تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: من الذبائح، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الكوفيون ونافع ﴿فَصَّلَ﴾ بفتح الفاء والصاد وضم الفاء، وكسر الصاد من بقي، ونافع وحفص ﴿مَّا حَرَّمَ﴾ بفتح الحاء والراء، وضم الحاء وكسر الراء من بقي،[4] ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: من هذه المحرمات المذكورة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الآية، فإنه حلال لكم عند الضرورة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾[٢٣٨/أ] الكوفيون بضم الياء، وكذلك ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ في يونس [٨٨] لقوله: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أو المراد عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين، الذين اتخذوا البحائر والسوائب، ومن بقي بفتحها،[5] أي: معناه: ليضلون هم ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾ أي: المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أي: جميع الذنوب؛ إذ لا تخلو من هذين القسمين، أو ظاهره الزنا وباطنه المخالة للنساء،[6] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ١٢٠﴾ أي: يكتسبون.

---

(١) معاني الزجاج {٢/ ٢٨٦}.

(٢) انظر: البحر المحيط {٤/ ٤٧}.

(٣) قرأ بها الحسن وابن أبي شريح ونصير عن الكسائي، المحتسب {١/ ٧٨} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٨} وهي شاذة.

(٤) انظر هذه القراءات في النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٨}.

(٥) انظر المرجعين السابقين.

(٦) قاله الكلبي، تفسير الثعلبي {٢/ ١٨٥}.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ابن عباس: هي في تحريم الميتات، أو ما في معناها كالمنخنقة، أو هي في تحريم الذبائح على اسم الأصنام.(١)

وإذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله تعالى على الذبيحة، حَرُمت الذبيحة عامدا ترك التسمية أو ناسياً، عند ابن سيرين والشعبي، لظاهر الآية.(٢) ذهب ابن عباس إلى تحليلها وكذلك مالك والشافعي وأحمد.(٣)

وعند الثوري وفقهاء الكوفة إن تركها عامداً لا تحل، وإن كان ناسياً تحل،(٤) ومن أباحها جعل المراد من الآية الميتات، وما ذبح على اسم غير الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ والفسق في ذكر اسم غير الله تعالى، والحجة لمن أباحها، قوله ﷺ حين سُئل أن أقواماً حديثي عهد بشرك، يأتونا بلحمان لا ندري أيذكرون اسم الله تعالى عليها أم لا؟ فقال ﷺ: **((اذكروا أنتم اسم الله تعالى وكلوا))**.(٥)

ولو كانت التسمية شرطاً للإباحة، لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها، كالشك في أصل الذبح. ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ أي: إن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليحاجوكم؛ لأن المشركين قالوا: يا محمد الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال ﷺ: **((الله تعالى))** قالوا: أفتزعم أن ما قتلته أنت والصقر والبازي والكلب حلال، وما قتله الله حرام؟ فنزلت هذه الآية.(٦)

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ أي: في أكل الميتة، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ الزجاج: فيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله تعالى، أو حرم شيئا مما أحل الله تعالى فهو مشرك.(٧)

---

(١) والقول الثاني لعطاء، وانظر تفسير الطبري {١٢/ ٧٧}.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي {٢/ ٢٧١} والقرطبي {٧/ ٥٠}.

(٣) المرجع السابق، الأم للشافعي {٢/ ٢٤٩}.

(٤) أحكام القرآن للجصاص {٤/ ١٧٣}.

(٥) أخرجه البخاري {٢٠٥٧- ٥٥٠٧}.

(٦) أخرجه الطبري {١٢/ ٧٩- ٨٠} والواحدي في أسباب النزول {٢٢٣}.

(٧) معاني الزجاج {٢/ ٢٨٧}.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ أي: ضالاً فهديناه، أي: كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، [٣٣٨/ب] ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ أي: يستضيء به، والنور هو الإسلام، أو كتاب الله تعالى،[1] ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ المثل زائد، أي: أمَّن هو كذا، كمن هو في الظلمات؟ لأن الظاهر يوقع التشبيه على نظير لهذا الكافر، وإن صححت المثل، كان تقديره: أهذا المؤمن كمن لو شبه بشيء كان يشبهه في الظلمات؟ وهذه الهمزة للتقرير، دخلت على واو العطف فبقيت على فتحها، وفيه إنكار على من يسوي بين حاليهما. ﴿لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ أي: من ظلمة الكفر.

ابن عباس: جعلنا له نوراً يمشي به، يعني حمزة، كمن مثله في الظلمات يعني أبا جهل، لأن أبا جهل رمى سلا جزور على رسول الله ﷺ، فأُخبر حمزة بذلك بعد عوده من قنصه وفي يده قوسُه، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه، ويقول: يا أبا يعلى ما ترى ما جاء به؟ سفَّه عقولنا وسب آلهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة؟ أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فنزلت هذه الآية،[2] أو نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل،[3] أو في عمار بن ياسر وأبي جهل.[4]

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ ابن عباس: زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.[5]

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾ أي: كما أن فساقَ مكة أكابرُها، كذلك جعلنا فساقَ كل قرية أكابرَها، وأكابر جمع أكبر، أي: عظماؤها، وسنة الله تعالى أن يجعل في كل قرية أتباعَ الرسل ضعفاءَهم، ويجعل فساقَهم أكابرَهم، ﴿لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ﴾ لأنهم كانوا يقولون لكل من يقدم إلى مكة: إياك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب. ﴿وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ أي: وبال مكرهم إنما يعود عليهم ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ١٢٣﴾.

---

(١) قاله قتادة، تفسير البغوي {٢/ ١٥٦}.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرسلا {٢٢٤} والبغوي في التفسير {٢/ ١٥٦}.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول {٢٢٤} والسيوطي في الدر المنثور {٦/ ١٩٣}.

(٤) أخرجه الطبري عن عكرمة {١٢/ ٩٠} وأورده البغوي عن عكرمة والكلبي {٢/ ١٥٦}.

(٥) المرجع السابق، والعبرة بعموم اللفظ، فتشمل من ذكر وغيرهم.

قال الوليد بن المغيرة: لو كانت النبوة حقاً، لكنتُ أحق بها منك؛ لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً، فنزلت ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ ﴾ [1] أي: حجة على صدق محمد ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ أي: من النبوة، أو نزلت حين قال أبو جهل: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً حتى يأتينا وحي كما يأتيه. [2]

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ أي: الله أعلم بمن يستحق الرسالة، ابن كثير وحفص، ﴿رِسَالَتَهُۥ ﴾ على التوحيد، ومن بقي على الجمع، [3] ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ﴾ الصَّغار والصَّغَارة والصغر والصُّغْرَان واحد، أي: ذلٌ وهوان. [4] ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ﴾ أي: من عند الله تعالى، ﴿بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ أو صغار في الدنيا وعذاب شديد في الأخرى.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾[٣٣٩/أ] أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام، سئل ﷺ عن شرح الصدر، فقال: **((نورٌ يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح))** قيل: فهل لذلك أمارة؟ قال: **((نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت))** [5]

﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ ابن كثير ﴿ضَيِّقًا﴾ هنا والفرقان بالتخفيف، ومن بقي بالتشديد للياء وكسرها في السورتين، لغتان كهيِّن وهيْن، [6] نافع وأبو بكر ﴿حَرَجٗا﴾ بكسر الراء،

---

(١) ذكره الثعلبي {٤/ ١٨٧} والبغوي بلا إسناد {٢/ ١٥٧}.

(٢) ذكره الثعلبي {٤/ ١٨٧} والبغوي مرسلا عن مقاتل بلا إسناد {٢/ ١٥٧}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٢٩}.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: صغر.

(٥) أخرجه الطبري من طرق {١٢/ ٩٨- ١٠٢} عن أبي جعفر المدائني مرسلا، ومن طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود ﷺ، والبيهقي في الأسماء والصفات {٣٢٥-٣٢٦} وقال: هذا منقطع. والحديث ضعيف؛ لأن فيه: عبد الله بن المسور، ضعيف كذاب. وانظر تعليق الشيخ محمود شاكر، على الحديث في تفسير الطبري.

(٦) والموضع الذي في سورة الفرقان آية [١٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا ﴾.

ومن بقي بفتحها، لغتان كالدنَف والدنِف،[1] أو هو بالفتح المصدر كالطلب، أي: ذا حرج، وبالكسر الاسم، وهو أشد الضيق، أي: لا يدخل الإيمان قلبه لضيقه. أو ليس فيه منفذ،[2] أو إذا سمع ذكر الله تعالى اشمأز قلبه، فإذا ذكرت له الأصنام ارتاح لذلك قلبه،[3] أو هو من الحرجة، وهي شجرة تكون بين الشجر لا يصل إليها شيء من الراعية وغيرها، فكأن قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.[4]

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾ ابن كثير بالتخفيف، وأبو بكر عن عاصم ﴿يَصَّاعَدُ﴾ بألف بعد الصاد مع تشديدها، أي: يتصاعد، ومن بقي بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد،[5] أي: يصعب عليه الإيمان كما يصعب عليه الصعود إلى السماء، وأصل الصعود المشقة.

---

(١) وانظر هذه القراءات في النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٠}.

(٢) قاله عطاء والكلبي، تفسير الطبري {١٢/ ١٠٥} والبغوي {٢/ ١٥٨}.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، المرجع السابق.

(٤) هذا سؤال سأله عمر ﷺ أحد الأعراب من كنانة: ما الحرجة فيكم؟ فأجاب. والجملة الأخيرة من قول عمر ﷺ، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {١٢/ ١٠٤} ولسان العرب، مادة: حرج.

(٥) النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٠}.

﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ ابن عباس: الرجس الشيطان،[(١)] أي: يسلطه الله تعالى عليه. أو هو المأثم، أو ما لا خير فيه. أو العذاب، أو النجس.[(٢)] أو هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الأخرى.[(٣)]

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ أي: الذي بيَّنا. أو الذي أنت عليه يا محمد، هو الإسلام طريق مستقيم لا عوج فيه، ومستقيما نصب حال؛ إذ قد تم الكلام دونه ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ أي: الجنة؛ لأن السلام الله تعالى، وداره الجنة،[(٤)] وسميت بدار السلام؛ لأن من دخلها سلم من البلايا والرزايا، أو لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، أو لسلامتها من الآفات والعاهات. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي: يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ حفص بالياء المعجمة الأسفل في جميع القرآن، إلا الأول من هذه السورة، والأول من يونس، ووافقه ابن كثير في الفرقان،[(٥)] أي: يحشر الله تعالى[٣٣٩/ب] الجن والإنس، أي: يجمعهم في موقف القيامة، أو المراد بالجن: الشياطين، ﴿جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ أي: فيقال: يا معشر الجن قد استكثرتم من إضلال الإنس وإغوائهم ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أي: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ كان الرجل إذا سافر بأرضٍ قفرٍ فخاف، يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم، فهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس هو أنهم قالوا: قد سدنا الإنس مع الجن، حتى عاذوا بنا، فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم،[(٦)]

---

(١) ورجحه الطبري {١٢/ ١١١}.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري {١٢/ ١١١} والبغوي {٢/ ١٥٨}.

(٣) قاله الزجاج {٢/ ٢٩٠}.

(٤) قاله السدي، تفسير الطبري {١٢/ ١١٤}.

(٥) النشر {٢/ ٢٦٢} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣١- ٣٠٦} وموضع يونس آية:٢٨، وموضع الفرقان آية: ١٧.

(٦) قاله الكلبي ومقاتل والفراء، معاني الفراء {١/ ٣٥٤} وتفسير البغوي {٢/ ١٥٩} وزاد المسير {٣/ ١٢٣}.

أو استمتاع الإنس بالجن هو ما كانوا يلقون إليهم من السحر والكهانة والأراجيف، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من المعاصي،[1] أو هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم بعضا.[2] ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي: يوم القيامة والبعث، ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: هم في النار خالدون إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، أو يرجع الاستثناء إلى العذاب، تقديره: النار مثواكم خالدين فيها سوى ما شاء الله تعالى من أنواع العذاب.[3]

ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق علم الله تعالى فيهم أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ فيخرجون من النار.[4] و(ما) على هذا التأويل بمعنى (من) ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ أي: عليم بما استثناه، وبما في قلوبهم من البر والتقوى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، كذلك نسلط بعض الظالمين على بعض، فيأخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: **((من أعان ظالماً سلطه الله تعالى عليه))**.[5]

أو نولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، ونولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، أي: نكل بعضهم إلى بعض.[6]

ابن عباس: إذا أراد الله بقوم خيراً ولى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم.[7]

---

(١) روى هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الزجاج، المصدر السابق، ومعاني الزجاج {٢/ ٢٩١}.

(٢) قاله محمد بن كعب، تفسير البغوي {١٥٩/٢}.

(٣) معاني الزجاج {٢/ ٢٩١}.

(٤) تفسير الخازن {١٥٧/٢}.

(٥) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، وعزاه لابن عساكر في تاريخه {١٠٦٣} وفي إسناده الحسن بن زكريا العدوي، متهم بالوضع، وذكره ابن كثير في تفسيره {٣/ ٩١} وقال: هذا حديث غريب. ومعنى الحديث صحيح، والله أعلم.

(٦) عن ابن زيد، تفسير الطبري {١٢/ ١١٩}.

(٧) رواه الكلبي عن أبي صالح عنه، تفسير البغوي {٢/ ١٦٠}.

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ الضحاك: أرسل إلى الجن منهم، احتجاجا بظاهر الآية.[1] غيره: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، وهم قوم يبلغون الجن ما سمعوا وليس من الجن رسل،[2] فعلى هذا قوله تعالى:[٣٤٠/أ]﴿مِّنكُمۡ ﴾ ينصرف إلى أحد الصنفين، كقوله تعالى: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [سورة الرحمن ﷺ: ٢٢] وإنما يخرج من الملح دون العذب، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح: ١٦] وإنما هو في سماء واحدة.[3]

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ أي: يقرؤون عليكم كتبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ هو يوم القيامة، ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ ﴾ أي: أنهم قد بلغوا، وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: فلم يؤمنوا، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ ﴾ ذلك إشارة إلى المذكور من أمر الرسل وعذاب من كذبهم، أي: لم يكن الله تعالى يهلك القرى بشرك من أشرك، ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ أي: من غير أن يبعث فيهم رسلا ينذروهم، بل لابد من بعثه الرسل فيهم؛ إقامة للحجة عليهم، والتقدير: لم يكن الله تعالى ليهلكهم إلا بعد التنبيه والتذكير بالرسل؛ لأنه تعالى إنما يأخذ بعد وجود الذنب، وذلك إنما يوجد بالأمر والنهي، والأمر والنهي إنما يوجدان بالرسل.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ أي: من الثواب والعقاب، فدرجاتهم فيها متفاوتة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾ ابن عامر بالتاء خطابا ومن بقي بالياء غيبة.[4]

﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ ﴾ ابن عباس: ذو الرحمة بأوليائه وأهل طاعته، أو ذو الرحمة بخلقه، أي: المتجاوز عنهم،[5] ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ ﴾ أي: يهلككم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ أي: يخلق وينشئ، خلقاً غيركم أطوع منكم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾

(١) تفسير الطبري {١٢/ ١٢١}.

(٢) تفسير البغوي {٢/ ١٦٠}.

(٣) معاني الفراء {١/ ٣٥٤} والمرجع السابق.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٦٣} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣١}.

(٥) الوجه الثاني عن الكلبي، وانظرهما في تفسير البغوي {٢/ ١٦١}.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ أي: من قيام الساعة والحشر، كائن لا محالة، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾ أي: بفائتين، بل تُدركون، عجزني وأعجزني[واحد، أو عجزني][1] وأعجز مني سواء.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: قل يا محمد: اعملوا على تمكنكم، أو على حالاتكم، يقال للرجل: على مكانتك، أي: اثبت على حالك. الزجاج: المعنى اعملوا على ما أنتم عليه.[2]

وهذا أمر وعيد، يقول: اعملوا على ما أنتم عليه، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أبو بكر عن عاصم (مكاناتكم ومكاناتهم) بالجمع حيث كان ومن بقي بالتوحيد[3] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ إلى الجنة، حمزة والكسائي (يكون) بالياء هنا والقصص، ومن بقي بالتاء لتأنيث العاقبة.[4][٣٤٠/ب] ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝١٣٥﴾ أي: لا يسعد من أشرك وكفر، أو لا يفوز.[5]

كان المشركون يجعلون لله نصيباً من أموالهم، وللأوثان نصيباً، فنصيب الله تعالى يصرف إلى الضيفان، ونصيب الأصنام للأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى فيما جعلوه للأصنام تركوه، وقالوا: إن الله غني، وإن سقط شيء مما جعلوه للأصنام فيما جعلوه لله تعالى ردوه، وقالوا: إنها محتاجة، وإذا هلك شيء مما جعلوه لله تعالى لم يبالوا به، وما جعلوه للأصنام جبروه مما لله تعالى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾[6] تقديره: وجعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً.

﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ الكسائي بضم الزاء، ومن بقي بفتحها، لغتان،[7] والزعم القول من غير حقيقة.[8] ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ أي: الأوثان.

---

(١) ساقط في الأصل، والمثبت من (ب) وانظر: مجاز القرآن {١/ ٢٠٦} ولسان العرب، مادة: عجز.

(٢) معاني الزجاج {٢/ ٢٩٣}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٦٣} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣١}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٦٣} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٢} والموضع الذي في القصص [آية: ٣٧].

(٥) الوجه الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثاني عن الضحاك، تفسير البغوي {٢/ ١٦٢}.

(٦) انظر: تفسير الطبري {١٢/ ١٣١ - ١٣٢} والبغوي {٢/ ١٦٢}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٦٣} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٢}.

(٨) وقيل: قد يكون حقا وقد يكون باطلاً. الصحاح، واللسان، مادة: زعم.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ معناه: ما تقدم من حكاية فعلهم، أو كانوا إذا أصابتهم سِنة استعانوا بنصيب الله تعالى وأكلوا منه، ووفروا نصيب الأصنام ولم يأكلوا منها شيئاً.[1] ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦﴾ أي: بئس ما يقضون.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: مثل ما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين للمشركين، ﴿قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أي: شياطينهم زينوا لهم وأد البنات، وسميت الشياطين شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى، وأضيف الشركاء إليهم؛ لأنهم اتخذوها،[2] أو شياطينهم سدنة الأصنام، كانوا يزينون للمشركين قتل الأولاد، فكان أحدهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كحلف عبد المطلب.[3]

ابن عامر:[(زين) لهم، بضم الزاي وكسر الياء، (قتل) برفع اللام، (أولادَهم) بنصب الدال، (شركائهم) بجر الهمزة، على التقديم، والتقدير:][4] (زُين لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادَهم) ومثله:

فزججته بمزجَّة زجَّ القلوصَ أبي مزادة

أي: زج أبي مزادة القلوصَ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهم الأولاد، وأضيف القتل إلى الشركاء، وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زينوه ودعوا إليه، فكأنهم فعلوه.[5] ومن بقي بفتح الزاء والياء ونصب اللام مفعولا، وجر الراء إضافة، ورفع الهمزة فاعلا.[6]

(١) قاله قتادة، تفسير البغوي {٢/ ١٦٢}.

(٢) قاله مجاهد، المرجع السابق.

(٣) قاله الكلبي، المرجع السابق.

(٤) مابين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من (ب).

(٥) وانظر في هذه المسألة: معاني الفراء {١/ ٣٥٨} والدر المصون {٥/ ١٦٢} والنشر {٢/ ٢٦٣}.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٦٣} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٢}.

تلخيصه ومعناه: أن الشركاء زينوا لكثير من المشركين قتلَ أولادهم، وقرئ: زين، مجهولا ورفع اللام مفعولا لم يسم فاعله ورفع الهمزة فاعل فعل مضمر، دل عليه زين المجهول،[١] كأنه لما [قيل: زين للمشركين قتل أولادهم، قيل من زينه؟ فقيل: زينه][٢] شركاؤهم، وقرئ: أيضا زين مجهولا ورفع قتل مفعولا لم يسم فاعله، وجر أولادهم لإضافة قتل إليهم وجر شركائهم من أولادهم؛[٣] لأن أولادهم يشاركونهم في عيشهم [ودينهم][٤] ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم وليخلطوا عليهم دينهم أو ليدخلوا عليهم الشك في [٣٤١/أ] دينهم؛ لأنهم كانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير يعود إلى المذكور من قتل الأولاد وتحريم الحرث والأنعام. يا محمد ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)﴾ أي: يختلقون من الكذب، فيقولون: الله أمرهم بدفن البنات وتحريم الحرث والأنعام.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: ما جعلوه لآلهتهم حرام، كما تقدم ذكره، أو المراد بالأنعام: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام،[٥] ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: النساء دون الرجال، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي: الحوامي كانوا لا يركبونها، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ بل يذبحونها باسم الأصنام، ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)﴾ أي: يزعمون أن الله تعالى أمرهم بذلك.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ المراد أجنة البحائر والسوائب، فما ولد منها حياً فهو مختص بالرجال دون النساء، وما ولد ميتاً فللرجال والنساء جميعاً.[٦]

---

(١) قراءة أبي عبد الرحمن السلمي، المحتسب {٢٢٩/١} وهي شاذة.

(٢) مابين المعكوفين ساقط من الأصل، والزيادة من (ب).

(٣) وهي شاذة، معجم القراءات القرآنية {٢/ ١٣٨}.

(٤) مطموس في الأصل والتصحيح من (ب).

(٥) قول مجاهد، تفسير الطبري {١٢/ ١٣٩}. وتقدم معناها في سورة المائدة ص {٤٠٩}.

(٦) قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة والشعبي تفسير البغوي {٢/ ١٦٣}.

والهاء في ﴿خَالِصَةٌ﴾ مبالغة للتأكيد كالخاصة والعامة، كنسابة وعلامة، أو دخلت لتأنيث الأنعام؛ إذ ما في بطونها مثلها،[١] أو خالص وخالصة واحد، كوعظ وموعظة.[٢]

وقرئ: خالصةً، نصب حال على نية التقديم،[٣] كأنه قال: ما في بطون هذه الأنعام لذكورنا خالصةً، وقرئ: خالِصُه لذكورنا، بالإضافة،[٤] وقرئ: خالص بغير هاء،[٥] ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ ابن عامر (تكن) بالتاء المعجمة الأعلى ورفع (ميتة) إذ هي مؤنثة في اللفظ، وأبو بكر عن عاصم بالتاء أيضا مع نصب ﴿مَّيْتَةً﴾ أي: وإن تكن الأجنة ميتةٌ، وابن كثير بالياء المعجمة الأسفل ورفع ﴿مَّيْتَةً﴾ أي: وإن يقع ما في البطون ميتٌ، ومن بقي بالياء ونصب ميتة، أي: وإن يكن ما في البطون ميتة،[٦] بدليل قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ ولم يقل فيها، أي: يشترك فيه، أي: ما في البطون الرجال والنساء، ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله تعالى. ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ﴾ [٣٤١/ب] ابن كثير وابن عامر بالتشديد للتكثير، ومن بقي بالتخفيف.[٧] ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً. نزلت في ربيعة ومضر ومن كان يدفن البنات أحياء.[٨]

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ حيث قالوا: إن الله أمرهم بذلك، ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

---

(١) قول الفراء، {١/ ٣٥٨}.

(٢) قول الكسائي، تفسير البغوي {٢/ ١٦٣}.

(٣) وهي شاذة، قرأ بها ابن عباس رضي الله عنهما، والأعرج وقتادة، المحتسب {١/ ٢٣٢}.

(٤) أي: أن الهاء مضافة إلى ضمير ما، وهي قراءة شاذة، قرأ بها ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو رزين وعكرمة وأبو حيوة، المرجع السابق.

(٥) وهي شاذة، قرأ بها ابن عباس رضي الله عنهما، والأعمش، المرجع السابق.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٦٥-٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٥-٣٦}.

(٧) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٦}.

(٨) قول عكرمة تفسير الطبري {١٢/ ١٥٤}.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ﴾ المعروش: ما انبسط على وجه الأرض وانتشر، كالبطيخ، وغير المعروش: ما قام على ساق وارتفع، كالنخل والزرع.[1]

أو هما، الكرم خاصة، منه ما عرش ومنه ما لم يعرش.[2] ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: ثمره منه الحلو والحامض، والجيد والرديء، ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ أي: متشابها في المنظر، وغير متشابه في المطعم ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ هذا أمر إباحة، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ الحرميان وحمزة والكسائي بكسر الحاء، ومن بقي بالفتح لغتان، كالصَّرام والصِّرام والجَداد والجِداد،[3] وهي الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر،[4] أو هو حق في المال سوى الزكاة، أمر بإتيانه؛ لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة،[5] أو هو [الضِّغْث][6] يفرق على المساكين،أو هو لقاط السنبل،أو كانوا يعلِّقون العذق عند الصرام فيأكل منه من شاء،[7] أو كان حقاً يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام، ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر.[8] أو نسخت الزكاة كل آية نفقة في القرآن.[9]

---

(١) زاد المسير {٣/ ١٣٤}.

(٢) تفسير الطبري {١٢/ ١٥٦}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٦}.

(٤) روي عن أنس بن مالك وابن عباس ﷺ وسعيد بن المسيب والحسن وطاووس وجابر بن زيد وابن الحنفية وقتادة، وغيرهم، تفسير الطبري {١٢/ ١٥٨- ١٦١} وزاد المسير {٣/ ١٣٥}.

(٥) قاله علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد، تفسير الطبري {١٢/ ١٦٢- ١٦٨} وزاد المسير {٣/ ١٣٥}.

(٦) في الأصل [الضعف] والمثبت من ب، والمصدر. وهو قول إبراهيم، تفسير الطبري {١٢/ ١٦٥} ومعناه: ملء اليد من الحشيش المختلط، وما أَشبهه من البُقول. انظر: لسان العرب، مادة: ضغث.

(٧) انظر: تفسير الطبري {١٢/ ١٦٤- ١٦٧}.

(٨) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، واختاره الطبري، المرجع السابق {١٢/ ١٦٨}.

(٩) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، المرجع السابق، وتفسير البغوي {٢/ ١٦٤}قال ابن كثير رحمه الله: وفي تسمية هذا نسخًا نظر؛ لأنه قد كان شيئًا واجبًا في الأصل، ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المُخرج وكميته. قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم. اهـ {٣/ ٩٩} قال الشنقيطي رحمه الله: ومراده أن شرع الزكاة بيان لهذا الحق لا نسخ له. أضواء البيان {٢/ ١٦٢}.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾ أي: لا تعطوا الجميع.

أو نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، إذ صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد، ولم يترك لأهله شيئاً،[١] وإذا أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف؛ لقوله ﷺ **(ابدأ بمن تعول)**.[٢]

أو معناه لا تمنعوا الصدقة، أي: لا تجاوز الحد في الإمساك حتى تمنعوا الواجب، أو لا تنفقوا في المعصية. ولو كان مثل أبي قبيس ذهباً لرجل، فأنفقه في سبيل الله تعالى لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله تعالى كان مسرفاً، قاله مجاهد.[٣]

أو الخطاب للسلاطين، يقول: لا تأخذوا فوق حقكم. [٣٤٢/أ]

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ أي: وأنشأ، والحمولة ما يحمل عليها من الإبل، والفرش صغارها التي لا يُحمل عليها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي: طريقه في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٤٢﴾ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ أي: أصناف، ونصْبُها بدلٌ من الحمولة والفرش، ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: الذكر والأنثى، فكلاهما زوج، وقد تسمي الواحد زوجاً إذا كان لا ينفك عن الآخر، والضأن، ذوات الصوف من الغنم، وهي النِّعاج، الواحد ضائن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن.[٤]

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ نافع وأهل الكوفة بسكون العين، وعن هشام كذلك، ومن بقي بالفتح لغتان.[٥] والمعزى والمعز جمع لا واحد له من لفظه، وهو ماله شعر من الغنم، وجمع الماعز معيز، وجمع الماعزة مواعز،[٦] يا محمد ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ أي: الله تعالى ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: أنثى الضأن

---

(١) رواه الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في تفسير البغوي {٢/ ١٦٤} وأخرجه الطبري بنحوه عن ابن جريج {١٢/ ١٧٤}.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع {١٤٢٦} ومسلم {١٠٣٤}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ١٦٤}.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: ضأن. والنعجة اسم للأنثى.

(٥) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٦}.

(٦) انظر: تاج العروس، مادة: معز.

والمعز، ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: منهما، فإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أي: أخبروني، أو فسروا ما حرمتم بعلم،[1] ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)﴾ أن الله تعالى حرم ذلك.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾

أي: أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حجر، وما في بطونها خالص للذكور منهم دون الإناث، وإنهم كانوا يحرمون بعض البحائر والسوائب والوصيلة والحام على الرجال، وبعضها على النساء، فلما قام الإسلام، قال المشركون على لسان خطيبهم مالك بن عوف:[2] يا محمد، بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه، فقال ﷺ: **((إنكم حرمتم أصنافاً من النعم على غير أصل، وإنما خلقت الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاءكم تحريمها؟ من قبل الذكر أم من قبل الأنثى؟))** فسكت خطيبهم وتحير، إذ لو أجاب أن التحريم إنما وجب بسبب الذكور لحرم جميع الذكور، أو بسبب الأنوثة لحرم جميع الإناث، أو بسبب اشتمال الرحم عليه لحرم الكل؛ إذ يشتمل الرحم على الذكر والأنثى، فأما تخصيص التحريم بالبعض دون البعض [٣٤٢/ب] فمن أين؟ روي: أنه ﷺ قال لمالك: **((ألا تتكلم؟))** قال مالك: قل وتكلم أنت أسمع.[3]

وأجمعوا على مد ألف الاستفهام إذا دخلت على ألف الوصل مثل: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ ﴿آللَّهُ﴾ [يونس: ٥٩] ﴿آلْآنَ﴾ [يونس: ٥١] لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر.[4]

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: حضوراً، ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ المراد عمرو بن لحي ومن تبع طريقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)﴾

---

(١) معاني الزجاج {٢/ ٢٩٩}.

(٢) مالك بن عوف أبو الأحوص الجشمي، هكذا ورد عند البغوي {٢/ ١٦٦} وانظر الإصابة {٥/ ٧٤٤}.

(٣) ذكره الخازن {٢/ ١٦٦} والبغوي {٢/ ١٦٦} بلا عزو ولا إسناد.

(٤) إتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٦- ٣٧}.

قالوا لرسول الله ﷺ: ما المحرم؟ فنزل: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ [(١)] أي: شيئاً محرماً، ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ أي: يأكله، ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ ابن كثير وابن عامر وحمزة ﴿إلا أن تكون﴾ بالتاء المعجمة الأعلى ومن بقي بالياء، وابن عامر ﴿ميتةٌ﴾ رفع، أي: إلا أن تقع ميتة، ومن بقي بالنصب،[(٢)] أي: إلا أن تكون النفس، أو الجثة ميتة، ومن قرأ بتذكير ﴿يَكُونَ﴾ أراد أن لا يكون المطعوم ميتة، ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أي: مهراقاً، ولأنهم كانوا يأكلون دماء ذبائحهم، وفيه إشارة إلى إباحة الكبد والطحال، وما اختلط باللحم من الدم؛ لأن الكل غير سائلة.

وعن أبي مجلزٍ:[(٣)] لا بأس بما اختلط باللحم من الدم، والقدر ترى فيها حمرة الدم، وكذلك لا بأس بالدم في عرق أو مخ.[(٤)]

عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود.[(٥)]

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ أي: حرام، ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: ذبح على اسم غير الله تعالى؛ لأنهم كانوا يذكرون أوثانهم على الذبائح، ويرفعون بذكرها أصواتهم، وفسقا، نصبٌ عطفٌ على ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ وما بينهما اعتراض، وسمي ما ذكر عليه غير اسم الله ﴿فِسْقًا﴾ ؛ لأنه خروج عن الدين.

وتلخيص الآية: إلا أن يكون المأكول ميتة، أو دما مصبوبا أو لحم خنزير أو فسقا.

عن عائشة وابن عباس: أن التحريم مقصور على هذه الأشياء.[(٥)]

قيل: يدخل في الميتة، المنخنقة والموقوذة، وما ذكر في أول سورة المائدة.[(٦)]

---

(١) ذكره البغوي بصيغة التمريض بلا إسناد، {٢/ ١٦٦}.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٧}.

(٣) أبو مجلز: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، مشهور بكنيته، ثقة، ت ١٠٦ وقيل: ١٠٩هـ تقريب التهذيب {١٠٤٦}.

(٤) تفسير الطبري {١٢/ ١٩٣}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ١٦٦}.

(٦) قال الشنقيطي: دعوى أنه لا يحرُم مطعومٌ غير الأربعة المذكورة في هذه الآية، باطلة بإجماع المسلمين؛ لإجماع جميع المسلمين، ودلالة الكتاب والسنة، على تحريم الخمر، فهو دليل قاطع على تحريم غير الأربعة. أضواء البيان {٢/ ١٨٦}.

وأكثر العلماء على أن السنة قد حرمت أشياء غير ما في هذه الآية، منها ما روى ابن عباس قال: **((نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير))**.[١]

وروي أنه ﷺ قال: **((أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير حرام))**.[٢] [٣٤٣/أ]

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ أباح هذه المحرمات عند الاضطرار مع عدم العدوان.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾ وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والأوز والبط،[٣] وهو كل ذي مخلب من الطير أو حافر من الدواب، وسمي الحافر ظفراً استعارة. ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ﴾ أي: شحوم الجوف، وهي الثروب،[٤] وشحم الكليتين، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، ﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾ جمع حاوية وحوية وهي المباعر، أي: ما حملته من الشحم. ﴿أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ﴾ أي: شحم الإلية، هذا كله داخل في الاستثناء، وإنما خص بالتحريم شحم الكلية والثرْب.

سئل ﷺ عن شحوم الميتة للاستصباح وطلي السفن، قال: ((**لا، هو حرام**)) وقال ﷺ عن اليهود: ((**حُرمت عليهم الشحوم، فجَمَلوها ثم باعوها فأكلوا ثمنها**)).[٥]

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ﴾ أي: عاقبناهم بالتحريم، بظلمهم وقتلهم الأنبياء واستحلال أموال الناس بالباطل وغير ذلك، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ أي: في الإخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾ أي: يؤخر العذاب عنكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ﴾ أي: عذابه ﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾ أي: إذا جاء.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ أي: لما لزمتهم الحجة، وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه، قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ أي: من قبل، ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: البحائر وغيرها، فكأنهم جعلوا

---

(١) أخرجه مسلم {١٩٣٤}.

(٢) أخرجه مسلم وليس فيه: ومخلب من الطير. {١٩٣٣}.

(٣) في (ب) زيادة [أو هو ما لم يكن مشقوق الأصابع].

(٤) الثروب: جمع ثرْب، وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. انظر: لسان العرب، مادة: ثرْب.

(٥) أخرجه البخاري {٤٦٣٣} ومسلم {١٥٨١}.

قولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ حجةً لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا: إن الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه، فلولا أنه رضي بذلك وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبينه، ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: الأمم الخالية وهذا تكذيب لهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ ويستدل بهذه الآية من يقول بالقدر، يقول: إنهم لما قالوا: لو شاء الله ما أشركنا، لو كذبهم ورد عليهم، لم تحصل لهم حجة، ولما لم يكذبهم ثبتت حجتهم، قلت: وإنما حصل التكذيب لهم بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾

الحسين بن الفضل:[1] ليس في قولهم: [٣٤٣/ب] ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ دليل على كذبهم، [إنما هو في قولهم: الله أمرنا بها، ورضي ما نحن عليه، ويؤيد أيضا ذلك ورود (كذَّب) بالتشديد، ولو كان خبرا من الله تعالى عن كذبهم][2] في قوله تعالى: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ لقال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ بالتخفيف، فأخبر عنهم بالكذب لا بالتكذيب، ولو قالوا ذلك تعظيما لله تعالى لما عابهم بذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ﴾ [الأنعام: ١٠٧] والمؤمنون يقولون ذلك تعظيما لله تعالى، ولكن قالوه تكذيباً وتخرصاً من غير معرفة بالله تعالى وبما يقولون، قاله الحسين بن الفضل.[3]

قلت: وعلى العبد اتباع أمر الله تعالى واجتناب نواهيه، وليس له التعلق بمشيئته، إذ مشيئة الله تعالى لا تكون عذراً لأحد، إذ لا يتحققُها إلا هو تعالى علاؤه وشأنه.[4]

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ أي: حجة و[بيان][5] ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ أي: ليظهر ما تدعون من الشرك وغيره، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أي: فيما أنتم عليه، ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ أي: تكذبون.

---

(١) الحسين بن الفضل بن عمير، العلامة المفسر، أبو علي البجلي الكوفي، انتقل إلى نيسابور وبقي يعلم الناس، ويفتي فيها، حتى توفي ٢٨٢هـ وقد جاوز عمره المائة. سير أعلام النبلاء {١٣/ ٤١٤}.

(٢) مابين المعكوفين، ساقط من الأصل، والمثبت من ب، واختلال المعنى واضح بدونه.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ١٦٩}.

(٤) وقول هؤلاء المشركين، هي كلمة حق أريد بها باطل؛ لأنهم يريدون أن يخفوا شركهم ويحتجوا بالقدر، وهذه حجة إبليس اللعين، حينما قال الله عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٩].

(٥) في (ب) وكتاب، بدل: وبيان.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أي: التامة ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ فيه دليل على أنه تعالى لم يشأ إيمان الكافر.

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ يقال للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد،[1] ﴿شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أي: ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون بتحريم ما حرمتم على أنفسكم، ودعواكم أن الله تعالى أمركم بذلك، ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ أي: كاذبين، ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: أنت يا محمد، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ أي: يشركون.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ هذا جواب سؤالهم: أيشٍ حرم الله تعالى؟ موضع أن رفع، معناه هو أن لا تشركوا، أو نصب، أي: وحرم عليكم أن تشركوا،[2] ولا زائدة،معناه حرم عليكم الإشراك، أو ليست بزائدة، وتقديره: اتل عليكم المحرمات المذكورات قبل، لئلا تشركوا به شيئاً؛ لأن من أحل ما حرم الله تعالى، فقد جعل غير الله في القول منه بمنزلة الله تعالى، وذلك شرك، أو تم الكلام عند قوله تعالى ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ثم أغراهم، فقال: عليكم أن لا تشركوا به شيئا، فعلى هذا هو إغراء،أو معناه: أتل عليكم تحريم الشرك،[3] وتلخيصه: أوصيكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾[4] أي: فقر، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كانوا في الجاهلية يستقبحون الزنا علانية ولا يستقبحونه سرا فحرمه الله تعالى كله.

أو ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا.[5] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: ردةٌ أو قصاص أو زنا يوجب الرجم. ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ أي: المذكور ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

---

(١) هذا في لغة قريش، وغيرهم بإضافة الضمير، فيقولون: هلما ،هلمي ،هلموا.

(٢) إعراب القرآن للنحاس {١٠٦}.

(٣) معاني الزجاج {٣٠٣}.

(٤) نهاية اللوحة [٣٤٤/ أ] بعد قوله: (ولا تقتلوا).

(٥) قاله الضحاك، تفسير الطبري {١٢/ ٢٢٠}.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي: الحلم، حين يكتب له الحسنات وعليه السيئات، أو يعقل وتجتمع قوته، أو الأشد ما بين [ثماني عشرة][1] سنة إلى ثلاثين سنة، أو إلى أربعين، أو إلى ستين، أو هو عشرون سنة، أو ثلاثون، أو ثلاث وثلاثون سنة.[2] وهو جمع شد، مثل قُد وأقد، وهو استحكام قوة الشباب، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه، أو بلوغ الأشد إيناس الرشد، والمعنى: لا تدفعوا إليه ماله حتى يبلغ رشيدا.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ أي: فاصدقوا ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ أي: المشهود عليه صاحب قرابة، ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ أي: تتعظون، حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال، في كل القرآن، ومن بقي بتشديدها.[3]

ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء، وهي محرمات على بني آدم كلهم، وهي أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.[4]

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ أي: الذي وصاكم به في [هاتين][5] الآيتين، ﴿صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا﴾ أي: طريقي واضحا، ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ حمزة والكسائي بكسر الهمزة على الاستئناف، ومن بقي بالفتح، أي: واتل عليهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ وابن عامر ويعقوب: بسكون النون مع تخفيفها، وشددها من بقي.[6] ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ أي: الطرق المختلفة، كاليهودية والنصرانية، أو الأهواء والبدع، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ أي: فتميل بكم عن طريقه، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: المذكور ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [٣٤٤/ب]

---

(١) في الأصل: ستة عشر، والمثبت من ب، والمصدر وهو قول الكلبي تفسير البغوي {١٧١/٢}.

(٢) انظر: معاني الزجاج {٢/ ٣٠٥} والبغوي {٢/ ١٧١}.

(٣) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٣٨/٢}.

(٤) تفسير البغوي {٢/ ١٧١}.

(٥) في المخطوط: هذين.

(٦) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٣٨/٢}.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ جيء بثم ههنا لتأخير الخبر، لا لتأخير الإتيان؛ إذ ثم مقتضية للترتيب، ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: تماماً على المحسنين من قومه، فيكون (الذي) بمعنى (من) أي: على من أحسن من قومه، وكان فيهم محسن ومسيء، دليله ما قرئ: على الذين أحسنوا،(١) أو معناه كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، أي: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، أو الذي أحسن هو موسى، و(الذي) بمعنى ما على هذا، والمعنى: آتيناه التوراة تماماً للنعمة عليه، أو المعنى تماماً مني على إحساني إلى موسى، وتماما نصب مصدر بمعنى الإتمام؛ لأن آتينا بمعنى أتممنا.(٢)

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: تبيينا لما يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ هذا في صفة التوراة، ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ أي: كي يؤمنوا بالبعث.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ أي: القرآن، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾ أي: أطيعوا، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ أي: لئلا تقولوا، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾[النساء: ١٧٦] والمعنى: أنزلناه كراهة أن تقولوا يا أهل مكة: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: اليهود والنصارى.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ أي: قراءتهم، ﴿لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ ومعناه أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم، ولم نعرف ما فيه فتجعلون ذلك عذراً لأنفسكم.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لأن جماعة من الكفار قالوا: لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيراً منهم، فقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: حجة واضحة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: بيان ونعمة لمن اتبعه، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: أعرض، ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شديد العذاب، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: بالعذاب، [٣٤٥/أ] أو لقبض أرواحهم، حمزة و الكسائي بالياء المعجمة الأسفل هنا والنحل في

---

(١) وهي شاذة، قرأ بها ابن مسعود ﷺ، معاني الفراء {١/ ٣٦٥}.

(٢) انظر: معاني الفراء {١/ ٣٦٥} والدر المصون {٥/ ٢٢٧}.

﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ ومن بقي بالتاء،[١] ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ بلا كيف،[٢] أو أمره وقضاؤه[٣] ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: ما وعدوا في دار الدنيا، أو نزول الموت، أو طلوع الشمس من مغربها، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ أي: لا ينفع أحدا إيمانه عند ظهور الآية التي تضطره إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ أي: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق عند ظهور الآيات، ﴿قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ أي: يا أهل مكة.

قال ﷺ: **((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً))**[٤].

وقال ﷺ: **((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله تعالى عليه))**[٥].

وروي عنه ﷺ أنه قال: **((ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها))**[٦]

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٩} والموضع الذي بالنحل آية: ٣٣.

(٢) وعبارة المؤلف رحمه الله عامة وموهمة بالتفويض، فيقال: بلا كيف نعلمه؛ لأنه لا علم لنا إلا ما علمنا سبحانه وتعالى، فهو أخبرنا عن إتيانه ومجيئه، ولم يخبرنا عن كيفية ذلك المجيء العظيم الذي يليق بجلاله وعظمته.

(٣) هذا تأويل لظاهر الآية بلا دليل، بل تبقى الآية على ظاهرها، وأن الله جل وعلا هو الذي يأتي مجيئا يليق بجلاله وعظمته.

(٤) أخرجه البخاري {٤٦٣٥- ٤٦٣٦} ومسلم {١٥٧}.

(٥) أخرجه مسلم {٢٧٠٣}.

(٦) أخرجه مسلم {١٥٨}.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ حمزة و الكسائي: فارقوا، بألف هنا والروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه، ومن بقي: ﴿فَرَّقُواْ﴾ مشدداً،[١] أي: جعلوا دين الله تعالى وهو واحد، وهو دين إبراهيم ﷺ، أدياناً مختلفة، فتهود قوم وتنصر قوم، كقوله تعالى ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ أي: فرقاً، أو هم أهل البدع والشبهات من هذه الأمة.[٢]

روي عنه ﷺ أنه قال: **((تفرقت بنوا إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي))**[٣].

﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ أي: من قتالهم، نسختها آية القتال،[٤] هذا على رأي من يقول: إن المراد من الآية اليهود والنصارى، ومن قال: المراد أهل الأهواء، فمعنى ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ أي: أنت منهم بريء وهم منك براء، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: في الجزاء ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ أي: يوم القيامة.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ أي: له عشر[٣٤٥/ب] حسنات أمثالها، وقرئ بتنوين ﴿عَشۡرُ﴾ ورفع ﴿أَمۡثَالِهَا﴾[٥] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾

قال ﷺ: **((إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله عز وجل))**[٦].

---

(١) انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٩} وموضع سورة الروم آية: ٣٢.

(٢) قاله أبو هريرة ﷺ، تفسير الطبري {١٢/ ٢٧١}.

(٣) أخرجه الترمذي {٢٦٤١} وقال الترمذي: حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.اهـ وقال الحاكم: إسناده لا تقوم به حجة.اهـ وللحديث شواهد: عن ابن ماجه {٣٩٩٣} وصحح إسناده البوصيري في زوائده، وأخرجه أيضا من وجه آخر {٣٩٩٢} ومن وجه آخر وألفاظ أخرى عند أبي داوود {٤٥٩٦-٤٥٩٧} والترمذي {٢٦٤٠} وابن ماجه {٣٩٩١} وابن حبان وصححه {٦٢٤٧} وحسنه الشيخ الألباني.

(٤) مذهب السدي ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير الطبري {١٢/ ٢٧٢} والناسخ والمنسوخ للنحاس {٢/ ٣٥٦٥}.

(٥) وهي قراءة يعقوب الحضرمي المتواترة، انظر: النشر {٢/ ٢٦٦} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٩}.

(٦) أخرجه البخاري {٤٢-١٢٩}.

ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات يضاعف الله تعالى إلى سبعمائة ضعف.[١]

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ الكوفيون وابن عامر ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف وفتح الياء مخففةً، ومن بقي بفتح القاف وكسر الياء مشددة،[٢] ومعنى القراءتين المستقيم، وانتصابه الكسائي: هو مصدر.[٣] ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾أي: حياتي وموتي، والمراد بالنسك الذبيحة ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ أو طاعتي في حياتي وجزائي بعد موتي من الله رب العالمين.

نافع ﴿وَمَحْيَايَ﴾ ساكنة الياء ومن بقي بفتحها، نافع وحده فتح ياء ﴿وَمَمَاتِي﴾[٤]

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ أي: مسلمي هذه الأمة، أو أول من أطاع من هذه الأمة.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أي: سيداً وإلهاً، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لأن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجع إلى ديننا، وكان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم،[٥] فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ أي: لا يؤخذ أحد بذنب غيره، والهاء في وازرة للمبالغة كراوية، أو هي لتأنيث النفس، وأصل الوزر الثقل، وسمي الاثم وزرا؛ لأنه يثقل ظهر صاحبه.[٦] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أهلك من قبلكم وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، وجمعها خلائف.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: بالخلق والخلق والعلم والمال والعدل ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ أي: ليختبركم فيما أعطاكم من المال، ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

---

(١) تفسير البغوي {٢/ ١٧٨} والصدقات أيضا داخلة في الحسنات.

(٢) انظر: النشر {٢/ ٢٦٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٣٩}.

(٣) تفسير البغوي {٢/ ١٧٨}.

(٤) انظر: النشر {٢/ ٢٦٧} وإتحاف فضلاء البشر {٢/ ٤٠}.

(٥) تفسير البغوي {٢/ ١٧٨}.

(٦) معجم مقاييس اللغة {٦/ ٨٢}.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لأن كل ما هو آت قريب، أو هو الهلاك في الدنيا، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ﴾ أي: متجاوز عمن آمن به ﴿رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ لمن مات تائبا، دل التأكيد على فضل الرحمة.

أبو حاتم: لا أقف على ﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ حتى أقول: ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وكذلك في الأعراف؛ لأن الكلام مقرون به لقوله تعالى ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي﴾ [الحجر: ٤٩- ٥٠] لأن الآخر محمول على الأول.[1]

(١) لم أعثر على مصدر القول والله أعلم.

الفهارس العامة للرسالة

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

س

ص

ض

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

****

****

****

فهرس الآثار والأقوال

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

س

ش

ص

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

و

ي

****

****

****

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام المترجم لهم

أ

ب

ت

ج

ح

خ

ذ

ر

ز

س

ش

ص

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

****

****

****

فـهـرس المصادر والمراجع

أ

١) إتحاف فضلاء البشر. بالقراءات الأربعة عشر. أحمد بن محمد البنا. حققه: د/ شعبان محمد إسماعيل. دار عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٢) أحكام القرآن. أحمد بن علي الجصاص. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ .

٣) أحكام القرآن. للإمام الشافعي. جمعه: أبو بكر البيهقي. علق عليه: قاسم الشماعي الرفاعي. دار القلم. الطبعة الأولى.

٤) أحكام القرآن. لمحمد بن أحمد بن القرطبي. دار الكتب العلمية. الطبعة الخامسة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٥) أحكام القرآن. لمحمد بن عبدالله، المشهور بأبي بكر بن العربي. علق عليه: محمد عبد القادر عطا. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

٦) الإحكام في أصول الأحكام. علي بن محمد الآمدي. علق عليه: الشيخ عبد الرزاق عفيفي. المكتب الإسلامي. الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ

٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٨) أسباب النزول. علي الواحدي. حققه: عصام الحميدان. مؤسسة الريان. الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ

٩) الاستذكار. ليوسف بن عبد الله بن عبد البر. تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.

١٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ليوسف بن عبد الله بن عبد البر.

حققه: علي بن محمد البجاوي. دار الجيل. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١١) أسد الغابة في معرفة الصحابة. حققه علي محمد معوض وعادل أحمد. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٢) الإسرائيليات والموضوعات. للدكتور وحمد بن محمد أبوشهبة. مجمع البحوث الإسلامية.

١٣) الأسماء والصفات. أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي. حققه: عبد الله بن محمد الحاشدي. مكتبة السوادي. الطبعة : الأولى.

١٤) الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني. تحقيق : علي محمد البجاوي. دار الجيل. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي. خرج آياته وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٦) إعراب القراءات السبع وعللها. لابن خالويه. حققه: د/ عبد الرحمن العثيمين. مكتبة الخانجي.الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٧) إعراب القراءات الشواذ. لأبي البقاء العكبري. حققه:محمد السيد أحمد عزوز. دار عالم الكتب. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٨) الأعلام. قاموس تراجم. لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. الطبعة السادسة ١٩٨٤هـ.

١٩) أعيان العصر وأعوان النصر. لصلاح الدين الصفدي. حققه:د/ نبيل أبو عمشة. وآخرون. دار الفكر المعاصر. ١٤١٨هـ.

٢٠) الأم . للإمام الشافعي. مع مختصر المزني. دار الفكر. الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. لأبي البقاء العكبري. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٢) الإنباه على قبائل الرواة. لأبي عمر يوسف بن عبد البر. حققه: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

٢٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. لإسماعيل باشا. دار الفكر ١٤٠٢هـ.

ب

٢٤) بحر العلوم. تفسير السمرقندي. لنصر السمرقندي. حققه: محب الدين عمر العمروي. دار الفكر. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

٢٥) البحر المحيط. محمد بن حيان الأندلسي. حققه: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي. تحقيق: محمد عدنان بن ياسين درويش. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية. ١٤١٩هـ

٢٧) البداية والنهاية. إسماعيل بن كثير الدمشقي. حققه: علي شيري. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٨) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. لعبد الفتاح القاضي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٩) البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. حققه: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون. دار المعرفة. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٣٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. لجلال الدين السيوطي. حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.

٣١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي. تحقيق : محمد المصري. جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت الطبعة : الأولى ١٤٠٧هـ.

ت

٣٢) تاج العروس من جواهر القاموس. لمحمد مرتضى الزبيدي. حققه: عبد الستار أحمد فراج. مطبعة حكومة الكويت. ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٣٣) تاريخ ابن خلدون. لعبد الرحمن بن خلدون المغربي. الطبعة الرابعة. دار احياء التراث العربي .

٣٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للإمام الذهبي. حققه: د/ بشار عواد معروف. دار المغرب الإسلامي. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣٥) تاريخ الأمم والملوك. محمد بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٣٦) التاريخ الصغير. للإمام البخاري. حققه: محمود إبراهيم زايد. دار الوعي، مكتبة دار التراث الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

٣٧) التاريخ الكبير. للإمام البخاري. حققه: السيد هاشم الندوي. دار الفكر.

٣٨) تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر. لأحمد الكواشي. رسالة علمية بتحقيق الدكتور: عبد الله نافع العمري. من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة

البقرة.

٣٩) التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون.

٤٠) تخـريج الأحاديـث والآثـار الواقعـة في تفسـير الكشـاف للزمخشر ـي. للإمـام الزيلعـي. اعتنـى بـه سـلطان بـن فهـد الطبيشي ـ. دار ابـن خزيمـة. الطبعـة الأولى ١٤١٤هـ.

٤١) تذكرة الحفاظ. للإمام الذهبي. دار إحياء التراث العربي.

٤٢) تفسـير السـمعاني. لأبي المظفـر منصـور السـمعاني. حققـه: يـاسر بـن إبـراهيم وغنيم بن عباس. دار الوطن. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٤٣) تفسـير القـرآن العظـيم، إسـماعيل بـن كثـير الدمشـقي. تحقيـق: عبـد الـرزاق المهدي. دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٤) تفسـير غريـب القـرآن. عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة. حققـه: السـيد أحمـد صقر. دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ

٤٥) تقريـب التهـذيب. للحـافظ ابـن حجـر العسـقلاني. حققـه: أبـو الأشـبال صغير أحمد شاغف الباكستاني. دار العاصمة. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٤٦) تلخـيص الحبـير في تخـريج أحاديـث الرافعـي الكبـير. لابـن حجـر العسـقلاني. تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني. ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٤٧) التمهيـد لمـا في الموطـأ مـن المعـاني والأسـانيد. ليوسـف بـن عبـد الله بـن عبـد الـبر. تحقيـق : مصـطفى بـن أحمـد العلـوي ،محمـد عبـد الكبـير البكـري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٣٨٧هـ.

٤٨) تهـذيب التهـذيب. لا بـن حجـر العسـقلاني. دار الفكـر. الطبعـة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٤٩) تهـذيب الكـمال في أسـماء الرجـال. ليوسـف بـن عبـد الـرحمن المـزي. تحقيـق : د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م.

ج

٥٠) جـامع البيـان في تأويـل القـرآن. لأبي جعفـر محمـد بـن جريـر الطـبري. حققـه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة .

٥١) جـامع العلـوم والحكـم. لابـن رجـب الحنـبلي. حققـه: طـارق عـوض الله محمد. دار ابن الجوزي. الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ

٥٢) الجـرح والتعـديل. لعبـد الـرحمن بـن أبي حـاتم الـرازي. دار إحيـاء الـتراث العربي. الطبعة الأولى١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.

٥٣) الجمـل في النحـو. الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي. تحقيـق : د/ فخـر الـدين قبـاوة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٥م.

ح

٥٤) الحاوي الكبير .للعلامة أبي الحسن الماوردي. دار الفكر.

٥٥) حجـة القـراءات. لعبـد الـرحمن بـن زنجلـة. حققـه: سـعيد الأفغـاني. مؤسسـة الرسالة. الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٥٦) الحجـة في القـراءات السـبع. لابـن خالويـه. حققـه: أحمـد فريـد المزيـدي. دار الكتب العلمية. توزيع مكتبة الباز. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٥٧) الحجـة للقـراء السـبعة، لأبي عـلي للفـارسي. حققـه: بـدر الـدين قهـوجي. دار المأمون للتراث. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٥٨) حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء. لأبي نعـيم الأصـبهاني. دار الكتـاب العربي. الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٥٩) حياة الحيوان الكبرى. للكمال الدميري. شركة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الثالثة. ١٣٧٦هـ .

٦٠) خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه.ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة – ١٤٠٠ هـ

د

٦١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. حققه د/ أحمد الخراط.دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٧٨م.

٦٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. لجلال الدين السيوطي. حققه: د/ عبد الله التركي. مركز هجر للبحوث والدراسات. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٦٣) درة الغواص للقاسم بن علي الحريري.حققه: عبد الحفيظ فرغلي القرني. دار الجيل. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٦٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. لابن حجر العسقلاني. حققه: محمد سيد جاد الحق. دار الكتب الحديثة. الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ

٦٥) دلائل النبوة. لأحمد البيهقي.حققه: عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية. ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٦٦) ديوان لبيد بن ربيعة العامري. دار صادر. ١٣٨٦هـ.

ذ

٦٧) ذيل مرآة الزمان. لقطب الدين اليونيني. مطبوعات مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.

ر

٦٨) روح المعـاني في تفسـير القـرآن والسـبع المثـاني. محمـود الألـوسي. دار إحيـاء التراث العربي.

٦٩) الـروض الـداني- المعجـم الصـغير. أبـو القاسـم سـليمان بـن أحمـد الطـبراني. تحقيـق : محمـد شـكور محمـود. المكتـب الإسـلامي. الطبعـة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ز

٧٠) زاد المســير. لأبــى الفــرج عبــد الــرحمن بــن الجــوزي. المكتــب الإسلامي.الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

س

٧١) السـبعة في القـراءات السـبع. لابـن مجاهـد. حققـه: د/ شـوقي ضـيف. دار المعارف. ١٩٧٢م.

٧٢) السلســلة الصــحيحة. لمحمــد نــاصر الــدين الألبــاني. مكتبــة المعــارف، الرياض.

٧٣) السلسلة الضعيفة. لمحمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف، الرياض.

٧٤) سـنن ابـن ماجـه. محمـد بـن يزيـد القزوينـي. تحقيـق: محمـد فـؤاد عبـد البـاقي، دار الفكر.

٧٥) سـنن أبي داود. سـليمان بـن الأشـعث أبـو داود السجسـتاني ، تحقيـق: محمـد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٧٦) سـنن الترمـذي. الجـامع الصـحيح. لمحمـد بـن عيسـى الترمـذي. حققـه: أحمـد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي.

٧٧) سـنن الـدارقطني. عـلي بـن عمـر الـدارقطني. تحقيـق : السـيد عبـد الله هاشـم

يماني المدني. دار المعرفة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

٧٨) سنن الدارمي.لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧٩) سنن النسائي الكبرى. أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق : د.عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

٨٠) سير أعلام النبلاء. للإمام الذهبي. بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة . الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٨١) السيرة النبوية. لعبد الملك بن هشام .حققه: مصطفى السقا وآخرون. مؤسسة علوم القرآن.

ش

٨٢) شرح السنة. للحسين بن مسعود البغوي. حققه شعيب الأرناؤوط. المكتب الإسلامي. الطبعة الأولى١٣٩٧هـ١٩٧٧م.

٨٣) شرح العقيدة الطحاوية. لعلي بن أبي العز الحنفي. حققه: د/ عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة الحادية عشرة ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٨٤) الشرح الكبير. لابن قدامة المقدسي.دار الكتاب العربي .

ص

٨٥) الصحاح. للجوهري. حققه: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٨٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان البستي. تحقيق :

شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ

٨٧) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. ناصر الدين الألباني. مكتبة الدليل- السعودية. الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٨٨) صحيح الجامع الصغير. لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي.

٨٩) صحيح سنن ابن ماجة. لمحمد ناصر الدين الألباني. مكتب التربية العربي. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٩٠) صحيح سنن الترمذي. لمحمد ناصر الدين الألباني. مكتب التربية العربي. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٩١) صحيح مسلم، مع شرحه المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. للإمام النووي. حققه: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة. الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

ض

٩٢) ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري. ناصر الدين الألباني. مكتبة الدليل- السعودية. الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٩٣) ضعيف الجامع الصغير وزيادته. لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٩٤) ضعيف سنن أبي داوود. لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي.

ط

٩٥) طبقات الشافعية الكبرى. لابن قاضي شهبة. عناية الدكتور: الحافظ عبد العليم خان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ

٩٦) الطبقات الكبرى لابن سعد. حققه: د/ علي محمد عمير. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٩٧) طبقات المفسرين أحمد بن محمد الأدنه وي. تحقيق : سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم. الطبعة الأولى ١٩٩٧ هـ.

٩٨) طبقات المفسرين. للداوودي . دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

ع

٩٩) العجاب في بيان الأسباب. لابن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. دار ابن الجوزي .الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٠٠) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق : خليل الميس.الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية.

غ

١٠١) غاية النهاية في طبقات القراء. لمحمد بن محمد بن الجزري. عني به: ج برجستراسر. مكتبة المتنبي.

ف

١٠٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري. لا بن حجر العسقلاني. دار السلام الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ٢٠٠٠م .

١٠٣) الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي. لزين الدين عبد الرؤوف المناوي.حققه: أحمد مجتبى السلفي.دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٠٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن

علي الشوكاني. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٠٥) الفتوحات الإلهية. لسليمان بن عمر المشهور بالجمل. دار الفكر.

١٠٦) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. حققه مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .

١٠٧) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : محمد بن علي بن محمد الشوكاني حققه: رضوان جامع رضوان. الطبعة الثانية ١٤٢١هـ مكتبة نزار مصطفى الباز.

ق

١٠٨) القاموس الفقهي. الدكتور سعدي أبوجيب. دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

١٠٩) القاموس المحيط. لمجد الدين الفيروز آبادي. مؤسسة الحلبي وشركاه.

١١٠) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب. لعبد الفتاح القاضي. في آخر كتاب البدور الزاهرة. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١١١) القطع والإئتناف. لأبي جعفر النحاس. حققه: عبد الرحمن المطرودي. دار عالم الكتب. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ١٩٩٢م.

١١٢) قواعد التفسير. د/ خالد بن عثمان السبت. دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

ك

١١٣) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف. ابن حجر العسقلاني.

مطبوع في آخر تفسير الكشاف للزمخشري، دار المعرفة.

١١٤) كتاب السنة. لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، ومعه: ظلال الجنة في تخريج السنة. للألباني. المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١١٥) الكتاب. لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان. حققه: عبد السلام هارون. الهيئة المصرية العامة للتأليف. ١٣٩١هـ.

١١٦) الكشاف. للزمخشري. دار المعرفة. وبذيله حواشي.

١١٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. لإسماعيل بن محمد العجلوني. دار الكتب العلمية. الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١١٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لحاجي خليفة. دار الفكر. ١٤٠٢هـ.

١١٩) الكشف والبيان. لأبي إسحاق أحمد الثعلبي. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

ل

١٢٠) لباب التأويل في معاني التنزيل -تفسير الخازن- لعلاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن. حققه: عبد السلام محمد شاهين. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م.

١٢١) لسان العرب لابن منظور الإفريقي. دار صادر. الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

١٢٢) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. تحقيق : دائرة المعرف النظامية بالهند مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

م

١٢٣) مجاز القرآن. لأبي عبيدة معمر بن المثنى. علق عليه: د/ محمد فؤاد سيزكين. مكتبة الخانجي.

١٢٤) المجتبى من السنن. سنن النسائي. أحمد بن شعيب النسائي. مكتب المطبوعات الإسلامية. الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

١٢٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الفكر١٤١٢ هـ.

١٢٦) المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي. دار الفكر.

١٢٧) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لابي الفتح عثمان بن جني. حققه: على النجدي ناصف وآخرون. ١٤٢٠هـ١٩٩٠م.

١٢٨) المحرر الوجيز. لابن عطية الأندلسي. حققه: المجلس العلمي بفاس. ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

١٢٩) المحلى. لعلي بن حزم الظاهري. طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة كما قوبلت على النسخة التي حققها الأستاذ الشيخ: أحمد محمد شاكر دار الفكر.

١٣٠) مختار الصحاح. لمحمد بن أبي بكر الرازي. دائرة المعاجم بمكتبة لبنان ١٩٨٩م.

١٣١) مختصر التبيين لهجاء التنزيل. أبو داوود سليمان بن نجاح. تحقيق: د/ أحمد بن أحمد شرشال. طبع مجمع الملك فهد ١٤٢٣هـ.

١٣٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن قيم الجوزية. تحقيق : محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

١٣٣) مدارك التنزيل. لعبد الله بن أحمد النسفي. دار الكتاب العربي.

١٣٤) مراتب الإجماع. لعلي بن حزم الظاهري. دار الكتب العلمية.

١٣٥) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي. حققه: علي بن محمد البجاوي. دار المعرفة. ١٣٧٣هـ

١٣٦) مرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن. عبد الرازق علي إبراهيم موسى. المكتبة العصرية ط١ ١٤٠٩هـ.

١٣٧) المزهر في علوم اللغة. لجلال الدين السيوطي. حققه: محمد أحمد جاد المولى بك، وآخرون. المكتبة العصرية. ١٩٨٦م.

١٣٨) المستدرك على الصحيحين. لمحمد بن عبد الله الحاكم. حققه : مصطفى عبد القادر عطا .دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

١٣٩) مسند أبي يعلى الموصلي. لأحمد بن علي بن الموصلي التميمي. حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

١٤٠) مسند الإمام أحمد. حققه شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

١٤١) مشكاة المصابيح. محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي. تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. الطبعة : الثالثة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

١٤٢) مشكل إعراب القرآن. لمكي بن أبي طالب القيسي. حققه: د/ حاتم الضامن. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٨٤م.

١٤٣) مصنف عبد الرزاق. لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني. المكتب الإسلامي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٤٤) المصنف في الأحاديث والآثار. لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة الكوفي. تحقيق : كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٤٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. لحافظ بن أحمد الحكمي. تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر دار ابن القيم. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٤٦) معالم التنزيل -تفسير البغوي- للحسين بن مسعود البغوي. حققه: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي.الطبعة الثانية١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٤٧) معاني القرآن وإعرابه. لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي. دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

١٤٨) معاني القرآن. لأبي جعفر النحاس.حققه:د/ يحي مراد. دار الحديث القاهرة. ١٤٢٥هـ.

١٤٩) معاني القرآن. لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء. دار عالم الكتب. الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٤م.

١٥٠) معاني القرآن. للأخفش سعيد بن مسعدة. حققه: د/ عبد الأمير محمد أمين الورد. دار عالم الكتب. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٥١) المعجم الأوسط. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق : طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين ١٤١٥هـ.

١٥٢) معجم البلدان. ياقوت بن عبد الله الحموي. دار الفكر.

١٥٣) معجم القراءات القرآنية. د/ أحمد مختار عمر. د/ عبد العال سالم مكرم. عالم الكتب الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

١٥٤) معجم القراءات. عبد اللطيف الخطيب . دار سعد الدين .

١٥٥) المعجم الكبير. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم. الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

١٥٦) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة. مكتبة المثنى. دار إحياء التراث العربي.

١٥٧) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. عاتق بن غيث البلادي. دار مكة.الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٥٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. عبد الله بن عبد العزيز البكري. تحقيق : مصطفى السقا. عالم الكتب. الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٥٩) معجم مقاييس اللغة. لأحمد بن فارس بن زكريا. حققه: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل.١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١٦٠) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم.لأبي منصور الجواليقي. تحقيق: أحمد شاكر. الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ دار الكتب.

١٦١) معرفة القراء الكبار. للإمام الذهبي. حققه: محمد حسن. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٦٢) مغنـي المحتـاج إلى معرفـة ألفـاظ المنهـاج. للخطيـب الشربيني. دار الفكـر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٦٣) المغنـي عـن حمـل الأسـفار في الأسـفار في تخـريج مـا في الإحيـاء مـن أخبـار. للحـافظ زيـن الـدين العراقـي. حققـه: أشـف عبـد المقصـود. مكتبـة دار طبريـة. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٦٤) المغنـي في فقـه الإمـام أحمـد بـن حنبـل الشـيباني. عبـد الله بـن قدامـة المقـدسي .دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

١٦٥) مفــاتيح الأغــاني في القــراءات والمعــاني. لأبي العــلاء الكرمــاني. تحقيــق: عبد الكريم مصطفى مدلج.دار ابن حزم. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٦٦) مفـاتيح الغيـب – التفسـير الكبـير. تفسـير الـرازي. للفخـر الـرازي . دار إحياء التراث العربي الطبعة الثالثة.

١٦٧) المفــردات في غريــب القرآن.للراغــب الأصــفهاني. مكتبــة نــزار البــاز. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٦٨) المقاصـد الحسـنة في بيـان كثـير مـن الأحاديـث المشـتهرة عـلى الألسـنة. لشـمس الـدين محمـد بـن عبـد الـرحمن السـخاوي. ت/ محمـد عـثمان الخشـت. دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٦٩) مقــالات الإســلاميين واخــتلاف المصــلين. لأبي الحســن الأشــعري. تحقيـق: محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد، مكتبـة النهضـة المصريـة، الطبعـة الثانيـة ١٣٨٩هـ

١٧٠) المكتفـى في الوقـف والابتـدا. لأبي عمـرو الـداني. حققـه: د/ يوسـف عبـد الرحمن المرعشلي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٧١) الملـل والنحـل. محمـد بـن عبـد الكـريم بـن أبي بكـر أحمـد الشهرسـتاني. تحقيق : محمد سيد كيلاني. دار المعرفة ١٤٠٤هـ.

١٧٢) المنـار المنيـف في الصـحيح والضـعيف. لابـن قـيم الجوزيـة. حققـه: عبـد الرحمن المعلمي. دار العاصمة. الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٧٣) منتهـى الإرادات في جمـع المقنـع مـع التنقـيح وزيـادات. لتقـي الـدين محمـد الفتـوحي الحنـبلي. المشـهور بـابن النجـار. حققـه: د/ عبـد الله التركـي. مؤسسـة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

١٧٤) المنثـور في القواعـد. بـدر الـدين الزركشيـ. تحقيـق: تيسـير أحمـد فـائق محمود.

١٧٥) الموضـوعات . لأبـى الفـرج عبـد الـرحمن بـن الجـوزي. ضـبط وتقـديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ

١٧٦) الموطـأ للإمـام مالـك بـن أنـس توزيـع دار العاصـمة السـعودية الريـاض الطبعة١ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

١٧٧) ميـزان الاعتـدال في نقـد الرجـال. للإمـام الـذهبي. تحقيـق عـلي محمـد البجاوي. دار الفكر .

ن

١٧٨) الناسـخ والمنسـوخ . محمـد بـن عبـد الله، أبـو بكـر بـن العـربي. حققـه: د/ عبـد الكبـير العلـوي المـدغري. وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية. ١٤٠٨هـ.

١٧٩) الناسـخ والمنسـوخ. لأبي جعفـر النحـاس. حققـه: د/ سـليمان اللاحـم. مؤسسة الرسالة.الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

١٨٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ليوسف بن تغري بردي. المؤسسة المصرية العامة. مصورة عن دار الكتب ١٣٨٣هـ.

١٨١) النشر في القراءات العشر. لمحمد بن محمد الجزري. مكتبة الرياض الحديثة. أشرف على تصحيحه علي الضباع.

١٨٢) نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية. لعبد الله بن يوسف الزيلعي. دار إحياء التراث العربي.١٤٠٧هـ

١٨٣) نكت الهميان في نكت العميان. لصلاح الدين الصفدي. المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩ هـ.

١٨٤) النكت والعيون. تفسير الماوردي. لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي. راجعه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٨٥) النهاية في غريب الحديث. لابن الأثير.حققه: علي حسن الأثري. دار ابن الجوزي.الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٨٦) نواسخ القرآن. لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٨٧) نيل الأوطار . لمحمد بن علي الشوكاني. إدارة الطباعة المنيرية.

هـ

١٨٨) هدية العارفين. إسماعيل باشا البغدادي. دار الفكر١٤٠٢هـ.

و

١٨٩) الوافي بالوفيات. لصلاح الدين الصفدي. الطبعة الثانية بعناية محمد يوسف نجم. دار فرانز شتايز ١٤٠٢هـ.

١٩٠) الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. حققه: عادل أحمد عبد الموجود. وآخرون. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٩١) الوفيات. لأبي المعالي محمد بن رافع السلامي. حققه: صالح مهدي عباس. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

****

****

****

فهرس المحتويات

القسم الثاني

نص الكتاب المحقق من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام

الفهارس العامة للكتاب

تمت

****

****

****